

ديوان السلیمانیات

(الجزء الثاني عشر)



نحو شعر عربي أصيل وهادئ وبناء وجاد ومحترم

عِتابي العَذْبُ أ بذله احتسابا
وأجعلُه قريضاً مُستساعاً
وأرفعُه إلى أسمى مَقامٍ
وأكتبُه بألفاظٍ تحأنت
وأرجو أن أنال - به - الثوابا
مِن الأرواح يقرُّبُ اقترابا
مِن التقوى ليُصبحَ مُستطابا
بأخلاق الذي يهوى الصوابا

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ديوان السليمانيات

(الجزء الثاني عشر)

عتابٌ وشكوى

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

الإهداء

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين! في "الصحيحين" من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَعْيَرَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ). رواه البخاري ومسلم - واللفظ له - . وفي رواية أخرى لهما من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - أنه قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصَفَّحٍ عنه! ، فبلغ ذلك رسول الله ، فقال: (أَتَعَجَّبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعْيَرُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَعْيَرُ مِنِّي ، مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَلَا شَخْصَ أَعْيَرَ مِنَ اللَّهِ ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُدْرُ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ). رواه البخاري ومسلم واللفظ له - . تباركت ربنا وتعاليت. لا عيب في أسمائك لأنها الحسنى ، ولا نقص في صفاتك لأنها العليا. حي لا تموت ، رقيب لا تفوت ، لا تحتاج إلى القوت ، لك الكبرياء والجبروت ، والعزة والملكوت. تفردت بالبقاء ، وكنت على غيرك الفناء ، لك العزة والكبرياء ، ولك أجل الصفات وأحسن الأسماء. أنت عالم الغيب ، البريء من كل عيب ، تكتب المقدر ، وتعلم ما في الصدور ، وتبعثر ما في القبور ، وأنت الحاكم يوم النشور. ملكك عظيم ، وجنابك كريم ، ونهجك قويم ، وأخذك أليم ، وأنت الرحيم الحليم الكريم. علام الغيوب ، وغفار الذنوب ، وستار العيوب ، وكاشف الكروب ، وميسر الخطوب ومقدر المكتوب ، عظمت بركاته ، وحسنت صفاته ، وبهرت آياته ، وأعجزت بيناته ، وأفحمت معجزاته ، وجلت سماؤه ، وعمت آلاؤه ، وامتلأت بحمده أرضه وسماؤه ، وكثرت نعمائه ، وحسن بلاؤه. ما أحسن قبيله ، وما أجمل تفصيله ، وما أبهى تنزيهه ، وما أسرع تسهيله ، ليس إلا الخضوع له وسيلة ، وليس لما يقضيه حيلة. لا يسأم من كثرة السؤال والطلب. سبحانه إذا سئل أعطى وأجاب. وإذا لم يسأل غضب. يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب. ولا يعطي الدين إلا لمن أحب ورجب. من رضي بالقليل أعطاه الكثير. ومن سخط فالحرمان قد وجب. رزق الأمان لمن لقضائه استكان. ومن لم يستكن انزعج واضطرب. من ركن إلى غيره ذلّ وهان. ومن اعتر به ظهر وغلب. من تبع هواه وكله إلى الشيطان. ومن تبع هدى الله فإلى الحق وثب. نعمده تبارك وتعالى على كل ما منح أو سلب ، ونعوذ بنور وجهه الكريم من العناء والنصب. ونسأله الخلود في دار السلام حيث لا لغو ولا صخب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وإليه المنقلب. هو المالك وهو الملك. يحكم ما يريد فلا تعقيب ولا عجب. قبض قبضتين. فقبضة الجنة لرحمته. وقبضة النار لغضبه. احتجب عن الخلق بنوره. وخفي عليهم بشدة ظهوره. أفلح من التزم الأدب. نخاف الله ونخشاه. ونرجوه ونطلب رضاه. والعفو منه مرتقب. نحب الصلاح ونتمناه. ونكره الفساد ونتحاشاه. فهل ذاك يكفي لبلوغ الأرب؟ تساؤل في نفوسنا تساءلناه. وبأمل في قلوبنا رجونا. تبارك الذي إذا شاء وهب. يسقي ويطعم ، يقضي ويحكم ، ينسخ ويبرم ، يقصم ويفصم ، يهين ويكرم ، يروي ويشبع ، يصل ويقطع ، يعطي ويمنع ، يخفض ويرفع ، يضر وينفع ، يرى ويسمع ، ينصر ويقمع! وليه ماجور ، والسعي إليه مبرور ، والعمل له مشكور ، وحزبه منصور ، وعدوه مدحور وخصمه مبتور ، يسحق الطغاة ، يمحق العصاة ، يدمر العتاة ، يمزق من آذاه. وأشهد أن

خاتم المرسلين هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. نطق بأفصح الكلام. وجاء بأعدل الأحكام. وما قرأ ولا كتب. آية الآيات. ومعجزة المعجزات. لمن سلم عقله من العطب. تأمل في حياته وانظر. وتمعن بقلبك وتدبر. وهاك بعض النسب. الأب يموت ولا يراه. والأم تسلمه لغريبة ترعاه. فلا حنان ولا لعب. عمّ كفله ورباه. وعمّ هو أسد الله. وعمّ يصلى ناراً ذات لهب. تمنى الإسلام لمن رعاه. وأراد الهدى لمن عاداه. فما أجيب لما تمنى وطلب. وتزوج من زوجة حنون تكبره بأعوام. يعيش معها في ونام وسلام. وفجأة تغير الحال وانقلب. رسالة لم تتحملها الجبال ، وعشيرة يرى منها الأهوال. وتتركه الوليفة إلى بيت في الجنة من قصب. جاءه منها البنات والبنون. فاخطفتهم منه يد المنون. فلا وريث ولا شقيق ولا عصب. هموم وآلام. ونفاق من اللئام. وليل لا ينام. ونهار للجهاد قد اصطحب. لم ينعم بلذيق الحياة. ولم ينل فيها ما تمناه. والموت منه قد اقترب. ووري في التراب وجهه الأنور ، وُعطي بالأكفان جبينه الأزهر ، بعد شديد مرض وتعب. لم يورث منه مال. بل علم تناقلته الأجيال. ونور في الآفاق قد ضرب. إلهنا ألفت بين قلوب المؤمنين فأصبحوا بنعمتك إخواناً! وحلت بين الظالمين وما يشتهون! وبعد ، فأهدي ديواني هذا لكل محب لشعر البطولة والواقعية والمواجهة ممن أعرف وممن لا أعرف ، ممن ينتمي إلي وممن لا ينتمي ، من أهلي ومن غير أهلي ، من أصدقائي ومعارفي ورفقاء دربي وزملاء مهنتي! من كل فريق يوافقني أو يعارضني: بقطع النظر النقيض معه فيما أدين به الله تعالى أم لا! اختلفت معه أو اتفقت ، إن هي إلا وجهات نظر تطرح للمناقشة والأخذ والرد! فإن كنت في بعضها مصيباً فنعماً هي! وإن أكن في بعضها مخطئاً فليجتنب الخطأ والزلل! وكل الناس يُؤخذ منه ويرد عليه إلا نبينا - صلى الله عليه وسلم - حياً وميتاً! إن الاختلاف والتباين سنة الله تعالى في خلقه! والخلاف حقيقة مما لا بد منه وهو كائن قديم - كان ويكون وسيكون ولا يزال - يعيش معنا ويحيا بين فئاتنا وجموعنا ، وينبغي أن نسلم به ونتكيف معه ونتعاطاه ونوقلم أنفسنا عليه ، ونحاول تطويره والانتقال به إلى الحالة الإيجابية المفيدة النافعة التي تدفعنا للأمام وتحقق التقدم والازدهار ، وأن يكون هدفنا جميعاً هو البحث عن الحقيقة والوصول للحق متسلحين بنقد الذوات في دواخلنا قبل الآخرين من حولنا سواء كان فكراً أو رأياً أو شخصاً أو منهجاً أو أسلوبية. وبناءً على ما أسلفت ذكره لا يجب أبداً محاكمة المقاصد والحكم على النوايا والخواطر! إن الله عز وجل وحده هو الذي يعلم النوايا والمقاصد ويطلع على ما في القلوب! فسبحان علام الغيوب! إن مبدأ محاكمة النيات والمقاصد والحكم عليها جزافاً واعتباطاً من خلال معطيات أو مقدمات أو مسلمات معينة يعتبر من أخطر الأمراض الفتاكة التي تسبب الخلاف والنفرة والتشردم ، وكم هي المفردات والأفكار والتصورات والقضايا التي استصدرنا فيها حكماً بعينه أو رأياً بذاته على الآخر بطريقة غير منضبطة ولا علمية! مع أن القرآن الكريم والسنة النبوية لينهيان عن مثل هذا الخلق السيئ المسيئ الذميم ، يقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم). وفي الأثر: (ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك ، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً!) والذي أقصده أن يُحسن الظن بما استشكل فهمه واستعجم تأويله من الأفكار التي يحملها بعض شعري! وليسعني اليوم من التماس الأعذار من جانب القراء ما وسع غيري من الشعراء! إذ يُورد بعضهم ملتصماً العذر - سبعة احتمالات لمراد الشاعر في بيت معين أو قصيدة معينة أو كلمة معينة ، ثم يقول لنا: والمعنى - بعد هذه الاحتمالات السبعة - لا يزال في بطن الشاعر! ومن صحيح ما أشر عن النبي -

صلى الله عليه وسلم :- القول بالحثُّ على حُسن الظن من خلال قوله: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديثِ ولا تحسَّسوا ، ولا تجسَّسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا! وكونوا عبادَ اللَّهِ إخواناً). هذا ، ولقد سئل الشيخ عبد الله البخاري - حفظه الله - متى يقتضي حسن الظن على المسلم ومتى لا يقتضي؟ فأجاب قائلًا: (الأصل أن المسلم يحسن الظن بأخيه المسلم ، هذا هو الأصل ، أما إساءة الظن فلا تجوز إلا إذا قام المقتضي الشرعي ، فأهل البدع لا تحسن الظن بهم ، لأن ما يروِّجونه إنما هو من باب التحسين والتزين لبدعهم ودعوة الناس إليهم ، وكذلك بعض الغصاة الدُّعاة إلى المعاصي ، والمرء يجب أن يكون بعيداً من أن يوقع الناس في إساءة الظن به ، ومن ذلك أن يعرض المرء نفسه إلى مواطن التهم ، فمن عرض نفسه مواطن التهم فلا يلومن من أساء الظن به ، وفي أبواب الدين كما قال الإمام عبد الرحمن ابن مهدي - رحمه الله -: خصلتان لا يستقيم فيهما حسن الظن بالناس (الحكم والحديث) يعني الذي يحكم بين اثنين في القضاء لا يقول أحسن الظن ، فعندك مدَّع ومدع عليه ، وبينات وشهادات وغير ذلك ، لا تحاكم الناس على حسن ظني ، فتحكم عليه تقول أنت مجرم ، يقول لك: اتق الله أحسن الظن بي ، هنا لا يأت إحسان الظن ، هنا دعوة ومدع عليه ، وبينات وشهود وهكذا ، والحديث يعني طلب الحديث ، وأخذ الحديث ، وتحمله وروايته ، فكونه ظاهره الاستقامة لا يعني أنه أهل لتحمل والأخذ والرواية ، ولهذا قلنا مراراً تكلمنا عن مسألة هل الأصل في المسلم العدالة أم لا؟ قد بينها لا يعني ذلك أن نسيئ الظن بالناس لكن كما يقال حرَّص ولا تخون). هـ. فاللهم اجعلنا متآخين فيك ، عاملين بكتابك وسنة نبيك ، ثابتين على الطاعة ، مجافين للمعصية حتى نلتقائك!

يا ودوداً قد ضلنا بالتأخي	ففي ظلال نديّة الأرجاء
واليهما نلونا نسو تمطر الغف	ران من فيضك السخي العطاء
قد أتيناك طائعين منيبين	ن ، ونرجو الرجوع بالأناء
بالتواب المرجو وبالعفو والصف	ح ، عسانا نكون في العتقاء
من عذاب السعير ، من هول ما نلنا	لقاء يوم الحساب عند اللقاء

إلهنا أنت الحكم الحق العدل! اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأجل الأبر الأكرم!

ضياؤك مشكاتي ، وفيضك منبوعي	وفضلك مرآتي ، وعدلك مرجعي
وأنت إله العدل والفضل والندى	ورب الأيادي والجلال الممنع
بك الخلق والإيجاد في كل كان	بك الرزق والإمداد في كل موضع
لك الحمد في نطق وصمت ومشهد	وغيب ومرئى في الضمير ومسمع

فكم لك من أطفٍ! وكم لك من عطا! وكم لك من بر شفى بؤس مفزع!

مواهب رزاق ، وحكمة خالقٍ وإنعام رحمن ، وإتقان مبدع

فأي دليل حار فيك عن الهدى؟ ومنك الهدى قد لآخ في كل مطع!

وإذن فالأصل التماس العذر وإبداء النصح لي كشاعر ، وبطريقة شرعية لطيفة تحمل النفس على السمع والطاعة وليس على النفرة والعصيان! والشاعر في قومه كالعالم فيهم ، له ما للعالم من الاحترام والتقدير ، وطبعاً عندما يكون مسلماً في شعره مؤمناً بالله فيه! إذ الشعر أداة من أدوات الدعوة إلى الله ، ووسيلة من وسائلها ، وأسلوب من أساليبها ، وسلاح من أسلحتها! فإنني أتقدم للقراء الأعزاء بقولي: (تذكروا من لو كان حياً بيننا لكان شفيعي عندكم - صلوات ربي وسلامه عليه -!) لقد كان ينصب لحسان بن ثابت الأنصاري منبراً في مسجده ليعطوه حسان وينافح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعن دينه وسنته وشريعته! فأقيموني اليوم فيكم مقام حسان بالأمس! فانصحو ولكن بالمعروف ، وبيّنوا الخطأ ولكن بالحجة والبرهان! جاء في (الدرر السنية): (إن العالم كغيره من الناس ، له حق النصح إذا أخطأ ، وهو مندرج تحت قوله عليه الصلاة والسلام كما في حديث تميم بن أوس الداري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة! قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم). رواه مسلم وأبو داود والترمذي ، وعنده أنه قال: الدين النصيحة ثلاث مرات! فالعلماء يُعتبرون من أئمة المسلمين. ولكن من الذي ينصحهم؟ أهم أصحاب الألسن الحادة والكلمات الجارحة من المتحمسين والمتشجنين؟ أم ذلك الذي لا يرى الحق إلا ما كان على مثل ما هو عليه؟ أقول: إن الذين ينصحون هم أولئك الذين عرفوا الحق ورحموا الخلق ، فكلماتهم بلسم على الجراح ، يأتون بالعبارة التي يفوح منها الحنان والشفقة بالمنصوح ، لا يُشعرونه بأنهم مترفعون عليه ولا شامتين فيه ، إنهم العلماء الربانيون الذين لا يُشهورون بالمنصوح ، بحجة النصح ، ولا يحرجونه بحجة التقويم ، ويضعون نصب أعينهم ما يلي: (الإخلاص لله تعالى في هذه النصيحة ، فإنها من جملة العبادات التي كلفنا بها ، ولا تقبل إلا إذا كانت خالصة لوجه الله تعالى قال عز وجل: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً). وأن يكون القصد منها الإصلاح: (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب). وأن يكون القصد إظهار الحق ، ولذا قال الإمام الشافعي: (قولي صوابٍ يحتمل الخطأ ، وقولٍ غيري خطأ يحتمل الصواب!) وقوله (أي الشافعي) (ما ناظرت أحداً إلا سألت الله أن يظهر الحق على لساني أو على لسانه). وأن يكون مبتعداً عن كل ما يجعل المنصوح معانداً متمادياً في الباطل ، متأسياً في ذلك بسيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ، حيث كان إذا أراد النصح قال: (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا) (ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله). وأن يكون التركيز على الرأي أو المسألة لا على قائلها لقوله عليه الصلاة والسلام: (ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله..). الحديث). هـ. أسأل الله أن يجعلني عند حسن ظن القراء ، وأن ينفعنا بما يُسدون إلينا من النصيحة والإرشاد! وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وعليها نحيا ، وعليها نموت ، وعليها نلقى الله!

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. * الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور. * الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً. * الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. * الحمد لله الذي أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات. * الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، وشرع الإسلام وجعل له منهجاً ، وأعز أركانه على من غالبه ، فجعله أمناً لمن عقله ، وسلاماً لمن دخله ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم عنه ، ونوراً لمن استضاء به! وفهماً لمن عقله ، ولُباً لمن تدبره ، وآية لمن توسم ، وتبصرة لمن عزم ، وعبرة لمن اتعظ ، ونجاة لمن صدق ، وثقة لمن توكل ، وراحة لمن فوّض ، وجنة لمن صبر. * الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق ، وعواقب الأمر ، ونحمده على عظيم امتنانه ، ونير برهانه ، ونوامي فضله وإحسانه ، حمداً يكون لحقه قضاء ، ولشكره أداء ، وإلى ثوابه مقرباً ولحسن مزيده موجباً ، ونستعين به استعانة راج لفضله مؤمل لنفعه ، معترف له بالطول ، مُذعن له بالعمل والقول. * الحمد لله الذي معز الإسلام بنصره ، ومُذل الشرك بقهره ، ومُصرف الأمور بأمره ، ومُديم النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدر الأيام ذولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، والأمر بما يشاء فلا يُراجع ، والحاكم بما يريد فلا يُدافع. * الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حِزراً وحِصناً ، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمناً ، وأكرمه بالنسبة إلى ذاته تشريفاً له وإكراماً وصوناً. * الحمد لله الذي جعل البيت الحرام قياماً للناس ، والشهر الحرام ، والهدى والقلائد ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وأن الله بكل شيء عليم. * الحمد لله الذي امتنَّ على عباده بنبيِّه المرسل ، وكتابه المنزل ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد ، فهو الضياء والنور والشفاء لما في الصدور. * الحمد لله الذي جعل القرآن نوراً لا يُطفأ مصباحه ، وسراجاً لا يخبو توقده ، ومنهجاً لا يضلُّ سالكه ، وفرقاناً لا يُخدِم برهانه ، وتبياناً لا تُهدم أركانه ، وشفاء لا تُخشى أسقامه ، وعِزّاً لا يُهزم أنصاره ، وحقاً لا يُخذل أعوانه. * الحمد لله رب العالمين غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ذي الطول ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، وينادي كل ليلة: هل من تائب فاتوب عليه؟ وهل من مستغفر فأغفر له؟ ويقول: عبدي ، لا تعجز ، منك الدعاء وعليّ الإجابة. منك الاستغفار وعليّ المغفرة ، منك التوبة وعليّ القبول ، من أحببنا أحببناه ، ومن عصانا أمهلناه ، ومن رجع إلينا قبلناه. مر إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - بسوق البصرة - فقيل له: يا أبا إسحاق ، إن الله تعالى يقول: "ادعوني أستجب لكم". ونحن ندعوه فلا يُستجاب لنا! فقال لهم: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: * عرفتم الله فلم تؤدوا حقه. * وقرأتم القرآن فلم تعملوا به. * وادعيتم حب رسوله فلم تعملوا بسنته. * وقتلتم إن الشيطان لكم عدو فاتخذتموه ولياً. * وقتلتم إنكم مشتاقون إلى الجنة فلم تعملوا لها. * وقتلتم إنكم تخافون من النار فلم تتقوها. * وقتلتم إن الموت حق فلم تستعدوا له. * واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم. * وتقلبتم في نعم الله فلم تشكروه عليها. * ودفنتم موتاكم فلم تعتبروا. فكيف يُستجاب لكم؟! وأشهد أن لا إله إلا الله أنت وحدك لا شريك لك ، خلقت فسويت ، وقدرت وقضيت ، وأمت وأحييت ، وأمضت وشفيت ،

وعافيت وابتليت ، وأغنيت وأقنيت ، وأضحكت وأبكيت ، والمرجعُ والمآلُ إليك ، نحن بك وإليك .
 *إلهنا تباركت وتعاليت ، نشهد أن كل عزيز غيرك ذليل ، وكل قوي غيرك ضعيف ، وكل مالك غيرك مملوك . * ونشهد أن لا إله إلا أنت ، لك العبادَة وإليك التوجُّه ، ومنك الخشية وعليك الاعتماد ، لا احتكام إلا إليك ، ولا سلطان إلا لشريعتك ، ولا اهتداء إلا بهُداك . اللهم إنك عفوٌ كريم تحب العفو فاعفُ عنَّا يا كريم ، اللهم إنا نسألك مُوجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والعزيمة على الرشد ، والغنيمة من كل برٍّ ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار . اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، وألف بين قلوبهم ، وأصلح ذات بينهم ، واهدهم سبيل السلام ، وجنِّبهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن . اللهم أصلح شباب المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وأصلح نساء المسلمات ، واجعلهن تقيات عفيفات طاهرات مُطيعات . اللهم يا حيُّ يا قيُّوم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور أبصارنا ، وجلاء أحراننا ، وذهاب همِّنا وغمِّنا . إلهنا جنناك تائبين فاقبل منا وأعنا ولا تردنا خائبين خاسرين! أعنا على أنفسنا وعلى أهواننا وعلى مراداتنا وعلى دنيانا وعلى شياطين الإنس والجن! أعنا على أمزجتنا وأعرافنا وعاداتنا وتقاليدنا!

إلهي أتيتُ بصدق الحنينِ يناجيك بالتوب قلب حزين
 إلهي أتيتُك في أضلعي إلى ساحة العفو وشوق دفين
 إلهي أتيتُ لكم تائباً فألحق طريحك في التائبين
 أعنه على نفسه والهوى فإن لم تعنه فمن ذا يعين؟
 أتيتُ ومالي سوا بابكم فرحمك يا ربي بالمذنبين!

رأى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رجلاً يطأ رقبته ، فقال: يا صاحب الرقبة ، ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب ، إنما الخشوع في القلوب . ودخل عمر على ابنه عبد الله - رضي الله عنهما - ، وإذا عندهم لحم ، فقال: ما هذا اللحم؟ فقال: أشتهيته! قال: أو كلما اشتهيت شيئاً أكلته؟ كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهاه . وكان عمر رضي الله عنه يقول لنفسه: والله لتتقين الله يا ابن الخطاب ، أو ليعذبك ، ثم لا يبالي بك . وكان يقول: من اتقى الله لم يصنع كل ما تريده نفسه من الشهوات . سأل عمر رضي الله عنه رجلاً عن شيء ، فقال: الله أعلم! فقال عمر: لقد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم! إذا سنل أحدكم عن شيء لا يعلمه ، فليقل: لا أدري . إنني إذ أقدم لهذا الديوان العزيز الغالي: (عتاب وشكوى) ، فكلي فخر بقصائده الطيبة الندية التي هي بعض عمري أجعلها بين أيدي القراء ، ومن دواعي سروري أن أتمه الله عليّ عبر الأسبوع الأول من شهر رمضان المعظم! وساعة إتمامه تواكب صلاة فجر السابع من رمضان ، مما يجعله ديواناً مباركاً ميموناً! وكنت أتمنى أن أعهد به إلى من يقدمه للناس ، وبدلاً من أن يكون عنوان هذه الفقرة: (مقدمة) تلك الكلمة المصدر المشتق من الثلاثي (قدم) ، لتكون (تقديم) الكلمة المصدر المشتقة من الرباعي (قدم)! وفرق كبير جداً بين أن يقدم الشاعر نفسه للجُمهور (مقدمة) ، وبين أن يقدمه سواه من

أهل الفن واللغة والأدب والعلم (تقديم)! ويشهد عليّ ربي أنني لم أكن لأستأثر بالتقديم كبراً على عباد الله من أهل التخصص والفن والشعر والأدب! ولكنني برحيل الأستاذ الشاعر سالم محمد سالم النوبي في تسعينات القرن المنصرم ، حيث سافر من عجمان إلى ميت غمر – أجا – دقهلية بمصر! وأدركتُ يوم رحيله أنني افتقدت عزيزاً غالياً وناصحاً أميناً! اعتدتُ أن أسترشد به في كل ما يعنو لي من الألغاز والأفكار! ويكفيني أنني كنت أعرض عليه الديوان بأكمله ، فيشمر الرجل الأشيب ذو الستين ربيعاً ، مضحياً بوقته الثمين وجهده المنقطع النظير ، وعطائه الفيض الغزير ، فلا يكمل ولا يمل حتى ينجز في أقل من شهر ما قوامه (440 صفحة شعرية)! وكأني بشعري وقد أخذته عن أسرته وعن أصدقائه وعن قراءاته وعن محبيه! فله دره من قارئٍ نحري ونقاد صبور ومجتهد قوي وناصح أمين مؤتمن! ولا أزكي على الله ربي أحداً ، إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين! ويشهد الله أن الرجل ما تقاضى درهماً ولا ديناراً على جهده هذا وعمله الدؤوب! بل كان يفعل ذلك ويبدله ابتغاء مرضاة الله تعالى! وعسير جداً على شاعرٍ مجيد أن يطالع في نهم أهازيج شويعر مبتدئ ، لا يزال يتخبط في دروب الشعر العسيرة العاتية! لا سيما إذا كانت هذه المحاولات قد امتلأت كسوراً وركاكاتٍ وعيوباً وحشواً وسطحية لا حدود لها! ولكن العباقرة الأفتاد لا يُضنيهم مثل هذا! لأن دوره باختصار أن يغربل وينخل الديوان من مثل هذه الأشياء ليخرج من بين يديه خالياً من العيوب صالحاً لأن يتداول وينشر ويطلعه الناس! وهذا الذي اعتدتُ عليه من الرجل! حيث كنتُ أسلمه الديوان وفيه من العيوب الفنية التي تخفى على غير ذوي الفن واللغة والأدب ، ثم استلمه منه وقد أقام معوجّه وأصلح ردينه محتسباً على الله الجهد والسهر والتعب! ويضاف إلى ذلك بُعد الدكتور عدنان علي رضا النحوي ، حيث يعيش في المملكة العربية السعودية! وكنتُ أصنع الشيء ذاته مع ذلك الشاعر الفطحل والناقد الجهبذ! فأرسل له بالبريد دواويني لينقدها! وتأتيني الرسائل بالبريد حاملة العلاجات والأدواء! وإن تيسرت مقابلة هنا في (عجمان) التقيته وتجادبنا أطراف الحديث حول عدد من القضايا الخاصة والعامة! لقد كنت محظوظاً بمعرفة الرجلين: (النوبي والنحوي)! ولقد سبقني إلى الرفيق الأعلى ثالث الأقطاب في اللغة والشعر والأدب: الدكتور الشربيني أبو طالب – رحمة الله عليه -! حيث اعتدتُ أن أقرأ عليه مباشرة ما أكتبه من القصائد الأولى التي أنشدها بين يديه من شعري سواء في داره أو في المسجد أو في الكلية (كلية اللغة العربية) أو في القطار (قطار الرحمة) كما كان يحلو له أن يسميه! ذلك القطار الذي كنا نركبه معاً من تفتيش كفر سعد إلى المنصورة يومياً ، حتى أكملت سنوات دراسة الأدب الإنجليزي في كلية الآداب – بجامعة المنصورة – في الفترة ما بين 1981 وحتى 1985م! لقد أمتعني الدكتور الشربيني أبو طالب بطيب نصحه وعميق تجربته! وأشعرتني بكينونتي كشاعر مبتدئ وكأني أجدت ووصلت إلى القمة! وذلك لفرط تشجيعه واحتفاله بي في كل مرة نلتقي! واعتاد أن يذكر لي الإيجابيات في كل قصيدة ويسرف في ذلك لدرجة التصنع والتكلف ، ثم يأخذ في سرد العيوب والمآخذ والمزلق ، ويوجز في ذلك خشية الإحساس بوعورة السبيل وبعد الطريق! فله دره من فيلسوف! لقد كان يرفعني وأنا الطالب المبتدئ والشويعر المبتدئ إلى مصاف الطلاب المجيدين والشعراء النحارير! والله لقد كنتُ أخجل من كثرة الألقاب والمسميات التي اعتاد أن يلحقها عليّ وأنا دونها بكثير! ولولا بعض رجاحة عقلي التي وهبني الله إياها لأخذت مقلباً في نفسي كبيراً! ووصل به الأمر لأن يساويني بزملائه الذين كانوا يدققون له رسالة الماجستير والدكتوراه!

فأعطاني - والله يشهد - على كلامي هذا - صورة عن أجزاء الرسالة الثلاثة لأقوم بالتدقيق اللغوي وكتابة الملاحظات عن يمين أو شمال الصفحة ، ليدرس ما إذا كنت مصيباً أو محقاً أم لا! وما كان ذلك منه إلا من قبيل الثقة والتشجيع وغرس مبادئ الجد والاجتهاد من بداية الطريق! وكم تجاذبنا أطراف الحديث حول الإعراب واللغة والنحو والصرف والقراءات والشعر والقوافي والأوزان! وأشهد الله لقد كان الدكتور الشربيني أبو طالب موسوعة في كل ما ذكرت! وكأنه قد استظهر المتون والشواهد عن ظهر قلب! وتمتع بالبديهة الحاضرة والذاكرة القوية والحجة البالغة! ولا أزكيه على الله تعالى والله حسبي ووكيله! بل أحسبه هكذا! وأشهد الله أنني كنت محظوظاً بالرجل ومعرفتي به في فترة كنت في أمس الحاجة لمثله ، يأخذ بيدي ويصبر عليّ ويعلمني مما علمه الله ، ويقيم معوج ما أكتب! فجزاه الله عني خيراً ما جزا صديقاً عن صديقه وأخاً عن أخيه وأستاذاً عن تلميذه! واعتاد أن يدعو الله لي في السر والعلن! ويعتبر الدكتور الشربيني - رحمه الله - أول من استبشر لي وبشرني بمستقبل عظيم في الشعر العربي الأصيل! وكان يردّد ذلك في شتى المجالس! لقد كان يتعمد إدخال السرور عليّ بالكلمات الجميلة ، وكان الراسخون في معرفتي ومعرفته يغبطوننا على هذه الصداقة التي تخطت حواجز الزمن وفارق السن بيننا! وإنّي لأرجو أن يكون من الذين مدحهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (.....سروراً أدخلته على قلب مسلم) وقوله: (تبسمك في وجه أخيك صدقة). قال القاسمي رحمه الله: (ولأخوة حق في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة ، وهذه لها درجات فأدناها: القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنّة ، قال بعضهم: إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها ، فذكره الثانية فلعله أن يكون قد نسي ، فإن لم يقضها فكبر عليه ، واقرأ هذه الآية: {وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ}! اللهم ارحم عبدك وابن أمتك الدكتور الشربيني أبو طالب وأسكنه فسيح جناتك! اللهم ارحم روحه التي صعدت إليك ولم يعد بيننا وبينها إلا الدعاء! فاجعلني اللهم من أبر تلاميذه الذين يدعون له في آخرته! اللهم ارحمه واغفر له وانظر إليه بعين لطفك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه وأكرم منزله. اللهم أبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وذرية خيراً من ذريته وزوجاً خيراً من زوجه ودمماً خيراً من دمه. اللهم يا عفو يا ودود ، انقله من ضيق اللحود ، ومن مراتع الدود إلى جناتك جنات الخلود! لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض تغمد (الدكتور الشربيني أبو طالب) برحمتك يا أرحم الراحمين. فلقد علمني فأبلى في تعليمي بلاءً حسناً! اللهم إنه في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم ارحمه واغفر له وأكرم منزله. اللهم ارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه الغابرين. واغفر لنا وله يا الله وأفسح له في قبره ونور له فيه. اللهم أبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله ، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار. اللهم ارحمه فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك ، اللهم قه عذابك يوم تبعث عبادك. اللهم أنزل عليه نوراً من نورك. اللهم نور له قبره وأنس وحشته ووسع مدخله. اللهم ارحم غربته وارحم شيبته التي شابت في الإسلام. اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة لا حفرة من حفر النار. آمين!

الافتتاحية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد. اللهم لك الحمد بالإسلام. ولك الحمد بالإيمان. ولك الحمد بالإحسان. ولك الحمد بالقرآن. ولك الحمد على نعمة المال والصحة والأهل والدار والمعافة. اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا. كبت عدونا فلك الحمد ، وأظهرت أمننا فلك الحمد. وأحسنمت معاملتنا فلك الحمد. وبسطت رزقنا فلك الحمد. وجمعت فرقتنا فلك الحمد. ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا فلك الحمد. لك الحمد على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك الكريم وعظيم سلطانتك. اللهم لك الحمد بما يوازي نعمك ويكافئ مزيديك. الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين. اللهم لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث ، أو سر أو علانية أو شاهد أو غائب أو خاصة أو عامة أو حي أو ميت. اللهم لك الحمد حمداً دائماً طيباً مباركاً فيه ، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد دائماً وأبداً ، اللهم صلي على النبي محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً ، اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة يا ذا الجلال والإكرام إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا ، وأشهدك اللهم ، وكفى بك شهيداً ، أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، اللهم إني أشهدك وأشهد حملة عرشك وملانكتك وجميع خلقك ، أن وعدك حق وأن لقائك حق ، والجنة حق والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث من في القبور ، أسألك اللهم بإيماني هذا وشهادتي تلك أن لا تكلفنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا أقل من ذلك ولا أكثر ولا إلى أحد من خلقك ، اللهم لا تكلفنا لأحد من خلقك ، فإن تكلفنا إلى غيرك ، تكلفنا إلى ضعف وعورة ، وذنب وخطيئة ، ونحن لا نثق إلا فيك ، ولا نؤمل إلا رحمتك ، فاغفر لنا ذنوبنا كلها ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي ، وعلى آله وأزواجه وذريته وصحابته والتابعين له ولهم كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك اللهم على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم لطف في عظمتك دون العظمة وعلوت بعظمتك على العظمة ، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك ما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسر في علمك! إلهنا انقرض كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانتك ، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ، يا ذا الجلال والإكرام ، اجعل لنا من كل هم أمسينا فيه فرجاً ومخرجاً ، اللهم اجعل لنا من كل هم فرجاً ومخرجاً ، اللهم إن عفوك عن ذنوبنا وتجاوزك عن خطيئاتنا ، وسترك قبيح عملنا أطمعنا في أن نسألك ما لا نستحقه ، بما قصرنا فيه ، اللهم إنا ندعوك آمنين ، ونسألك مستأنسين أنك محسن إلينا ، ونحن المسيئون نتودد إلينا بالنعم ونتبغض إليك بالمعاصي والموبقات ، ولكن الثقة بك حملتنا على أن نرجو رحمتك ونخشى عذابك! اللهم فجد بفضلك وإحسانك علينا إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم إنا نسألك بعزك مع ذلنا إلا رحمتنا ، ونسألك بقوتك مع ضعفنا ، وبغناك مع فقرنا ، هذه نواصينا الكاذبة الخائنة بين يديك ، عبادك سوانا كثير ، وليس لنا سيد سواك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، نسألك مسألة المساكين ونتضرع إليك ونبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل وندعوك دعاء الخائف الضعيف سؤال من خضعت لك رقبتة وزل لك أنفه ، وخضع لك قلبه ،

وفاضت له عينه ، وذل لك قلبه ، اللهم إنا نسألك أن ترحمنا رحمة من عندك تغنينا بها عن رحمة من سواك. اللهم سيدنا ومولانا إلهنا تم نورك فهديت فلك الحمد ، وعظم حلمك فغفرت فلك الحمد ، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد ، ربنا ربنا وجهك أكرم الوجوه وجاهك أعظم الجاه ، وعطيتك أفضل العطية وأناها. تطاع ربنا فتشكر ، وتعصى فتغفر. تجيب المضطر ، وتطعم الجائع ، وتروي الظمآن ، وتكسو الغريان ، وتكشف الضر ، وتشفي السقيم ، وتغفر الذنب العظيم ، وتقبل التوبة ولا يجزي بالآلئك أحد ، ولا يبلغ مدحك كقول قائل ، أنزل علينا رحمة من عندك ، تغنينا بها من رحمة من سواك ، يا من أظهر الجميل وستر القبيح يا من لا يؤاخذ بالجريرة ، ولا يهتك الستر! يا حسن التجاوز ، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ، يا صاحب كل نجوى ، يا منتهى كل شكوى ، يا كريم الصفح ، يا عظيم المن ، يا مبتدئاً بالخير والنعم قبل استحقاقها يا ربنا. إلهنا فاضت نعمك وعمت فواضلك! ارحمنا برحمتك الواسعة ، والطف بنا فيما أهمنا وأقلقنا! سبحانك نطمع في جنتك وما عملنا لها ما يدخلنا إياها! وعزأونا أننا ندخلها برحمة منك وفضل!

والشرك يـرـجـمـها ، والكفر يُطـغـيها

عجبتُ للأرض ، تؤتي الخير أجليها

ومن وراء الدجى في الليل يُخفيها؟

عجبتُ للشمس ، من في الصبح يُظهرها؟

تسعى بجدٍ ، ورزق اليوم يكفيها

عجبتُ للطير في الأرجاء سابعة

من ذا الذي أودع العطر الذي فيها؟!

عجبتُ للوردة الفيحاء نقطفها

في الأرض تؤتي ثمارا ثم نجنيها

عجبتُ للحبة الصماء نبذرها

في الصخر لا ماء بين الصخر يرويها

عجبتُ للحية الرقطاء مسكنها

وإن تكن عاقرا لا درّ يأتيها

عجبتُ للأم تؤتي الدر إن ولدت

سبحان من عنده علمها سبحان باريها!

عجبتُ للروح أين الروح في جسدي؟

لم يؤت علما عن الأشياء يُحصيها

(عجبتُ) لا تنتهي إن جدّ قائلها

إن شاء يقبضها ، أو شاء يبقيها

العلمُ لله ، كل الأرض قبضته

يُبلي العظام ، وأنى شاء ينشيها

سبحانه من إليه واحدٍ أحدي!

وإني إذ أفتتح هذا الديوان فأحب أن أحيط القراء الأحبة بمدى المعاناة التي لا يعلم إلا الله مداها في لم شمل هذا الديوان وجمع شتاته من هنا وهناك! فمن قصيدة خصت بها جريدة وثانية خصت بها صحيفة وثالثة خصت بها مجلة أسبوعية أو شهرية! وبعض القصائد كان خاصاً بالمناسبات مثل القصائد الرمضانية التي أنشدنا بعضها في (النادي الثقافي العربي) هنا بالشارقة! وبعضها أنشد

بالمدرسة الوطنية بعجمان أيضاً في مناسبات شتى كالاحتفال ببداية العام الدراسي وذكريات الهجرة النبوية والإسراء وبداية العام الهجري وبعض النصائح للطلاب عبر الشعر! وبعض القصائد شاركتُ بها في أمسيات شعرية عبر القنوات الفضائية مثل قناة (المجد)! وكما كان عسيراً عليّ أن أقوم بجمع القصائد وتنقيحها وترتيبها ودراستها وتحقيقها ووضع مقدماتها اللانقة بها! وحقيقة ديوان: (عتابٌ وشكوى) يُعد من الدواوين التي أوغلت في علاج الوشائج الاجتماعية التي تقطعت بين أغلب الناس اليوم ، ونحن نلمس تفكك الأسر وانحلال العائلات إلا ما رحم ربي! ومن هنا كان لزاماً على طليعة من الدعاة والعلماء وطلبة العلم والشعراء الموحدين والأدباء المؤمنين أن ينبروا لعلاج هذه المشكلات والتصدي لإصلاح ذات البين! ولرأب الصدع وجبر الكسر وإصلاح المعوج! ومن هنا تتجلى لنا حقيقة الداعية الموحدة الذي يبين للناس الحق والحقيقة ويعالج خلل الواقع بالإسلام كتاباً وسنة ، لا الداعية المرتزقة الجبان الذي يأكل بالإسلام كتاباً وسنة ، غير بائعٍ على ما ينال الإسلام والمسلمين اليوم! كما تتجلى حقيقة الشاعر الموحدة الذي يعالج الواقع بشعره المحترم الموافق للعقيدة والتوحيد ، لا الشاعر الإباضي المنحرف الضال المضل المرتزق بالشعر ، بعدما اعتاد على أن يرقص على كل طبلية ويأكل على كل مائدة ، ويقول بالحرف ما يريد من يعطيه الدراهم والدنانير والريالات والليرات والقروش على القصائد المفتراة التي لا تحمل مضموناً ولا محتوىً ، اللهم إلا العبث بعقليات وعواطف ومشاعر الجماهير! والشاعر أبو البسام التميمي يزن أبوهميلة يقول في ذلك: (الشاعر الحقيقي هو الذي إن حزن أبكك حتى تبلى لحيتك ، وإن فرح أضحكك حتى تبدو نواجذك ، وإن طرقت الأمل بابه أو همك أنك ستطأ القمر مستقبلاً ، وصورة أيامك الآتية درجات سلم يصل بين يومك هذا واليوم الذي ستطأ فيه القمر ، وإن جنّ عليه ليل اليأس والقطوط ، جعل مستقبلك قاع جبّ ، وشبه أيامك بمطرقة عظيمة يحملها الدهر بكلتا يديه ، يوشك أن يضربك بها على رأسك فتخرّ في سابع أرضين ، وإن أحبّ حولاء أراكها حوراء ، وإن هجرته زعم أن بلدية الرنتين قد قطعت الكهرباء عن قلبه المحب!). هـ. وأبو البسام يعني بذلك صدق الشاعر في توجهه لا أن يكون في وادٍ وعالمه وقراءه في وادٍ آخر! كالذي يتناول اليوم ليلي وصباهما وجمالها وقوامها ورضابها بينما الدروب قد رويت بدماء الأبرياء من حوله! ولقد تطلّ الدماء عباءة ليلاه – وما أظنها من ذوات العباءات – بل المايكرو جيب الذي ترتديه! أفلا يحس هذا الشاعر بالواقع المزري؟! ويقول الدكتور غازي القصيبي في تعريفه للشعر الصادق: (الشعر مشاعر عادية تصاغ بكلام غير عادي ، وهذا الكلام غير العادي هو ما يعبر عنه أحد الفلاسفة الفرنسيين قائلاً - لغة الشعر: لغة شبه أجنبية. وهي شبه أجنبية بالطبع لأنها غير متداولة ، فضلاً عن أن تكون مبتذلة في الحديث اليومي العادي. هذه اللغة لا تقوم على المفردة خارج السياق اللغوي ، لكنها تتحقق وتتجلى من خلال التراكم اللغوية المختلفة. ولكن في نهاية الأمر ، الشاعر لا يستطيع أن يخترع لغة جديدة ، إنما هو مخترع لسياقات لغوية خاصة به ، وانطلاقاً من هذه القاعدة ، يقول الفراهيدي: (الشعراء أمراء الكلام ، يصرفونه أنى شاءوا ، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم ، من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريف اللفظ وتعقيده ، ومدّ المقصور وقصر المدود ، والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته ، واستخراج ما كلت الألسن عن وصفه ونعته ، والأذهان عن فهمه وإيضاحه ، فيقربون البعيد ويبعدون القريب ، ويحتج بهم ولا يحتج عليهم). هـ. والمعنى الذي يقصده الدكتور الشاعر القصيبي هنا هو أن الشعر لا بد وأن يحاكي الواقع سواءً في أحداثه

أو لغته! أما الشاعر الذي يعمد إلى اختراع واقع آخر (يوتوبيا) أو (مدينة فاضلة) ليس غابة يأكل القوي الضعيف كما هو قائم ، إن مثل هذا النوع من الشعراء الذين استبدلوا بالواقع الآسن الذي نعيش واقعاً آخر ليس فيه دماء ولا أشلاء! كما اختاروا لغة أخرى وأوزاناً أخرى وقوافي أخرى مغايرة للغة وأوزان وقوافي العرب ، فليذهبوا بشعرهم هذا إلى جمهور آخر قد تنصل من اللغة العربية وفارق هذا الواقع الآسن وعاش في اليوتوبيا! وتحت عنوان: (الشعر شعور) يقول الأستاذ الشاعر أحمد الحاج أحمد [شاعر من فلسطين مقيم في القاهرة] -: (إن الشعر هو التأمل الخارج عن الحد ، والرؤية المتأنية والصبورة للشعور وطرقه ، وإطلاق الفعل التخيلي دون حد مسبق ، والخصوصية في التجريب والفعل التفاعلي! إنه حالة شعورية خاصة قادرة على ملامسة حالة الآخر الشعورية عبر التعبير اللغوي ، وهو ليس صراعاً بين الأشكال وتقنياتها وأياً أصلح للعصر ونظامه التعبيري! إن الشعر شعور ، وللشعور طرق يتشكل عبرها ، وهي المكونات المعرفية. ويترك الإنسان غرائزه وحواسه وملكاتة وقدراته بالنمو والتجريب ، لتصبح طريقاً لتشكل الشعور وتشكله. ويتميز شعور عن آخر بكثرة التجريب ، وبقدر ما يكون خاصاً ومتميزاً عن غيره بقدر ما يكون جزءاً عضويّاً من السياق وفعله المعرفي الثقافي. وهو يشكل عجينة الشعر وجذره ، ويتصل به في وجوده اللغوي عبر ملكة التعبير ، وبالتحديد التعبير اللغوي الذي يقع في سياق الشعور باللغة ومعرفتها ، وكثرة التجريب اللغوي الذي يقود إلى التباين في التعبير ، وأقصد هنا التباين الطبيعي وليس الحكم الاجتماعي ، الذي يقوم على النظام التعبيري السائد. إن معايير الإجابة في الشعر يجب لها الارتكاز على تتبع القدرة اللغوية التعبيرية ، وإجادتها في التعبير عن الشعور الذي يجب له أيضاً طرق المكونات المعرفية بعمق وتأمل. ولن يكون المعيار الشكلي ناجحاً في تتبع شعرية النص ومعرفة مداها).هـ. وإن فلا بد للشاعر الصادق من نص صادق وقلم صادق ومشاعر صادقة! ووراء كل نص شعري صادق شاعر صادق صاغه من وحي الواقع الذي يعيش فيه ومن حقيقة الناس الذين يعيش بينهم ، يسعده ما يسعدهم ، ويشقيه ما يشقيهم! ويقول الأستاذ مشعل الفوازي: (إنه في سبيل تجديد اللغة الشعرية يلجأ بعض الشعراء والأدباء بشكل عام إلى ما يسمى بتفجير اللغة ، وهو مصطلح يقصد به إفراغ المفردات من دلالاتها المستقرة في الأذهان وإسقاطها على دلالات أخرى بعيدة عن مرادها الحقيقي أو بعبارة أخرى إيجاد علاقات جديدة ما بين الكلمة كرمز لغوي أو دال وبين الشيء المرموز إليه أو المدلول ، وبالطبع لا بد أن يدخل على هذا الخط من يساهم له ، ليفرغ المفردات من دلالاتها ، لكنه لا يستطيع أن يملأها بأي شيء يحمل أي قيمة ، فيكتب مجموعة من الطلاسم التي يختفي خلفها ، لتخفي ضعفه وهي في الحقيقة تفضحه لأنه لا يعلم أن الشاعر لا يحطم اللغة الاعتيادية إلا ليعيد بناءها على مستوى أعلى يتشكل فيه نمط جديد من الدلالة تقول لنا ما لا تقوله اللغة بشكلها الطبيعي).هـ. والفوازي يقصد أن الشاعر الصادق في شعره ليس شرطاً أن يعمد إلى الرمز ليغرق فيه! بل يستخدم الرمز لإثارة ذكاء القارئ في إدراك كنه الرمز ومعرفة ما وراء الرمز من إبهامات! وأسأل الله أن أكون في ديواني هذا: (عتابٌ وشكوى) وفقتُ إلى ما ذهب إليه أبو البسام والقصيبي والفوازي! آمين! وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ونسأل الله أن يثيبنا على أشعارنا هذي جنات الفردوس!

صورة الغلاف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ومن اتبع هديه ووالاه! اللهم لك الحمد كالذي نقول وخير مما نقول ، اللهم لك صلاتنا ونسكنا ومحبتنا وممانتنا وإليك مآلنا ولك ربنا تراثنا ، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر وشتات الأمر ، اللهم إنا نعوذ بك من شر ما تجيء به الريح ، اللهم اغفر لنا مغفرة من عندك تصلح بها شأننا في الدارين ، وارحمنا رحمة نسعد بها في الدارين ، وتب علينا توبة نصوحة لا ننكسها أبداً ، أنت ربنا ولا نعبد إلا إياك! أَلزَمْنَا سَبِيلَ الاستقامة حتى لا نزيغ عنها أبداً ، اللهم انقلنا من ذل المعصية ، إلى عز الطاعة ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمّن سواك. اللهم نور قلوبنا وقبورنا وأعدنا من الشر كله واجمع لنا الخير كله ، اللهم اجعلنا صبورين ، اللهم اجعلنا لك صبارين ، لك شكارين ، واجعلنا في أعيننا صغيرين ، واجعلنا في أعين الناس كبيرين ، اللهم اجعلنا نعظم شريك ، ونكثر ذكرك ، ونتبع نصحك ونحفظ وصيتك ، اللهم إنا نسألك الصحة والعافية والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر والاستقامة ، اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأرواحنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، اللهم اجعل سريرتنا خير من علانيتنا ، واجعل اللهم علانيتنا صالحة ، اللهم إنا نسألك من صالح ما توتي الناس ، من الأهل والمال والولد غير الضال أو المضل ، اللهم إنا نسألك الهداية وتمام العافية ودوام الثبات على الحق والشكر على الهداية والتثبيت والعافية ، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار ، اللهم إنا نسألك المعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم اشمئنا بسترِكَ الجميل. اللهم اجعل تحت الستر ما ترضى به عنا ، اللهم إنا نسألك من الخير كله ، ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسأل الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، اللهم لك الحمد حمداً يوازي نعمك ويكافئ مزيدك ، نحمدك بجميع محامدك ما علمنا منها وما لم نعلم ، وعلى كل حال ، اللهم صلي على النبي محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً ، اللهم أعدنا من الشيطان الرجيم ، وأعدنا من كل سوء وقتعنا بما رزقتنا وبارك لنا فيه ، اللهم أَلزَمْنَا سَبِيلَ الاستقامة حتى نلقاك يا ربنا ، اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام حتى نلقاك به ، اللهم يا مقبل والأبصار ثبت قلوبنا على دينك ، اللهم يا مصرف القلوب والأبصار صرف قلوبنا على طاعتك وطاعة رسولك - صلى الله عليه وسلم - اللهم إنك أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالإجابة ، اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا ، فأجبنا كما وعدتنا اللهم امنن علينا بمغفرة من عندك ، اللهم امنن من عندك بمغفرة ما قارفنا ، وإجابتك في سقايانا وسعة رزقنا اللهم انصرنا على أعدائنا وأرنا منهم ثأرنا اللهم إنا نسألك أن تبارك لنا في سمعنا وفي بصرنا وفي خلقنا وفي أهلينا وفي ممانتنا وفي محبتنا وفي أعمالنا ، اللهم تقبل حسناتنا ونسألك الدرجات العلا من الجنة ، اللهم هب المسئين منا للمحسنين. اللهم ارحم في دار الدنيا غربتنا ، وارحم بنزول الموت مصرعنا ، وأنس في القبور وحشتنا. اللهم ارحم بسط أيدينا وفقر أفوانها ومنشر وجوهنا وارحم وقوفنا بين يديك. يا من عنت له الوجوه بيض وجوهنا بالنظر إليك واملاً قلوبنا من المحبة لك ، وأجرنا من ذل التوبيخ غداً عندك! اللهم قد أن لنا الحياء منك ، اللهم حان لنا الرجوع عن الإعراض عنك ، إلهنا لولا حلمك لم يسعنا أجلنا ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملنا ، إلهي قضيت وقضاؤك حقا أن نبتل بشياطين

الجن والإنس فصرفونا عن ذكرك وحالوا بيننا وبين طاعتك! فأخذنا الغرور وفتنا بالدنيا وزهرتها!
فألهم اغفر لنا تقصيرنا في حقك! اللهم أنت القائل وقولك الحق: (ورحمتي وسعت كل شيء)
فلتسعنا رحمتك!

مثلٌ لنفسك ، أيها المغرورُ	يومَ القيامةِ والسَّماءِ تمورُ
إذ كورتُ شمسُ النهار ، وأدنيتُ	حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجومُ تساقطت ، وتناثرتُ	وتبدلتُ - بعد الضياء - كدور
وإذا البحارُ تفجرتُ من خوفها	ورأيتها مثل الجحيم تفور
وإذا الجبالُ تقلعتُ بأصولها	فأرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العرشُ تعطلت ، وتخربتُ	خلت الديارُ فما بها معمور!
وإذا الوحوشُ لدى القيامةِ أحثرتُ	وتقولُ للأملاك أين نسير؟
وإذا تقاة المسلمين تزوجوا	من حور عين زانهن شعور
وإذا التي وئدتُ حين سؤالها	وبأي ذنب قتلتها ميسور؟
وإذا الجليلُ طوى السما بيمينه	طوى السجل كتابه المنشور
وإذا الصَّحائفُ عند ذاك تساقطتُ	وبدت لنا - يوم القصاص - أمور
وإذا الصَّحائفُ نشَّرتُ فتطايرتُ	وتهكتت - للمؤمنين - سُتور
وإذا السماء تكثرتُ عن أهلها	ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الجحيم تسعرتُ نيرانها	فلها - على أهل الذنوب - زفير
وإذا الجنانُ تزخرفتُ ، وتطيبتُ	وعرستُها متأهلاً وصبور
وإذا الجنينُ بأمره متعلقٌ	يخشى القصاص ، وقلبُه مذعور
هذا بلا ذنب يخافُ جنائفة	كيف الذي شهدتُ عليه دهور؟

إن العتاب له فقهه وأخلاقياته وكلماته الرقيقة التي تناسبه! وموقف النبي - صلى الله عليه وسلم -
- في أسرى بدر ، ماذا يفعل فيهم ، وانقسام الصحابة إلى فريقين بين الفداء والقتل ، والآيات التي

نزلت في ذلك تدلنا دلالة حقيقية على كيفية العتاب! روى مسلم عن ابن عباس أنه قال: لما أسروا الأسارى في بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيباً لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من العدي جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عدايهم أدنى من هذه الشجرة شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ}. والآية هنا تعلمنا التلطف في العتاب واختيار الألفاظ المعبرة الموحية المستميلة للمخاطب وحمله على الانصياع لما يريده من يعتب عليه! وتحت عنوان: (فن العتاب من فقه الخطاب) يقول الأستاذ عماد حسن أبو العيثن ما نصه بتصرف زهيد: (هناك ألوان كثيرة وفنون شتى للتداول والتفاهم بين الناس من ذلك لغة القول اللين ، كما قال تعالى لموسى وهارون في مخاطبة فرعون: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}. فاللين وسيلة من وسائل الخطاب بين الناس للوصول إلى الهدف المنشود من الإقناع وغيره من مقاصد التداول. وهناك الشدة ورغم كونها على النقيض من اللين إلا أن لها مواضع لا بد منها ، ولها ثمار ليست بمعزل عنها ، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}. هـ. ومن ذلك العتاب ما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - للأنصار عندما حلت في أعينهم الدنيا بزخرفها البراق! عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا [بعد غزوة حنين] في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظايا في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء. قال: فأين أنت من ذلك يا سعد. قال: يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي وما أنا قال فأجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال: فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فرددتهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار. قال: فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: يا معشر الأنصار ما قاله بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ألم أتكم ضللاً فهداكم الله وعالة فأعناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم. قالوا: بل الله ورسوله أمم وأفضل. قال: ألا تحببونني يا معشر الأنصار قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله والله ورسوله المم وأفضل. قال: أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتهم وصدقتم أئمتنا مكذباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فأوينناك وعائلاً فأغنياك أو جدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا

تَرْضُونَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتِ شِعْبَ الْأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ أَنْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا. لقد تحيرت كثيراً وأنا أحاول اختيار صورة غلاف مناسبة لهذا الديوان! ويرجع السبب في ذلك إلى أن العنوان المرفوع عليه أو العنوان الذي يحمله الديوان وتتضمنه أغلب قصائده أكبر من صورة تحتويه بكثير! ومن هنا كبرت الحيرة واشتدت ، إذ لم أقع على صورة توحى بما يحمل الديوان في مجموع قصائده من معان ودلالات! وأخيراً وقع الاختيار على صورة موحدة لكل أجزاء (السليمانيات) تجعل منها وحدة واحدة! وأما الجزء الثاني من العنوان: (عتاب وشكوى) فيتعلق بشكوى الحال والمآل إلى الله وحده! إنه لا ينبغي على المسلم المؤمن الموحد القانت أن يشكو بثه وحرزته وتطول العباد عليه إلا لمولاه – سبحانه وتعالى! نعم يجب أن تكون الشكوى إلى الله تعالى وحده ، فإن ذلك من تمام إقرار العبد بربوبية وألوهية وعبودية الله وتوكل العبد عليه وافتقاره وحاجته إليه ، ومن تمام استغناؤه به سبحانه عن الناس. قال السعدي: "الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر ، وإنما الذي ينافيه ، الشكوى إلى المخلوقين". هـ. "تفسير السعدي". وعلق صاحب الظلال على قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: {قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون}. فيقول بالنص: (وفي هذه الكلمات يتجلى الشعور بحقيقة الألوهية في هذا القلب الموصول ؛ كما تتجلى هذه الحقيقة ذاتها بجلالها الغامر ، ولآلائها الباهر. إن هذا الواقع الظاهر المينس من يوسف ، وهذا المدى الطويل الذي يقطع الرجاء من حياته فضلاً على عودته إلى أبيه ، واستنكار بنيه لهذا التطلع بعد هذا الأمد الطويل في وجه هذا الواقع الثقيل. إن هذا كله لا يؤثر شيئاً في شعور الرجل الصالح بربه. فهو يعلم من حقيقة ربه ومن شأنه ما لا يعلم هؤلاء المحبوبون عن تلك الحقيقة بذلك الواقع الصغير المنظور! وهذه قيمة الإيمان بالله ، ومعرفته سبحانه هذا اللون من المعرفة. معرفة التجلي والشهود وملابسة قدرته وقدره ، وملامسة رحمته ورعايته ، وإدراك شأن الألوهية مع العبيد الصالحين. إن هذه الكلمات: {وأعلم من الله ما لا تعلمون} تجلو هذه الحقيقة بما لا تملك كلماتنا نحن أن تجلوها . وتعرض مذاقاً يعرفه من ذاق مثله ، فيدرك ماذا تعني هذه الكلمات في نفس العبد الصالح يعقوب. والقلب الذي ذاق هذا المذاق لا تبلغ الشدائد منه مهما بلغت إلا أن يتعمق اللمس والمشاهدة والمذاق!). هـ. ثم يلمح صاحب الظلال إلى ما وقع له شخصياً بعبارة إشارية فيها من الإيحاءات ما الله به عليم! فيقول: (ولا نملك أن نزيد. ولكننا نحمد الله على فضله في هذا ؛ وندع ما بيننا وبينه له يعلمه سبحانه ويراه). هـ. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الشكوى إنما تكون إلى الله تعالى ، كما قال العبد الصالح: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) "انتهى من "منهاج السنة النبوية". وقال ابن القيم رحمه الله: "أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه بالصبر الجميل ، والصَّفْحُ الْجَمِيلُ ، وَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ ، فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَسَ اللَّهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: الصَّبْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ ، وَلَا مَعَهُ وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا عِتَابَ مَعَهُ. وَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا أَدَى مَعَهُ ، وَالشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا تَنَافِي الصَّبْرَ. يا رب أسألك أن تجعل ثواب ما كتبت من الأشعار غفران الذنوب ، وستر العيوب ، ودخول الجنة ، والنجاة من النار! اللهم انفع بهذه الأشعار من قرأها ، واهده بها إلى صراطك المستقيم!

هذا الديوان

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، اللهم ما قلنا من قول ، وما
حلفنا من حلف ، وما صلينا من صلاة ، وما نذرنا من نذر ، وما تصدقنا من صدقة ، وما حججنا
من حجة ، وما اعتمرنا من عمرة ، وما نذرنا من نذر ، فاجعل ذلك كله في طاعتك ، إنك ولي ذلك
والقادر عليه ، اللهم ما صلينا من صلاة فعلى من صليت ، اللهم وما لعنا من لعنة فعلى من لعنت ،
اللهم أنت ولينا في الدنيا والآخرة ، توفنا مسلمين وأحقنا بالصالحين ، اللهم إنا نسألك صحة في
إيمان وإيماناً في حسن خلق ونجاحاً يتبعه فلاح ، ورحمة منك وعافية ، ومغفرة منك ورضواناً ،
اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، اللهم يا معلم إبراهيم علمنا ويا مفهم
سليمان فهمنا ، يا عزيز يا حميد يا ذا العرش المجيد ، اصرف عنا كل جبار عنيد. اللهم إنا نسألك
بقدرتك التي تمسك بها السماوات السبع أن يقعن علينا ، اللهم إنا نسألك بقدرتك التي تمسك بها
السماوات السبع أن يقع بعضهن على بعض ، ونسألك ربنا أن تكفيننا بأس الذين كفروا ، إنك أشد
بأساً وأشد تنكيلاً. ربنا وإلهنا وسيدنا ومولانا كم من نعمة أنعمت بها علينا قلّ لك عليها شكرنا ،
وكم من بلية ابتليتنا بها قلّ لك عليها صبرنا ، فيما من قلّ على نعمته شكرنا فلم يحرّمنا ، ويا من قلّ
على بلانه صبرنا فلم يخذلنا ، ويا من رأنا على المعاصي فلم يفضحنا. يا ذا المعروف الذي لا
ينقضي أبداً ، ويا ذا النعم التي لا تحصى عدداً ، نسألك أن تصلي على النبي محمد ، وأن تغفر لنا
ما قدّمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا ، وما أنت أعلم به منا ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا
إله إلا أنت ، يا من لا تضره الذنوب ولا المعاصي ، ولا تنفعه الطاعات ولا الصالحات ، اغفر لنا ما
لا يضرّك ، وأعطنا ما لا ينفكك إنك أنت الوهاب ، نسألك فرجاً قريباً ورزقاً واسعاً وعملاً متقبلاً ،
نسألك العافية من كل بلية ، ونسألك الشكر على العافية ، ونسألك الغنى عن الناس ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم. إلهنا وسيدنا ومولانا ، نحن الذين كلما طالت أعمارنا زادت ذنوبنا ، إلهنا
نحن الذين كلما قمنا بترك سيئة وقعنا في أخرى ، واذنوبنا! خطيئة لم تبلى وصاحبها في طلب
أخرى ، واخطيئته إن كانت النار لنا مقبلاً ومأوى ، واذنوبنا إن كانت المقامع لرؤوسنا تهيأ. إلهنا
وسيدنا وعزتك لم نقصد بمعصيتك مخالفتك ، ولم نرد بمعصيتك إذ عصيناك مخالفتك ولا رد أمرك!
إنا - بجلالك حين عصيناك - كنا جاهلين ، وما كنا لعقوبتك متعرضين ، ولا لنظرك مستخفين ،
ولكن سوّلت لنا أنفسنا وأعاننا على ذلك شِقوتنا وغرنا سِتْرُكَ المرخي علينا ، فعصيناك بجهلنا
وخالفناك بقلنا ، فمن عذابك الآن من يستنقذنا؟ وبحبل من نعصم إن قطعت حبلك عنا؟ واسوأناه ،
واحسرتاه ، واخوفاه من الوقوف غداً بين يديك إذا قيل للمخفين ، وللمثقلين خطوا ، أمع المخفين؟
أم مع المثقلين نحط؟ ولينا ومولانا إن لم تغفر لنا ذنوبنا ولم تتجاوز عن خطيئتنا ، فمن سواك
يغفر لنا ذنوبنا؟ إلهنا طالت أعمارنا وعظمت خطايانا وطمت بلاياتنا إن لم تغفر لنا وترحمنا ، اللهم
ارزقنا حق الحياء منك ، اللهم ارزقنا صدق اللجا إليك ، اللهم امنحنا حسن التوكّل عليك ، اللهم
تقبل توبتنا واغفر حوبتنا وامحو خطيئتنا وارفع درجاتنا ، وسدّد ألسنتنا ، وأثلج سخيمة صدورنا ،
نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار ، اللهم إنا نعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم إنا
نعوذ بك من الهم والحزن ، ونعوذ بك من العجز والكسل ، ونعوذ بك من الجبن والبخل ، ونعوذ بك
من غلبة الدين وقهر الرجال. اللهم إنا نسألك إيماناً لا يرتد ، ونعيماً لا ينفد وصحبة النبي محمد -

صلى الله عليه وسلم - في أعلى جنان الخلد ، اللهم إنا نسألك إيماناً لا يرتد ، اللهم إنا نسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض أن تجعلنا في حرزك وحفظك ، وجوارك وتحت كنفك. اللهم إنا نشكو إليك ذنباً وأحوالاً لا يحسن بثها إلا إليك ، ولا يعلمها إلا أنت! ونستغفرك منها ونتوب إليك ، اللهم إن ذنوبنا عظام وهي في جنب عفوك صغار ، فاغفر لنا وارحمنا يا رب العالمين ، اللهم إنا نعوذ بك من شر السلطان الظلام ، ومن شر ما تجري به الأقلام ، ونعوذ بك أن نقول بحق لا نقصد به غير طاعتك ، وتعوذ بك أن نتزين بشيء للناس يشيننا عندك ، ونعوذ بك أن نستعين بمعاصيك على ضرر نزل بنا ، ونعوذ بك أن تجعلنا عبرة لأحد من خلقك ، ونعوذ بك أن تجعل أحداً أسعد منا بما علمناه عنك ، اللهم لا تخزنا فأنت بنا عليم ولا تعذبنا فأنت علينا قادر. إلهي ومولاي ، كانت لي مع نفسي وقفة قصيرة تذكرت عبرها ما كان مني من التقصير والتفريط! فقدمت موقناً أن لندمي ولدمعي سبيلاً إلى مغفرتك ومرضاتك!

إلا رجائي رحمة الرحمن

حاسبت نفسي لم أجد لي صالحاً

في الأمر إلا خفة الميزان

ووزنت أعمالي علي فلم أجد

ويحي إذن من وقفة الديوان!

وظلمت نفسي في أموري كلها

مهما يطل عمري فإني فنان

يا أيها الأحابب إني راحل

من للمسيء المذنب الحيران؟!

يارب إن لم ترض إلا ذا تقى

ورأى العزول صبابتي فبكاني

نوح الحمام على الغصون شجاني

وأنا أنوح مخافة الديوان

نوح الحمام ينوح من ألم النوى

إلهي أوبقتني ذنوبي ، وحالت بين وبين التوفيق والفلاح! وحاولت استدراك أمري فعجزت ، فعلمت أن لي رباً رحيماً غفوراً ، فجئت إليه أدعوه وأبتهل إليه وأستغفره رجاء أن يعفو عني!

أقض منامي من مقلتي

ذنوبي أشكو ، ولا غيرها

بكاء الأجابة في سكرتي؟

أعاتب نفسي ، أما هزها

وما في كتابي سوى غفلي؟

أما هزها الموت يأتي غداً

ظلام تزيده به وحشتي؟

أما هزها من فراش الثرى

تسابقتي بالأسى حسرتي

ندمت فجئت لكم تائباً

فإن تطردني فواضيعتي!

أتيت ، ومالي سوى بابكم

إن ديوان: (عتاب وشكوى) في حقيقته مجموعة من القصائد المتألّفة التي ترسم صورة حقيقية لأحداث عشتها في غربة طالت عقوداً ، لم أخترها ولا خططت لها! إنما وجدنتي مضطراً إليها اضطراراً فرضته الأحوال والظروف! وتعليقاً على بعض المحطات فيه أقول: * قصيدة (عتاب وشكوى) التي يحمل الديوان بأسره اسمها ، كتبتها عتابية للأستاذ أحمد موسى في معرض ردي عليه عبر المنار ، مبيناً سمو الحوار الذي ينبغي أن يكون بين طلبة العلم! إن عتاب أولى النهي من أصحاب الأقلام والتأليف ينبغي أن يسمو عن الزلات والسقطات! وبخاصة في عصرنا هذا الذي ما أهين العلم ولا العلماء بمثل ما أهينوا فيه على كَرّ الدهور وتعاقب العصور! * وقصيدة (المدرسة التكلية) تحدثت عن حقيقة كل مدرسة تبنتها باقصاء معلمها الأجلاء العلماء العاملين ، ليحل محلهم أقزام لا علم عند أحدهم فضلاً عن الرسالة والخبرة! إن مثل هذه المدرسة لا يمكن أن تقدم لطلابها شيئاً من خلق ولا أثاراً من علم! وكأني بها كالأم التي تكلت أحب ما تملك وهم أبناؤها! وكان العنوان مقصوداً (التكلية) من الثكل والفقد إلى غير رجعة ، وكان لسان الحال يقول بأن ما فقد لا يمكن أن يعود! * وقصيدة (المرثية السلিমانيّة) والتي رثيت فيها أبي ، كان الدافع إليها استعراض ذكريات والدي رحمه الله منذ ولادتي 1963م وحتى وفاته 2013م ، وربما يقول قائل: وهل تدرک ذكريات أبيك منذ ولادتك؟! والجواب: بالطبع لا! ولكن اعتمدت في ذلك على حكايا من شهدوا ولادتي وطفولتي! كأمي وأبي وجدي لأمي وجدتي لأمي وأخوالي! وما كان هناك شبه إجماع منهم عليه اعتبرته خبيراً موثقاً حقيقياً! وإذ مات أبي وأنا في غربتي ولا أستطيع التّغسيل ولا التّكفين ولا الصلاة ولا التشييع ولا تلقي العزاء ، فتلك مجموعة من الطوام! ولكن عزائي أن الله يسمع ويرى ، ويعلم ما في القلوب وما تكنه الضمائر! والمهم أنني في هذه القصيدة حاولت أن أترك بصمة حقيقية قبل أن أموت ، لأن أحداثاً حدثت وأموراً سيئ فهمها ، جعلت والدي في قفص الاتهام على أيدي أناس يهرفون بما لا يعرفون! فأردت من قصيدتي بيان الحق ، ودفع الشبهة ، ودحض الزيف! * وقصيدة (المرثية السّماحيّة) تناولت الشئ ذاته ، حيث تحدثت فيها عن أمي وذكرياتي معها ، وأوضحت بعض الأمور ودفعت بعض الشبهات لتتجلى حقيقة العلاقة لا يشوبها كدر ولا تشويش! فرحم الله أبي وأمي وتجاوز عن سيناتهما وأسكنهما فسيح جناته ، وأشهد الله أنني قد سامحتهما فيما بدر منهما ، وأسأل الله أن يغفر لي تقصيري في حقهما! * وقصيدة (بل دعاة وقضاة) تناولت فيها أن الداعي يُمكن له أن يُصدر الأحكام إذا توافرت الشروط وانتفت الموانع وقامت الحجة الرسالية التي يكفر تاركها! وكان تعويلي في هذا على ما أثر عن ابن باز وابن عثيمين والدكتور عدنان النحوي! وأعتقد أن مقدمة القصيدة على طولها كافية في شرح الغرض منها! * وقصيدة (جنّت راغبة أم غاضبة) فأنا أحكيها شعراً عن صاحبته التي حكته لي مباشرة ، وبيّنت أن العلاقات الاجتماعية ينبغي أن تراوح بين الرحمة والحزم! فهذا الأب الذي رَحِبَ بابنته - بعد زواجها بأسبوع - زائرة فقط لا مقيمة ، إنما أراد أن يلقنها درساً لا تنساه أبداً ، من أنها إن أرادت أن تكرر ذلك فليكن على سبيل الزيارة لا الإقامة! إنه باختصار يريد أن يقول لها: لا تعولي عليّ كأب في خراب بيتك وعلاقتك بزوجك ، فلست معك بل أنا معه! وإنما عليك أن تسمعي وتطيعي فيما هو لله - عز وجل - طاعة ولا تتمردني على زوجك وستجدينه إن فعلت من الصالحين! * وقصيدة (وهكذا عُدتُ بلا سحور) تناولت فيها قصة أحد أصحاب القلوب الرحيمة والضمائر الحية ، وكان قد

ذهب يريد التسوق لأهل بيته قبيل شهر رمضان ، وتحديداً في أول أيام الشهر! وهناك يدفعه عطفه على طفل فقير أن يتصدق بالمال على الطفل وأمه ابتغاء وجه الله ، ويرجع إلى أسرته بلا سحور ولا مال ، على أن يعود من الغد فيتسوق من جديد! وعلى غرابة الموقف ترحب الأسرة بهذا الصنيع ، وتعتبره سبقاً في مجال الأخلاق والقيم الأصيلة! * وقصيدة (البكائية النحوية) أنشدتها من شعري في رثاء الدكتور الشاعر عدنان النحوي ، بعد علاقة بيننا امتدت عقوداً من الزمان ألفيته عبرهما والداً حانياً وصديقاً باراً وشاعراً خيراً ، يمتد نفعه لمن حوله فيتعدى خيره غيره! زتأثرت برحيله جداً ، فعسى الله أن يرحمه رحمة واسعة ، ويتجاوز عن سيئاته ويغفر له ذنوبه! والحقيقة أن الناس يقولون: (الخلال لا يحب خللاً مثله!) عانين بذلك أن أصحاب الكار الواحد على خلاف دائم بدافع الغيرة أو الحسد! وأنا أرى أنهم أصابوا نسبياً ، ويكاد الناس في عمومهم أن يكونوا كذلك! وألفيت طائفة الشعراء في عموم أهلها من أشد الناس في تطبيق هذه القاعدة إلا من رحم الله! فلا تكاد تجد شاعراً يخلص النصيحة لأخيه الشاعر ، فيتعهده وينصح له ويأخذ بيده خاصة إن كان في أول الدرب! غير أن الدكتور عدنان رحمه الله لم يكن كذلك ولا أنا تعلمت منه ذلك! بل كان الرجل – ولا أزكيه على الله – مدرسة في العطاء والنصح والإخلاص والتواضع! وما يحمله أن يقرأ ديواناً كاملاً على طوله مثل: (الأمل الفواح) أو (ترنيمة على جدار الحب) مع زوجه إلا إذا كان محبباً صبوراً نصوحاً! إن مثلي عندما يقرأ للدكتور عدنان شعراً أو نثراً ، فإنه يستفيد ويتعلم ويضيف إلى ما عنده ويتعلم! ولكن إن قرأ الدكتور عدنان لمثلي فماذا يستفيد؟ وماذا يضيف إلى رصيده؟ ويثني على أشعاري ويرفع من شأنها وهي لا تزال تنضج وتتربى وتترعرع! ويذكر أنه استفاد منها الأمر الذي لا أكاد أصدق إلا من مشربية أن الرجل أراد فقط رفع روعي المعنوية وتشجيعي والأخذ بيدي! ويبين أن هذه الأشعار تذكره بأيام الشباب! فجزاه الله عني خيراً ، وإن رأيت البكائية النحوية في رثائه إلا من باب ردّ الجميل الذي أداه لي ومن باب إسداء التحية التي حياني بها! ولا أقول بأن تحيتي كانت أحسن من تحيته ، ولا أن جميلي كان أفضل من جميله! لقد أثنى الدكتور عدنان – رحمه الله – عليّ شعراً ونثراً فأجاد في الحالتين! وما أظنني أديتُ جميله إلا أن أقول: جزاه الله عني وعن شعري خير الجزاء! * وأخيراً قصيدة (عجبتُ لقدرة الله) فهي قديمة جديدة! ذلك أنني وتحديداً عام 1979م طالعتُ في مجلة (الوعي الإسلامي) قصيدة يتعجب شاعرها من قدرة الله – تعالى – فأعجبتُ بها ، ولم أكن أملك يومها إلا الإعجاب بها! ذلك أنني يومها كنت في سن السادسة عشرة من العمر ، وعليه فإن تجربتي في الشعر لم تكن بالفدر الذي يسمح لي أن أستدرك عليها ولو ببيت واحد! ومن تكراري لها في مجالس الزملاء ظن البعض أنها لي ، وكنتُ لا أدعي ذلك مستغلاً جهل الزملاء وعدم اطلاعهم! لأنني اعتبره سرقة معنوية! وذات يوم وتحديداً عام 2016م ، وبينما كنتُ في المدرسة الوطنية وأجلس مع الأستاذ أبي بكر سليمان وطلب مني أبيات شعرية عن أي موضوع تزيل الملل والسامة! فاخترتُ الأبيات القديمة في الحديث عن قدرة الله – سبحانه وعظمته! (عجبتُ للأرض توتي الخير أهلكها) فظن أبو بكر أنها لي! فقال وقد كتب بيته الأولى في (الإنترنت) وقبل أن يحرك مؤشر البحث قال: أظنك ستقول أنها من شعرك! فقلتُ له: لا! إنها من الشعر القديم الذي طالعتُه عام 1979م فقال: صدقت ، وذكر اسم شاعرها! فقلتُ له يا أبا بكر أعذك أن أعرضها بمائة بيت إن شاء الله! وقد كان والله الحمد فزادت عن المائة! ونسأل الله أن يجعل ما كتبت من الحق والخير في صحيفة أعمالِي يوم ألقاه! اللهم انفع بهذا الشعر!

لقد أيقظت ضميري

(دفعتها الحاجة الماسة للعمل عنده - على حدّ تعبيره كسكرتيرة - ولسنا الآن بصدد الحلّ والخُرمة - ، فإنّ الحكم بالحلّ والخُرمة له مظاهره وعلماؤه وكتبه ومراجعته. ومن ذا الذي يريد أن يأخذ حُكماً شرعياً من مقدمة قصيدة في ديوان شعر ، يعكس في عمومته وجهة نظر صاحبه الشاعر لا العالم؟ يقول صاحب العمل: ناولتني ذات يوم أوراقاً خاصة بالمكتب لأوقعها. فأمسكتُ يدها عامداً ، فزجرتني ، وقالت: إن كانت حاجتي الماسة دفعتني للعمل عندك يا أحمد (ونادته باسمه مجرداً لأول مرة) ، فأراها قد دفعتني للعمل كسكرتيرة وليس كعاهرة ، وإن زوجاتك ثلاث ، (إماراتية وسورية وإيرانية) ، وأنا في سن حفيدتك يا (جدو) ، فاتق الله. قال: إنها بقولها هذا وفعلتها تلك نَبهتُ مني غافلاً ، وأيقظتُ ضميري ، وأحيثُ شعوري ، وزجرتُ أحاسيسي ، وجعلتني أغرق في دموعي. خاصة عندما قالت في ختام موعظتها: ألا ترى أنني في مثل سن حفيدتك؟! إنني أستحيي منك وأجعلك في مقام جدي! ألا تستحيي من شيب غزا رأسك فجعله كالشغامة ، واخدوداب أحنى ظهرك فجعله كالعرجون القديم؟ وتجاعيد ملأت وجهك فجعلته كأديم الأرض أو كثنان الرمال في الصحراء في يوم عاصف؟! قال: فخرجتُ من المكتب إنساناً جديداً ، حيّ الضمير ، مستيقظ الهمة ، تائب الفؤاد ، سليم القلب ، عازماً على ترك المنكرات جميعها ، ومقيماً بيني وبين قرناء السوء الساقطين سُدوداً منيعة من الطاعة لله والخوف منه. خرجتُ من المكتب أرتعش لا يكاد جزء أو عضو في جسمي يتند ولو صغر ، وذلك من تأثير موعظتها الحية. وكم استمعت إلى أقوام كثيرين كانوا يهزون أعواد المنابر ، وآخرين تهزهم أعواد المنابر ، وآخرين لا يهزون أعواد المنابر ولا تهزهم تلك الأعواد! فما تأثرتُ مثل هذا التأثير البالغ أبداً. وإذن فكيف أخذتُ بسحر كلمات هذه السكرتيرة التي تعمل عندي ، وتنتظر راتبها آخر كل شهر مني؟ إن صدقها هزّ قلبي ، وأيقظني من سباتي العميق! وعندما حكى لي قصته ذلك الصاحب ، حكاها بدمع العين ، ورأيتُ أن أحكيها للناس وللتاريخ بمداد القلم ، وللأدب بقصيدة عصماء من شعر العرب ، راجياً أن تتم بها الموعدة وتستلهم بها الدروس. ولقد كانت لي مع صاحبي هذا ذكريات ونصائح ومواعظ ، يضيق المقام عن وصفها. وأنا هنا لا أفصحه ولا أذيع سره ، فلم أذكر له اسماً ولا وصفته له رسماً ، ولا ذكرتُ له مكاناً ولا زماناً. وكأني به يذكرنا بالصحابي أبي اليسر وقصته ، تلك التي أوردها ابن اسحق من رواة السيرة ، والنسائي والترمذي من أهل الحديث! يقول ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر: إنني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم قد أخرجوا كرهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي أحداً منهم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البخترى ابن هشام ابن الحارث فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا يقتله ، فإنه إنما أخرج مستكرهًا. وبينما كان أبو اليسر في قلب المعركة انتهى إلى العباس بن عبد المطلب وهو قائم على ربوة ، وكأنه معتزل القتال ، فقال له أبو اليسر: جزئك الجوّاري أتقتل ابن أخيك؟ فقال: ما فعل محمد؟ وهو بذلك كان يقصد أن يسأل عن محمد النبي صلى الله عليه وسلم وهل أصيب أم ماذا؟ فأخبره أبو اليسر قائلاً: الله أعز وأنصر ، فقال العباس بن عبد المطلب: كل شيء ما خلا محمدًا خلل ، أي كل شيء ما عدا محمد يهون ، وأكمل العباس بن عبد المطلب قائلاً لأبي اليسر: ماذا تريد؟ فقال له أبو اليسر: إن رسول الله نهى عن قتلك ، قال العباس: ليس بأول

صلته وبره! وانطلق أبو اليسر بالعباس أسيراً إلى رسول الله. وكان العباس طويل القامة قويا ، وكان الصحابي الجليل أبو اليسر قصير القامة ، فقال له رسول الله: كيف أسرت العباس؟ فقال أبو اليسر: أعانني عليه رجل آخر ، ووصف صفات هذا الرجل للنبي ، فقال له رسول الله: لقد أعانك عليه ملك من السماء. وقال رسول الله للعباس بن عبد المطلب: افدي نفسك! ففدى نفسه بمائة أوقية من الذهب! وبينما كان أبو اليسر يبيع التمر بالمدينة وجاعته امرأة لتشتري التمر ، فأخبرها بأن هناك تمر بالبيت أجود ، فدخلت بيته فهوى إليها ليقبلها ، ثم ندم مباشرة على ما فعل! وقابل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وسأله ، فقال له عمر: اتق الله واستر على نفسك. ولكنه لم يصبر وذهب إلى رسول الله وأخبره بما فعل! فقال رسول الله: أخلفت غزياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ فقال أبو اليسر: حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت إلا تلك الساعة ، حتى ظننت أنني من أهل النار! فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً حتى أوحى الله إليه بالآية: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ). فقال له رسول الله بعد صلاة العصر: أصليت العصر معنا؟ قال: نعم ، فقال رسول الله: لقد عفا الله عنك! فقال الصحابة أله خاصة؟ فقال رسول الله: إنها للناس عامة).هـ. فاقم الصلاة يا أحمدُ واستغفر وتب! وأنشدت:

أزرت بدمع غفا ، فانساب أنهارا	وكم تجلمد - في عيني - أحجارا!
ونبهت غافلاً - في العشق - مُجدلاً	والعشق يهتك إماماً فاض أساتارا
وأيقظت هائماً - في حبها - نهماً	كم أشعل الحب - في فؤاده - النارا!
وناولته - من التذكير - حصته	حتى تشبّع أوراداً وأذكارا
وأفحمته ، فلم يسطع مواجهة	وإن أصر - على التبرير - إصرارا
وأعجزته ، فدكت وقع صولته	وإن يكن قوتها يلقىه مدارا
وأرسلت وعظها في قلب مُستعر	فأخمدت شهوة تُهدي له العارا
وأشهرت سيف تقواها ، وإن عملت	وكيافة عنده - بالكاد - إشهارا
فغاص سيف (هُدى) بدون مرحمة	في صدر عبدِ غدا - في الهم - ديارا
أغراه فيها جمال عز خالقه	فما استطاع - عن الجمال - إدبارا
وسعر الشوق إحساساً وعاطفة	وأصبح الصب مُلتاعاً ومُنهارا
والحُسنُ أذهب ما في العقل من رُشدٍ	حتى أذاع - عن المفتون - أسرارا

كانت تظن - به - خيراً ، فباغتها
مَدَّت اليه ملفاتٍ ليدرُسَها
ولم تبيّت سوى صلاح مقصديها
فأمسكت كفه بكفها عبثاً!
فما استجابت لما يرجوه من نزق
شأن العواهر في سر وفي علن
وأجمته بما ساقته من حُجج
قالت: ألسنت ترى شيئاً بليت به؟
ألسنت تبصرُ بالضعف الرهيب غزا
ألا يصدك عني السن قد طعنث
ألا يردك وهنٌ في العظام سرى؟
إذ فارق السن يا جدي يساعلني
واحسب سِنِيكَ تلقاني حفيدتكم
خمسون عاماً هي الفرق! انتصت وأفق
أنا السجينة ، والسجان في يده
أنا الأسيرة ، والأصفادُ شاخصة
أنا الغريبة عن داري وعائلتي
أنا الضعيفة ، لو أكرهتني لهوت
فقال: كُفي عن التوبيخ ، ذبتُ أسى
وأشهدُ الله أنني تبتُ مُعزماً

بما أتاه ، ولا لم يُبدِ أعدارا
وأظهرت سعيها - للخير - إظهارا
وأحسنت فعلها قولاً وأفكارا
ليقضي الخب - خلف السِتر - أوطارا
وما أقرت سلوكاً يهدم الدارا
وأنكرت فعله المرذول إنكارا
فحطمت شبقاً يجرّ أخطارا
ألسنت تخشى عذاب الله والآرا؟
جسماً يُصارغ أسقاماً وأغيارا؟
وبت - من بعدها - والله كُبارا؟
وكنت - قبل مجيء الوهن - جبارا؟
يقول: هل يعشقُ الشيوخُ أبقارا؟
أم سوف تنكرُ مرّ العمر إنكارا؟
كم أنذرتك - عن الأهوال - إنذارا!
قوتي ، وإن - وراء السجن - أسوارا
وكم بحثت ، فما لقيتُ أحرارا!
وكم قصصت لكم طيفاً وأخبارا!
قواي ، أو قدنتي يا جدّ إجبارا
وصرتُ أكبرُ ما أقيتُ إكبارا
ترك المعاصي ، وأدعو اليوم غفارا

إنما المكان بَعْمَارِهِ

(قيمة بعض الأمكنة في الدنيا تنبثق من كونها مقدسة - كمكة والمدينة وبيت المقدس وأكناف بيت المقدس وجبل الطور - تكون بتقدیس الله رب العالمین لها ووصفه لها سبحانه في كتابه أو سنة رسوله - صل الله عليه وسلم - بأنها مقدسة. أو يكون المكان مُحترماً محبوباً مألوفاً عند قوم بَعْمَارِهِ من الصالحين الأتقياء الذين يعينوننا على الدين وينصحون لله ورسوله. وأنا هنا أتكلم عن النوع الثاني ، حيث كانت لي رفقة صالحة ، وافتقدتها الواحد تلو الآخر ، فإذا بالمكان قفر رغم كثرة سكانه. وما تفتيش كفر سعد وقد رحل عنه الأحبة الذين نحسبهم صالحين ولا نزكي على الله أحداً ، (الأحبة الأصفياء الذين أحببتهم في الله - عز وجل - على غير أنساب بيننا - وأذكر منهم وهم كثر: الدكتور الشربيني أبو طالب ، والشيخ القارئ فهمي درويش ، والحبیب الوالد إبراهيم البغدادي ، والفاضل نادر الحداد ، والفاضل حسني السيد بصلّة ، والصديق الوفي فايز جاد إبراهيم ، والفاضل الأستاذ محمد إسماعيل ، والفاضل المحب الأستاذ محمود هلال يسن - رحمة الله عليهم أجمعين). وما كفر سليمان البحري وقد رحل عنها شيوخ الأجلاء رحمهم الله: (الشحات الشيخ وعبد اللطيف السرطاسي ومحمود الليثي). والحقيقة أنني كلما تذكرت أحداً منهم دعوت الله له بالرحمة والمغفرة ودخول الجنة. وإذا كنت في مصر عمدتُ إلى زيارة قبورهم! وصدق من قال: المرء قليل بنفسه كثير بخلافه. فإذا رحل الصالحون الأبرار أحسّ بأن المكان موحش لا بركة فيه ولا قيمة له أبداً. ورحم الله الأحباب الصالحين ، ولا حرمنّا الله أجرهم ، ولا فتننا بعدهم ، ونسال الله العافية لنا ولهم. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون. وصدق جوته حين قال: (بالآمال الحلوة الجميلة يصبح الفراق عيداً). والمثل العربي دقيق في تصوير ما يعتور العقول من الألم ، تقول العرب: (فراق الأحباب سقام الألباب). والعرب تقول أيضاً: (لو كان للفراق صورة لراعت القلوب وهدت الجبال). والعرب تقول في فراق الأحبة أيضاً: (فراق الحبيب يُشيب الوليد ، ويُذيب الحديد). والفرنسيون يقولون: (كل بعيد عن العين فهو بعيد عن القلب). إن الذي يجعل للحياة قيمة رفقاء العقيدة والتوحيد وأصحاب الدين من أهل الأخلاق والمبادئ والقيم. ومن هنا تأخذ الأماكن أهميتها في القلوب والأرواح والأذهان. ويكون المكان بعامره. وما منا إلا وله بمكان ما ذكريات وأطياف ، ونسأل: هل هذه الذكريات وتلك الأطياف للجدران أو للرمال أو للأحجار؟ بالطبع ، لا. إنما للأشخاص الذين ربطتنا بهم الذكريات والأطياف في هذه الأماكن أو تلك! ومن هنا كتبتُ عن هذا المعنى هذه القصيدة في تأبين كوكبة من أحبائي وأصفيائي كنتُ أرى نفسي فيهم ، وارتبطتُ بهم ارتباطاً وثيقاً وأحبتهم في الله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم -).

ما المكنانُ إن ودّع الأبراراً بالتِياع ، أو شَيِّعَ الأخياراً؟
بات قفراً رَغْمَ ازدحام البرايا إنمّا الحمقى يهدمون الديارا
والرفاقُ الأبرارُ خيرٌ ، سببياً واعتدالاً ومنهجياً واعتباراً

ننتوي أن نرعى الحمى والذمارا!
ودعونا - لله ربي - جهارا!
واصطبرنا فيما نلقى اصطبارا!
اذنقنا ص الآراء والأخبارا!
ناشرين الإرشاد ليلاً نهارا!
جاعلين مرضاة ربي شعارا!
لا نخاف - في دربنا - الأخطارا!
نتحاشى أن نشتم الأشرارا!
بعدهم أمسى ينشد الأنصارا!
مُسدلاً - فوق حزنه - الأستارا!
ينسج البلوى والجوی أشعارا
واكتوت لَمّا فارق الأبرارا!
كالجواد إن فارق المضمارا
يُشهرُ الحق مثله إشهارا
كم يحب أهل الهدى الثوارا
دون خوفٍ ، والحق يُغلي الدارا
يُنكرون أخلاقه إنكارا
بعباراتٍ تشبه الأجرارا
ولماذا هم أوسعوه احتقارا؟
إن - في خذل الصحب - قبحاً وعارا!

كم توأصينا بالهدى والتسامي
كم قرأنا القرآن سراً وجَهراً
كم بذلنا - في النصح - جهداً جهيداً
كم سهرنا - في الليل - نشد أجراً
كم طرفتنا أبواب من خالفونا
كم ساكننا - للحق والخير - درباً
كم تصافينا ، وانطلقنا سِراعاً
كم تفيأنا - في الخلاف - ظلالاً
ثم ضمّ الخلان قبراً ، فخلي
دامع العين والحشا والحنايا
بأكي القلب مسكتين الطوايا
نفسه في الأمهات كم تظنت
خلفوه - في الناس - يحيا وحيداً
ماله - في هذي الفئام - خليل
ويثور - في الله - مثل الضواري
همته نصرُ الحق في كل دار
أسلموه للعير أهل المخازي
كل وغدٍ ينال منه انتقاماً
لست أدري فيم التجني عليه؟
هل جزاء الإحسان هذا التعدي؟

إن في ذلك لآية

(أورد الأستاذ عبد العزيز المقبل في كتيبه (50 زهرة من حقل النصح) ما نصه: (امرأة سالحة تقية تحب الخير ، لا تفتقر عن ذكر الله ، لا تسمح لكلمة نابية أن تخرج من فمها. إذا ذكرت النار خافت وفزعت ، ورفعت كف الضراعة إلى الله طالبة الوقاية منها ، وإذا ذكرت الجنه شهقت رغبة فيها. ومدت يديها بالدعاء والابتهاال إلى الله أن يجعلها من أهلها. تحب الناس ويحبونها ، وتألّفهم ويألّفونها ، وفجأة تشعر بالألم شديد في الفخذ ، فتسارع إلى المراهم والكمادات ، ولكن الألم يزداد شدة. وبعد رحلة في مستشفيات كثيرة ، ولدى عدد من الأطباء سافر معها زوجها إلى لندن ، وهناك وفي مستشفى فخم وبعد تحليلات دقيقة يكتشف الأطباء أن هناك تعفنًا في الدم ، ويبحثون عن مصدره فإذا هو موضع الألم في الفخذ ، ويقرر الأطباء أن المرأه تعاني من سرطان في الفخذ وهو مصدر الألم ومبعث العفن ، وينتهي تقريرهم إلى ضرورة الإسراع ببتّر رجل المرأة من أعلى الفخذ حتى لا تتسع رقعة المرض. وفي غرفة العمليات كانت المرأة ممدّدة مستسلمة لقضاء الله وقدره ، ولكن لسانها لم ينقطع عن ذكر الله ، وصدّق الجوع والتضرع اليه. ويحضر جميع الأطباء – فعملية البتر عملية كبيرة – ويوضع الموس في المقص ، وتدنى المرأة ، ويحدد بدقة موضع البتر. وبدقة متناهية ووسط وجل شديد ورهبة عميقة يوصل التيار الكهربائي ، وما يكاد المقص يتحرك حتى ينكسر الموس وسط دهشة الجميع ، وتعاد العملية بوضع موس جديد ، وتكرر الصورة للمرة الثالثة – لأول مرة في تاريخ عمليات البتر التي أجريت من خلاله – حتى ارتسمت علامات حيرة شديدة على وجوه الأطباء ، الذين راحو يتبادلون النظرات. وانتحى كبير الأطباء بهم جانباً ، وبعد مشاورات سريعة قرر الأطباء إجراء جراحة للفخذ التي يزعمون بترها ، ويا لشدة الدهشة! ما كاد المشرط يصل إلى وسط أحشاء الفخذ حتى رأى الأطباء بأب أعينهم قطعاً متعفنًا بصورة كريهة ، وبعد عملية يسيرة نظف فيها الأطباء المكان وعقموه ، صحت المرأة وقد زالت الآلام بشكل نهائي حتى لم يبق أثر. نظرت المرأة فوجدت رجلها لم تمس بأذى ، ووجدت زوجها يحدث الأطباء الذين لم تغادر الدهشة وجوههم ، فراحوا يسألون زوجها هل حدث وأن أجريت للمرأة عملية جراحية في فخذها؟ فعلم الأطباء من المرأة وزوجها أنها تعرضت لحادث مروري قبل فترة طويلة ، وكانت المرأة قد جرحت جرحاً بالغاً في ذلك الموضع ، وقال الأطباء بلسان واحد إنها العناية الإلهية. وكم كانت فرحة المرأة وكابوس الخطر ينجلي ، وهي تستشعر أنها لن تمشي برجل واحدة كما كان يؤرّقها. فراحت تلهج بالحمد والثناء على الله الذي كانت تستشعر قربة منها ، ولطفه بها ، ورحمته لها).هـ. فأنشدت حكاية على لسانها بعد تأثري بها ، وخاصة عندما حكيتها لأولادي قبل نومهم كنموذج لقصة معاصرة. حيث إننا اعتدنا قبل النوم أن نروي قصتين أو أكثر: قصة من القديم وأخرى من التاريخ الحديث ، والواقعية والمعقولة شرط في القصتين. فلما حكيتها للأولاد أعجبوا بها جداً ، وأثنوا عليها خيراً ، للحدّ الذي جعل أكبرهم يقول: إنها أجمل قصة طرقت أسماعنا. ونرجو أن تكون القصص التالية على غرار هذه القصة في الواقعية والسياق. فوعدت قائلًا: إن شاء الله. وليكن للعاصيين وللطائعين في هذه القصة عبرة وعظة ودرس! فالعاقل من وعظ بغيره! ولقد أوصى إمام وخطيب المسجد النبوي الشيخ على بن عبد الرحمن الحذيفي المسلمين في إحدى خطبه بتقوى الله عزوجل بفعل ما يرضيه من الطاعات وترك ما يغضبه من المحرمات متحدثاً

فضيلته في خطبته عن العبادات وفضلها على العبد. وقال في خطبة الجمعة: (إن عز العبد في عبوديته لربه عز وجل ، وقوة المسلم في توكله على مولاه ، وغناه في مداومة الدعاء برفع حاجاته كلها الى الله تعالى ، وفلاحه في إحسانه لصلاته ، وحسن عاقبته في تقواه لرب العالمين ، وانشراح صدره وسرور في بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الخلق ، وطمأنينة قلبه في الإكثار من ذكر الله عز وجل ، وانتظام أمور الانسان جميعها في استقامة أحواله بالأخذ بالأسباب المشروعة وترك الأسباب المحرمة ، مع تفويض الأمور كلها للخالق المدبر سبحانه وتعالى). هـ.

وأوضح فضيلته أن السعيد من اتعظ بغيره ، والشقي من وعظ به غيره حاثاً المسلمين على الاستعداد للقاء الله بما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة ، ولا تغرنهم الدنيا وطول الأمد مستشهداً بقوله تعالى: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون. وأردف فضيلته يقول: (إن للعبادة خلق المكلفون ، ولرضا الله تعالى بالعبادة فرحة تكثر منافعها للمكلفين ، وتعم بركتها في الدارين! والأمر بعبادة الله في الليل والنهار وجوباً ، مقيدة أو مطلقة ، ليستكثر منها السابقون ، وليلحق بركب العباد المقصرون! وكمال العبادة هو كمال محبة رب العالمين وكمال الذل والخضوع للمعبود سبحانه مع موافقة هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن رحمة الله عز وجل ولطفه بعباده وسعة كرمه أن شرع العبادات للمكلفين كلهم يتقربون بها لله سبحانه). هـ. وبين فضيلة الشيخ الحذيفي أن الله تعالى إذا شرع عبادة دعا المكلفين إلى القيام بها والتقرب إلى الله عز وجل بها ، فإذا لم يتمكن بعض المكلفين من فعلها فتح الله للمكلفين أبواباً من الطاعات وشرع لهم من الطاعات من جنس ما فاتهم من العبادات ، لينال العباد عز الطاعات وثواب الكربات. فمن لم يدرك والديه فقد شرع الله له الدعاء لهما والحج عنهما وإكرام صديقيهما ، فبذلك يستمر البر بهما ، مشيراً فضيلته إلى أن الخالة بمنزلة الأم! ومن لم يجد مالاً يتصدق به فليعمل بيده ويتصدق من هذا المال! وختم فضيلة إمام المسجد النبوي خطبته بحث المسلمين على العمل بإخلاص واتباع الهدى النبوي ولا يحقرن السيئة ولو كانت صغيرة فإن لها حساباً ، والحذر من البدع لأنها تهدم الدين وتبطل الحسنات أو تنقص ثواب الأعمال الصالحة مستشهداً بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ } هـ. وكانت هذه القصيدة ترجمة لانفعالي وتأثري بقصة المرأة الصالحة تلك!

رفعث كفي للمهيمن الحكم	أرجو الشفاء وفيض اللطف والرحم
وبالرووف ظننت الخير موقنة	بأنه سوف ينجيني من القم
وسوف يلطف بي فيما ابتليت به	من المصائب والأوجاع والسقم
إذ قرر الطب بتير الساق تحملني	وكيف أسعى إذا ما استوصلت قدمي؟
فقلت: يا شافي الأمراض من على	كسيرة منيت بالمأزق الوخم
أمنن عليها بما ترجوه لاهجة	ومن سواك لصرف الضر والغم

توسّلي - بدموع العين - مُمتزج
والقلب يشكو الجوى من العذاب طغى
والروح راضية بما قسمت لها
وما ينسث من الرجاء يجعلني
وجاء خلق لهم في الطب خبرتهم
وأجمعوا أمرهم بلا مراجعة
وتابعوه على ما كان من خطي
وقدموني لكي يُجروا جراحاتهم
وخذروني ، فغاب الوعي أجمعه
لكن آلتهم غصت بشفرتها
فأصلحوها بلا يأس ولا ضجر
وكرروا - بعد إصلاح - محاولة
فما استجابت لهم - بالجبر - آلتهم
وكيف تعمل إن قال المليك: دعي
لا تستجيبي ، وإن هم أصلحو خلاً
فأذعن للذي أملاه خالقها
تشخيص من أمروا عار برؤيته
فقلت من رقتي - بالشكر - ضارعة
فالحمد لله حمداً طيباً أبداً
في آيةٍ للآلى يسترشدون بدت

وبالدعاء تصاوير من الندم
والنفس باكية من شدة الألم
هذا نصيبي ، وذي من أفضل القسم
أظن خيراً برّبي الخالق الحكيم
والعلم مرمى اللبيب الحاذق الفهم
وخط أكبرهم - في السفر - بالقلم
بكل صدق ، فما في الأمر من تهم
والجرخ - في القلب - عاتٍ غير ملتئم
ويمموا القصد نحو الساق والقدم
فلم تقطع ، ولم تُرقّ عزيز دمي
وليس - من أمرها - شيءٌ بمنبهم
مستصحبين علو العزم والهمم
وكيف تُبتر بالإكراه والرغم؟
عنك الذي ينتهي بالمأزق الوخم؟
وكسري أمر أهل الطب كلهم
ولم تكن سبباً يفضي إلى الإزم
عن الصواب! فهل رأوه في الظلم؟
إلى المهيمن ذي الأفضال والكرم
شفي ، فكان الشفا من أطيب النعم
ومن يفرّ - إلى الدعاء - لا يضم

الطبع يغلب التطبع

(من شب على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه! والله در من قال: إِنَّ كُلَّ إنسان يعيـش ويحيا إما لله تعالى ، أو للشيطان! إما أن يحيا على الحق أو على الباطل ، إما أن يعيـش في طاعة الله أو على معصيته! فمن داوم على الطاعات ، كان من أعظم الأسباب لتحقيق حُسن الخاتمة ، وقد جرّت سنّة الله في خلقه أن من داوم على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بُعث عليه ، كما في الحديث الذي أخرجه مسلمٌ من حديث جابر - رضي الله عنه - : "يُبعث كلُّ عبد على مات عليه". فمنهم من يبعث وهو يلبي: لبيك اللهم لبيك ، لأنه مات في الحج والعمرة بملايس الإحرام! لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "فإنه يبعث يوم القيامة مليباً". ومنهم من يبعث ينبعث منه دم ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، من هؤلاء؟ هؤلاء الشهداء في سبيل الله. ومنهم من يبعث وهو لا يقوى على القيام ، إذا وقف وقع على الأرض سقط لا يستطيع قياماً ولا جلوساً ، فمن هذا؟ هذا أكل الربا ، كان لا يشبع من حلال. (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا). ومنهم من يبعث ، ومجموعة من الأطفال يجرونه جرّاً ويدفعونه دفعاً ، ليقدموه في أرض المحشر ليقفوه بين يدي الله عز وجل فمن هذا؟ ومن هؤلاء؟ هذا أكل أموال اليتامى ، وهؤلاء هم اليتامى يدفعونه دفعاً ليقفوه بين يدي الله: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا). ومنهم من يبعث مخموراً مات وكأس الخمر في يده فيبعث وهو سكران ، ومنهم من يبعث وقد سرق في الدنيا تراه يمشي في أرض المحشر ، وهو يحمل بيضة سرقها ، أو يحمل دجاجة ، أو يحمل شاة أو ناقة ، يبعث وهو يحمل ما سرق ، إن لم يتب إلى الله ويرد ما سلب وسرق وغصب قال - جل وعلا: (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). ومنهم من يحشر أعمى لا يبصر لأنه لم ينظر للقرآن في الدنيا ولم يعمل به! (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى). وأورد الأستاذ / عبد مهنا في كتابه (معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام) ص 314 وكذلك أورد ذات الخبر الأبيهي في المستطرف ص 452: أن امرأة في البادية قالت تخاطب رجلاً إذ دخل عليها وبين يديها شاة مقتولة ، وإلى جانبها جرو وذئب! فقالت: أتدري ما هذا؟ فقال: لا. قالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيراً ، وأدخلناه بيتنا وربيناها فلما كبر فعل بشاتي ما ترى ، ثم أنشدت تلوم ذلك الجرو الذي لم يُحسِنْ إليها كما أحسنت إليه:)

بقرت شويهت ، وفجعت قلبي وأنت لشاتنا ابن ريب

غذيت بدرها ، ونشأت فينا فمن أنباك أن أباك ذيب؟

إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ، ولا أديب

فأنشدت أخاطبها إذ حدثت معي ذات الشئ ، ولكن مع مجموعة من الذئاب الآدميين ، زعمت يوماً أن اشتري حبهـم بالبذل والسخاء والعطاء ، ففعل كل الذي أستطيع ، ولكنهم قابلوا إحساني

إليهم بالإساءة إليّ. وراحت أنفسهم القميئة تصوّر لهم أن الذي فعلوه هو عين الصواب. فصبرت عليهم ، ولم أكن لأقابل الإساءة بالإساءة ، بل عمدت إلى الصبر والتصبر والمصابرة حتى يأتي الله بأمره. وتذكرت أنها طبائع في النفس الإنسانية. فهؤلاء شبّوا على الخذلان والتشفي والغدر والغش والخداع ، وبنست الصفات المرذولة ، وشابوا عليها وتاصلت فيهم. فأنشدت أخاطب المرأة العجوز التي كانت في البادية وأقول لها وقد عشت ما عاشت وعانيت ما عانت!

أراكِ عرفتِ أن الذنب ذيبُ
يمينَ الله أنبتِ نكاتِ جرحاً
وقلبتِ الفواجعَ في الحنايا
وهيجتِ المدامعَ باكياتِ
وأحزنتِ المشاعرَ والطوايا
وأبكيتِ الفؤادَ بكاءً ثكلى
وأدميتِ الضميرَ على المعالي
ومزقتِ الخواطرَ في زمان
وسرّبتِ العواطفَ دون رفاق
وصادفتِ ما طرحتِ من المآسي
وكم أمعنّتُ في أخلاقِ صحتي
فمن مستهنز يهوى التذني
ومن متبذّل يحيى ذليلاً
ومن متكلفٍ لا يحتفي بي
ومن مُتصنعٍ عند التلاقي
وما قصّرتُ حتى يخدعوني
فكم أكرمتُ حُباً واحتساباً!

وجاهلّة - إذن - من تسـتـريـب
أليماً ، منه من يحبو يشيب
فأدمتُها السـدواغلُ واللهيب
ودمغُ عيونِها غيثَ سـكوب
فأوجعَها - على التـو - النحيب
نأى عنها إلى القبر الحبيب
كما يدمي - على الطفل - الرقوب
تعبّره المصائبُ والخطوب
فآلمها التوجّعُ والوجيب
جراحاً كم يحارُ بها الطبيب!
فأذنتي المسـاوىءُ والعيوب
ويحتقِرُ الإخفاءً ، ويسـتـغيب
ولا ألقاه عن غي يتوب
وأنصـحُ ، والفتى لا يسـتـجيب
وفي بسـماتـه شكُّ مُريب
وتندلعُ القلاقـلُ والخروب
وغاية ما أجودُ به القلوب

ورب الناس مُظْلَعٌ رَقِيب
تساوى المدح عندي والنسيب
وخذلاني ، وإن الخذل خُوب
مخالبهم دهنتني والنسيب
وكل فتى له سيف قشيب
ومما مُتذكر إلا اللبيب
وكف كبيرهم بدمي خضيب
وكم يؤذي الغطاريف المشيب
وكم يشقى برفقته غريب
ومتبع الموعظ لا يخيب
طوتهم في ضراوتها الذنوب
وأوغل - فيه - شُبان وشيب؟
رأيت القلب تدمغه الشَّعوب
وتخفي حال صاحبها الغيوب
ولكن ثعلب ضارٍ وذيب!
فهل يُنجيه - من هذا - أديب؟
حسب في قبيلته نسيب
إذا طلعت ، وإن حان الغروب
وذا الأخلاق ليس له مغيب!

وكم أحسنت يسبقني وصالي!
وكم جاملت لا أرجو مديحاً!
فكان الشكر من صحتي التجني
كأنني اخترت خلاني ذناباً
عليّ تجمعوا ينون قتالي
ولم يتذكروا - يوماً - جميلي
وكلوا الانتقام بلا اكتراث
وما احترموا المشيب غرقاً فيه
وما رحموا اغترابي في البوادي
وما احتفلوا بموعظتي ونصيحي
وما اعتبروا بذوبان سواهم
فهل طبع عليه البلاء شيبوا
إذا ما استهوت المرء المعاصي
وتتحرر الفضائل في الحنايا
ولا يبقى له شأن النشامي
إذا ما غاص قلب في التدني
ويحيا - بالهدى والبر - فذ
كمثل الشمس تنفع كل حي
وإن الشمس يدهمها مغيب!

خليلة لا حليلة!

(تزوّج الزوجة الثانية على كتاب الله وسُنّة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فإذا به يباغت ليضبط متلبساً بجريمة وهي زواجه من زوجة ثانية ، فاستغل الزوج الذكي قانون بلاده الديوثي ، وقال: إنها خلية لا حليلة. فقبل له بكل سهولة ويسر: ألف نعم لآلاف الخليلات وألف لا للخليلة الواحدة! فسبحان من يُضِلُّ من يشاء عن صراطه المستقيم ، ويهدى من يشاء إلى دينه القويم. فواعجباً لمجتمع يرى جواز اتخاذ العاشقات والخدينات والمسافحات على منهج الشيطان ، ويرى حظر اتخاذ الزوجات والخليلات على دين الرحمن! ونحن نسأل هذه العقول التي حرّمها الله - عز وجل - من الرشد والفهم والاعتبار ، فنقول: وماذا جرّ اتخاذ العشيقات والخدينات والمسافحات على أصحابه سوى الإيدز والهربز والسيلان والزهري وأبناء وبنات الشوارع؟! ناهيك عن اختلاط الأنساب وتفكك الأسر والغرق في قيعان الرذيلة والانحطاط. ونسأل هذه المجتمعات المنحطة التي أباحت ذلك وشرّعتَه وتنتسب إلى المسيح عيسى بن مريم - عليهما الصلاة والسلام - والمجتمعات الملعونة الأخرى التي تنتسب إلى موسى بن عمران كليم الله - عليه الصلاة والسلام - فنقول لهم: هل جاءكم ببابحة اتخاذ العشيقات والخدينات والمسافحات الزانيات أنبيأؤكم - عليهم صلوات الله وتسليماته -؟ والجواب: بالطبع ، لا. وإذن فمن أين لكم بهذه التشريعات الديوثية العُهرية الإباحية؟ (قل هو من عند أنفسكم). وليت الأمر وصل بالقوم إلى الأمراض الفتاكة التي ذكرناها ، بل تجاوز الأمر حدوده عندهم فأصبحت هناك قوانين تبيح الزواج المثلي (الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة) ، وتلك كانت نبوءة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - : (واكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء)! وليس هذا فقط ، بل كان منهم ومنهن من ينكحون أو تنكحهم الحيوانات! وصدق الله عز وجل إذ يقول: (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً). ثم تأتي مجتمعات تدّعي الإسلام اليوم (والإسلام منها يرى براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب - عليهما سلام الله -) تسير على ذات النمط ، وترجو من الله النصر والمطر قبل ذلك أو بعده. بنس ما قال القوم وما فعلوا! ومن هنا كانت قصيدة: (خليلة ، لا حليلة) ترجمة لعفن الجاهلية الذي يدق كثير من الضالين اليوم حوله طبول الافتتان بالعهر والرذيلة. ولو كانوا ناصحين لأنفسهم لانتهوا عن هذه الموبقات ، ولعادوا إلى رُشدهم ولأفأوا لذكر الله وما نزل من الحق ، ولاعتبروا بغيرهم (فإن العاقل من وُعط بغيره). وعن (الإباحية والجنس وتحقير الغرب للمرأة) كتب الأستاذ عبد الله المغربي مفصلاً حقيقة الموضوع في الغرب ، مبيناً ما وصل إليه حال القوم ، ثم خلص إلى النتائج الوخيمة فكتب ما نصه: (تجمع الإباحية مبالغ طائلة من خلال هؤلاء النساء المدمرات والشباب ، حيث يدفع الشباب الذين وقعوا في فخ الإباحية مبالغ كبيرة لرؤية وشراء موادها. ومن الغباء أن نقول أن الأشياء التي نراها أو نسمعها لا تؤثر فينا. فجميعنا نعرف أن الكتب الجيدة تضيف شيئاً إلى حياتنا. فيمكن أن تريحنا وتتفقتنا أو تحركنا وتلهمنا ، وإذن فإن الصور الجيدة تؤثر فينا ، ولذلك فإنه من الخطأ أن نعتقد أن الصور السيئة لا تؤثر فينا. إن الصور أيضاً بإمكانها أن تقتنعا. ليس كل من ينظر إلى المشاهد والأفلام الإباحية يصبح مدمناً فقد يأخذ البعض مجرد أفكار سامة حول المرأة والجنس والزواج والأطفال والبعض الآخر قد يملكهم الإدمان وينجذبوا بشدة إلى ذلك المستنقع. والشركات الإباحية لا تمنع أبداً إن أصبحت مدمناً على منتجاتها بل على العكس تماماً يرحبون بذلك. ولقد

قسم الدكتور فكتور كلاين الإدمان إلى عدة مراحل مزرية: * التّعرض المبكر: فمعظم الشباب الذين يدمنون على الإباحية عادة يبدأون في مرحلة مبكرة أي وهم يافعون وصغار في السن لذلك يعلق ذلك في عقولهم. * الإدمان على الإباحية: وفي هذه المرحلة تعاود الرجوع إلى مشاهدة الأفلام الإباحية وتصبح جزءاً من حياتك اليومية فأنت عالق ولا تستطيع الانسحاب. * التصاعد: وهي مرحلة البحث عن المزيد من الصور الإباحية. فإن الإباحية التي أثارت اشمزازك في البداية هي الآن تثريك. * التحجر: حيث تصبح فاقد الإحساس للصور التي تراها فما عاد يثيرك الشديد منها ، فتصبح يائساً وتبحث عن تلك الإثارة مجدداً ولكن لا تستطيع إيجادها. * التصرف جنسياً: وهذه المرحلة فيها قفزة حرجة ، فيبدأ الرجال بممارسة ما قد رأوه مع أناس على أرض الواقع بطرق مدمرة! والبعض منهم قبل هذه المرحلة يكون قد طبق ما يشاهده على نماذج ورقية أو بلاستيكية قبل انتقاله إلى ممارسته مع أناس حقيقيين! هذا مع العلم بان العلمانيون هم أشد الناس نشراً للإباحية في العالم الإسلامي لأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، ومن خلال كتاباتهم الأدبية الجنسية ، ودعوتهم للاختلاط بين الرجال والنساء ، وإعلامهم المسموم بالصور الخليعة ، ودعوتهم للمرأة المسلمة لخلع حجابها والخروج سافرة كي يسهل عليهم الاستمتاع).هـ. فعلى أمتنا - التي كان ينبغي أن تقاطع هذا التدني ولا تنساق فيه - أن تفيق إلى الحق والحقيقة! أما الانقياد إلى مهاوي الردى ، فلن يعود عليها بكبير فائدة ، اللهم إلا السقوط من نظر الله تعالى وعنايته ، والتخبط بين الناس بلا هدى ولا كتاب منير ، ناهيك عن ضنك وعذاب الدنيا (ذيل الأمم والشعوب والحضارات) وعذاب الآخرة (الفضيحة على رؤوس الأشهاد ، وجهنم وبنس المصير). نسأل الله العافية والسلامة من حال كهذا ، كما نسأله أن يُجنبنا والمسلمين هذا السفول والتهتك والضياع!

ردّ قومٍ قولي: عشقتُ خلياة	والدمارُ إن قلتُ: هذي خلياة
نقطة فوق الحاء تنقذ بيتاً	بل ، وأهلاً وضيفةً وقبيلة
أي عصر هذا؟ وأي عشير؟	كم يقاسي قلبي هموماً ثقيلاً!
أي أرض هذي؟ وأي ديار؟	كيف راجت - بين الأنام - الرذيلة؟
كيف أضحى حلال ربي حراماً	ثم أمسى فعل الحرام فضيلة؟
والحياة كيف استحالت مماتاً	بقوانين المشركين الدخيلة؟
والأباطيل داهمت كل ضقع	ثم سادت أخزى الطباع الجهولة
ما اقترفت ذنباً؟ ولا جنثت وزراً	لم أسافح ، ولا اتخذت خلياة
ما تبعث ما تدعيه النصارى	من دعاوى التبتل المُستحيلة

مُسْتَعِيناً بِكُلِّ فِخْ وَحِيَاةِ
مُسْتَحْلَلاً عِشْقَ الْعِيُونِ الْكَحِيَاةِ
إِنْ مِثْلِي يَأْبَى دُرُوبَ الرِّذِيَاةِ
لِفْتَاةٍ - بَيْنِ الصَّبَايَا - جَمِيَاةِ
إِنْ قَلْبِي يَأْبَى الْخُلُوعَ الْبَدِيَاةِ
مِنْ زَوَاجِي إِحْصَانِ زَوْجِ أَثِيَاةِ
أَبْتَعِي - مَخْتَاراً - إِلَيْهِ الْوَسِيَاةِ
مُسْتَسْيِغاً - فِي كُلِّ حَكْمٍ - دَلِيلِهِ
مُسْتَقِيماً أُرْعَى الْوَصَايَا الْجَلِيَاةِ
وَمُقِيماً لِّلْمَكْرُمَاتِ الْأَصِيَاةِ
بِاسْطِينِ كَفِّ الْعَدَاءِ الذَّلِيَاةِ
كِي يَصِيدُوا - مَعَ الْقَتِيلِ - قَتِيَاةِ
بِاعْتِدَائِي عَلَى الْفِتَاةِ النَّبِيَاةِ
مِنْ أَكْفِ الْخِيَانَةِ الْمُسْتَطِيَاةِ
بَلْ فِتَاةٌ جَاءَتْ - إِلَى الدَّارِ - غِيَاةِ
فَاتَخَذْتُ مِنْهَا - لِنَفْسِي - خَلِيَاةِ
وَبِأَلْفَاظٍ - لَيْتَ شَعْرِي - خَجُولَةِ
وَاعْتِذَاراً ، يَا لِلنَّفُوسِ الْبَجِيَاةِ!
كَمْ نَبِحْنَا بِذِي الْأَيْدِي الْعَمِيَاةِ!
فِي مَتَاهَاتِ الْإِنْحِلَالِ الْوَبِيَاةِ

مَا لَعِبْتُ بِالْغَيْدِ لِهَوَاً وَحُبَاً
مَا انْحَرَفْتُ عَنْ هَدْيِ رَبِّي وَشَرْعِي
مَا ارْتَضَيْتُ الْغَرَامَ إِلَّا مُبَاحَاً
مَا جَعَلْتُ الزَّنَانَةَ نِهَايَةَ حُبِّي
مَا أَهَاجْتُ قَلْبِي الْبِدَائِلُ رَاجِتُ
كُلَّ جُرْمِي أَنِّي تَزَوَّجْتُ أَرْجُو
مَوْثِرَاً تَقْوَى اللَّهِ سِرّاً وَجَهراً
مُؤْمِنَاً بِالْإِسْلَامِ دِينَاً وَدُنْيَاً
صَادِقَ الْعِزْمِ حَارِسَاً لِّلْمَعَالِي
عَامِلَاً - بِالْإِسْلَامِ - بَيْنَ الْبِرَايَا
ثُمَّ حَلَّ الْأُوبَاشُ بَيْتِي سِرَاعاً
رَافِعِينَ غَدْرَاً سِيُوفَ التَّحْدِي
وَيِ كَأَنِّي خَالَفْتُ شِرْعَةَ رَبِّي
ثُمَّ جَاؤُوا يَحْمُونَ عِرْضَاً كَسِيرَاً
قَلْتُ: لَيْسَتْ بِزَوْجَتِي ، صَدَقُونِي
عَشَقْتَنِي ، وَلَمْ تَفَارِقْ فُؤَادِي
فَانْتَحَوْا عَنِّي ، ثُمَّ خَلَوْا سَبِيلِي
مَغْلَقِينَ بَابِي عَلَيَّ احْتِرَامَاً
يَا فُؤَادِي ، مَتَى يَزُولُ الْأَعَادِي؟
رَبِّ أَنْقِذْنَا مِنْ طَغَاةٍ تَمَادَوْا

المعجم الصافي

(اجتهد الأستاذ / صالح العلي وزوجه الأستاذة / أمينة الشيخ سليمان الأحمد ، وشمرا عن ساعد الجد رداً من السنين عكوفاً على كتب اللغة العربية ، وجمعاً لما تيسر من ألفاظها التي استخلصت من لسان العرب لابن منظور ، حتى خرجا لنا منها بهذا السفر العظيم: (المعجم الصافي). ولما طالعت ألفتة معجماً في غاية الدقة جمعاً لأصيل التراث ومعاصر الاستخدام للغة العرب ، فأكبرت الكتاب ومن قام بالتأليف. فجزا الله خيراً هذين الزوجين عن الإسلام والمسلمين والضاد والناطقين بها في الأرض كل الأرض اليوم. إذ إنهما استثمرا الوقت فيما ينفع العالمين. ولم يضحك عليهما الشيطان كأغلب الأزواج في الأرض اليوم فيضيعة وقتها في الشجار والخلاف واللغو وسفساف الأقوال والأعمال والأفعال. وإنني اعتبر (المعجم الصافي) حقاً أبر أبنائهما بهما ، تفريعاً على قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له). فهذا المعجم أبر أبنائهما بهما لأنه علمٌ يُنتفع به ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أنه يستجلب دعاء الناس لهما. فكأنه ولد صالح يدعو لهما ، وإن لم يدع بنفسه ولكن بالسنة الناس. إن التعبير بالأبناء لما ألفه المؤلف ناثراً أو أديباً أو شاعراً أراه تعبيراً دقيقاً. ذلك أن العلم له في ديننا مكانته ومنزلته السامية. والناس موتى وأهل العلم أحياء ، كما قيل من قبل. وحياة أهل العلم تنبثق من مساهماتهم في إثراء رصيد الفكر والعلم والأدب. وكلما كان ذلك العلم مقروراً في شريعتنا مباحاً فهو بذلك يدعو إلى الفضائل وينهى عن الرذائل ، أقول: كلما كان العلم كذلك كلما كان رضا الله ورضا رسوله – صلى الله عليه وسلم – ورضا المؤمنين الموحيين أصحاب العقائد السليمة والفطر الصحيحة قريناً لهذا العلم ولصاحبه. فهنيئاً للأستاذ / صالح وللأستاذة / أمينة هذا المقام وتلك المنزلة. ولنطالع ما من الله علي به من الشعر فيهما!)

حييت بالشعر المعين الصافي	علي أوفي حقه ، وأكافي
علي أجازي من له سهرا معاً	وأزخرف الذكرى بعذب قواف
وأعطر الأسماع بالشعر الذي	يثير المشاعر بالجلال الضافي
وأصوغ من طهر الشعور قصيدة	كاللؤلؤ المكنون في الأصداف
وأدر إحساسني قريضاً مفعماً	بتغام الألمان والألطاف
وأرجع الأنعام تطرب خاطراً	يهفو إلى ذر حواها (الصافي)
لما اطلعت تملكتني عبرتي	أبكي الجهود بمدمع ذراف
وظفقت أوسعه بأجمل مدحة	تضفي عليه كرائم الأوصاف

ليظل في عزّ وفي استشراف
هو - للأعارب - كالدواء الشافي
وأعاد ضادّ السادة الأسلاف
حتى غدت كالروضة المنّاف
حتى يقاوم هجمة الأسياف!
وعلى الغلاف ترى الدليل الوافي
والأمر ليس - إذا قرأت - بخاف
سلس العبارة واضح الأهداف
وخلال هذا السفر بالآلاف
ويقدّم البسمات للأضياف
في يوم عُرس ، في احتفال زفاف
مُدّ خطها صيّد من الأسلاف؟
عُظمي بأشرف سُوددٍ وطِراف
وأحيط بالنفحات والإتحاف
أهديكها بالود والإيلاف
ممزوجة بخواطر استعطاف
وحماك ربّي المستعان الكافي

ليكون شعري حُلة تسمو به
أنتي على أندى المعاجم طلعة
هو قد أعاد الذكريات رطيبة
هو زبدة نشر (اللسان) أريجها
هو جُنة لمن استعان بلفظه
هو جهد فذٍ والكريمة زوجه
إذ قدما للضاد خير هديّة
أتيًا بسفر نستضي بنوره
بين المعاجم كالمنارة يزدهي
من بينها (تاج العروس) يزينها
لكن هنا (الصافي) العروسُ تجملت
من ذا الذي يُحصي المعاجم كثرة
يا أيها (الصافي) بلغت مكانة
من حلّ ساحتك استضاء بنورها
فتحية يا مُعجماً بلغ الذرى
بالشعر صُغت حروفها ورموزها
والله أسأل أن يبلغك المنى

(عتاب وشكوى)

(أما العتاب فأوجهه للأستاذ / أحمد موسى من أسرة التحرير بمجلة منار الإسلام حيث أورد في العدد رقم (401) من المنار عدم جواز قولنا (ربيع الثاني - مدراء - سمحاء). وقمتُ بإرسال تعقيب لطيف رقيق له على بريد المجلة ، فقام الأستاذ موسى بالردِّ عليّ في العدد (403) من المنار ، فقطع عنق أخيه أحمد سليمان ولقبه بالشيخ المُعَقَّب (فإن خلع لقب الشيخ عليّ تشريف كبير جداً ، فما بالنا بالشيخ المُعَقَّب؟ إنه المرتقى الصعب والتكريم الكبير!) ، وطالبه بالالتزام بما قالته العرب العرباء. واعتمد في رده على ما أورده الأستاذ محمد العدناني في معجمه الموسوم بـ (معجم الأخطاء اللغوية) ، ذلك المعجم الذي خطأ ما يزيد عن (236) لفظاً عربياً بدون وجه حق في أحدها. وبالمعجم من الطوام ما الله به عليم. ولذا أعاتب الأستاذ موسى. وأما الشكوى فله وحده بعد استمرار الأستاذ موسى في قوله بعدم جواز قولنا: (ربيع الثاني - مدراء - سمحاء) رغم إیرادي للأدلة والقياسات وردود العلماء ، بكل حيدة وموضوعية علمية بهدف الوصول للحق والحقيقة! ونص هذا التعقيب هو: (عزيزي الفاضل الأستاذ / مدير التحرير سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد. فإن هذه المقالة عنوانها: (تعقيب على سياحة قلم) التي هي الصفحة الأخيرة من عدد (منار الإسلام 401 - السنة 34 جمادى الأولى 1429هـ - مايو 2008م. بقلم الأستاذ أحمد موسى). حيث إن الأستاذ قد أثنى على معجم الأخطاء اللغوية لمحمد العدناني ، وأورد ثلاثة أخطاء لغوية منه. والحق أن هذه ليست أخطاء ، بل هي جائزة في عالم العربية ، وسوف أورد الأدلة من المراجع والمصادر بالصفحات والأرقام لأثبت بكل حيدة علمية وموضوعية لا تنقصها الشفافية ، أن كل الناطقين بلغة العرب في الأرض ليسوا مخطئين أبداً عندما يقولون: (مدير والجمع مدراء ومديرون - ربيع الآخر وربييع الثاني - وكذلك شهر جمادى الآخرة أو الثانية - وعندما يقولون شريعة الإسلام السمحة أو السمحاء). فأبشُر عزيزي المدير وإخوانك من أسرة التحرير وانشروا هذا التعقيب في الاستدراك على الأستاذ موسى بكل حب وودٍ وسماحة. وأما بخصوص التحقيق اللغوي حول هذا الادعاء فإليك حيثيات الدعوة مُحددة: لم يرد جمع مدير في لسان العرب ولا المحيط ولا المختار ولا المصباح لأنه كلمة معاصرة. بل ورد في (المنجد الإعدادي) الصادر عن دار المشرق - بيروت مادة (مدير) ص 54 يقول نصياً: (مدير: والجمع مدراء ومديرون وهو من يتولى النظر في الشئ ، أو يتولى إدارة جبهة معينة من البلاد ، ومن يتولى إدارة شئون عامة أو خاصة. نقول: مدير التربية ومدير المؤسسة).هـ. وكانت حجة الأستاذ العدناني التي أوردها موسى في مقاله أن من شروط جمع الصفة على (فعلاء) أن تكون صفة لمذكر عاقل على وزن (فعليل) أما (مدير) فهي على وزن (مفعل). ولذا لا يصح جمع مدير على (مدراء). وهذا خطأ ، بل تجمّع على (مدراء) ، لأن العرب قد تجمع الكلمة (جمع صفة) على التفسير جموعاً كثيرة مثل (عربي) تجمع على (عرب - عُرَب - عُرَبان - عُرَباء - أعراب - أعراب) ، وكذلك تجمع (أصم) على (صم - وصماء). وكذلك فجمع مدير على مدراء صحيح. وأما قوله وردت في لسان العرب لابن منظور والمحيط للفيروزآبادي. ففي مادة (ربيع) من اللسان يقول: (الربيع الأول ويسمى الفصل الذي يتلو الشتاء. والنور: أي الربيع الثاني. ونقل عن أبي الغوث قوله: العرب تجعل السنة ستة أزمنة شهران منها الربيع الأول والربيع الثاني ، وشهران

صيف وشهران قيظ وشهران خريف وشتاء معاً) هـ. والأستاذ / أحمد قبش صاحب (المعجم الفیصل) ، ذلك المعجم العملاق الذي يغني قارئه عن أغلب المعاجم المعاصرة والقديمة إذ هو غرابة دقيقة وحذرة لكل من: (لسان العرب – القاموس المحيط – المصباح المنير – مختار الصحاح – المعجم الوجيز – المعجم الوسيط – تاج العروس – المنجد بأنواعه وغيرها). يقول أحمد قبش ص 385 مادة (ربع): (والربيع ربيعان: ربيع الشهور وهما ربيع الأول وربيع الثاني - ربيع الأزمنة التي تدرك فيه الثمار). هـ. وأما قول العدناني الذي أورده الأستاذ الموسى في مقاله عن قولنا: (شريعة سمحاء) أنه خطأ ، والصواب أن نقول: (شريعة سمحة) فهذا أيضاً غير صحيح. وذلك لأن وصف الشريعة بالسمحة قد ورد في لسان العرب لابن منظور ، وورد في المعجم الوجيز والمعجم الوسيط في مادة (سمح). وأورده الأستاذ أحمد قبش في معجمه الفیصل عن كافة المعاجم القديمة والحديثة. قال ابن منظور في لسان العرب: (وقولهم: الحنيفية السمحة أي التي ليس فيها ضيق ولا شدة). هـ. وفي المعجم الفیصل لأحمد قبش ص 126 مادة (سمح) يقول: (... فهو سمح ، والسمحة للواحدة ، والقوس المواتية ، والملة التي ما فيها ضيق). هـ. والمعجم الوسيط والمعجم الوجيز (مادة سمح) يقول: (يقال فلان سمح أي جواد سخي ، ويقال: (سمحة) ومنه كذلك (شريعة سمحة) أي فيها يسر وسهولة). هـ. وأما حجة العدناني التي أوردها الموسى من أنه لا يوجد في العربية (أسمح) حتى نقول (سمحاء) فنقول: نعم ، ولكن العرب قد تصوغ الصفة على غير هذا القياس مثل ، فلان شهل ، وفلانة شهلاء وهذا في المحيط واللسان. وكذلك: أغرّ وغراء ، وأشل وشلاء. وأشكر للأستاذ الموسى غيرته على اللغة العربية ، وأوصيه بالتحقق والتثبت قبل الحكم والقطع وتخطي الآخرين ، الذين كتب عنهم مقالته بالوصف هكذا (مدير التحرير وأسرة التحرير بالمجلة) في كلمات هم فيها على الصواب وموافقون لكل العرب في الأرض. والذي يكتب هذه الكلمات إمام وخطيب سابق بالأوقاف بالدولة وشاعر له دواوين عشرة وقارئ لمنار الإسلام منذ ثلاثين سنة. ولسوف أزيد الأمر وضوحاً ، وأورد الكثير من الأدلة لأثبت من خلالها أن العدناني قد توسّع في تخطئة ما هو صحيح ، وتضارب مع نفسه. مما جعل المعجم يفقد كثيراً من مصداقيته ودقته ، فضلاً عن رونقه وجماله! ويمكن أن توجد أفعال التفضيل ولا تصوغ العرب منها فعلاء مثل أزنّب (زينب وزنابي). ولا يوجد في كلام العرب (زنباة) والأزنّب هو القصير الثمين من الرجال. ثم إن حجة العدناني في تخطئة جمع مدير على (مدراء) قوله نصياً: (من شروط جمع الصفة على فعلاء أن تكون صفة لمذكر عاقل على وزن فعيل بمعنى فاعل دالة على سجية مدح أو ذم ، كنبه ونبهاء ولئيم ولؤماء. أما مدير فهي على وزن مفعّل لا فعيل). هـ. وقد أوردت أن معجم (المنجد) أوردها وأورد الجمع (مديرون) كذلك. وذمّ (المنجد) في مثل هذا فيه نظر لأنه لا يزال مرجعاً ومستنداً ومعجماً ، معترفاً به في كل الديار العربية ، وتلقاه الباحثون والمترجمون اللغويون والمثقفون بالقبول. ومجالّ الطعن عليه والقول بأن (المنجد لا ينجد!) لا أراه أبداً يصح أو يصدق في الاستشهاد بكلمة (مدراء) ، ربما هناك ألفاظ أخرى ليس هذا مقامها ولا مقام بسطها. يقول أستاذنا الفاضل الدكتور إبراهيم مذكور في مقدمة المعجم الوسيط نصياً ص 7 (...ولقد حاول بعض اللغويين منذ أخريات القرن الماضي تدارك النقص ، فوضع البستاني (محيط المحيط) والشرتوني (أقرب الموارد) والأب لويس معلوف (المنجد). وهم فيما يبدو متأثرون بالمعاجم الغربية الحديثة ، ولكنهم لم يستطيعوا التخلص من قيود الماضي ، ولم يجروا على أن

يسجلوا شيئاً من لغة القرن العشرين ، وما كان لهم أن يفعلوا والأمر يتطلب حجة لغوية).هـ. وهذا القول تقوم به الحجة في الثناء على (المنجد) وإبراء ساحته من تسجيل جمع خطأ لا تجيزه العرب في لغتها. وإنما الذي حدث للمنجد في إجازته الجمع لمدير على (مدراء) هو أن هذا الجمع مطروق ومستساغ عند المثقفين والمتخصصين فضلاً عن العامة والدهماء. وأنا لم أقس (مدير) على (عرب وأصم) ليقال بأنه قياس باطل ولا يصح ، ولا ليقال أين الثرى من الثريا؟! ولكنني عنيتُ بهذا أن العرب قد تجمع الكلمة على التكسير جموعاً كثيرة ، منها على سبيل المثال (عرب) على (عرباء - وزان فعلاء) وكذلك (أصم) على (صُماء وزان فعلاء). وذلك لنرد على ما ذهب إليه العدناني من إيراده أن العرب لا تجمع على (فعلاء) إلا إذا كانت الكلمة صفة لمذكر عاقل على وزن فاعل والمعاجم تجمع (سمح على سُمحاء). والقول بأن المشتقات القياسية كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوها لا تذكرها المعاجم (مطلقاً) لأنها قواعد صرفية معلومة بالضرورة. هذا القول غير دقيق وغير مُسلم. وذلك لأن الدكتور إبراهيم مذكور يذكر ص 13 من (المعجم الوسيط) ما نصه: (...أما أسماء الفاعلين والمفعولين ، فذكرت مع الفعل ما رأت ضرورة النص عليه لخفائه أو لتفريع بعض المعاني عليه).هـ. والعرب تجمع (بانس) على (بؤساء) مع أن (بانس) على وزن (فاعل) لا (فعليل) ، وما المانع أن يكون الجمعان صحيحان لمدير؟ مثل: - كاتب (كُتاب وكاتبون وكتبة) - عامل (عاملون وعمال). وأما حجة العدناني في لفظه (سمحاء) فقد قال في معجمه وبالنص: (لأن فعلاء هي مؤنث أفعل مثل أحمر - حمراء. وأما مؤنث فَعْل فهو فعلة. ولا يوجد في العربية (أسمح) حتى نقول سمحاء).هـ. أقول: لماذا لا تكون كلمة سمحاء هذه من الممدود السماعي وتنتهي المشكلة؟ وذلك فيما أعتقد من أجل الخلاص من كلمة لا تزال تجري على السنة الشعراء والأدباء والكتاب والمثقفين في الأرض كل الأرض اليوم ، بل وإنما كذلك لمشهورة في الصحف والجرائد والمجلات والدوريات والكتب؟ إن الأستاذ الدكتور / حاتم صالح الضامن - المحاضر بكلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي - يقول ص 236 من كتابه (الصرف) ما نصه:- (والممدود نوعان قياسي وسماعي - ويورد ستة أنواع للقياسي منها أفعل - ثم يخص السماعي بهذه الكلمات: وأما الممدود السماعي فهو الذي تضبطه قواعد ويخضع للاستعمال اللغوي مثل (ثناء - سناء - حذاء - عداء).هـ. ولا يختلف هذا القول كثيراً عن الذي قاله الأستاذ / أحمد الحملاوي في كتابه الممتع البديع: (شذا العُرف في فن الصرف) ص 117 ، وهو من أقدم الكتب المعاصرة في علم الصرف. (وللممدود أوزان منها: فعلاء: كصحراء ورغباء وطرفاء وحمراء وهؤلاء. ثم يورد أن هؤلاء: صفة لغيره أي ما جاء لغير أفعل مثل حسن وحسنا). وإذن فمتصورٌ ومستساغ أن تصوغ العرب (فعلاء) على غير (أفعل). وإذا كان الحملاوي ذلك النحوي العملاق لا تقوم به الحجة في الصرف فعلى الضاد السلام! وأما الدكتور حامد صادق قنبي في معجمه: (معجم المؤنثات السماعية العربية والدخيلة) ص 14 فيزيد الأمر وضوحاً حيث يقول: (ونخلص إلى حقيقة هي أن المسألة مسألة خلافية ، وأن كلاً من الفريقين له وجهات نظر معقولة في تعليق رأيه. وعلى ضوء هذا الاستنتاج نعلل كثيراً من المواقف إزاء الكلمات المولدة والدخيلة عند توهم تأنيثها ، إذا اعتبرت منتهية بالهاء تارة وأخرى بالياء وثالثة بالألف بلونيتها. كما في (حُبلى وحُبلة ، وحمراء وحمرة).هـ. وأقول: (وسمحاء وسمحة). وإذن فالأمر فيه سعة وفسحة! فلماذا نضيّق رحمة الله على الناس؟ وها هم النحاة واللغويون يُجيزون! والأصل والمعول هو: (إذا

وسع الله فأوسعوا) ، فلا يجب أن نضيق أبداً! وإذن فليس شرطاً أن توجد صيغة (أفعل) لتؤنث على (فعلاء) ، بل يمكن أن توجد (فعلاء) بدون أفعل وسأورد الدليل: إنه بالعودة لأكثر من 27 معجم ومرجع وقاموس عربي أصيل وحديث ابتداءً من اللسان والمحيط مروراً بالصاح والمصباح وانتهاءً بالمعجم الصافي والمنجد والوسيط. وجدتُ أن العرب يمكن أن تصوغ (فعلاء) على غير (أفعل) وأضرب أمثلة:- (مأزق كؤود ، وعقبة كأداء وكؤود ، العرب العاربة والعرب العرباء أي العرب الصرحاء الخُص كما أورد الوسيط - سلوك جاهل وجاهلية جهلاء - تيم وتيماء - نُكر ونكراء - ظلام طاخ وليفة طخياء أي شديدة الظلام - بطش شاع وحرب شعواء - واد ضاه وأرض ضهياء أي لا تنبت - بعير مطلي وناقاة طلياء أي مدهونة بالقطران - واد شجي ومفازة شجواء أي صعبة - عبد ساه وأمة سهواء أي غافلة ساهية ، رجل سخي وامرأة سخاء أي كريمة - أمر دهي وكارثة دهياء ودهواء - تيس داج وعنز دجواء أي سابعة الشعر- ولد منفوس وامرأة نفساء ونفساء - وأسد شرس ولبوة شرساء أي شرسة). وإذن ففي الأمر سعة. وأشكر للأستاذين ميسرة الحبر وأحمد موسى رسالتهما للقراء عني في عدد (403) من المنار والألفاظ التي تناولتني بها الرسالة مثل: (أنه يصوب ما رآه اللغويون خطأ - وغاب عن الشيخ المعقب - ادعى المعقب الفاضل - إن المعقب أخطأ في النقل - فتنس الشيخ المعقب على (سمحاء) - ونوصي بما قالته العرب العرباء. وأسأل أيضاً: {أليست العرباء - وزان فعلاء؟ فهل جاءت من أعرب أم من عرب وعربي؟!} - الشيخ لم يتفطن - وقد وهم الشيخ).هـ. هذه العبارات التي إن دلت على شيء ، فإنما تدل على هزال صلتها بأخلاقيات الحوار وسعة المخالف والتزام أدب الخطاب. في العدد (397). يذكر موسى قصة تلك المرأة التي أنكرت عليه المبيت بمزدلفة حتى الفجر. فقسا عليها. ثم اعتذر إليها وأدرك أنه كان كذا وكذا على حد تعبيره ، الذي أنزهه بقلمه هذا عنه. وأقول: لقد كان رحيماً بها ، عطوفاً عليها ، لطيفاً معها ، محترماً لرأيها وإن خالفته وخالفها. وأورد في المقال قوله لها: (... فإليك سيدتي أعتذر).هـ. ما شاء الله! والمقال موجود في مجلة المنار في الصفحة الأخيرة وعنوانه (أعتذر إليك سيدتي) ، وفي باب (سياحة قلم) ، واسم كاتبه قد كتب آخره (أحمد موسى). وأثبت ذلك هنا لمن أراد أن يرجع إليه ليدرك معي كيف كال موسى بمكيالين لمن خالفه ، وكيف كان رحيماً بالمرأة العامية الجاهلة بينما انعدمت الرحمة عندما تعامل معي ليحل محلها النيل مني ، وذهبت الأريحية ليحل محلها التزيد والسخرية مني والاستهزاء بي! إلا وإن قصائدي المعلقة في الذود عن الضاد ومحاربة الدخيل من الألفاظ زادت على العشرين ، وغُد إلى دواوين أخيك فهي في المكتبات في أسواق الخليج بعامة. وأنا سعيد بمعرفتك ، ويشرفني أن تقرأ من شعري ما يروقك. إنني أنظر إليك يا أستاذ / أحمد موسى على أنك كاتب يعرف مقدار اللغة والناس ، وليتك إذ وصلتك تعقيبي نشرته كما هو ، وتركت الحكم للنقاد وللأدباء وللشعراء وللاختصاصيين في العالم كله. إذ (المنار) مجلة سيارة تجوب الأرض وتصل إلى كل الناس في كل مكان. إن نشرَكَ للمقال بأكمله للوهلة الأولى يجعلني وإياك أمام الناس والتاريخ سواء. ولهم ساعتُذ أن يحكموا ، كلٌّ على قدر اجتهاده وتخصصه. وما أراك إذ عهدت إلى الأستاذ / ميسرة الحبر بإعداد التعقيب وإخراجه على هذا النمط بعد إيراد ردي عليه ، إلا قد قطعت عنق أخيك صاحب التعقيب أو الشيخ المعقب أو الزميل السابق على حد تعبيرك! وهي عبارات تشبه ما قاله ملاً شيعيب - عليه السلام -: (قد كنت فينا مرجواً قبل هذا) ، (إنك لأنت الحليم الرشيد) ، وهي لغة ظاهرها الثناء والمدح وباطنها النيل

والاستهزاء والسخرية والتشفي! أو لغة باطنها فيه الرحمة وظاهرها من قبله العذاب! وإني عليك يا أستاذ / أحمد موسى لعاتب عتاباً أخوياً ، وإني إلى الله لشاكٍ. فلئن انتهت قضيتنا عند (المنار) وأنت مدير تحريرها ، وهي تأتمر بأمرك فتنشر ما تريد ولمن تريد ، وتنتهي بنهيك فتمنع من النشر ما تريد ومن تريد ، أقول إذا كان الأمر هكذا وهو فعلاً هكذا ، فعند الله تجتمع الخصوم! وحالة واحدة هي التي أتنازل فيها عن الشكوى بين يدي الله يوم القيامة! فقط تنشر ردي عليك كاملاً ولو في كتيب على نفقتك ، وتدع الحكم لله ثم للناس وللتاريخ! ذلك أنك الذي بدأت ، وإن لا تفعل فلقائي بك وبالاستاذ ميسرة الحبر يوم البعث! ولازلت أقول بما أعتقد من جواز قولنا: (ربيع الآخر وربيع الثاني – ومدير ومديرون ومدراء - وشريعتنا السمحة والسماحاء) ، إلى أن يقوم الدليل عندي على خلاف ذلك. ولو شئت أن أورد من القديم والحديث أبيات الشعراء ومقالات الكتاب التي تعضد كلامي لفعلت ، ولكن يطول المقال. إذا كنا لم نقل شيئاً فيه مما عندنا وتجاوزنا الصفحات الست فما بالناس إن نحن أسهبنا فيه وأبدأنا القول وأعدناه؟! وقولكما إنني لا أصوب (ربيع الأول – مديرون – سمحة) غير صحيح. رغم أنكما لم تصرّحا بذلك لكن القارئ يفهمه من لازم القول أو من وراء النص أو بمفهوم المخالفة. بل بالعكس أنا أرى (ربيع الآخر – مديرون – سمحة) هو الأصوب وهو الذي عليه الأصل؟ ولكني أقول بجواز (ربيع الثاني – مدراء – سماحاء) وذلك لتهاوي وتداعي العلل التي كان من أجلها المنع والحظر ابتداءً. ثم إنني أقمت الدليل على ما ادّعيته وأوردت الصفحات والتعليقات. وأدعو كل المعاجم وأهلها المعنيين بالضاد والذود عنها لدراسة الأمر والتعليق عليه ، وسوف يجدونني إن شاء الله من الصالحين. وأفرق - والله - بين ربيع الشهور وربيع الأزمنة ، لكن ربيع الثاني وجمادى الثانية لا يزال ذاب وسمت وديدن كثير من التقاويم والتواريخ ، وذلك في الدول العربية. وليس كل ما ورد في معجم (الأخطاء اللغوية) للعدناني صحيحاً. ولو أنني أردت مباحثته والوقوف على كل لفظ وقاعدة فيه وغرّبت ذلك والله لفعلت. وقد اطلعت على الكتاب من الجلد إلى الجلد - والله العظيم - قراءة ودراسة وبحثاً سنة 1993م ، ولا زلت أرجع إليه بين الحين والحين. وسوف أثبت بأمثلة بسيطة تخبطه وتضاربه في الرأي ، واعتسافه في الأحكام ، وعدم التقيد بما يدعو الناس إليه. والله لا أشهر بالرجل فله أجره عند ربه. وإني أحبه وأجله ، ولكنني أحب وأجل الحق والضاد أكثر منه! ولا بأس من إيراد جولة قصيرة في معجمه الذي حوى الطوام والغرائب والعجائب! فعلى سبيل المثال: العدناني ص 151 من معجمه (الأخطاء الشائعة) يؤكد أن كلمة (ضوضاء) مذكّرة وحجته أنه لم يجد معجماً واحداً يؤنسها. مع أن الحارث بن حلزة من شعراء الجاهلية يقول:-

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

وأما قضية وجود الكلمة في المعاجم فإنني أضّم صوتي لصوت أمين ظاهر خير الله في كتابه (اللؤلؤ المنضود في دفع النقود) ص 53 حيث يقول: (...لو اتسع المقام لي لجنتُ بمئات من الأفعال والأسماء قد وردت في كلام أمراء الشعر والنثر ، ولم يرد الجلاء عنها في المعاجم).هـ. وأقول ولا يزال الناس إلى اليوم يستدركون على (لسان العرب) ذلك المعجم الذي اشتمل على ثمانين ألف مادة! ويستدركون كذلك على (تاج العروس) الذي تضمن قرابة المئة والعشرين ألف مادة. ليس

فقط من العرب بل حتى من العجم. فهذا المستشرق الإنكليزي (لين) يصنف معجمه (مد القاموس) ، والمستشرق الهولندي الفذ (دوزي) يضع معجمه (مستدرك المعجمات العربية) ، والمستشرق الفرنسي المعروف (فانيان) يضع كتابه الجيد (ذيل القواميس العربية). عموماً حسم هذه القضية اللغوية المحقق العربي الجهد ابن جني وذلك في كتابه (الخصائص) ص 386 من المجلد الأول بقوله: (ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير). هـ. وإذن فالذي عندنا من علم العربية وألفاظها القليل القليل ، وذلك بشهادة الغربيين أنفسهم! ومن أجل ذلك يجب عدم القطع في أي أمر من أمور اشتقاق الكلمات في اللغة العربية إلا بعد تدقيق وتحقق وتثبت ، وذلك بدليل وحجة دامغة. ويضاف إلى ذلك أن التعويل على المعاجم وحدها في إثبات صحة الألفاظ وإثبات عربيتها أمرٌ يجب الحذر منه لأن مصادر اللغة العربية كثيرة أحدها وليس كلها المعاجم! والعدناني في معجمه وقع في تناقضات لا حصر لها ، نضرب أمثلة على ذلك من الكتاب نفسه بالأرقام: * يُخَطِّى من يُضَيِّف (نفس) إلى الاسم المؤكد كقولنا: (جاء نفسُ الرجل) ويرى أن الصواب أن نقول: (جاء الرجل نفسه) ، بينما يستخدمها في المادة (181) ص 600 ، فليُرجع لها في معجمه وقد أشرنا إلى الصفحة ورقم المادة. * وَيُخَطِّى من يقول: (عرب) بمعنى التحويل إلى اللغة العربية ، وذلك ص 165 ثم يستخدمها بذات المعنى ص 37! وأسأل: كيف تخطئ من يستخدمها ثم تعود فتستخدمها أنت بذات المعنى؟ * ويذهب إلى أن كلمة (منة) صوابها أن تكتب بدون ألف ص 332 ، ثم يستخدمها بالألف ص 152! * ولا يرى بأساً في جمع (بحث) على (أبحاث) ، وَيُخَطِّى من يجمع (ثدي) على (أثداء) ص 5. ويقول الدكتور إميل يعقوب في (معجم الخطأ والصواب في اللغة) ص 59 مستدركاً عليه: (أعلن محمد العدناني في مقدمة معجمه أنه يريد تقليل الأغلط التي يقتربها كثير من الأدباء ، وتحبيب الفصحى إلى الناس بإثبات صحة منات الكلمات التي زعموا أنها من الأخطاء العامة. لكنه مع ذلك يُخَطِّى الكثير من الألفاظ الصحيحة). هـ. وأيضاً قال العدناني ص 76: (ولا أرى بأساً بمجاراة المولدين مادام سكان الأقطار العربية كلهم يستعملون الفعل (خابر). ثم هو لا يُصَوِّب ما رآه المعجم الوسيط (حَوَّر) صواباً ، بحجة أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة لم يذكر المعجم موافقته). هـ. وننطلق الآن في كتاب العدناني مادة مادة ، لنذكر مدى تخبطه ، ومخالفته للعربية ، وتضييقه رحمة الله الواسعة ، وتناقضه في المبدأ الذي قرره في المقدمة التي صدر بها كتابه ، من أنه سوف يُقلل الأغلط ، ويُحِبُّ الفصحى إلى الناس بإثبات صحة منات الكلمات التي يزعم كثير من الناس أنها خطأ. وأسوق حوالي 236 سؤالاً تحتوي على 250 مادة من المعجم ، رآها العدناني خطأ وهي صواب ، بل ومطروقة على السنة الكتاب والشعراء والمتقنين ومن تقوم بهم الحجة من اللغويين والنحويين وواضعي المعاجم ، فضلاً عن العامة والدهماء! وأورد الآن أمثلة من معجم العدناني ارتأها خطأ وهي صواب. وأسأل على سبيل المثال ما وَجَّه الخطأ إذا قلنا: * الأمر الذي حَمَلْنَا على نقل فلان إلى المستشفى هو إصابته بالحمى. * أثر عليه. * إذا به قبالة الأسد وجأ لوجه. * إذا - لا سمح الله - مات القائد حدث كذا وكذا. * أذن له بالسفر. * استأذن منه أن يفعل كذا وكذا. * فلان متأمر. * حدثته عندما وقف أمامي. * بئر عميق. * بؤساء (ج بانس). * بت في الأمر أي قطع فيه. * بخ الصل سُمه. * برز فلان في العلم بروزاً أي ظهر. * فلان رجل بسيط أي ساذج. * أبصر به يتهور. * انضموا إلى بعضهم البعض. * جاؤوا عن بكرة أبيهم. * باقة من الزهور. * عاش فلان في تعاسة. * وقع فلان في الثرى فعلق

بثوبه الغبار. * جاء زيد ، ثم جاء ياسر. * لفلان بيتان اثنان. * جابهت عدوي. * أجابه المخاطر
 وجهاً لوجه. * عادت الفدائيات الجريحات إلى ميدان المعركة. * جريدة المساء حلوة. * اجتمع
 فلان بفلان. * يحاكم فلان على جُنحة اقترفها. * تقع يافا جنوب حيفا. * لفلان صوت جهوري.
 * المجهر يرى الجراثيم. * جاءه في طلب دينة عنده. * احتج على قوله. * وضعت حدوة للفرس.
 * حرر الصحيفة. * ولد فلان في شهر محرم من العام كذا. * تحرى فلان عن الأمر. * فلان شديد
 الإحسان للفقراء. * تحشرج صوته تماماً. * يتحاشى من الوقوع في كذا. * حضر الطالب للامتحان
 النهائي. * حككت جلدي. * الجواد دخل حلبه السباق. * وضعت الطعام في الحلة. (مع أن لفظ
 الحلة موجود مشهود في المعجم الوسيط ، وله نفس المعنى المعاصر!). * حور فلان الكلام أي
 غيره. * عندي حوالي ألف كتاب. * أحال فلان شقاءهم نعيماً. * احتار فلان في أمر فلانة. * لم
 يُحر جواباً. * تخرّج من معهد كذا. * هذا لا يختص به. * فلان حسن الخصال ، حلو الشمائل.
 * فلان يحب الخضار. * فلان لا أخلاق له. * هذه مباحث أخلاقية. * أخدمت النار بمعنى انطفأت.
 * أهدمت الحكومة الخونة. * يُخيل إلي أن الأمر كذا وكذا. * جمع ما يكفي دراسته في الجامعة.
 * قضى في معهدنا سنة دراسة. * بساط داكن وسجادة داكنة. * اندهش فلان من كذا. * دهمنا
 العدو الشرس ليلاً. * الدور الأول في المبنى. * صلات دائمة. * أعضاء رئيسية في جسم الإنسان.
 * أرجوك الصبح عني. * فتى رزين وفتاة رزينة. * رصدت مالاً لأشتري سيارة. * رضخ لفلان أي
 خدع وذل. * رفيق وجمعها رفقاء. * جلس في الظل ليرتاح من الهاجرة. * الطلب الروحاني.
 * هذا أمر مريح. * تروق مطالعته. * أريد أن أروي كبدي من دم الأعداء. * ارتاب في الأمر كله
 أي شك. * في بيت فلان رياش ثمينة. * زخات المطر أي دفقاته. والمعاني إذن في لغتنا مترادف
 وتتألف جميعاً. * زرع فلان الأشجار حول بيته. * تساءل الرجل عن هذا الأمر. * الحمامة
 السجينة. * اللحية الحليقة وطبعاً قولنا: (فلان حليق اللحية). * سحب شكواه. * أسدى إليه
 معروفاً. * هذا الحكم يسري من أول الشهر. * ملأ السطل ماءً. * تسلل اللص إلى المنزل. * استلم
 عليّ الرسالة من أخيه. * سم لي موانيء مصر. * سيد وجمعها أسياد. * هم سواسية في الجود.
 * سوف لن يجيئ المعلم. * هذا الرجل يعرف سائر الناس. * شتان بين النور والظلام. * فلان
 متشرد أي شريد. * هذا الرجل أشر من أخيه. * وقفت في شرفة المنزل. * بين فلان وفلان عقد
 شراكة. * شطب فلان الكلمة من الدفتر. * هو شغوفٌ بها. * أشغله بعمل كذا وكذا. * قبضت
 الشرطة على فلان الشقي. * شلت يمينه. * جلس فلان إلى شمال القاضي. * استشهد فلان في
 المعركة. * أشهر السيف في وجه فلان. * فلان ذو شهية كبيرة للطعام. * حديث شائق أي شيق.
 * رجل أشيب وامرأة شيباء. * هذا فعل شانن لصاحبه. * أصبح الصباح أي حان وقته. * صباحاً
 ومساءً. * امرأة صبورة أو حسودة. * قابلة صدفة أي على غير ميعاد. * صدق الوزير على
 الحكم. * هذا رجل صارم جداً في قراراته. * أصغى فلان لفلان أي استمع. * فعلت ذلك لمصلحة
 فلان. * صمد كالطود لهجوم العدو. * هذا حرير مصطنع أو اصطناعي. * صوب فلان سهمه نحو
 الرمية. * جاؤوا من كل صوب وحذب. * انصاع فلان لرأي زوجته. * مصير ومصائر ، مصائب
 ومصيب ، حبايب وحبائب ، معائب ومعائب. * ضبع مفترس. * ضربه على رأسه شر ضربة.
 * اضطر أحمد للسفر. * ضغط الوالد على ولده ليذاكر. والملاحظ على العدناني أنه لا يرى المجاز
 في لغة العرب ، بل يركّز على الحقيقة فقط. * أضفى عليه هيبة وجلالاً. * فلان متضلع في العربية

أي ضليح. * أخذ عليه ضماناً لضمأن حقه. * كتب المعلم الدرس بالطباشير. * أمر طبيعي وطبعي.
 * سكن عليّ شقة في الطابق الثالث. * طرقتنا فلاناً هذا صباحاً. * هؤلاء طغمة أي أشرار فاسدون.
 * طقس هذه المدينة حار. * طلبت من أبي كتاباً جديداً. * لا يفارق أحدهما الآخر إطلاقاً. * انطلت
 عليه الحيلة. * فلان ذو نفس طموحة. * الناس حقاً في تطور سريع. * شرب الماء في الطاسة.
 * الطيب بمعنى الأريج. * تطير من الشيء أي تشاءم منه. * أجبرته ظروفه المالية على الهجرة.
 * فلان يعتبر من الشعراء المجيدين. * يريق فلان ماء وجهه على أعتاب الظلمة. * رجل عتيد
 ويوم عتيد. * رجل عجوز وامرأة عجوز وعجوزة. * قولنا: اعتد فلان بنفسه وفلان معتد بنفسه.
 * عرب الرجل الكتاب. * عضّ عليه بأسنانه. * هذا رجل معطاء ، وتلك امرأة معطاءة. * تعال إلينا
 يا محمد. * فلان من عليّة القوم أي أشرفهم. * يعاني إسماعيل من آلام شديدة. * تعود محمد على
 الجواد. * اعتاد الأولاد على المذاكرة ليلاً. * لم تعد تعرف صويحباتها. * أعاقه عن السفر عائق.
 * عوّل على السفر المزمع إلى لندن. * أعار فلان قلمه فلاناً أو إلى فلان. * غريبّ والجمع أغراب.
 * تغرّب فلان عن وطنه أو اغترب عن بلاده. * غطى أنباء المؤتمر أي ذكرها. * كانت الأجوبة
 مغلوطة. * هذا ماء مغلي وقدر مغلية. * فلان مجتهد للغاية أي جداً. * وجد فلان فتحة في الجدار.
 * أبكت الرجل فادحة المصاب. * الناس يتفرجون على المباراة. * فرطت الحسنة عقدها أي
 نثرته. * انتظرت به فارغ الصبر. * قابلت فلاناً وجهاً لوجه. * قبل فلان بحكم القاضي عليه. * قد لا
 أحضر الاجتماع اليوم. * قدمت للمتفوق جائزة ثمينة. * قرف فلان من رائحة السجائر. * قاسى
 فلان ألماً في معدته. * أقسم أنه سوف يذاكر بجد. * (والمعلوم بداهة أنه أقسم بالله ، لكن العدناني
 يشترط أن نذكر بالله - جل شأن الله - ثم هو يجيز القسم بغير الله كالقسم بالشرف أو العروبة أو
 شيئ مقدس آخر) ص 203 ، والأصل أن المسلم لا يحلف إلا بالله. كما صح ذلك عن النبي - صلى
 الله عليه وسلم - قوله: (من حلف بغير الله فقد أشرك). ويحلف الله تعالى بما شاء من مخلوقاته.
 * وقصارى القول أي خلاصته. * ما كاد يراه حتى تقطب وجهه. * ركب فلان القطار ذاهباً إلى
 القاهرة. * قط والجمع قطط. * قابله في مقاطعة كذا أي بلدة. * (والمقاطعة في بلاد الغرب مثل
 القرى والبلدان في بلاد العرب). * فلان باشا كان إقطاعياً له إقطاعيات كثيرة. * إن الباب مقفول.
 * استقلنا هذه السيارة إلى الشارقة. * أقلعت السفينة في الميناء. * اشترت فلانة قماشاً صوفياً.
 * هرب المجرم بينما كان مقادماً إلى السجن. * قالت بأنها مسافرة غداً. * قدمت إلى المدير استقالها
 من الخدمة. * إن عقدك قيم يا جواهر (أي غالي القيمة). يعول العدناني على عدم وجود (قيم)
 بمعنى غالي القيمة في المعاجم. ثم بعد إيراد مجمع اللغة العربية بالقاهرة لها في (المعجم الوسيط)
 بمعنى غالي القيمة لا يعترف العدناني ولا يقبل (حتى بعد موافقة المجمع) ، ذلك الطلب أو ذلك
 الشرط الفذ الذي اشترطه عشرات المرات في المعجم: (حتى يوافق مجمع اللغة العربية بالقاهرة).
 * فلان هو القيم الفعلي على أبناء أخيه الأيتام هؤلاء أي (وليهم). * تكبد فلان في سفره متاعب
 شتى. * لا تكثر بمثل هذا الهراء. * كرس الجهود لإنشاء المشروع. * تكرم عليه المدير الشهر
 الماضي بمنحة. * قولنا أسد كاسر وأسود كواسر أي قوية. * فلان كسول. * تكاليف الطعام كذا من
 الدراهم. * كلفت فلاناً بطباعة الأوراق. * رفعت الصداقة الكلفة بينهم (أي التكلفة). * البعض لا
 يرى هذا الأمر. * محمد رجل بكل ما في الكلمة من معنى أو رجل بمعنى الكلمة. * كلما زادت
 ثروته كلما زاد تواضعه. * اشترى الدار بأكملها. * أصيب فلان بداء كمين (أي يخفى علاجه

وسره). * في بيته الكائن في شارع كذا. * فلان لُوح أي شديد الإلحاح. (وبعد موافقة مجمع اللغة العربية عليها ، وإيرادها في المعجم الوسيط لا يوافق العدناني لأنه لم يجد المصدر والمعجم المعول عليه). * فلان استلقت ببلاغته الأتظار أي جذبها. * شجاعته تلفت القلوب إليه. * هذه لمحة عن حياة الشاعر فلان. * إننا نتلهف على رؤيته. * هذا رجل مدني وذاك قروي. * حوادث مريرة قد مرت بنا. * تمارين وتمارين حسابية. * أمضيت عمري في الدراسة. * هذا الإناء ملئ بالحليب أي مملوء به. * نتج عن تصرفك كذا وكذا. * أنجب الوالدان أولاداً وبنات. * الجمعيات النسائية كثيرة. * فلان رجل نشيط أي نشيط في عمله. * أنهيت قراءة الكتاب. * هو قادر على كتابة الشعر ناهيك عن النثر. * نية وجمعها نوايا ونيات. * هذا رجل مستهتر. * هطول المطر بمعنى سقوطه. * هل هذا البستان يروقك؟ * أصابته تلك التخمّة من كثرة الأكل. * هذا واد وهذه أودية ووديان. * غصن يانع جميل. * كتبت المقال بيراعي أو بيراعتي يعني بقلمتي. أخبروني يا أهل الضاد في الأرض اليوم. ما وجه الخطأ في القول بهذه الاستشهادات؟ إن في هذه الاستشهادات التي زادت عن المئتين وثلاث المائة قد أوردتها العدناني في معجمه وارتأها خطأ توسع في إيراد الأخطاء وكانت حججه: * أنها لم ترد في بعض المعاجم (إذن يعول الرجل فقط على المعاجم: - أنها وإن وردت فهو يعلق موافقته بموافقته مجمع القاهرة! - وإن وافق مجمع القاهرة في بعض الأحيان يرفض العدناني بشدة! - يطالب المعاجم اللغوية في بعض الأحيان على موافقته على ما يرى! - اعتماده على النقل من الآخرين تخطئة وتصويباً! وإن فلا يستحق معجمه كل هذه الهالات من المدائح التي لم يحزها لا المصباح ولا اللسان ولا المحيط ولا التاج ولا الفيصل ولا الوسيط. وإنني أرى أن يُغربل الكتاب وتنبري كوكبة من الباحثين للنظر فيه وإقامة معوجه وإصلاح كسوره. فإذا لم يتم ذلك اليوم فإن جيلاً يعود اليوم إلى العربية سوف يحاكم نصوص الكتاب ويكتشف جميع ما فيه من الطوام والزلات ولا شك. وإن غداً لناظره قريب. وهذا لا ينفي جهود الأستاذ العدناني العظيمة ولا يضيع أجره عند الله (وإن هو اجتهد فأخطأ). إن الرجل أستاذ الجميع ولا شك. وفي المعجم ما يدل على ذلك. ولكن هذا لا يمنع من القول بأنه قد توسع في إيراد ألفاظ وتعبيرات رآها خطأ ، وهي من الصحة بدرجة لا حدود لها. ولو غربلنا شعر الشعراء ونثر وأدب الأدباء ومقالات الكاتيبين وتأليف المؤلفين من عرب ومستشرقين في القديم والحديث لوجدناها جميعاً تدون وتسجل ما ارتاه العدناني أخطاء لا تغتفر! وقد وقعت على منتين وستة وثلاثين خطأ ، وأنا الذي تخصصت في اللغة الإنجليزية ، فكيف إذا غربل المعجم عملاق لغوي رصين له باع في اللغة العربية والعلم بها؟ إن التوسع في إيراد الأخطاء بلا دليل يقنط الناس ويزهدهم في لغة العرب. وبخاصة إذا علمنا أن معظم هذه الألفاظ التي أوردتها العدناني وخطأها يستخدمها أغلب الناس في الأرض اليوم ، مثقفين وعامة ، أدباء وغير أدباء ، شعراء وغير شعراء. لقد طالب العدناني المجمع اللغوية بالموافقة على ألفاظ عامية ركيكة بحجة أن الناس ينطقون بها. أليس الأولى قولنا: (ربيع الثاني - مدرء - سمحاء)؟ أرجو التفطن إلى ما أوردت. ويبقى سؤال أخير: (هل كل ألف تأنيف ممدودة لا بد وأن تصاغ لكلمة مذكرها أفعال؟) والجواب: لا فقد أوردت الأدلة ، وذكرت الممدود السماعي.....ه. كان هذا ردّي على الموسى الذي زكى العدناني وانساق وراء معجمه المهيب الجناح. وأورد نص مقالة الموسى في مجلة (منار الإسلام عددها الصادر في مايو 2008 م) ، يقول الموسى وبالنص: (معجم الأخطاء الشائعة معجم طريف ، ألفه محمد العدناني اللبناني ،

ونشره عام 1973م ، وكان أساتذتنا في الدراسات العليا يشيرون علينا بقراءته والرجوع إليه حين نشك في صحة لفظة أو سلامة أسلوب. وكان المؤلف قد تلقف "كثيراً من الأخطاء الواردة في هذا المعجم من أفواه الخطباء ومذيعي الراديو والتلفزيون ومن الصحف والمجلات والكتب". والمذيعون في هذه الأيام في طليعة موجهي الشعب ، والمؤثرين فيه أدبياً ولغوياً وقومياً واجتماعياً. وقد اعتمد الرجل في تصويب الكلمة أو العبارة على وجودها في القرآن الكريم ، أو في حديث شريف ثبتت له صحة نقله ، أو في أمهات المعجمات ، أو في بيت لأحد شعراء الجاهلية ، أو فيما أقرته مجامع اللغة العربية ، أو في أمهات كتب النحو. ومن طرائف ما جرى لنا في أسرة التحرير أن كتب أحد زملائنا على غلاف العدد: (ربيع الثاني...) فسألته: أمتأكد أنت من صحة هذا التركيب؟ قال: نعم ، وهل لديك رأي آخر؟ فقلت نعم: لا يقال ربيع الثاني ، وإنما ربيع الآخر. فعجب الزملاء – ومعهم مدير التحرير – فأحضرت لهم معجم الأخطاء الشائعة فوجدوا فيه: (ويقولون: ولد فلان في ربيع الثاني ، والصواب: ولد فلان في شهر ربيع الآخر ، وقد التزمت العرب لفظ (شهر) قبل (ربيع) تمييزاً له عن ربيع الفصل ، وتقول: هذا شهر ربيع الثاني" ، ومثل ذلك جمادى الأولى وجمادى الآخرة ولا يقال جمادى الثانية. كما في المعجم الوسيط وكأني بهم يقصدون: أن لا ربيع ثالثاً ورابعاً...هما ربيعان فقط). هـ. ومن الطريف أنه وأنا أكتب هذه السياحة سألني أحد الزملاء – وهو يجهز خبراً إعلامياً – هل نقول إلى مدرء المكاتب أم إلى مديري المكاتب؟ فقلت: لا تصح الأولى ، قال العدناني: "ويجمعون (مدير) على مدرء ، والصواب (مديرون) ، لأن من شروط جمع الصفة على (فعلاء) أن تكون صفة لمذكر عاقل على وزن (فعليل) بمعنى فاعل دالة سجية مدح أو ذم ، ك (نبيه ونبيهاء ، ولنيم ولؤماء) أما (مدير) فهي على وزن (مفعل) لا على وزن (فعليل)". هـ. ونقرأ أيضاً على سبيل المثال: (شريعة سمحة. ويقولون: شريعة سمحاء ، والصواب: شريعة سمحة ، وذلك لأن (فعلاء) هي مؤنث (أفعل) ، مثل: أحمر حمراء ، أما مؤنث (فعل) فهو (فعله) مثل: سمح سمحة. ولا يوجد في العربية هو أسمح ، حتى نقول: هي (سمحاء). هـ. إن قراءة المعاجم – وخاصة هذا المعجم – لا يستغنى عنها عالم ولا كاتب ، ولا خطيب ولا مذياع). هـ. وإلى هنا انتهى مقال أحمد موسى في المنار سألقة الذكر. والآن أورد رده على رسالتي المطولة التي بينت فيها زلل العدناني واقتضبها موسى بوصفه رئيس تحرير المجلة ينشر ما يريد ويمنع ما يريد زاعماً أن الحقيقة يمكن أن تموت! أورد رده وتصرفه ليدرك القراء الفرق وليعرفوا الحقيقة. قال موسى نصياً: (أحد الأئمة سابقاً في الأوقاف وهو الشيخ /أحمد على سليمان عبد الرحيم ، كان له تعقيب على سياحة قلم (منار الإسلام ، عدد 401 سنة 34 جمادى الأولى) على بعض الأخطاء الشائعة ، وهو يصوب ما رآه اللغويون خطأ. كجمع مدير على مدرء ، وربيع الآخر ، الذي جوز أن نقول: ربيع الثاني وشريعة سمحة ، وأجاز أن نقول سمحاء...وقد عرضنا تعقيب الشيخ على صاحب السياحة اللغوية ، فرد بما يلي: * يقول المعقب: إن جمع (مدير) لم يرد في لسان العرب ، ولا المحيط ، والمختار ، ولا المصباح ، لأنه كلمة معاصرة ، بل ورد في المنجد الإعدادي! وجوابنا: أنه غاب عن الشيخ المعقب ، أن المشتقات القياسية كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما ، لا تذكرها المعجمات مطلقاً ، لأنها قواعد صرفية معلومة بالضرورة ، ثم إن استشهاده بالمنجد الإعدادي لا يرقى إلى الحجية لأن (المنجد) لا ينجذ كما قال علماءنا المحققون. وأما قياس مدير على (عرب ، أصم) فهذا قياس باطل ولا يصح ، فأين الثرى من الثريا؟ * ادعى

المعقب الفاضل أن (ربيع الثاني) تركيب صحيح ، كما ورد في لسان العرب والقاموس المحيط. ونحن نحيل القارئ إلى المصدرين لنكتشف أن المعقب أخطأ في النقل. فقد نص صاحب القاموس فقال: والربيع ربيعان: ربيع الشهور وربيع الأزمنة ، فربيع الشهور شهران بعد صفر ، ولا يقال إلا شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر.هـ. وكذلك صرح ابن منظور صاحب لسان العرب فقال: وشهرا ربيع سُميا بذلك لأنهما خُدا في هذا الزمن ، فلزمهما في غيره ، وهما شهران بعد صفر ، ولا يقال فيهما إلا شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر.هـ. ويبدو لي أن الشيخ لم يتفطن إلى التفرقة فيما بين الربيعين: ربيع الشهور وربيع الأزمنة ، فالثاني هو فصل الربيع ، وقد وهم الشيخ بهذه الكلمة. وقولنا شريعة سمحة هو الصواب وليس (سمحاء). فتش الشيخ المعقب على سمحاء صفة لفعل (سمح) في عدد من المعاجم ، فلم يجد إلا سمحة ، وهذا هو الصواب. فلا ينبغي العدول عنه لتحمل قياس كالقياس على (أغر وغراء) و (أشل وشلاء). ولو أجزنا وصف (سمح) بـ (سمحاء) لجعلنا اللغة شلاء! نشكر للشيخ المعقب هذا الاهتمام باللغة ، ونوصي بالالتزام بما قالتها العرب (العرباء).هـ. إلى هنا انتهى ردّ موسى بطريقة عشوائية ، لا رجوع فيها لدليل ولا استناد فيها لحجة. وأترك للقراء الحكم والمقارنة والتحليل. وأورد مقالة للموسى في عدد منار الإسلام رقم (397) تحمل عنواناً غاية في التسامح هو (أعتذر إليك سيدتي) ، لأبين للقراء كيف كال الموسى بمكيالين في التعامل مع المخالف. يقول المقال بالنص: (في موسم الحج الماضي ، لببت ربي هناك. كنت سعيداً أن أكون مع اللجنة الإعلامية المرافقة لبعثة الحج الرسمية. وطبيعة الإعلام الإسلامي أن يبحث عن الدقائق ويتوخى الحقائق فإذا نجحت – والحمد لله – حكومة خادم الحرمين الشريفين بحل أزمة الزحام عند رمي الجمرات ، بهذه التوسعة الطابقيّة لجسر الجمرات ، فإن صحن الطواف حول البيت بدأ يضيق جداً بالطائفتين طواف الإفاضة وأحياناً طواف الوداع ، وهنا يتبادر لدوائر فقهنا الإسلامي ضرورة تفعيل (افعل ولا حرج) حيث (أورد البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل للنبي (صلى الله عليه وسلم) – زرت قبل أن أرمي ، قال: لا حرج. قال آخر: حلقت قبل أن أدبح ، قال لا حرج. قال آخر: ذبحت قبل أن أرمي ، قال لا حرج). فما دام الحديث الشريف قد ألهم جمهور الفقهاء حكم التخيير في أداء أعمال يوم العيد (الرمي ، الذبح ، الحلق ، الطواف) من حيث التقديم والتأخير ، فلم يفعل هذا التخيير – وخاصة الطواف قبل الرمي – لتخفيف الزحام في مكان من أماكن المناسك؟ كثير من الفقهاء ومسؤولي الحج في المملكة نظموا تفويج الحجاج ، وطالبوا بعض الدول بالتوجه إلى البيت لطواف الإفاضة قبل الرمي ، ومنذ القديم وفقهاء الشافعية وغيرهم يفعلون ذلك ، ولما جئت بعد منتصف ليلة المزدلفة إلى البيت لأطوف مع بعض المنات من الناس ، لم يسألني أحد من حراس البيت العتيق ، فلما مررت بجانب إحدى الحارسات سألتني: لماذا لم تبيتوا الليلة بمزدلفة حتى الفجر؟ كأنها تعترض على طوافنا هذا! فأحرجتني وأنا على عجل ، فقلت لها: أنت تعلميننا الحكم ونحن العلماء؟ ومشيتُ فأدركتُ أنني كنت فظاً ومتعجرفاً في إجابتي وكان الأحرى بالحاج أن يلين ويتواضع ويحاسب نفسه ويتحرى أحسن الأجوبة. فإليك يا سيدتي أعتذر ، وأنت إحدى حارسات البيت الحرام وكم استغفرت ربي بسببك وأنا أطوف ، وبعد الطواف ، ماكان أحراني وأحراك أن نقف حيث يحمد لك السكوت ولي الحكمة ولكلينا مراقبة الله عز وجل).هـ. أوردت هذه المقالة بنصها لندرك كيف كان الموسى رقيقاً وديعاً في تعامله مع امرأة عامية ، وإن هي تعاملت معه بمنتهى الغلظة والجفاء. فإذا به يتلطف

ويشفق عليها ويعذرها ، ليس ذلك فقط ، بل يلتمس لها الأعذار والحجج. بينما كان مع مخالف له في الرأي في غاية الجفاء والغلظة ، فلقد كال الاستهزاء تلو الاستهزاء والسخرية تلو السخرية والمغالطة تلو المغالطة. كما اتهمني بالجهل وتببيت سوء النية والقصد. والحقيقة أنني لم أعمد إلى السب والنيل والتشفي منه بل آثرت اللوم والتوبيخ والعتاب فقط. وأظنني أوردت المقالات كلها ليكون الحكم للقراء وللتاريخ بعد ذلك. وإنني أكاد أقطع أن موسى والحبر قد أخطأ نظرتهما للمخالف في الرأي! والأصل أن نلتمس الأعذار للمخالف ونفترض أنه يمكن أن يكون على صواب! يقول ابن بية في (أدب الخلاف) وتحت عنوان: (النظرة للمخالف) ما نصه: (وهي نظرة ضرب المثل والقذوة فيها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ؛ فهذه عائشة رضي الله عنها تقول عن بعض الصحابة وقد اختلفت معه: أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ ، وهذا هو الشافعي رضي الله عنه يقول: "ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة" ، وقال كذلك: "ما ناظرت أحداً إلا قلت اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه ، فإن كان الحق معي اتبعني وإذا كان الحق معك اتبعته". وحينما أراد الخليفة العباسي حمل الناس على الموطأ وهو كتاب مالك و خلاصة اختياره في الحديث والفقه قال له مالك: "لا تفعل يا أمير المؤمنين" ، معتبراً أن لكل قطر علماء وآراءه الفقهية فرجع الخليفة عن موقفه بسبب هذا الموقف الرفيع من مالك في احترام رأي المخالف وإفساح المجال له. وكان الذهبي يثني ثناء عاطراً على تقي الدين السبكي مع أنه شيخ الأشاعرة الذي كان بينه وبين شيخه الشيخ تقي الدين بن تيمية من الخلاف ما هو معروف ، ثم يتعذر الذهبي عن الظاهرية قائلاً: "ثم ما تفردوا به هو شيء من قبيل مخالفة الإجماع الظني وتندر مخالفتهم الإجماع القطعي" ، ثم ذكر أنهم ليسوا خارجين عن الدين. ويقول ابن تيمية: "وأمرنا بالعدل والقسط فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني فضلاً عن الرافضي قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله" ، وقال أيضاً: "الاعتصام بالجماعة والانتلاف من أصول الدين والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع". (الفتاوى 22-254). هـ. والآن أعتذر عن الإطالة ، ولنتابع قراءة قصيدتنا التي أخذ الديوان اسمه منها ، وهي على البحر الوافر وقافية الباء ، أنشدت أقول:

عَتَابِي الْعَذْبُ أَبْذَلُهُ احْتِسَابَا	وَأَرْجُو أَنْ أُنَالَ - بِهِ - الثَّوَابَا
وَأَجْعَلُهُ قَرِيضاً مُسْتَسَاغَاً	مِنْ الْأَرْوَاحِ يِقْتَرِبُ اقْتِرَابَا
وَأَرْفَعُهُ إِلَى أَسْمَى مَقَامٍ	مِنْ التَّقْوَى لِيُصْبِحَ مُسْتَطَابَا
وَأَكْتُبُ بِهِ بِالْفِطْرِ تَحْلِيثًا	بِأَخْلَاقِ الَّذِي يَهْوَى الصَّوَابَا
وَأُثْبِتُ مَا أَرَاهُ بِدُونِ زِيغٍ	وَأُنْتَخِبُ الْمُنَاطِرَةَ انْتِخَابَا
وَأَعْتَبُ فِي إِخَاءٍ لَا يُبَارَى	وَأُصْبِغُ - بِالْمُدَاعِبَةِ - الْعِتَابَا
وَفِي ثِقَةٍ أَلْوَمٍ ، وَلَا أَحَابِي	فَمَا فَازَ امْرُؤٌ - فِي الْحَقِّ - حَابِي

لأَقْنَعَ مَنْ لِمَا أَدْعُو اسْتِجَابَا
لِيَقْرَأَ - مَنْ أَعَاتَبْتَهُ - الْكِتَابَا
لِأَنْشُرَ فِيهِ شِعْرًا مُسْتَطَابَا
كَمَثَلِ النُّورِ يَنْسَابُ انْسِيَابَا
فَذِي - لِلضَّادِ - تَنْتَسِبُ انْتِسَابَا
وَمِنْ كُتَابِنَا أَرْجُو الْجَوَابَا!
وَأَيْضًا إِنْ أَكُنْ قَلْتُ الصَّوَابَا
وَأَرْجُو اللَّهَ - مِنْ ذَنْبِي - الْمَتَابَا
وَلَسْتُ - بَعُجِبَ مَنْ عَجَبُوا - مُصَابَا
وَلَمْ أَرْتَبْ - بِمَا قَلْتُ - ارْتِيَابَا
وَأَفْتَحُ - لِلجِدَالِ السَّمْحَ - بَابَا
فَمَا احْتَقَرَ التَّصْبِيرَ مَنْ أَصَابَا
وَأَكْشَفُ - عَنِ حَقَائِقِهَا - النِّقَابَا
فَمَا أَنَا بِالذِّي أَهْوَى السَّبَابَا
حَقُوقَ الْغَيْرِ ظَلْمًا وَاغْتِصَابَا
وَأَطْرَحُ مَا وَجَدْتُ بِهِ ارْتِيَابَا
عَنِ الزَّلَاتِ بَاحَ بِهَا ، وَعَابَا
وَلَا تَحْوِي مَنَاقِشِي حِرَابَا
وَلَا أَرْجِي التَّشْفِيَّ وَالْعِقَابَا
بِمَنْ كَالْمَسْبُوبَةِ وَالْعَذَابَا

وَأَرْسَلُ بِالْقِرَائِنِ وَاضِحَاتِ
وَأَبْعَثُ - بِالْأَدْلَةِ - فِي كِتَابِي
وَشَهْرُ (رَبِيعِ الثَّانِي) سِيَّاتِي
لَأَمْنَحَ ضَادَنَا (السَّمْحَاءَ) فُخْرًا
وَتَشْهَدُ الْجِرَائِدُ فِي دِيَّارِي
(وَالْمُدْرَاءَ) فُخْرًا بَانْتِصَارِي
فَإِنْ أَكُ مُخْطِنًا فَلِيخْبِرُونِي
وَلِي عُذْرِي ، إِذَا أَخْطَأْتُ قَطْعًا
وَمَا أَنَا بِالذِّي أَرْجُو ظَهْوَرًا
وَلَكِنِّي اجْتَهَدْتُ ، وَقَلْتُ قَوْلِي
وَأَحْتَمِلُ الرِّجُوعَ لِكُلِّ سِيفِرٍ
وَأَدْرُسُ لَيْسَ يُعْضَلُنِي اجْتِهَادِي
وَأَلْقِي حُجَّةً مُنْتَبِهُ يَقِينًا
أَعَاتَبُ ، لَا أَجْرَحُ ، أَوْ أَهْجِي
وَأَعْتَبُ ، لَا أَشْهَرُ مُسْتَتِيبًا
وَأَذْكَرُ مَا تَبَيَّنَ لِي عِيَانًا
وَأَرْحَمُ مَنْ أَنْظَرَهُ ، وَأَعْضِي
وَأَحْلِمُ لَا أَسْفَهُ دُونَ حَقِّ
وَأَعْطِي فِرْصَةً مِنْ بَعْدِ أُخْرَى
وَلَسْتُ مُبِيتًا سَوْءَ النِّوَايَا

بها اضطرب الفتى الفذ اضطرابا
بصيرته ، فقد أمن الصحابا
إذ لاح الهدى والحق آبا
لذلك أثار الفذ المتابا
وعند الله يحتسب احتسابا
قيامته الوشيكة والحسابا؟
إذا ناصحت شيباً أو شابا
أطعنا ، فميم تنتحب انتخابا؟
لما اغتربت مناصحتي اغترابا
وأرتصد اليواقيت العذابا
أصورُ فيه - بالشعر - المصابا
وكم واجهت في العيش الصعابا!
وغيري قد يحولها سرابا
وإن سكنت بأوزاري السحابا
لأجعل مجدها عجباً عجابا
وقد أمسى التثبت لي ركابا
وقدمت الدعاء المستجابا
وقلبي - من ظريف اللوم - ذابا
وأفرط - في معاقبتي - غلابا
وما جاوزت - في نقدي - النصابا

لعل وشاية أو سوء فهم
ضحية كل من لعبوا فسادوا
ولست مُعاتباً إلا حياً
وأيقن أنه قد جاء ظملاً
أعاتب من سيرجعه عتابي
وما جدوى الحساب إذا تناسى
وأشكو - للمهيمن - ما أعاني
فتمنعهم ذنوبي أن يقولوا
ولو أني أطيع الله حقاً
وأنقش - بالقريض - جميل وعظي
وديواني الدليل على كلامي
وأهاتي تصور ما أقاسي
وآمالي العظيمة نصب عيني
وأمعن - في التثبت - بالأمانى
وعن (ضادي) أذود بكل بأس
يمين الله لم أبخل بجهدي
وعاتبته (ابن موسى) باحترام
بظهر الغيب مشفوعاً بدمع
تعقبي (ابن موسى) دون حق
على الألفاظ ما أخطأت فيها

وما احتربت مناقشتي احترابا
ثناءً منه في (التعقيب) غابا
عليّ اليومَ ينقلبُ انقلابا
ولم أشهرْ حساماً أو قرابا
لعلم فاض آدابا ، وطابا
وأدفعُ إن شهدتْ لهم غيابا
أوقره ، ومن أمسى ترابا
ولا توسعْ مُساجلتي اقتضابا
من الكلمات ندرسها احتسابا
من الفصحى ، إذا اشتكت الضبابا
كما عاملت من لبست حجابا
ودمغ العين ما انقضب انقضابا
ودونت التعابير الرطابا
وفي التوبيخ أو غلت الذهابا
بشأن القشر أحسبُه لبابا
فإن القلب يكتبُ اكتابا
ألا واقبلن قوافي الغضابا
وقد ذعت الشكايا والعتابا
وإن الله مولى من أنابا

وسجلت الدليل على كلامي
ولم أذنب ليسلبي (ابن موسى)
ألا إنني شكرت لك اجتهاداً
وأيم الله كنت أردت خيراً
وللأدباء قدرٌ في فوادي
وما وقرت مثل ذوي علوم
سواءً منهم من كان حياً
فراجع ما تُرددُ (يا ابن موسى)
ألا إن الخلاف على ثلاثٍ
وحق إخوتي يا خل أولى
فلو عاملتني ببعض رفق
وقمت بالاعتذار لها وفاءً
وسطرت المقالة ، لم تسوف
أراني قد عتبت مريراً غتب
وأوغرت الصدور بوجد شكوى
تقبل يا (ابن موسى) العذر مني
وسامخ إن لقيت جفاء لفظٍ
وأنت بما كتبت وقلت أدري
لأعذر للميهيمن في انكسارٍ

هكذا فلتكن المسلمة

(كوثر) شابة في العشرينات من العمر من البلد الآمن الحرام مكة ، وكانت قد تفوقت في علم الفيزياء بدرجة الامتياز. وحن موعد تكريمها في إنجلترا بعد نجاحها في سويسرا على يد مدير الجامعة ورئيس القسم والأساتذة والعلماء ، كما جرت بذلك أعراف التكريم. وتعين عليها أن تستلم الجائزة الكبرى وشهادة التقدير ، فصافحت النساء وكفت يدها داخل عباؤها ولم تصافح الرجال. فسألها أحد الأساتذة الكبار قائلاً لماذا؟ فقالت: هذه تعاليم ديننا. فاحترمها الجميع بما فيهم السائل. وعلمت بعد ذلك أنها من بيت علم وأدب وخلق ودين ، فرحّت أقول لها شعراً: "جزاك الله خيراً يا كوثر!" وكان من المعلومات عنها كذلك أنها هناك برفقة زوجها لم تنقطع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! والمأثور عنها في دعوتها أن معاناتها كانت من المسلمين المنفلتين هناك أكبر من معاناتها مع الكفار الأصليين! ذلك أن الفتنة بالمتسلمين كانت أشد! إذ يكون هناك هاجس ملح عند المدعويين هو: لو أن دينكم دين عظيم جدير بأن يُدان لله به فما معنى أن يلهث بعضكم خلف حضارتنا وسقوطنا وإباحيتنا؟! وإنه لشعور نبيل وعظيم أن يُغرد الإنسان خارج السرب ، شريطة أن يكون على هدى من الله وكتاب منير! والأصل أن يكون سلوك المسلم المعتز بإسلامه والمؤمن المفتخر بإيمانه والمحسن المستعلي بإحسانه أن يكون هكذا! فلا يُعطي الدنيا في دينه! ولا يؤتى الإسلام من قبله! حدّث الحميدي أحد أصحاب الإمام الشافعي رحمه الله قال: كنا عند الشافعي فاتاه رجل فسأله في مسألة فقال: قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت يا أبا عبد الله؟ فقال: (سبحان الله تراني في كنيسة تراني في بيعة ترى علي وسطي زناً أقول لك: قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وتقول: ما تقول أنت). وجاء رجل إلى الإمام مالك رحمه الله فقال له: من أين أحرم بالحج قال: (من الميقات الذي وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحرم منه) قال: فإن أحرمت من أبعد منه قال: (أخشى عليك الفتنة) قال: وأي فتنة في ازدياد الخير فقال الإمام مالك: (إن الله تعالى يقول: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). وأي فتنة أعظم من أنك خصصت نفسك بفضل لم يختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم). قال الإمام أحمد ابن حنبل: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك). وروى الحافظ ابن الكثير رحمه الله: (أن النبي صلى الله عليه وسلم جهز بعثاً لأسامة بن زيد وأمرهم بالمسير إلى تخوم البلقاء من أرض الشام ، حيث قتل قادة النبي صلى الله عليه وسلم في معركة مؤتة ، زيد ابن حارثة وجعفر ابن أبي طالب وعبد الله ابن رواحة رضي الله عنهم وأرضاهم ، فخرج بعث أسامة ، حتى خيموا خارج المدينة ينتظرون تمام عددهم وعدتهم ، فمات المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وخرج المنافقون ، وارتدت بعض قبائل العرب عن الإسلام ، ومنع آخرون الزكاة ، فاشتد الحال بالصحابة رضي الله عنهم حتى أشاروا على أبي بكر الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة ، وأن يوجهه لقتال المرتدين ، والدفاع عن المدينة مأرز الإسلام والإيمان ، فامتنع الصديق رضي الله عنه وأبى إلا أن ينفذ جيش أسامة حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال قولته المشهورة: (والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أن الطير والسباع تخطفنا من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين) ، فأمرهم بالخروج حيث أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فساروا في سبيل الله لا يمرون على حي من أحياء العرب إلا أربعوا منهم ، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة من شديدة ، فقاموا أربعين يوماً أو سبعين ، ثم رجعوا إلى المدينة سالمين ، قد أربوا الأعداء وقذفوا في نفوسهم الرعب والخوف من المسلمين ، فكان من بركة تعظيم الصديق رضي الله عنه وأرضاه لأمر رسول الله وتنفيذه أن تم له ما أراد ، وأرهب قبائل العرب المرتدة ، فعاد كثير منهم إلى الإسلام ، وأيقنوا أن المصطفى قد ترك وراءه رجالاً شجعاناً لا يهابون الموت ، ولا يخالفون أمر الله وأمر رسوله ، ولا يرضون بالذل والهوان والرجوع إلى الكفر وعبادة الأوثان). ويقول ابن القيم رحمه الله: (كان عمر بن الخطاب يهيم بالأمر ويعزم عليه ، فإذا قيل له: لم يفته رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى عنه وتركه). ومن هنا شكرت كوثر المؤمنة المعترزة بدينها والمُعظمة لسنة نبيها - صلى الله عليه وسلم - ولو في عقر دار الكفار!

يا شِعْرُ حَيِّ بَكْلِ فَخَر (كوثر)	وسُق المديحُ مُنْقحاً ومُقنطراً
واختر - من الكلمات - أعذبها صدئ	وانثر - على ألعانهم - الجوهر
واعزف - من الأنغام - ما تهفوله	أذن بحورك ناولتها المزهر
واصبغ قوافيك الجميلة بالسنا	لتكون بدرأ - في الحوالك - نيرا
فأقد عزمت على تحية غادة	درجت على التقوى ، وشببت مُعصرا
حفظت كتاب الله سر نبوغها	وبه غدت - بين الخلائق - في الذرى
والسنة الغراء كانت سامتها	وغدا الفؤاد بها أعف وأطهر
وتساحت بالشرع يمنحها المضا	ويزيل ديجور الحضارة والفري
وتزودت خبياً بخير عقيدة	حتى توفق في الحياة ، وتُنصرا
والأمر بالمعروف كان رفيقها	في رحلة قد تفتن المتبصرا
وتمسكت بالحق دون ترهل	يوماً ، وحاربت الهوى والمنكرا
وتشبهت بالفاضلات تقرباً	لله ، هدياً في الحياة ومظهرا
لم تأل جهداً في تعلم دينها	فهو الذي يهدي السبيل الخيرا
درسته أوفى ما تكون دراسة	ورأته أحرى أن يسود وأجدرا
لم تُغرها مُتغ الحياة تسوقها	في كل حين - للضيوف - (سويسرا)

لم يُثنها هذا البلا عن عزمها
لم تُنسها هذي الحضارة دينها
هي لم تغَيِّرْ إسمها أو رسمها
هي بنتُ (مكة) ، والجزيرة دارها
رحلت لتدرس ، لا لتخالع دينها
ويُعينُ زوجته على ما قلدت
ويصونها من كل عِلج كافر
حتى تُفرِّغ - للدراسة - نفسها
ومضت بها الأيام بين قراءة
حتى إذا بلغت نهاية بحثها
أثبوا عليها شاكرين جهودها
من أنها نجحت بكل تفوق
وتناولوا - في الاحتفال - كفاحها
وتناولوا أخلاقها وخلالها
حتى إذا مَدَّوا الأيدي أحجمت
هي لا تصافح أجنبياً مُطلقاً
حتى وإن خسرت جوائز حفلهم
ولذلك احترم الجميع إباءها
دينُ المليك حضارة روحية

ومضيتها ، كيلا تعود القهقري
أبداً ، كما فعلت بآلاف الوري
هي لم تبدلْ جوهرها أو منظرا
هي (كوثر) ، ولسوف تبقى (كوثر)
والمحرمُ السُّني أمسى حيدرا
كيلا يضيع الدينُ في (إنجلترا)
ويبيتُ يحرسُ إن تغشأها الكرى
وتصيبَ عِلماً مُستيناً ثمرا
وكتابةً ترجو النجاحَ المزهرا
وتقدّمت - للباحثين - بما ترى
والمشرفُ الفنيّ أعلن مُكبِرا
وأذاع في التلفاز عنها ما جرى
وجهادها المتواصل المتبحرا
والكل أسرف في المديح ، وأكثر
عن أن تصافح عالماً أو قيصرا
هي لا تتابع من ترخص ، وافترى
هي لا تراها - بالشريعة - تُشترى
وسلوكها المُتدين المتحضر
وعِمارة تبنى الحواضر والقري

لا يُسْتَهَانُ بِهَا ، وليست تُزدرى
أسمى من الشعر الفصيح ، وأكبرا
مُدساق مدحته ، وشمر ، وانبرى
ولكي يكون - إلى المودة - مغبرا
أضحى الثناء - بما دعوت - مُحبرا
كيلا تعم الوجوه حبات الثرى!
وعلى المهيمن لا أزمي (كوثرا)
متأزم ، دمغ القريض تحذرا
إذ مثل هذي لن يُزلزلها الهرا
تأبى لحوًا - في الحياة - تحزرا
كي يضحك المستهزون تنذرا
أفضى بها نذلّ فغش ، وزورا
والأمرُ توفيقُ المليك بلا مرا
إذ إنها خير صوى وتبصرا
وسطرت شعراً - بالإخاء - موقرا
وأنا أومل - عنده - أن أوجرا
سبحانك اللهم يا رب الورى!

وهداية تهدي لكل سعادة
يا كوثر البلد الحرام تحية
من شاعر أثنى عليك مُفاخراً
حتى يقدم - بالقريض - شعوره
حياك ربك ، تلك أصفى دعوة
أنا لست مداحاً أكيل مدائحي
هذي أوامرُ ديننا ونبيننا
لما رأيت ثباتها في موقفٍ
إذ إنها لم تكتثر بعزيفهم
فقد يقال: لأنت إرهابية
ولقد تصير - بدارهم - أضحوكة
ولقد تحطمها الإشاعات التي
لكنها ثبتت بكل صلابة
وبدينها شمخت بدون تحرج
من أجل ذلك كله أكبرتها
إنني لأحسبها ، وربّي حسبها
وعليه تكلاني ، وفيه قصاندي

جزاء المتحابين

(في حوار حول تأليف القصيدة ، وهل هو إحياء؟ أم ارتجال؟ أم تكلف؟ أم صنعة؟ أم موهبة؟ أم علم محض بالشعر؟ أم سر لا يمكن إدراك كنهه؟ فكان جوابي هو كل ذلك بالإضافة إلى توفيق الله! دار الحوار بيني وبين الأستاذ / سيد أبو جمعة ، هنا في مدرسه رأس الخيمة الحديثة بوصفه معلم اللغة العربية بالمدرسة. فقال: عندي قصيدة عنوانها (جزاء المتحابين) وعرضها عليّ ، فإذا هي للنثر أقرب منها للشعر ، فاقترح عليّ أن أصوغها شعراً فقلت معتذراً: ليس هذا من عادتي أبداً! لأنني أذهب إلى أن الشعر شعور في بدايته ، ثم يُتبنى هذا الشعور ليُصاغ في قالب شعري متألف من أبيات لها وحدة موضوعية تُولف بين أبياتها ، كما لها فكرة تريد إيصالها لمن سيقراً بعد ذلك ، كما أن لها قالباً تصب فيه ، ولهذا القالب مواصفاته ومتطلباته من وزن وقافية وصور فنية ومحسنات بديعية وجمال وخيال وتنسيق! والحب في الله باعث على كل خير ، وعاطفة جياشة تحرك قلب الشاعر ويراعه للكتابة! قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله). (حسن) صحيح الجامع. قال في الكشاف: (الحب في الله والبغض في الله باب عظيم ، وأصل من أصول الإيمان ، ومن لازم الحب في الله حب أنبيائه وأصفيائه ، ومن شرط محبتهم اقتفاء آثارهم وطاعة أمرهم). هـ. وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقي في النار). رواه البخاري. قال القاضي: (المحبة ميل النفس إلى الشيء لكامل فيه ، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله ، وأن كل ما يراه كمالاً في نفسه أو غيره ، فهو من الله وإلى الله وبالله لم يكن حبه إلا لله وفي الله ، وذلك يقتضي إرادة طاعته ، فلذا فسرت المحبة بإرادة الطاعة واستلزمت اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم). هـ. وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله ، قال: دخلتُ مسجد دمشق فإذا فتى برآق الثياب وإذا الناس معه ، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه ، وصدروا عن رأيه ، فسألت عنه ، فقيل: هذا معاذ بن جبل - رضي الله عنه -. فلما كان من الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير ، ووجدته يصلي ، فانتظرت حتى قضى صلاته ، ثم جنته من قبل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت: والله إني لأحبك لله ، فقال: آله؟ فقلت: الله ، فقال: آله؟ فقلت: الله ، فأخذني بحبوة رداً ، فحبذني إليه فقال: أبشر! فإني سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتزاورين في ، والمتبادلين في». صحيح رواه مالك في الموطأ. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.....ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه.....). رواه البخاري ومسلم. ويعلق الأستاذ خالد سعد النجار على هذا الجزء من الحديث بقوله: (وما دين الإسلام إلا الحب في الله والبغض في الله لأن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب ، ومن لم يكن الله وحده له محبوبه ومعبوده فلا بد أن يتعبد قلبه لغيره ، وذلك هو الشرك المبين ، فمن ثم كان الحب في الله هو الدين! ألا ترى أن امرأة العزيز لما كانت مشركة كان منها ما كان مع كونها ذات زوج ، ويوسف لما أخلص الحب في الله والله نجا من ذلك مع كونه شاباً عزباً مملوكاً قال الله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}. هـ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن رجلاً زار أخاً

له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكًا ، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية ، قال: هل لك من نعمة تربها؟ قال: لا ، غير أنني أحببته في الله عز وجل! قال: فأني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه». [أخرجه مسلم]. وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن ربه عز وجل يقول: «حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتباذلين في ، وحقت محبتي للمتزاورين في ، والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله». [صحيح]. فافتنع الأستاذ أبو جمعة ، وأقرّ بهذا الرأي في الشعر والحب. ولكنه أخذ يُحَبِّب فكرة الكتابة عن الحب في الله - عز وجل - باعتباره أوثق عُرى الإيمان. فناشدني أن أصوغ قصيدة تحمل عنوان (جزاء المتحابين في الله) ، وراح يُذَكِّرني بأحبة لي ما أحببتهم إلا في الله - تعالى - وحده ، وعندئذٍ وعدته بالمحاولة إجلالاً لله - عز وجل - . فأنشدتُ من الوافر والقافية الميمية الساكنة أقول:

ينادي الله في يوم القيامة	نداءً - في ثنياه - السلامة
ألا أين الأماجدُ من تحابوا	وكان الحب - في المولى - علامة؟
فكلُّ جاد بالحب احتساباً	وكانت - للمحبين - الإمامه
على التقوى التقوا ، وبلا رياءٍ	وجاوز حبيبهم - صدقاً - تمامه
وما ضنوا بعارفةٍ على من	أثمهم يشتمكي ألم السامة
لذلك خصهم ربّي بوصفٍ	قد انتظم الشرافة والكرامة
وهل كالحب - في الله - اتصافٌ	يقلدُ من يفوز به الشهامة؟
ويجعلُ أهله - في الخلد - فضلاً	فنعيم المكث فيها والإقامة!
لذا فرحوا ، وأعيُنهم تعزّت	بدمع سال في ساح القيامة
فقد نالوا الرضا بين البرايا	بفضل الله ، ثمّ بالاستقامة
وما فعلوه جيئ به مُزكى	فبذل النفس جاء ، والابتسامه
لذا افتخروا بما صنعوه قريبي	وما عرفوا الشقاء ، ولا الندامة
ونودي بالخلود بخير دار	وهل دارٌ تلي دار المقامة؟

المال أعلى من ابنته!

(في ص 64) من (حدث في المحكمة) لسلمان العمري قصة عجيبة. إنها قصة ابنة الأربعين التي هاتفت القاضي تقول: إني أكلمك من غرفة مغلقة ، وقد تقاطر الخطاب وبلغت سن الأربعين ، وكان أبي يردهم لأنني موظفة ، ويرفض نهائياً أن أتزوج واحداً منهم ، لأن راتبي كبير ويخشى من فقده ، برغم أنني أقول له: إن راتبي لك وحدك دون غيرك. وإن كل ما أكسبه سيكون لك ، ولكن اتق الله في ولا تدعني أحرم من الذرية ، فيصر أبي هداه الله على منع الخطاب. سيدي القاضي ، لا أريد أحداً أن يعلم أنني تحدثت إليك في هذه المشكلة ، ولا أستطيع أن أكرّر مهافتك أو أتحدث مع غيرك ، فيداي ترتجفان على الهاتف خوفاً من أن يسمع أحد كلامي فيبلغ به أبي ، فيوسعي ضرباً بالسياط وتوبيخاً وتقريعاً وتبكيئاً بالكلمات. وأسأل هل يجوز لي أن أدعو على والدي بالموت؟ وهل يجوز لي أن أطلب من الله عز وجل أن ينصفني من ظلمه في الآخرة؟ فإني أعلم أن خصومتنا في الدنيا غير ممكنة ، لأنني من أسرة راقية ، ولأنني أعيش في مجتمع يقل فيه ويندر ظلم الآباء ، ويحز في نفسي أن يُعير بي أبي ، وقديماً قالوا: كل فتاة بأبيها مُعجبة. هكذا سألت أو نحواً منه بعد اختيار كلامها وزخرفته وتزيينه. قلت: إن الصبر هو من أعظم ما ينفعك الله به ، وعليك بالدعاء والتضرع في السجود بأن يهدي الله أباك ، وعليك بأن تسلطي على أبيك عقلاء قومك وعاقلاته ، بطرق مؤدبة ، فقالت: قد فعلت كل شيء ، ولم أفجح. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، اصبري واحتسبي وإلى الله المشتكى. أما لهذه الصارخة من مغيث؟! أم أنها ستبقى هكذا تعاني؟! ولنطالع قصة السائلة مع المنجد وابن عثيمين! السؤال: أنا معلمة سني 31 سنة أعمل بالتربية والتعليم منذ أول 1996 وفي آخر 1997 تقدم لي في المدرسة زميل ، ولكن أبي رفض رغم موافقة والدي ، وكذلك رفض العديد من المتقدمين خلال هذه الفترة ، والسبب أنه بعد العمل بالجامعة سيأتي من هم أفضل من هؤلاء (من المهن التي رفضت مهندس ، وغيرها). وفي عام 2002 تم تعيني بالجامعة كمعيدة ، وتقدم آخرون ، ولكن كان الرفض أيضاً لأسباب مختلفة ، ومنذ 2003 حتى الآن آخر 2006 لم يتقدم أحد سوى هذا الشخص الذي مازال متمسكاً بالزواج مني ، وأنا أرغب في الزواج منه ، وهو جاد في هذا ، وأنا لا أرى طموحي في العمل بل في تكوين أسرة. والسؤال: - هل يحق لي تزويج نفسي به بدون علم الولي؟ فكان من الجواب أن قال الشيخ ابن عثيمين: (إذا منع الولي تزويج امرأة بخاطب كفاء في دينه وخلقه فإن الولاية تنتقل إلى من بعده من الأقرباء العصبية الأولى فالأولى ، فإن أبوا أن يزوجوا كما هو الغالب ، فإن الولاية تنتقل إلى الحاكم الشرعي ، ويزوج المرأة الحاكم الشرعي ، ويجب عليه إن وصلت القضية إليه ، وعلم أن أولياءها قد امتنعوا عن تزويجها ، أن يزوجها ، لأن له ولاية عامة ، ما دامت لم تحصل الولاية الخاصة. وقد ذكر الفقهاء أن الولي إذا تكرر رده للخاطب الكفاء فإنه بذلك يكون فاسقاً وتسقط عدالته وولايته ، بل إنه على المشهور من مذهب الإمام أحمد تسقط حتى إمامته ، فلا يصح أن يكون إماماً في صلاة الجماعة ، وهذا أمر خطير! وبعض الناس يرد الخطاب الذين يتقدمون إلى من ولاه الله عليهن ، وهم أكفاء. ولكن قد تستحي البنات من التقدم إلى القاضي لطلب النزويج ، وهذا أمر واقع ، لكن عليها أن تقارن بين المصالح والمفاسد ، أيهما أشد مفسدة: أن تبقى بلا زوج ، وأن يتحكم فيها هذا الولي على مزاجه وهواه ، فإن كبرت وبرد طلبها للنكاح زوجها ، أو أن تتقدم

إلى القاضي بطلب التزويج ، مع أن ذلك حق شرعي لها. لا شك أن البديل الثاني أولى ، وهو أن تتقدم إلى القاضي بطلب التزويج لأنها يحق لها ذلك ؛ ولأن في تقدمها للقاضي وتزويج القاضي إياها مصلحة لغيرها ، فإن غيرها سوف يقدم كما أقدمت ، ولأن في تقدمها إلى القاضي ردعاً لهؤلاء الظلمة الذين يظلمون من ولاهم الله عليهم لمنعهن من تزويج الأكفاء. أي أن في ذلك ثلاث مصالح: * مصلحة للمرأة حتى لا تبقى بلا زواج. * مصلحة لغيرها إذ تفتح الباب لنساء ينتظرن من يتقدم وقد منع هؤلاء الأولياء الظلمة الذين يتحكمون في بناتهم أو فيمن ولاهم الله عليهم من نساء. وفيه أيضاً مصلحة إقامة أمر الرسول - عليه السلام - حيث قال: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير". انتهى ، نقلًا عن فتاوى إسلامية).

بسعي الأبوة الشّمّ تقضى المصالحُ
وتنتصرُ الأخلاقُ في عُقر دارها
ولا شيء بعد الدين أسمى مكانة
نعيشُ لهذا الدين ، تلك حقيقة
ونحيا نصوصَ العِرضِ والمالِ بعده
وما قيمة الأموال آلت بعرضنا
وإن الصبايا - في الديار - أمانة
وبيعُ الولايا للذي رام خطبة
وكيف تباعُ البنثُ فينا كسيلةٍ
وهل - بعد سن الأربعين - أنوثة؟
وما شأنها إن شاخ فيها جمالها
فيا قومنا الأعراضُ ليست تجارة
وأبكارنا أمسين فينا عوانساً
وشوقُ الأيامي - للبعول - مُوجج
وتمحى الخطايا ، ثم تشفى الجرائحُ
وتنقشُ البلوى ، وتصفو الجوانح
من العِرضِ مهما أذهلنا الأراجح
وإن ناله وبُشْ ، طفقتنا نفافح
وهذا لدينا منهجُ الشرع واضح
وإن رفرفت دورٌ ، ودَفَت مَفارح؟
لهن حقوقٌ أوجبَتْ ومصالح
بلاءٌ مُبِيرٌ تزدريه المطامح
وأوصافها تُهدى ، وتزجى الملامح؟
وهل بعد هذي السن تُتلى المدائح؟
ليزهد فيها حاضرٌ ، بل ونازح؟
شكى ظلمكم خدرٌ ، وضجتُ وشائح!
وآباؤهن الصَّيْدُ هاهم جوارح
فما حيلة العذراء والشوقُ بارح؟

بين متعلم ومتعلم

(لا شئ في الدنيا أحقر من التعالم ، لأنه يعتبر لوناً من ألوان الجهل المركب الذي لا تستسيغه النفس ، إلا إن كانت نفساً مدساة مفلسة لا تحمل قيماً ولا تعيش من أجل هدف سام. وكم عانى المصلحون ودعاة الأخلاق والمبادئ من المتعلمين الذين يدعون العلم والفقهاء ، والله يشهد إنهم لكاذبون. والحقيقة أن مثل هذا الصنف من الناس يجعلهم التعالم أجهل من الدواب ، حيث لا توجد عندهم مرجعيات يمكن الرجوع إليها عند التنازع والخلاف. إنها الأهواء فقط ، وأنى لنا أن نجادل قوماً كل بضاعتهم الأهواء والآراء؟ ومن هنا وجب على العلماء والفقهاء أن يتحلوا بالصبر والحلم وهم يجادلون الجهلاء المتعلمين الذين لا يفقهون شيئاً يصلح لأن يكون منطلقاً لبدء حوار مثمر. وفي مقالة عنوانها: (يا بني) تقول الأستاذة مها الجريس) ما نصه: ("يا بني ، لو أعلم أنّ الماء البارد ينقص من مروعتي ما شربت إلا ماءً حاراً". بهذه الكلمات كان الشافعي - رحمه الله - يوصي أحد تلاميذه. لقد اهتدى الإنسان الجاهلي بفطرته التي فطره الله عليها إلى كثير من الأخلاق الحميدة التي أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الإسلام جاء متمماً لما نقص منها أو شوهته العقائد الفاسدة في قوله: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق". ومما لا شك فيه أنّ المدنية المعاصرة والانفتاح الحضاري قد أدى إلى إقصاء الكثير من الأمور الحسنة والسلوكيات الجميلة ، والتي كانت تزين المجتمع المسلم إلى وقت قريب. وغض الطرف ضرب من الأخلاق الحميدة التي عرفها الجاهليون ، فتأبى نفوسهم الكثير ممّا قد يخرمها أو ينقص منها ، فبها كان الجاهلي يغض طرفه عن نساء الغير، من قبل أن ينتشر نور الإسلام في البسيطة ، فهذا عنتر بن شداد يقول:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتى حتى يُوارى جارتى مثواها
إنى امرؤ سَمَح الخليفة ماجدٌ لا أتبع النفس اللجوج هواها

وبما يمتنع عن ممارسة السفهاء وظلم الضعيف ، بل وشرب الخمر التي كان البعض منهم يعدها كرامة ورجولة ، وإذا كان هذا شأن الجاهلي الذي لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ، فكيف الشأن بمسلم يعلم أنّ أثقل شيء في الميزان حسن الخلق؟! وقد كان السلف يعدون المروعة شرطاً في العدالة المطلوبة لحمل الحديث وقبول الرواية. وهي ممّا يمكن أن نسميه اليوم باحترام الذوق العام والعادات الاجتماعية التي لا تتنافى مع شرع الله ، والبعد عن كل مستهجن للطباع السليمة وإن لم يكن محرماً. وهذا وإن كان أمراً يختلف باختلاف الزمان والمكان ؛ إلا أنه يبقى منه قدر لا جدال فيه ولا تنازل عنه ، قد أجمعت عليه العقول السليمة والفطر المستقيمة ، وهو ما أعنيه في حديثي هذا ونرى حوارمه ، بل ومسقطاته ، تزداد بتعاقب الأيام ، ولست أدري كم من التصرفات الشائعة اليوم يمكن أن يصنف في حوارم المروعة! إنّ كثيراً من النكات السمجة والطرائف المتداولة تأبأها المروعة ويمجها الذوق السليم ، وإن كانت حقاً لا كذب فيه ، وأقل ما فيها أنّها من سقط الكلام الذي يذهب المروعة ، كما قال عمر رضي الله عنه: "من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قلّت مروعته". واليوم تمتلئ الهواتف النقالة ومواقع الشبكة العالمية والسلوكيات اليومية المشاهدة بما تنن منه المروعة ويندي له جبينها ، فهل يكون الجاهلي من ذوي المروعات أسلم ذوقاً وأوفر

مروعة من بعض مسلمي اليوم؟ لنأنا بأنفسنا عمّا لا يليق بمسلم تنتظر منه الأمة الكثير).هـ. والكثير. وكنث قد ابتليت بمتعالم أفقدي الجدالّ معه كل درجات التصبر والتحمل ، فأخذت ألوم نفسي على سلوكي هذا ، وقلت لنفسي: لقد كنت أولى أن أجنب نفسي هذا البلاء والعنت والعذاب ، وكان الأحرى ترك محاوره أي سفيه متعالم ليس يريد أن يصل إلى الحق ، بل كل الذي يطمح إليه هو الجدال من أجل الجدال. ومن هنا كانت هذه القصيدة ترجمة لشعوري الذي تولد عن محاوره السفيه لتعيد النصيحة التي ضمنها قصيدتي: (نسيم الشوق) عندما أنشدت فقلت موصياً بأمرين معاً!:

ترفع عن مجالسة السفيهه وغض الطرف عن حُسن الصبايا

وأملت الوصية بالكف عن مجادلة السفيه! ذلك أنه لا ينطلق من ثوابت أو قواعد من خلالها يتوصل إلى قناعات ونتائج طيبة! وإنما هو اعتاد على التخبط في أمور يهرف فيها بما لا يعرف!

أيها الصائل بالرأي الأفين	زائل الأضغان والحقد الدفين
لم تزل بالكيّد تغتال الهدى	مُشهوراً سيف الأذى في كل حين
قانعاً بالجهل والسواى معاً	ساخراً من كل علم مُستبين
مؤثراً حُمقك ، لا تلوي على	مبدأ الذكرى وصولاً لليقين
مُعجباً بالرأي أملاه الهوى	مُهدراً علم التقاة الأولين
أنت لم تقرأ كتاباً خطه	عالم - بالشرع - نحريراً أمين
أنت لم تدرس ، لماذا تدعي؟	ثم هل تغني - عن العلم - الظنون؟
أنت لم تفقه ، ولما تلتمس	بين خلق الله من علم رصين
أنت بالتشكيك كم كنت الأذى	ناشراً في الدرب ألوان المنون!
كم بجهل منك ردت حجة	ساقها للخيب مقدام رزين!
كم بطيش منك نيلت سُمة	وبزورٍ قلت كم دُكت حصون!
كم نثرت الشوك تسقيه الدما!	غارساً - في الساح - أصناف الفتون
لابساً ثوب التسامي للعلا	ناسياً خلقك من ماء مهين
فاهجر الكبر ، وكن مسترشداً	فاز من الله ربي يسكتين

أردتُ زِيداً ، وأرد الله عَمراً

(تعاقبت هذه المعلمة مع مدرسة حتى تدرس فيها تخصصها (الرياضيات) ، فإذا بالمديرة ترغّمها على تدريس (مادة التربية الإسلامية) أو تلغي عقدها. فقبلت على مضض. فكانت حصتها الأولى عن الحجاب ، بينما هي متبرجة تبرجاً يُزري بها كإنسانة مرة ، ويُزري بها كمعلمة مربية للتربية الإسلامية ألف مرة. وقامت بالتدريس بكل روتينية من عرض ومناقشة للأفكار وأسئلة وتقويم ونحوه. وكان أن توجهت تعليقات فريق من الطالبات لها مباشرة مجملة في فكرة واحدة مضمونها: (أين أنت يا معلمتنا من الحجاب والحشمة والوقار؟) وفريق آخر من الطالبات يسأل: (وهل الحجاب مطلوب منا نحن بوصفنا طالبات مسلمات وليس مطلوباً منك بوصفك معلمة مسلمة؟) مما كان سبباً في إحراج المعلمة جداً ، وجعلها تشعر بالفصام النكد الذي عاشته عقدين ونصفاً من عمرها وهي لا تشعر به. فكانت نقلة بعيدة لها يوم قررت إثناء جلوبابها واتباع سنة نبيها في الحجاب ابتداء. وبعد ذلك راحت تبحث عن الحق ، وتلتمس الطريق إلى الهداية ، وتعمل فكرها في النصوص ، وتطالع الكتب ، وتعترف لنفسها أنها كانت تعيش في جاهلية ، المسافة بينها وبين الإسلام تزيد كثيراً عن المسافة بين المشرق والمغرب. وراحت تقول: صدقت العرب: (رب ضارة نافعة!) وعلمت علم اليقين أن الذي يختاره الله لنا أفضل من الذي نختاره نحن لأنفسنا. وأيقنت كذلك أنها أرادت زيداً ، وأراد الله عمراً على حد تعبير العرب في مثلهم المأثور. فلقد قصدت إلى هذه المدرسة لتدرّس الرياضيات ، تلك المادة التي تجيدها بحكم التخصص والدراسة ، فإذا بالمديرة ترغّمها إرغاماً على تدريس التربية الإسلامية ، ليتم مراد الله من انتفاع هذه المعلمة بعلم الشريعة الذي كان الباب إليه (الحجاب). وذلك لتتطلق منه فيما بعد لجميع القضايا. فله الفضل والمِنَّة ، وله الحمد والشكر والثناء الجميل الحسن. إن خير ما انتفعت به هذه المعلمة هو الإنابة إلى الله والهداية إلى الصراط المستقيم! قال الله - تعالى -: (وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مَن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ). والعبد يقول: لو أن الله هداني ويكتفي بهذا ، بل يجب أن يأخذ بالأسباب الجالبة للهداية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى): (وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس ، فإن ذلك يحصل للحيوانات العجم ، فإن الحمار والجمال يميّز بين الشعير والتراب ، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده... ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضرار في المعاش والمعاد ، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منّة عليهم أن أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبين لهم الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالاً منها ، فَمَنْ قَبِلَ رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردّها وخرج عنها فهو من شر البرية ، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم - ثم ذَكَرَ حديث أبي موسى في قوله صلى الله عليه وسلم: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم - فقال: فالحمد لله الذي أرسل إلينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آيات الله ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين ، وقال اهل الجنة: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ). هـ. وقال ابن القيم: (إن لم

يَصْرِفُ عَنْهُ الْمَوَانِعَ وَالصَّوَارِفَ الَّتِي تَمْنَعُ مَوْجِبَ الْهِدَايَةِ وَتَصْرِفُهَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْهِدَايَةِ وَلَمْ يَتَمَّ مَقْصُودُهَا لَهُ ، فَإِنَّ الْحُكْمَ لَا يَكْفِي فِيهِ وَجُودُ مَقْتَضِيهِ بَلْ لَا يَدُومُ ذَلِكَ مِنْ عَدَمِ مَانِعِهِ وَمَنَافِيهِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ وَسَاوِسَ الْعَبْدِ وَخَوَاطِرَهُ وَشَهْوَاتِ الْعِيِّ فِي قَلْبِهِ كُلِّهَا مَانِعٌ وَصَوْلٌ أَثَرَ الْهِدَايَةِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ لَمْ يَصْرِفُهَا اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَهْتَدِ هَدًى تَامًا ، فَحَاجَاتِهِ إِلَى هِدَايَةِ اللَّهِ لَهُ مَقْرُونَةٌ بِأَنْفَاسِهِ وَهِيَ أَعْظَمُ حَاجَةٌ لِلْعَبْدِ). هـ. وَانْفَتَحَتْ هَذِهِ الْمَعْلَمَةُ فِيمَا بَعْدَ عَلَى عُلُومِ الشَّرِيعَةِ الْمَخْتَلِفَةِ ، لِلْحَدِّ الَّذِي تَنَازَرُ فِيهِ وَتَدْعُو وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَدَرَسَتْ إِسْلَامَهَا وَاتَّبَعَتْ مَا فِيهِ ، وَبَكَتْ وَخَشَعَتْ ، وَأَنَابَتْ إِلَى رَبِّهَا ، وَانْتَحَبَتْ وَحَزَنْتْ عَلَى مَا فَرَطَتْ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، فَكَانَتْ فَاتِحَةً خَيْرٍ. فَرَحْتُ أَتَخِيلُهَا تَوْلِدَ مِنْ جَدِيدٍ ، وَهِيَ تَحْكِي لَنَا قِصَّتَهَا مَعَ الْإِسْلَامِ ، فَأَنْشَدْتُ حِكَايَةَ عَلَى لِسَانِهَا أَقُولُ:

لَمَّا دَرَسْتُ سَبَابِي الشَّرْعَ وَالْأَدَبَ	وَالشَّرْعَ أَثْمَنُ مَا يُرْجَى وَيُطْلَبُ
قَرَأْتُ مُشْتَاقَةً لَمَّا أَطَالَعُهُ	فَنَاقَلْتَنِي هُدًى مَا تَحْتَوِي الْكُتُبُ
قَرَأْتُ أَرْجُو - مِنْ الْمَوْلَى - هِدَايَتَهُ	حَتَّى تَزُولَ بِهَا الشُّكُوكُ وَالرَّيْبُ
قَرَأْتُ أَبْحَثُ عَمَّا كُنْتُ أَنْشُدُهُ	وَصَدَّنِي عَنْهُ مَا قَدْ عَشْتُ أُرْتَكِبُ
قَرَأْتُ أَطْلُبُ - فِي الظُّلْمَاءِ - رَبِّ هَدَى	يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ مَنْ أَوْدَى بِهَا التَّبِيبُ
قَرَأْتُ أَلْتَمِسُ الْأَنْوَارَ فِي شَغْفٍ	وَلِي فَوَادِّ حَرِيصٍ مُشْفِقٍ حَادِبِ
قَرَأْتُ أَسْعَى - إِلَى الْخَيْرَاتِ - عَازِمَةً	عَلَى الْقِيَامِ بِتَنْفِيذِ الَّذِي يَجِبُ
قَرَأْتُ يُسَعِّفُنِي اشْتِيَاقُ ذَاكِرْتِي	لَمَّا أَعْيَانُ ، نَعَمَ الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ!
كَأَنَّي لَمْ أَطَالِعْ آيَةَ أَبَدًا	أَوْ أَنَّنِي لَمْ - أَكُنْ لِلسَّلَامِ - أَنْتَسِبُ
أَسِيرَةٌ كُنْتُ - لِلْأَهْوَاءِ - أَحْشَقُهَا	وَعَشْتُ دَهْرًا - إِلَى التَّغْرِيبِ - أَنْجَذُبُ
وَعَشْتُ أَسْعَى وَرَاءَ الْوَهْمِ طَائِعَةً	حَتَّى كَوَانِي الْأَسَى وَعَضَّنِي النَّصَبُ
وَكَمْ بَحَثْتُ عَنْ الْأَوْزَارِ دُونَ حَيَا	حَتَّى احْتَوَانِي الضَّنَا ، وَهَزَّنِي الْوَدْبُ!
وَكَمْ بَدَلْتُ - إِلَى الْآثَامِ - مِنْ سَبَبِ	وَلَمْ يَخْنِي إِلَيَّ مَا أَشْتَهِي سَبَبُ!
وَكَمْ مَدَدْتُ يَدِي لِكُلِّ فَاحِشَةٍ	وَلِلشَّيَاطِينِ كَمَا نَصَرْتُ وَالْغَلْبُ!
وَكَمْ صَحَبْتُ إِلَى - الذُّنُوبِ - شَرْدَمَةً	مِنْ الصَّعَالِيكِ بِئْسَ الرَّبِيعُ وَالْعُصْبُ!

حتى اعتراني البلاءُ المُرّ والنوب!
والأم ماتت ، وعني غاب - قبل - أب
ولم يكن زاجراً ديناً ولا أدب
ولم يزر خاطري خوفاً ولا رهب
سحائب القهر ، والتضليل والتعب
لذا أغصّ بالآمي ، وأضطرب
وكان (عمرو) نصيبي ، حبذا القرب!
كان أحرفه الأسياف واليلب
وجدثني - بدموع العين - أختضب
قد خطها جهبذ - في الله - محتسب
من بعد أن كنت - عن ضياه - أحتجب
أنا التي كنت هذا الذكر أجتنب!
وسرّ عقلي بها ، والعرق والعصب
وفي البصيرة دبّ النور واللبيب
من بعد أن رحل التليس والكذب
منها تعجبت حتى لامني العجب
تبكي على حالها دوماً ، وتحتسب
أن المليك سيجزي من له قُرب
إن المثوية نعم القصد والطلب!

وكم سلكت - إلى الضياع - من سبل
وما احترمت قراباتي وعائلتي
وما ارتدعت بعرف من قبيلتنا
شريدة كنت في بيداء كارثتي
حتى قرأت كتاب الله ، فانقشعت
أحسست أني - عن التقوى - مغيبة
أردت (زيداً) بتخطيطي وتجربتي
وانصعت للأمر في ذل وفي كدر
ورغم أني أطعت الناس مذعنة
وهز قلبي - من الأعماق - موعظة
ونور الوحي إحساسي وعاطفتي
وبيض الوجه ترتيل صدحت به
واستعذبت عزمتي آيات خالقها
واستقرأت همتي ما كان ينقصها
والصدق جمل ما أحياه من منح
واستبشرت بالتقى لتوها أمة
واستقبلت أمرها نفساً مُعذبة
واستكثرت من فعال الخير موقنة
وأعلنت من جميع الإثم توبتها

جزاءً وفاقاً

(غضب ذلك الشقي بيت الأيتام أبناء أخيه وبناته. وحاولوا مراراً إرجاع البيت رغم الأدلة والقرائن والبراهين والأوراق الثبوتية ، ولا فائدة. فاحتاروا في أمر ذلك العم الظالم السارق ، حيث إنه دلس عقوداً على أبيهم ، وأحضر شهوداً كان قد دفع لهم. وثارت ثائرتهم: هل يقتلونه ليُريحوا الأرض منه؟ وهنا جاء دور الأم بالعدول عن هذه الفكرة نهائياً. وأخيراً تحاكموا إلى أحد علماء دمشق الكبار ، فأرسل العالم في طلب ذلك الشقي ليحاوره وليستمع منه فأبى. فذهب الشيخ إليه ، فلم يذعن ، ولم يعترف ، ولم يرجع البيت. فقال الشيخ واعظاً: ارجع عن غيك ورد البيت للأيتام وإلا دعوا عليك دعوة مظلوم. ولا فائدة. ومرت فقط اثنا عشر ساعة ، وإذا برصاصة طائشة في الشارع تخترق إحدى النوافذ ، وتستقر في أول فقرة علوية من عموده الفقري فشلت في الحال. وكانت آية عظيمة جليلة من آيات الله – عز وجل – في الانتصار للمظلوم. ويزيد الآية تأثيراً في نفس سامعها إن قرئت عليه أو تاليها إن قرأها بنفسه أن تسجل القضية بعد التحقيقات ضد مجهول! إذ لم يعلم أحد قام بالجريمة على وجه التحديد. فكان هذا جزءاً يوافق ما قام به المجني عليه من غضب بيت الأيتام ليعود إليهم بيتهم ، وليدفع الظالم ثمن ظلمه وعاقبة تجاوزه لحدود الله – تعالى –. والأيتام الذين كان ينبغي أن يحسن إليهم ، ويكون لهم أباً بعد أبيهم ، ويعمل بوصية الله فيهم فلا يقهرهم. مما جعلني أنفعل لهذه القصة المأساوية التي كثيراً ما حكاها الدكتور محمد راتب النابلسي في محاضراته القيّمة: (أسماء الله الحسنى)! فأنشدت هذه القصيدة بعد تأثري البالغ بها وبأحداثها. والحقيقة أنه لا يحس بالمظلومين إلا من عضه القهْرُ والغبنُ والظلم بأنيابه القاسية!)

واعتباراً لكل ذي عصيان
جندلوا من فظاعة العدوان
كى يتوب من صولة الطغيان
فاستفاق من سكرة العصيان
غيبتهم - عن الرشاد - الأماني
عن ذويه على مدى الأزمان
بل يئن الصدوق ، ثم يعاني
هادئ النفس ، مستريح الجنان
كيف طاشت مثاقيل الميزان؟

ذاك درس لكل ذي إيمان
وانتصاراً من المليك لقوم
تلك ذكرى لمن يجور ويطغى
ربما لاقت عند عاص صداها
أو أزاقت - عن الدنيا - أناساً
أو أعادت حقاً سليباً تناءى
فى زمان لمّا يعد فيه صدق
والكذوب المُحتال يختال تيهماً
كم يحار اللبيب من مثل هذا!

واستسـيغثُ في السر والإعلان؟
نصـع الإثبات والبرهان؟
جاءداً للمعروف والإحسان؟
مُشـهراً سيف الغش والبُهتان
مُسـتعيناً بسـيئ الأعدوان
بـاع بيتاً بأبـهظ الأثمان
والشـهودُ يـذلون بالأيمان
مُسـتهيناً بخرمة القرآن
لا يـبالي بـاللـعن والنيران
ثم تزجـي الدعاء للرحمن
والقلـوبُ تضيق بالأضغان
سـوف يُردى مـرارة الشنان
انفضوا عنكم زخرف الشيطان
لا تُثـيقوه نـقمة الشبان
فالمصـيرُ حتماً إلى خسـران
فـاقلـبوا حُكم الواحدِ الـديان
إن هـذا يُفضي إلى السلوان
ثم جـاء القصاصُ بعد ثوان
ليس - من كيد العدل - أيّ أمان!

كيف أمست هذه المعايير هدياً
كيف لاقت - بين البرايا - رواجاً
كيف صار الأخ الشقيق عدواً
غاصباً بيت اليتامى احتيالاً
مُهدِراً - بالتدليس عمداً - حقوقاً
مُقسماً للأيتام أن أباهم
والعقودُ نصوصُها لا تحابي
ثم ألقى يمينه دون خوفٍ
واليتامى تعجبوا من جرىء
خرجوا ، والأكبـادُ تطفحُ غيظاً
والنفوسُ - فيها على العم - نارٌ
وارتأوا قتل العم أنجع حلٌ
لكن الأم ناصحتهم ، وقالت:
إن هذا العم الظالم أبوكم
إن يكن قد خان الأمانة جهراً
سوف يقضي - بين الخصوم - مليكٌ
إيه يا أم قد عدلتِ ، وربى
واستجاب الأبناء بعد التلاحي
خصّه الجبارُ القويُّ بمكر

تَزَوُّجٌ لِيَتُوبَ اللهُ عَلَيْكَ

(اعتاد هذا الشاب على مغازلة الفتيات. وأدمن ذلك الأمر حتى لم تسلم منه أي امرأة عرفها ولو كانت عجوزاً. وبينما هو يغازل النساء إذا بامرأة مؤمنة موحدة شابة متزوجة غنية ، تعرض عليه أن يتزوج حتى يُعفه الله ويتوب عليه. فاشتكى إليها فقره وحاجته وعوزه. فوعده بالمال الذي يريد ابتغاء وجه الله. وصدقت وعدها معه. وتزوج فمزال يدعو لها ويُقدِّرها ويُطريها ويمتدحها في أي مجلس يجلس فيه. فتخيلته يحكي لنا رحلته من الظلمات إلى النور ، من الجاهلية إلى الإسلام ، من المغازلة والتهتك والمُجون إلى الهداية والاستقامة على منهج الله تعالى. لقد قسم ابن القيم رحمه الله الهداية إلى الحق إلى أربع مراتب: * المرتبة الأولى: الهداية العامة ، وهي هداية كل مخلوق من الحيوان والادمي لمصالحه التي بها قام أمره. قال تعالى: (سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى). فذكر أموراً أربعة: الخلق والتسوية والتقدير والهداية ، فسوى خلقه وأتقنه وأحكمه ثم قدر له أسباب مصالحه في معاشه وتقلباته وتصرفاته وهاداه إليها والهداية تعليم ، فذكر أنه الذي خلق وعلم ، كما ذكر نظير ذلك في أول سورة أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقال تعالى حكاية عن عدوه فرعون أنه قال لموسى: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى). وهذه المرتبة أسبق مراتب الهداية وأعظمها. وهذه المرتبة هي التي قال الله فيها (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ). * المرتبة الثانية: هداية البيان والدلالة التي أقام بها حجته على عباده ، وهذه لا تستلزم الاهتداء التام. قال تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). يعني بيانا لهم ودلائلناهم وعرفناهم ، فاتروا الضلالة والعمى. وقال تعالى: (وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاكِينِهِمْ وَرِئِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ). * المرتبة الثالثة: وهذه المرتبة أخص من الأولى وأعم من الثانية ، وهي هدى التوفيق والإلهام. قال الله تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فَعَمَّ بالدعوة خلقه ، وخص بالهداية من شاء منهم . قال تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَى إِلَيْهِ تَمَرَاتٌ كُلَّ شَيْءٍ) مع قوله: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). فاثبت هداية الدعوة والبيان ، ونفي هداية التوفيق والإلهام ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في تشهد الحاجة: من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وقال تعالى: (إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ). أي من يضلله الله لا يهتدي أبداً ، وهذه الهداية الثالثة هي الهداية الموجبة المستلزمة للاهتداء ، وأما الثانية فشرط لا موجب ، فلا يستحيل تخلف الهدى عنها بخلاف الثالثة ، فإن تخلف الهدى عنها مستحيل.

* المرتبة الرابعة: الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة والنار. قال الله تعالى: (أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ). وأما قول أهل الجنة: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ). فيحتمل أن يكونوا أرادوا الهداية إلى طريق الجنة ، وأن يكونوا أرادوا الهداية في الدنيا التي أوصلتهم إلى دار النعيم ، ولو قيل: إن كلا الأمرين مراد لهم ، وأنهم حمدوا الله على هدايته لهم في الدنيا ، وهدايتهم إلى طريق الجنة كان أحسن وأبلغ. انتهى كلامه رحمه الله. وقد قال الله تعالى: (قل إن الهدى هدى الله).

والهداية أقرب للعبد من شراك نعاه والضلالة مثل ذلك! والهداية إلى الله تعالى يُعرّفها ابن القيم بقوله: هي معرفة الحق والعمل به. فهنيئاً لهذا الشاب زواجه وهدايته واستقامته! تخيلته يُزجي نصيحته لكل من هو في مكانه قبل توبته مبيئاً الفوارق الكبيرة بين ما كان فيه وما آل إليه فقلت).

عشقت - في قريني - الكواعب الغيدا
وانقدت للحسن في سر وفي علن
ولا أغازل إلا كل فاتنة
ولا أبالي بتقوى أي مؤمنة
أهوى ذوات الجمال الغضّ منتحراً
مستعدباً ما تنال النفس من مُتع
وأوغل العمر في أحوال خيبته
والصحب إما فريق يُستضاء به
أو الأردال - في أهوائهم - حُبسوا
أما التقاة فأصحاب لهم رشداً
لا يرعون لإغواء يسر بلهم
وينصحن لمن يرجون نصيحتهم
هم النجاة ، فلا الأخطار تسلبهم
أما الهلاقيت فالسواى بضاعتهم
لا يشعرون بزوال يداهم
ولا يحركهم عُرف ولا قسيم
أخطأت إذ خلتهم يوماً ذوي نُبل
أعطيتهم ثقتي ، لكنهم طعنوا
حتى أحب الفؤاد الخرد الخودا
أجدد العهد - للغادات - تجديدا
قوامها ينثني تيهماً وتمليدا
لأنني بت - في اللذات - مصفودا
في دربه ، إذ سبى الجمال عريدا
وغازل القلب غادات أماليدا
والمرء لاقى - من الأوغاد - تأييدا
في ظلمة العيش إما كان منكودا
وبين كل الورى صاروا رعاديذا
يُسدد المرء - فوق الدرب - تسديدا
وكيف يُغوي الهوى شتماً أجاويدا؟
وكم يُجل الورى الأشاوس الصيدا!
عزاً يُغرّد - في الأفاق - تغريدا
والناس تمقت أجلافاً مناكيذا
كأنهم أصابحوا فينا جلاميذا
فهل غدوا ياترى في دارنا هودا؟
وجمعهم ليس - في العباد - معدودا
كرامتي ، ثم زاد الحال تعقيدا

عقل ، وهَدَدني الأوباشُ تهديدا
فصرتُ - في عالم الأحياء - موؤودا
وأحتسي الذلَّ والإرجاسَ مكدودا
وباطلي ليس - في الأصقاع - محدودا
مَن تبذل النصحَ ترغيباً وترشيذا
أي الثريّات أمسى طبعُها الجودا؟
وفندت عيشتي الرعناء تفنيدا
وجنبتني - على الدرب - الأخاديد
وضمّدت ما كوت - بالرفق - تضميدا
نحو الشفاء ، ولم يتركه مجهودا
إذ قعدت نصحها في التو تعويدا
وبعدُ جردتُ - ما في النفس - تجريدا
فلم يكن طلبُ قالتها مَردودا
لظالمها غازل النواهد الغيدا
لأجل حسناء تنسي القبرَ والدودا
وذكُرُ مَن بذلت أضحي له عيدا
وقد أعد لها تقوى وتوحيدا
أو أن أمأله ألقته مولودا
ودمع عين بكى الليالي السودا

فَعشيت ألَهتُ - خلفَ المُغريات - بلا
فهل جُننتُ؟ أم الإفلاسُ دمّرني؟
أصادقُ الهزلَ مسروراً بصحبته
وأرتضي الباطلَ المرذولَ عن رغب
حتى أتتني التي جلت مناقبُها
ذاتُ التقى والثرا ، والجودُ ديدنها
مَن ناولتني من الأخلاق زبديتها
وأرشدتني إلى درب الألى سعدوا
وأخلصتُ وعظها ، تكوي الجراحَ به
مثل الطيب سعى بمن يُطيبه
ولم أجادل ، ولم أرفض مشورتها
صارحتُها عندما واجهتُ مُعتذراً
ملياً كل ما قالتها من طلب
وغيّرتُ - بعطاهها - عيشَ من تكس
فبات يحقير مَن تُشقيه شهوته
وأصبح الوبشُ ذا زوج وعائلة!
وتاب توبة من يرجو النجاة غداً
كأن توبته ذكري ولا دتة
يارب فاغفر له ، وارحمْ تذللته

القصر المهجور

(جادت (قمر) على قصر تشتهي سكناه وحدها بعد زواج أبنائها وبناتها جميعاً. حيث إنها بعد موت زوجها أثرت ألا تتزوج. وكانت ثرية لا تخشى الفقر ، ومعطاة متصدقة ، فزاد مالها وتكاثر تكاثر الدود (ذلك أن المال لا ينقص بالصدقات أبداً ، بل يزيد). ومن هنا أنفقت على قصرها الملايين منتدبة له الصناع المهرة والحرفيين الحاذقين من كل بلد ، وفي كل فن من فنون العمارة والزخرفة والتأنق! وأغدقت عليهم ليحسنوا بناء القصر والتأنق فيه وإتقان عمارته وزخرفته ليضاهي قصور الملوك والكبراء وعلية القوم. وقد كان لها ما طلبت بمرور الأيام. ولما تم بناء القصر على الصورة التي أرادت ، وبات القصر آية في المعمار والزخرفة والأبهة ، وقبيل عيد الفطر بيوم ماتت هذه المحسنة المتصدقة الصالحة ، تلك التي لا نزيها على الله تعالى. فرحبت أرسل هذه الرسالة الشعرية إلى القصر ، وأطلب منه أن يبكيها معنا بدموع الوداع لحظات خروج الجنائز من بيت ابنها الذي هو ملاصق له في البنيان. وما يحجبه إلا الأشجار الباسقة التي أحاطت به من نخيل وبرتقال ونحوها... وصدق ليبيد بن ربيعة حيث يقول مصوراً بقاء الذي نبنيه بعد أن نموت:

بُلينا ، وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا ، والمصانع
وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن تُردّ الودائع

عن مجاهد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لا يصيب أحد من الدنيا ، إلا نقص من درجاته عند الله ، وإن كان عليه كريماً. وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قمت على باب الجنة ، فكان عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجد محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار ، فإذا عامة من دخلها النساء". وعن أبي عبد الرحمن البجلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم ، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم! قال: فانت من الأغنياء ، قال: فإن لي خادماً ، قال: فانت من الملوك. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر ، أترى كثرة المال هو الغنى؟" قلت: نعم يا رسول الله! قال: "وترى قلة المال هو الفقر؟" ، قلت: نعم يا رسول الله ، قال: "إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب) (من كان الغنى في قلبه ، فلا يضره ما لقي في الدنيا ، ومن كان الفقر في قلبه ، فلا يغنيه ما كثر له في الدنيا ، وإنما يضر نفسه شحها"). وعن عبيد الله بن محصن الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح آمناً في سربه معافى في جسده ، عنده طعام يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر". وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب دنياه ، أضر بأخرته ، ومن أحب آخرته ، أضر بدنياه ، فأتروا ما يبقى على ما يفنى". وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أمتي من لو أتى باب أحدكم فسأله ديناراً ، لم يعطه إياه ، ولو سأله درهماً ، لم يعطه إياه ، ولو سأله

فلساً ، لم يعطه إياه ، ولو سأل الله الجنة ، لأعطاها إياه ، ولو سألته الدنيا لم يعطها إياه ، وما يمنعها إياه لهوانه عليه ، ذو طَمِرَيْن ، لا يؤبه له ، لو يقسم على الله لأبره". وصدق الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث يقول: (كل عمل كرهت من أجله الموت فاتركه ، ثم لا يضرك متى مت!). فرحم الله الحاجة (قمرأ)! وأبدلها من بيتها في الدنيا بيتاً عنده في الجنة لا تعب فيه!

- أما أتاك - كما أتاني - الخبرُ؟!
أما فزعت لمن باتت مُودعة
أما ذرفت دموع العين يصحبها
أما أسفت لما عاينت من نبأ
أما اعتبرت بما أتى القضاء به
أما اتعظت من الآجال قد رُصدت
أما تأملت في الأقدار ماضية
أما تمعنت في الأحداث جارية
أما نظرت إلى الدنيا وزخرفها؟
أما تفرست في الأعمار ، نحن لها
أما تذكرت كيف الموتُ يحصدنا
يا قصرُ: أين الألى شادوا ممالكهم
وأين من بطشوا بدون مرحمة
وأين من أوقدوا النيران ساعرة
وأين من دمروا العمران في وضح
وأين قوم - على أبشارهم - ضربوا
وأين من أحرقوا - عمداً - رعيّتهم
وأين من حكّموا القانون تحسبهم
- أما رثيت ليل ما به (قمر)؟!
يبكي - عليها - البناء الصرخ والشجر؟
أني قلب - من الآلام - ينفطر؟
يأسى الفؤاد له ، والسمع والبصر؟
إن كنت حقاً - بما تلقاه - تعتبر؟
إذ خطها عنده - في اللوح - (مقدر)؟
وليس ينفغ إذ حلت بنا حذر؟
وليس - منها - إذا حل القضا وزر؟
أم اكتأبت ، فلا فكر ولا نظر؟
أسرى فطفل قضى ، والشيوخ ينتظر؟
قسراً ، إذا ما انتهى لتوّه العُمر؟
دهراً ، وكانت لهم - بين الورى - سير؟
بل استبدّوا ، وبالطغيان كم جهروا؟
ليحرقوا الخلق؟ بنس الجنّد والنفر!
وبالمناشير كم شقوا ، وكم نشروا؟!
وأين جنّد - على الأمهم - سهروا؟
ببعض قول ، لأن الأمر ما أمروا؟
يتابعون - بهذا الفعل - من كفروا؟

فبئس ما قَصَدُوا! وبئس ما نثروا!
وأين مَن أسرفوا؟ وأين مَن فجروا؟
وأين مَن - بعباد الله - كم مكروا؟
وللمليك - على النعماء - ما شكروا؟
وفي الشعائر والشرائع اتجروا؟
كأنما أهلها - يا خجلتي - بقر؟!
وأين قوم - من الآيات - ما اعتبروا؟
دين المليك ، فما خانوا وما غدروا؟
وبالكرامة والتقوى لقد ظفروا؟
وأمرُ حسبتهم - في الناس - مُشتهر؟
لذلك اجتهدوا في الخير واصطبروا؟
ثم ارتضوها لهم نهجاً ، فما بطروا؟
فلم تملهم عن العظام الغير؟
أمر المهيمن لما ضجت النذر!
كف السخاء ، لها - في بذلها - وطر؟
تزجي البريق - على أسواره - الذرر
وزاده ألقاً - للناظر - الحجر!
مثل العقيق عليه الوشئي والحبر
ولم تعق عزمها الأثمان والأجر
وبعد لأي جرى - من تحته - نهر

وأين مَن كتبوا الأشعار فاجرة؟
وأين مَن هزلوا في العيش دون حيا؟
وأين مَن قمعوا الشعوب قاطبة؟
وأين مَن ملكوا الدنيا وزينتها
وأين مَن خذلوا الإسلام في وضح
وأين مَن سفكوا الدماء هينة
وأين مَن ظلموا؟ وأين مَن جحدوا؟
وأين مَن عدلوا في الحكم ، واحترموا
وأين مَن أخلصوا لله دينهم
وأين مَن بذلوا الأرواح ما بخلوا
وأين مَن جعلوا النجاة مطمحهم
وأين قوم - على التقوى - معيشتهم
وأين مَن كانت الطاعات موئلهم
أتى الجميع حمام الموت ممتثلاً
يا قصر ، أين التي شادتك باسطة
تريد قصراً كإيوان تدل به
مثل الورود زهت تيهأ زخارفه
إذ رصعته بأحجار مُطهمية
واستأجرت مَن سما بخسن رونقه
وأجرت الماء في شتى جوانبه

وبالنتوءات تُبدي حُسنها الحُفر
تُدلي الخمائل ، يزهو تحتها الثمر
كأنها - في سنا إشراقها - السحر
تسبي العقول ، بها الأشكال والصور
وأصبح القصرُ - بالياقوت - يأتزر
وجاءت البيت - من أحبابها - زمر
والكل يسأل: ما الأحوال؟ ما الخبر؟
وصدمة - من لظى المصاب - تستعر
إصر البليّة تهمي ، ثم تنحدر
وليس يُبقي الأسى بأساً ، ولا يذر!
بالليل توصي ، وعند الفجر تحتضر!
فالدمعُ أغرقَ مَنْ غابوا ومن حضروا
وما ظلامُ الدجى إذ أسفرَ (القمر)؟!
لله نفساً قضتْ ، فما لها أثر!
إذ - في حكايتها للكل - مزدجر
إذ لم يكن عَجْرَ فيها ولا بَجْر!
يوماً ، ويبقى لها إحسانها العطر
وإن أتت خطأ - في التو - تعتذر
والصبحُ يشهدُ ، والآصالُ والبُكر

وتوّجته بإكليل وروزنة
وبالزروع تحليه ، وتتحفة
وبالمصابيح والأنوار تغمرها
وجمّلته بأصباغ بهارجهما
حتى إذا تم ما ترجوه من أمل
وقبل عيد ، ثوت - في القبر - صائمة
يوّدعون التي كانت تدلهم
وللنحيب جوئ يكو ، وهينمة
وللدموع أخايد تفيضُ بها
والحزنُ ناب عن الثبات يوم أبي
والطيبون بكوا رحيلاً طيبة
سَخّوا الدموع ، ولم ترقأ محاجرهم
سُقيا لعهدك يا بدرأ أضاء لهم
رمى بك البين في الأجدات مُسَلّمة
يا قصر ، فابك عليها كلما ذكرت
واذكر لها صبيتها وطيب سُمعتها
نعم ، لقد رحلت ، فلن تعود لنا
ليرحم الله مَنْ كانت توخّده
والليلُ يشهدُ ، والأسحارُ شاهدة

لقد حَجَلتَ واسعاً يا حدائِي

(أورد الأستاذ / حمد بن عبد الله القاضي في كتابه: (أشرفة للوطن والثقافة) ص 15 كلاماً خطيراً وغير مسؤول لأحد الحدائين العلمانيين النافهين المتخربين ، ينال من لغة الضاد في إحدى الصحف العربية يقول: (اللغة الفصحى لا تواكب الحياة ، منذ انقطعت عن الحياة ، وقد انقطعت عنها الحياة ، وليس بإمكانها مواصلة المسيرة الحضارية نحو المستقبل ، إنها لغة مريضة تتعذب صبيحة كل يوم بسبب أبنائها الذين يُصرون على تغذيتها بواسطة الأنابيب والحقن المخدرة! فلا هي ماتت واستراحت ، ولا هي عاشت وأراحت. إن الفصحى (حضارياً) لغة ميتة ، لا حياة لها سوى في خيالات أبنائها. فالفصحى لغة عجوز تعيش بواسطة التراكيب المولدة. ولا تعرف الميل للاختصار في الدلالات المطلوبة أبداً. اللغة تتعذب وتعذب ، وستلحق ذات نهار بالديناصورات ، وتغوص في طين الأيام. ذلك أن سفينة الفصحى تغرق ، ولا مناص من ركوب أوراق اللهجات المحلية للنجاة ، وهي الزوارق التي ستوصلنا ، لا شك أبداً إلى بر أمان (اللغة الوعاء) فمن يدري؟ فربما كانت اللغة المحكية (أي اللهجة) هي رصاصة الرحمة التي يجب أن تستقر فعلاً في الجوف المريض للغة المريضة). هـ. وواضح من صاحب هذه الكلمات - التي هي إلى البذاءات والسخافات والحقائق أقرب منها إلى الكلمات - مدى حقه الدفين المزمع على اللغة العربية وعلى الناطقين بها. ويطيب لنا أن نسأل هذا المعتوه وأمثاله فنقول: * كيف تكون لغة الضاد لغة ميتة ، وقد حافظت على لغة تاريخ العرب وحضارتهم وآدابهم ومآثرهم ومشاهدتهم على مدى تاريخهم الطويل؟ ولا أدل على ذلك من شهادة التاريخ والمستشرقين والباحثين المعنيين بهذا الأمر؟! * ثم كيف التعامل باللهجات التي عرفها زيد ولا يعرفها عمرو؟ إن اللهجات يعرفها أهل محلة دون أهل محلة أخرى بالطبع. على عكس الحال في اللغة العربية الفصحى التي يعرفها أهلها بوصفهم عرباً ، ويعرفها الدارسون لها كلغة. * كيف تقول يا هذا بأن الضاد لغة مهجورة ميتة ، وهي التي تدون بها الجرائد والمجلات والدوريات والمكاتبات والمراسلات والإذاعات المسموعة والمرئية والخطب المنبرية والمحاضرات واللقاءات والأناشيد وغيرها؟ * ونسأل: أنت أيها الحدائِي سَجَلتَ مقالك الملعون هذا بأي لغة؟ بلغة العرب أم بلهجة بلدك؟ فالعجب كله فيك وفي مقالك! وحتى إن كتبت بلهجة بلدك فمن ذا الذي سيفهمه بنسبة مائة بالمائة سوى أهل بلدك؟ هـ. والعجيب أن يقول هذا الكلام من هو من أبناء جلدتنا ويتكلم بلساننا فيا للعجب! على حين نجد من هم من غير أبناء جلدتنا ومن لا تجمعنا بهم قومية ولا لغة ولا دين ولا أهداف مشتركة ولا مصير واحد من يغارون على اللغة العربية ، وينصفونها ويجعلون منها ملكة للغات الأخرى! وعلى سبيل المثال: تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: "كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى أمام سحر تلك اللغة ، فاقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغف ، حتى إن اللغة القبطية مثلاً ماتت تماماً ، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها لغة محمد". مجلة اللسان العربي 86/24 عن كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب - زيغريد هونكه). ويقول المستشرق الألماني كارل بروكلمان: "بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن

العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم...". من قضايا اللغة العربية المعاصرة – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص 274. ويقول د. جورج سارتون: "وهب الله اللغة العربية مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي أحسن تدوين...بجميع دقائق معانيه ولغاته ، وأن تعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة". من قضايا اللغة العربية المعاصرة – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص 276. ويقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه :- (تعلموا العربية فإنها من دينكم). وقال الإمام الشافعي: (اللسان الذي اختاره الله عز وجل لسان العرب فأنزل به كتابه العزيز ، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد - صلى الله عليه وسلم - ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأولى).هـ. وقال ابن تيمية رحمه الله: (فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون).هـ. اقتضاء الصراط المستقيم ، ص 203. ويقول أيضاً: (وما زال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات وهو التكلم بغير العربية إلا لحاجة ، كما نص على ذلك مالك والشافعي وأحمد ، بل قال مالك: من تكلم في مسجدنا بغير العربية أخرج منه ، مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها ، ولكن سوغوها للحاجة ، وكرهوها لغير الحاجة ، ولحفظ شعائر الإسلام).هـ. (الفتاوى 32-255). ويقول أيضاً: (اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً ، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق ، وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).هـ. اقتضاء الصراط المستقيم ، ص 207. ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أن اللغة العربية المشتركة ليست لهجة قريش وحدها ، بل دليل وجود الهمز فيها وقريش لا تهمز. ويرى الدكتور تمام حسان أن الفصحى لغة العرب جميعاً ، نمت في المجتمع العربي في عمومه لا في قبيلة بعينها ، وتقبلت في نموها عناصر لغوية من جميع اللهجات العربية ، حتى بدت قريبة إلى كل لهجة! وقال المستشرق الألماني يوهان فك: (إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية الفصحى لغة القرآن).هـ. ويقول المستشرق بارثلمي هربلو: (إن اللغة العربية أعظم اللغات آداباً وأسامها بلاغة وفصاحة وهي لغة الضاد).هـ. ويقول جون فرن: (إن مستقبل الأدب في العالم العربي هو اللغة الفصحى وحدها الزاخرة بالثروة والغنى والتراث ، وليست اللهجات العامية بلغة كيانية ، بل هي تحريف وتشويه للفصحى ، ولن تتمكن هذه اللهجات جميعاً إطلاقاً من اجتياز جدار التراث والفصحى).هـ. ويقول المستشرق جاك بيرك: (اللغة العربية لغة المستقبل ، ولا شك أنه يموت كل لغة غيرها وتبقى حية خالدة).هـ. ويرى فريق من المستشرقين والباحثين والخبراء أن اللغة العربية لغة أصيلة قائمة بذاتها وليست مهجنة! فهذا المستشرق (نولدكه) ، يرى بأن اللغة الفصحى تركبت من اللهجات الأساسية في جزيرة العرب كالحجاز ونجد وإقليم الفرات ، لأن الاختلاف بين هذه البيئات قليل ، وذهب المستشرق جويدي إلى هذا المعنى كذلك. ويقول المستشرق ألفريد غيوم عن العربية: "ويسهل على المرء أن يدرك مدى استيعاب اللغة العربية واتساعها للتعبير عن جميع المصطلحات العلمية للعالم القديم بكل يسر وسهولة ، بوجود التعدد في تغيير دلالة استعمال الفعل والاسم".هـ.

ويقول المستشرق المجرى عبد الكريم جرمانوس: "إن في الإسلام سنداً هاماً للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها ، فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة كاللاتينية حيث انزوت تماماً بين جدران المعابد. ولقد كان للإسلام قوة تحويل جارفة أثرت في الشعوب التي اعتنقته حديثاً ، وكان لأسلوب القرآن الكريم أثر عميق في خيال هذه الشعوب ، فاقتبست آلافاً من الكلمات العربية ازدانت بها لغاتها الأصلية فازدادت قوة ونماءً. والعنصر الثاني الذي أبقى على اللغة العربية هو مرونتها التي لا تُبارى ، فالألماني المعاصر مثلاً لا يستطيع أن يفهم كلمة واحدة من اللهجة التي كان يتحدث بها أجداده منذ ألف سنة ، بينما العرب المحدثون يستطيعون فهم آداب لغتهم التي كتبت في الجاهلية قبل الإسلام". الفصحى لغة القرآن – أنور الجندي ص 301. والمستشرق نالينو كان قد ذهب إلى أن اللغة العربية تولدت من إحدى اللهجات النجدية ، وتهذبّت في زمن مملكة كندة ، ثم صارت اللغة الأدبية السائدة بين العرب. والمستشرق فيشر ذهب إلى أنها لهجة معينة ولكنة لم ينسبها إلى أي قبيلة من قبائل العرب. ويرى المستشرق فولرز أنها لهجة أعراب نجد واليمامة ، وقد دخل الشعراء عليها تغييرات كثيرة ، وزعم أن بقية بلاد العرب كانت تتكلم لغة مخالفة وهذا رأي غير صحيح إذ ليس عليه إجماع فضلاً عن أنه يخالف الواقع الذي عاشه العرب في جزيرتهم. ويقول المستشرق الألماني يوهان فيك: "إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية ، لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر ، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية". الفصحى لغة القرآن – أنور الجندي ص 302. وقال جوستاف جرونباوم: (عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله محمد أنزلها قرآناً عربياً ، فالله يقول لنبيه: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} ، وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها).هـ. ويقول الألماني فريتاغ: (اللغة العربية أغنى لغات العالم).هـ. ويقول الأستاذ مرجليوت الأستاذ بجامعة أوكسفورد: (اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية وهي واحدة من ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاء لم يحصل عليها غيرها).هـ. وإذن فاللغة العربية لغة أصيلة في ذاتها عظيمة في مغزاها ومبناها! والأستاذ عبد الله بن حمد الحقييل - عضو الجمعية العلمية السعودية للغة العربية يشاركنا ذات الرأي بقوله: (اللغة العربية نزل بها كتاب سماوي خالد ، ووسعته لفظاً وغاية ، وحافلة بالماضي المشرق بأدبها وثرانها وخصوبتها ، وعلينا أن نحرص على أن تصبح لغتنا العربية أوفى ما تكون بحاجات العلوم والفنون ، كما كانت منذ قرون وكما يشهد ذلك تراثها العلمي العظيم ، حيث إنها لغة حضارية راقية واسعة مستوعبة لكل جديد ، وبنيت على أصل يجعل شبابها خالداً فلا تهرم ولا تموت ، وأن تحيا لغة الضاد قوية دفاقة عذبة مرنة مهيمنة كسابق عهدها على جميع الميادين ، تطلب بها ومنها العلوم والمعارف والآداب والفنون وكل ما تقوم به وعليه الحضارة الإنسانية المعاصرة ، فشرف الأمة في رقي لغتها! وركي لغتها في مسيرتها للعلوم والفنون واتساعها ، وكانت العلوم والفنون على اختلاف موضوعاتها قد وجدت من بيان اللغة العربية معين لا ينضب فيما يتسع بما آتاه الله من غزارة العلم واللفظ ، حيث فاقت كثيراً من اللغات بكثرة المفردات والاشتقاق والتضاد والترادف والنحت

والاستعارات والكنيات والقياس والمجازات وشتى الأبواب تحمل من تراث الإنسانية أجله وأكملة! واتسعت حضارة بلغت مبلغاً عظيماً وجاءت في آدابها بالمعجزات ، حيث تملك رصيماً ما زالت الأجيال تجتره وتنهل من معينه ، ولا ننسى في هذا المقام فضل رجال أعطوها نصيباً وافراً ، وخدموها خدمة الأبناء الأبرار ، وقالوا عنها وتحدثوا عن أسرارها ببيان رصين من أبنائها البررة وروّادها ومن بعض المستشرقين الذين أظهروا فضل اللغة وإعجازها). هـ. ويكفي أن نطالع ما سطره بعض المستشرقين المنصفين عن جمال وهيبة وعظمة اللغة العربية: قال المستشرق الفرنسي رينان: "من أغرب المُدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرّحل ، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها ، وحسب نظام مبانيها ، ولم يُعرّف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى ، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقية حافظة لكيانها من كل شائبة". يقول المستشرق الألماني أوجست فيشر: "وإذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الافتخار بوفرة كتب علوم لغته ، وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها ، بحسب أصول وقواعد غير العرب". مقدمة المعجم اللغوي التاريخي لأوغست فيشر. ويقول هايوود: "إن العرب في مجال المعجم يحتلون مكان المركز ، سواء في الزمان أو المكان ، بالنسبة للعالم القديم أو الحديث ، وبالنسبة للشرق أو الغرب". ويقول الدكتور عبد الصبور شاهين: "قد يكون من الطبيعي أن تجد العربية خارج حدودها أعداءً يكيّدون لها ، لكن المفزع حقاً أن يكون بعض هؤلاء الأعداء من بينها ، عن قصد أو عن غير قصد. ولذلك فهي تقاتل في جهتين أقربهما أمرهما وأعصاهما ، لأنها تقاتل قطعاً من نفسها: (وظلم ذوي القربى أشدّ مرارة على النفس). ويقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: "اللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي ، والعربية من أنقى اللغات ، فقد تفردت في طرق التعبير العلمي والفني". وقالت المستشركة الألمانية زيغر هونكه: "كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم ، وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة...". ويقول الدكتور حنا فاخوري محمداً نشأة الفصحى: (ظهرت اللغة العربية في البلاد التي تمتد بين البحر الأحمر ، والمحيط الهندي ، وخليج فارس ، وخط وهمي يتجه شرقاً من رأس خليج العقبة حتى الفرات ؛ وتسمى تلك البلاد شبه جزيرة العرب ، كما تسمى الجزيرة العربية توسعاً). هـ. ويقول الدكتور رشدي أحمد طعيمة: "إن العربية وعاء حضارة واسعة النطاق ، عميقة الأثر ، ممتدة التاريخ... لقد نقلت إلى البشرية في فترة ما أسس الحضارة وعوامل التقدم في كل العلوم الطبيعية والرياضيات والطب والفلك والموسيقى". ويقول المستشرق الألماني نولدكه عن العربية وفضلها وقيمتها: "إن اللغة العربية لم تُصِرْ حقاً عالمية إلا بسبب القرآن والإسلام ، وقد وضع أماننا علماء اللغة العرب باجتهادهم أبنية اللغة الكلاسيكية ، وكذلك مفرداتها في حالة كمال تام ، وأنه لا بد أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللغة العربية ، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جداً ، ولكنهم في داخل هذه الدائرة يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاصة ، والعربية الكلاسيكية ليست غنية فقط بالمفردات ولكنها غنية أيضاً بالصيغ النحوية ، وتهتم العربية بربط الجمل ببعضها... وهكذا أصبحت اللغة (البديوية) لغةً للدين والمنديات وشؤون الحياة الرفيعة ، وفي شوارع المدينة ، ثم أصبحت لغة المعاملات

والعلوم ، وإن كل مؤمنٍ غالباً جداً ما يتلو يومياً في الصلاة بعض أجزاء من القرآن ، ومعظم المسلمين يفهمون بالطبع بعض ما يتلون أو يسمعون ، وهكذا كان لا بد أن يكون لهذا الكتاب من التأثير على لغة المنطقة المتسعة ما لم يكن لأيّ كتابٍ سواه في العالم ، وكذلك يقابل لغة الدين ولغة العلماء والرجل العادي بكثرة ويؤدي إلى تغيير كثيرٍ من الكلمات والتعابير في اللغة الشعبية إلى الصحة". اللغة العربية – نذير حمدان ص 133. وفي موقعنا المفضل: (أنا البحر) يذهب مؤسسوه الأجلء إلى أن لغة الضاد تتألف من 12 علماً! ونوردها هنا على ترتيب الناظمين وتأليفهم: (أولاً – علم اللغة وهو العلم الذي يختص بدراسة أسلوب اللغة عينها والإحاطة بجوانب مفرداتها وطرق بناءها وتكوين الكلمة وشكلها ، فيسهل فهمها سواء للناطقين بها أو الأجانب الذين يودون تعلمها . ثانياً – علم الصرف أو التصريف وهو العلم الذي يُعنى بأحوال أبنية الكلمة وما يطرأ عليها من تغييرات حتمية في حروفها وحركاتها ، وليس له علاقة ببناء الكلمة وإعرابها. ثالثاً – علم النحو بعكس علم الصرف وهو يعنى بحال الكلمة بناءً وإعراباً. رابعاً – علم المعاني وهو العلم الذي يهتم بدراسة اللفظ ودقته ومناسبته للمعنى ، وهو فرع من فروع علم البلاغة. خامساً – علم البيان (فرع من فروع علم البلاغة) وهو العلم الذي يكشف معاني الكلمة بأكثر من وجه وطريقة ، وينقسم إلى مجاز وكناية وتشبيه واستعارة. سادساً – علم البديع (فرع من فروع علم البلاغة) وهو العلم الذي يُعنى بجمالية الكلمة وتحسينها معنىً ولفظاً. سابعاً – علم العروض وهو العلم الذي يختص بدراسة أوزان الشعر وتقسيمها. ثامناً – علم القوافي (متصل بعلم العروض) لكنه يختص بدراسة أحوال أواخر الأبيات الشعرية وتدعى قافية. تاسعاً – علم قواعد الكتابة أو الخط وهو العلم الذي يختص بأسس الكتابة من عناية بالحروف وطريقة رسمها وتنظيمها ومنه الإملاء. عاشراً – علم القراءة وهو العلم الذي يعنى بدراسة القرآن من ناحية تلاوته وضبط آياته نطقاً وشكلاً. حادي عشر – علم الإنشاء وهو من فنون الأدب العربي ويعنى بفن النثر كالرسائل والخطب. ثاني عشر وأخيراً – علم المحاضرات وهو العلم الذي يختص بإيصال الكلام للناس في المجالس ويدخل فيه السيرة والتراجم والتاريخ). هـ. وقال ابن القيم الجوزية رحمه الله: (وإنما يعرف فضل القرآن مَنْ عرف كلام العرب ، فعرف علم اللغة وعلم العربية ، وعلم البيان! ونظر في أشعار العرب وخطبها). هـ. وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية): (ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان ، وأتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً خير الرسل ، والإسلام خير الممل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال عليها وعلى تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم لا يفرط في لسان الضاد ولا ينال من العربية أبداً). هـ. ويقول المستشرق الفرنسي رينان: "من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحالة ، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ، ولم يُعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى ، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرج وبقيت حافظةً لكيانها من كل شائبة ". مجلة اللسان العربي 24 / 85. ويقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: "استطاعت العربية أن تبرز طاقة الساميين في معالجة التعبير عن أدق خلجات الفكر سواءً كان ذلك في الاكتشافات العلمية والحسابية أو وصف المشاهدات أو خيالات النفس وأسرارها. واللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي ، والعربية من

أنقى اللغات ، فقد تفرّدت بتفردِها في طرق التعبير العلمي والفني والصوفي ، إن التعبير العلمي الذي كان مستعملاً في القرون الوسطى لم يتناولهُ القدم ولكنه وقف أمام تقدّم القوى المادية فلم يتطور. أما الألفاظ المعبّرة عن المعاني الجدلية والنفسانية والعاطفية فإنها لم تحتفظ بقيمتها فحسب بل تستطيع أن تؤثر في الفكر الغربي وتنشطه. ثم ذلك الإيجاز الذي تتسم به اللغة العربية والذي لا شبيه له في سائر لغات العالم والذي يُعدّ معجزةً لغويةً كما قال البيروني". الفصحى لغة القرآن – أنور الجندي ص 301-302. وقال مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: (ما ذلت لغة شعب إلا ذل ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار! وإن لغتنا العربية بنيت على أصل يجعل شبابها خالداً عليها فلا تهرم ولا تموت).هـ. والحقيقة أنني دافعت وأدافع وسأظل أدافع عن اللغة العربية في قصائد هي معلقة لكن في غير زمان المعلقة على حد تعبير الدكتور وليد قصاب حفظه الله. إذ قال لي هذا الكلام يوم ألقيت قصيدي التي أعارض فيها قصيدة حافظ إبراهيم في رثاء اللغة العربية. وكان ذلك في دار غربتي عام 2004م. وتحديدًا في جمعية حماية اللغة العربية إذ دعيتُ لإلقاء هذه القصيدة هناك. ولعل هذه المقدمة التي هي أضعاف القصيدة تعتبر من هذا القبيل في الدفاع عن العربية لغة القرآن! ولكنني أردت اليوم على هذا الحدّاثي الذي يهرف بما لا يعرف ، وأقول له: إنك تجاوزت حدودك ، ونلت من اللغة العربية بغير حق ، وأراك حجّلت واسعاً أيها الحدّاثي! وكيفيك أن تكون في مرحلة أدنى عن المستشرقين! حيث جمعك لك من بعض أقوال المنصفين منهم ما تقوم به الحجة وتبرز المحجة على أمثالك من الجهلاء الحمقى المغفلين!)

أتسطرُ - في المغالطة - المقالا	وتلقِي - في المناظرة - النبِالا؟
وتمعنُ في التّمخك والأحاجي؟	وترتجلُ المزايدة ارتجالا؟
وتطفئُء - بالزيوف - سنا التحدى؟	وتفتعلُ المزايدة افتعالا؟
وتطعنُ هامة الفصحى انتقاماً؟	وفوق حُماتها ترمي النِصالا؟
تقولُ بأنها هرمتُ وشاخت!	وبالتششويش تششتعل اششتعالا
تعيبُ الضاد عمداً دون حق	وتخترعُ الأكاذيبَ الثُقالا
وفي التلفيق تدأبُ دون كَلِّ	ألا خاب الذي - في الغشّ - غالى!
تقول: حياتها انقطعت ، وزالت	متى أدركت يا غر الزوالا؟
متى وهنتُ معانيها ، وضاعت	لتهذي ، ثم تفتنت المقالا؟
ستبقى الضاد - رغم الكيد - نخرأ	وسوف توصلُ الضاد النِصالا
وسوف تُلقِن الأعداء درساً	بأن لها المناقبَ والكمالا

وأن لها المكانة لا تبارى
 فلفصحي مضاءً ، وانطلاقاً
 ويكفي الضاد فخراً واعتزازاً
 بأن الله أكرمها كثيراً!
 بها نطق الأماجد خير جيل
 وكانت للحضارة خير ردي
 وما ضاقت عن استيعاب علم
 ولا علماؤها عجزوا وضاقوا
 فخفف يا حداثي التجني
 ولا تسلك - إلى اللهجات - درباً
 وهل ملأت حداثتكم فراغاً
 لقد أخطات في فتواك هذي
 وأولائك المعقب بعرض نصح
 بأشربة سيفيتها السجايا
 لكيلا تغمز الفصحى بتاتاً
 وذا (حماد) له قلب غيور
 ورب الناس ينصر من تزكى

وأن لها الترفع والجلال
 تمارسه إذا اقتحمت نزالاً
 ومجداً تستطيل به اختيالاً
 بها القرآن أنزله تعالى
 وواكبت التقى إذ توالى
 فكم فتحت لمجتهدي مجالاً!
 وما قالت: أرى هذا محالاً
 بهازرعاً ، فليسوا بالكسالى
 ولا تُزج التغت والضلالا
 فكم جلبت - إلى الدار - الوبالا
 على اللهجات يتكل اتكالاً؟
 وما أحسنت ردك والسؤال
 إلى الأخلاق كم شد الرحال!
 وأمواج تقلدها الوصالا
 وتسلبها العذوبة والجمالا
 إذا حمي الوطيس رمى وجالاً
 وأخلص ، ثمة ابتهل ابتهالاً

الغلبة للدليل

(إحدى الكاتبات أخذت تتخبط في تصورها عن حجاب المرأة المسلمة الكامل بما في ذلك الوجه والكفين. فراحت تثبت بالدليل أنه عادة تركية ، ومرة تقول بل هو عُرف فرعوني لنساء البلاط الفرعوني ، وتارة أخرى تقول - بكل افتراء ومغالطة - أنه لم يكن معروفاً على زمان الجاهلية الأولى! والحقيقة أنني استقصيت كثيراً من أشعار الجاهلية الأولى ، فوجدتُ العرب في تلك الحقبة كانوا يعرفون الحجاب والستر لجميع بدن المرأة بما في ذلك الوجه الذي هو مناط الجمال ومقياسه ومجمع الحسن ومعياره في المرأة. ورحتُ أثبت - لها ولأمثالها - ذلك بالدليل من كلام العرب وأشعارهم. فمثلاً يفاخر أمير شعراء العرب في الجاهلية ، زهير بن أبي سلمى بحجاب المرأة فيقول في شعره:-

وما أدري ، وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟

فإن قالوا: النساء مُخبَّاتٌ فحق لكل مُحصنة هداء

وكان العرب يخبنون نسانهم في الخدور احتراماً لهن وخوفاً عليهن. يقول المهلهل بن ربيعة:-

وإنني قد تركتُ بوارداتٍ بُجيراً في دم مثل العبير

هتكتُ به بيوت بني عبّادٍ وبعضُ الغشم أشفى للصدور

على أن ليس يوفي من كليب إذا برزت مُخبّاة الخدور

وفي شرح ديوان الحماسة (1546/3) يُورد أن أم عمرو بنت وقدان تندد ببني قومها لأنهم تخلّوا عن الثأر لأخيها ، وتطالبهم بأن يضعوا السلاح ويلبسوا نُقب النساء:-

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكُم فذروا السلاح ، ووحشوا بالأبرق

وخذوا المكاحلَ والمجاسدَ والبسوا نقبَ النساء ، فبئس رهط المرهق

والأغاني (383/20) (وإن كنتُ لا أعول على الأغاني كثيراً لأنه كتاب نشاذ!) يورد قصة السليك بن السلكة الذي ترصد له بنو عوارة يريدون قتله ، فخاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم ، حتى ولج على امرأة تدعى فكيهة ، فاستجار بها. فدافعت عنه بسيفها حتى نجا ، وهرب وحين اشتد عليها الطعان والضرب ، وأدركت أنه نجا فكشفت خمارها ، فولوا أدبارهم ، فقال السليك يثني عليها: -

لعمرُ أبيك والأنبياء تنمي لنعم الجار أخت بني عوارا

من الخفرات لم تفضح أباهما ولم ترفع لإخوتها شنانا

وما عجزت فكيهة يوم قامت بنصل السيف ، واستلبوا الخمارا

وهنا إشارة إلى مبالغة المرأة في ستر وجهها ، وأن الرجل الجاهلي كان يرى من العار أن ينظر إلى وجه المرأة. وأما عن سبب يوم الفجار الثاني في الجاهلية فهو ستر امرأة وجهها. وذلك أن فتياناً من غزة وكنانة رأوا امرأة وضينة من بني عامر بن صعصعة في سوق عكاظ ، فسألوها أن تسفر لهم فأبت ، فحلّ أحدهم ذيلها إلى ظهرِ درعها بشوكة ، فلما قامت انكشفت فقالوا: منعنا رؤية وجهك ، وأرئيتنا دبرك! فصاحت: يا لعامر ، فتهايجوا. وجرت بين الفريقين دماءً حملها الحارث بن أمية. راجع في هذا كتاب (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) لأبي على الحسن بن رشيقي (219/218). وإذن فلقد أراق الأعراب الدماء في جاهليتهم من أجل انكشاف عورة امرأة أو مرادتها للكشف عن وجهها الوضيئ. وما ذلك كله إلا غيرة على العرض ، وبخاصة وجه امرأة هو مجمع حسنها ورمز جمالها. ليس هذا فقط بل هذا هو النمر بن تولب كانت له عشيقة منتقبة. ولهذا هو يثني عليها ويدعو الله لها بعد أن سحرت عقله بالنقاب:-

جزى الله عنا جمره ابنة نوفل جزاء مُغَل بالأمانة كاذب

وصدّت كأن الشمس تحت حجابها بدا حاجبٌ منها ، وضنت بحاجب

وأيضاً هذا هو قيس بن منقذ بن عمرو الحدادية يتحدث عن أم مالك الخزاعية ، ويصفها بأنها امرأة مصون تشد لثامها على فمها قبل ظننها فلا يبدو من وجهها إلا عيناها ، وهذا واضح جدا في هذا البيت الشعري الذي هو أوضح من الشمس في كبد السماء:-

فشدت على فيها اللثام ، وأعرضت وأمعن بالكحل السحيق المدامغ

ومعلوم بالبديهة أن المرأة إذا شدت اللثام على فمها فإنها لا بد تكون قد غطت وجهها وسترتة ، وإلا فكيف تشد لثاماً على فمها دون أن تغطي وجهها؟! وهذا هو الشاعر الكبير المثقب العبدى يصف نساء قبيلته الراحلات بهوادج مغطاة ، وكانت النساء يلبسن براقع لا يبدو منها إلا عيونهن:-

ظهرن بكآة ، وسدلن رقماً وثقبن الوصاوص للعيون

أرين محاسناً ، وكننّ أخرى من الديداج والبشر المصون

وأما الشاعر الجهبذ عوف بن عطية بن الخرع التيمي فيصف غارة خرجت النساء على إثرها حواسر ، فبدت وجوههن فقط من هول المواقف وهذا أمر طبيعي كان قد حدث لموقف بعينه فقط:

ولنعم فتیان الصباح لقيتم! وإذا النساء حواسرّ كالعنقر

من كل واضعة الخمار ، وأختها تسعى ومنطقها مكان المنزر

وهذا هو الشاعر العربي الجاهلي المعروف النابغة الذبياني فيمتدح المتجردة زوج النعمان بن المنذر عندما سقط نصيفها فخبأت وجهها بيدها ، وباليد الأخرى التقطت النصيف لتغطي وجهها:

سقط النصيف ، ولم ترد إسقاطه فتناولته ، واتقتنا باليد

ويصف الأعشى النساء يوم ذي قار مبيناً حالهن عند الحرب في مسألة كشف الوجوه لحال معين ثم تستر ، والأصل عندهن الستر لهذه الوجوه:-

لما أتونا كان الليل يقدّمهم مطبق الأرض يغشاها بهم سدف

وظعننا خلفنا كحلاً مدامعها أكبادها وجف مما ترى تجف

حواسر عن خدود عاينت عبراً ولاحها وعلاها عبرة كسف

والمعنى أن النساء كعادتهن في الحروب كشفن عن وجوههن بعد أن كن يسترنها حال السلم اتقاء للمسبي ، وهذا دليل على أنهن في السلم لم يكن يفعلن هذا. وأما عنتره بن شداد العبسي شاعر بني عبس وفارسهم المعروف ، فيقول مشيداً بنقاب عبلة الذي لا يبدي من وجهها سوى عينيها ، ونحن نورد هذين البيتين لعنتره على سبيل المثال وليس الحصر ، وإلا فإن شعر عنتره في منقبة عبلة في سترها لوجهها كثير يملأ قصائده ، ومعلوم أنه لم يدرك بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - وإنما كان ذلك منه جرياً على عادة العرب وخلقهم في جاهليتهم الأولى ، يقول عنتره:-

وبين قباب ذاك الحي خوّد رادح لا يماط لها لثام

لها من تحت برقعها عُيون صراح حشو جفنيها سقام

وإذن فكان العرب في جاهليتهم يعرفون البرقع الذي يغطي الوجه ويظهر العين. وهذا هو الشاعر الفارس العملاق الربيع بن زياد رثى قتلى عبس في حرب داحس والغبراء ، تلك الحرب التي استمرت السنين الطوال ، ويحزن الربيع بن زياد لخروج النساء سوافر (كاشفات الوجوه) فيقول:-

إنني أرقى فلم أغمض حار من سيئ النبأ الحليل الساري

من مثله تمشي النساء حواسر وتقوم مغولة مع الأسحار

من كان مسروراً بمقتل مالك فليات ساحتنا بوجهه نهار

يجد النساء حواسراً يندبنه يطمئن أوجههن بالأسحار

قد كن يخبان الوجوه تستراً فالיום قد أبرزن للنظار

وقد شرح المرزوقي هذا في شرح ديوان الحماسة (ج 2 ص 996) فقال: يصفهن بأنهن ابتذلن أنفسهن للمصيبة. وكان من قبل ستر الصيانة مسبلاً عليهن ، لا يظهرن المعاري من الوجوه وسائر الاعضاء لأحد. لتسترهن وارتفاع محالهن ومناصيهن عن التبرج والتبرز ، إذ كن بيضات خدور وربات جمال وستور". هـ. وأما (لميس) زوجة عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فتخاف الأسر في العرب. فتكشف عن وجهها حتى يحسبها الأعداء أمة من الإماء فيزهدون في أسرها ، وتلك حالة خاصة تفعلها المرأة! وإلا فإن الأصل عندها ستر الوجه عن الرجال! ويقول الشاعر في هذا:

لَمَّا رَأَيْتِ نِسَاءَنَا يَفْحَصُنَ بِالْمَعْرَاءِ شَدَا
وَبَدَدْتَ لَمْ يَسُنْ كَأَنَّهَا بَدْرَ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
وَبَدَدْتَ مَحَاسِنَهَا التِّي تَخْفِي ، وَكَانَ الْأَمْرُ جَدَا
نَازِلَتْ كَبِشْهُمُ ، وَلَمْ أَرِ مِنْ نِزَالِ الْكَبِشِ بُدَا

وأيضاً الشاعر سبرة بن عمرو الفقعسي يضرب على ذات الوتر من كشف الوجه من جانب المرأة في الحرب اتقاء الأسر عندما يظن أنها أمة ، إذ لو كانت حرة لما كشفت وجهها يقول:

وَنَسَوْتُمْ فِي الرَّوْعِ بَادِ وَجُوهَهَا يُخْلِنُ إِمَاءً ، وَالْإِمَاءُ حِرَانُرُ
وَعُودَ إِلَى عَنْتَرَةَ بِنِ شَدَادِ شَاعِرِ وَفَارِسِ بَنِي عَبَسَ حَيْثُ يَقُولُ يَمْتَدِحُ الْفَرَسَانَ فِي الْحَرْبِ:

هَمُّ الْخُمَاةِ إِذَا النَّسَاءُ تَحَسَّرَتْ يَوْمَ الْحِفَاظِ وَكَانَ يَوْمَ نِزَالِ

والمهلهل بن ربيعة يستنكر أن تقتل بكر أخاه كليباً فيتوعده ثم يتوعدهم بالقتل حتى يفنيهم وتسفر نسائهم عن وجوههن ندباً لليتامى. وغير خاف أن هذا منه أمر مقصود ليتحقق له المراد والغاية من فعله والإقدام عليه وهو إسفار النساء عن وجوههن ندباً لليتامى ، حيث كانت عادة نساء الجاهلية النياحة على الموتى وشق الجيوب ولطم الخدود. وكيف يلطمن الخدود إلا إذا كشفت هذه الخدود؟ مما يدل على ستر هذه الخدود في غير هذا:

قَتَلُوا كَلِيباً ثُمَّ قَالُوا: أَرْبَعُوا كَذَبُوا وَرَبَّ الْجِلِّ وَالْإِحْرَامِ
حَنَى نَبِيْدَ قَبِيْلَةٍ وَقَبِيْلَةٍ قَهْرًا وَنَفْلِقَ بِالسِّيُوفِ الْهَامِ
وَيَقْمَنَ رَبَاتِ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا يَمْسَحْنَ عَرَضَ ذَوَائِبِ الْأَيْتَامِ

يقول المهلهل بن ربيعة باكبياً نساء تغلب مبيناً كشف النساء وجوههن في أحوال معينة ، على غير العادة ، ثم يستترنها بعد ذلك! والمعنى أنهن يفعلن ذلك حال الفاجعة واللطم على الميت:

كنا نغار على العواتق أن ترى بالأمس خارجة عن الأوطان

فخرجن - حين ثوى كليب - حُسراً مسـتنقعات بعده بهـوان

يخمشن من أدم الوجوه حواسراً من بعده ، ويعدن بالأزمان

وإذن فلم تنكشف الوجوه وتلطم الخدود إلا في المصيبة فقط. ولقد عُرف الأعراب بغيرتهن على النساء! من أجل ذلك كان الواد خشية العار. يقول أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال (ج2/139): (كل شئ مهه ما خلا النساء وذكرهن). وطرده الشاعر امرؤ القيس لأنه تناول ابنة عمه (فاطمة) في قصيدته المعلقة ، فأهدر أبوه دمه لأنه تحدى تقاليد وأعراف قومه ، فقال متحدياً:-

أيقتلني ، والمشرفي مضاجعي ومسـنونة زرق كأثياب أغوال؟

وماذا عليه أن ذكرت أوانساً كغزلان رمل من محاريب أقيال؟

كان العربي يخشى من سبي النساء في الحروب. يقول سعد بن مالك الذي هو جد طرفة بن العبد:-

والحرب لا يبقـى لـجـا حمها التخيل والمـراح

فـالهم بيضـات الخـدو ر هنـاك لا الـنعم المـراح

وهذا هو الشاعر النمر بن تولب يمدح نساء قومه عندما خرجن مستورات محجبات عن عيون الرجال مبالغات في التحشم والاحتجاب:-

خفيات الشـخوص وهـن عـيسـن كأن جـلـودهن ثـياب مـرن

وأكتفي بهذا النقل من أشعار الجاهلية التي تثبت ستر وجوه النساء ، وأعود للقول بأنني قد حققت المسألة في كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، وقتلت القضية بحثاً فألفت ستر وجه المرأة المسلمة عن الأجانب من غير محارمها هو الأصل. والأصل أن تكون الغلبة للدليل الصحيح ، وأن يكون هناك أدب في الخلاف وأخلاق ومعايير للاختلاف! يقول الشيخ عبد الله بن بيه في أدب الخلاف وأخلاق الاختلاف ما نصه: (من المعلوم أن الاختلاف قد انتشر في الأمة أفقياً وعمودياً في كل الفئات وعلى مختلف المستويات ، تعددت أسبابه وتنوعت ألوانه واستعملت فيه كل الوسائل من تكفير وتفسيق وتبديع وتشويه وتسفيه وما شئت من مصدر على وزن تفعيل. ونحن هنا لا نحاول إصدار فتاوى في مسائل الاختلاف ، ولا تحضير بلسم سحري يبرئ الأوصاب ، وإنما نحاول البحث عن كيفية تعقيل أو عقلنة جدلنا ، وتنظيم اختلافاتنا ، وترتيب درجات سلم أولوياتنا ، وتحسين نياتنا وإرادتنا ، على ضوء ما يستخلص من نصوص شرعية حاكمة ، وآثار عن السلف شارحة ، وممارسات رشيدة هادية ؛ إذ من شأن ذلك أن يقلل من الخلاف أو ينزع فتيل ناره لتصبح برداً وسلاماً. يقول العلامة ابن القيم: "فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباس ، والتحري ،

وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف ، فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية ؛ لأنه إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريقة المسلوكة واحدة لم يكدر يقع اختلاف ، وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة". (الصواعق المرسله ج 2 ص 519). فكيف نجعل اختلافاً من هذا النوع الذي أشار إليه ابن القيم؟ هذا هو السؤال الذي نحاول الإجابة عنه. بداية يجب أن يكون معلوماً أن الاختلاف بين أهل الحق سائغ وواقع ، وما دام في حدود الشريعة وضوابطها فلا يكون مذموماً بل يكون ممدوحاً ، ومصدراً من مصادر الإثراء الفكري ، ووسيلة للوصول إلى القرار الصائب ، وما مبدأ الشورى الذي قرره الإسلام إلا تشريعاً لهذا الاختلاف الحميد {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}. فكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه ويستمع إلى آرائهم ، وتختلف وجهات نظرهم! كما في تقرير المضي في حملة بدر ، ونتائج المعركة ، وكان الاختلاف في الموقف من الأسرى ، وما ليم أحد على رأي أبداه أو موقف تبناه ، وما تعصب منهم أحد ولا تحزب ، بل كان الحق غايتهم والمصلحة رائدهم. وقد يقر النبي صلى الله عليه وسلم كلاً من المختلفين على رأيه الخاص ، وبدون أن يبدي أي اعتراض أو ترجيح ، كما في مسألة أمره عليه الصلاة والسلام بصلاة العصر في بني قريظة فقد صلاها بعضهم بالمدينة ولم يصلها البعض الآخر إلا وقت صلاة العشاء ، ولم يعنف أحدًا منهم كما جاء في الصحيحين. وفي السفر كان منهم المفطر والصائم ، وما عاب أحد على أحد كما جاء في الصحيح ، حتى في الاختلاف في القراءة في حديث ابن مسعود. وبعده صلى الله عليه وسلم كانت بينهم اختلافات. حسمت أحياناً كثيرة بالاتفاق ، كما في اختلافهم حول الخليفة بعده صلى الله عليه وسلم ، وحول قتال مانعي الزكاة ، وحول جمع القرآن الكريم ، وابن مسعود وأبي موسى الأشعري في مسألة إرضاع الكبير).هـ. وإن فستر جسم المرأة كاملاً بما في ذلك الوجه والكفان وبشروط الحجاب الشرعية الأصيلة الأخرى فهذا هو الحجاب ، وإما كشف الوجه والكفين وغير ذلك من المرأة على أي نحو وبأي داع استجابة لدعوى الجاهلية الضاربة الأطناب في الأرض اليوم فهذا هو التبرج . ولست بصدد الحديث عن ذلك الأمر الآن ، وإنما كان كل غايتي أن أثبت لأهل الجدل والسفسطة والمغالطة أن ستر النساء لوجوههن كان معروفاً في الجاهلية العربية الأولى ، وليس عادة تركية ، وليس عادة فرعونية ، وليس من تقاليد اليهود ولا النصارى ولا الهندوس. وعلى فرض أنه عادة جاهلية وأقرها الإسلام فما العيب؟ والآن أتوجه للكاتبة المغالطة الجاهلة فأنشد من شعري أقول:

مهما علوت بقولك المشكوك	وبزيفك المسـتـتـبـح المحبـوك
وبزورك المرذول يملاً صفحة	وبكل لفظٍ ساقطٍ وركيك
فلسوف تفضحك الحقائق دُونَت	شِعراً ، ولن تحظي بأي فكوك
ولسوف يقرأ ما سطرت جهابذ	للشعر هم - والله - خير ملوك
سيغربلون مزاعماً ملنث هوى	ومخارفاً خرجت لظي من فيك

كروايةٍ (عن خالد بن دريك)؟
لم يستمع منها بدون شكوك
في الجاهلية رغم أنف أبيك!
تزهو بشعر مُحكم مَسبوك
ونقاب فضلى يحتفي بسلوك
ومخافة الريح العقيم النوك
في يوم قيظٍ لاهبٍ وعيك
ويقلن: في الأنظار بعض فتوك!
ثمحى بثوب سابعٍ وسَميك
يا حيزبونُ بزعمك المأفوك؟
كيف افتريت بإفكك المشكوك؟
أم قد شغلت بضبيعةٍ وصكوك؟
أوما سألت لتعلمي أهليك؟
ولقد يُغربل ما يقال أبوك!
قامت على ركن الهوى المدكوك
فأتى - على القرطاس - غير حنيك
دلاً لشَر مُشاركٍ وشريك
ومن المخارف أطلقت من فيك!
شتان بين الخر والمملوك!
فترقبني يوماً حساب (مليك)!

كيف افتريت بلا دليل بين
يروى عن (الصديقة) العصماء ما
كان الحجاب سجية نسوية
أما القصيدة فالقصائد جمّة
في كل بيت حجة ومحجة
يستترن في السلم الوجوه تحشماً
لم تبد إحداهن صفحة وجهها
كن الحرائر يستحين تأدياً
نظر الرجال إلى النساء مساءة
من أين جئت بما ادعيت تحرصاً
من أين والأخبار تثبت ضده؟
أوما قرأت عن الأعراب سيرة؟
أوما اطلعت لتستزدي عنهم؟
أم غرك الغرب الذي يُزري بهم؟
وأراك صدقت الأغاليط التي
ولذا ارتجلت الحكم دون دراسة
وهواك شاركك القضية مدلياً
والنقل يرفض ما ذكرت من الهرا
والعقل حراً يستهين بمن غوث
إن الكتابة - يا أكعاع - أمانة

لماذا سقط آل عبّاد؟

(إن الطغيان عواقبة وخيمة. وليس أي طاغية في الأرض إلا إنسانٌ أعزل لا يملك قوة ولا بأساً ولا سلطاناً. وإنما الذي يمنحه ذلك كله خنوع الجماهير له وغفلتها عنه ودلها بين يديه ورضاها بالهوان والضعفة. كأنما أضحت هذه الجماهير كالحمير والدواب التي تمتطى فيركب الطاغية متبختراً ، وتمد له أعناقها فيجرها مترنحاً ، وتحني له رؤوسها فيستعلى عليها مذهولاً مزهواً ، وتتنازل عن حقها في أن تعيش عزيزة كريمة. فيطغى ويتكبر ويتغطرس. ولا يسود طاغية في أمة مؤمنة موحدة تؤمن بالله وتتوكل عليه وتثق به وتعز كتابه وسنة نبيه وتحل ما أحل وتحرم ما حرم وتأمّر وتأتّمر بما أمر وتنهى وتنهى عما نهى. ومأساة المسلمين في الأندلس قديماً تتكرر اليوم مع ثبات الأمكنه وتغير الأشخاص. والحقيقة أن المؤرخين يكادون يُجمعون على أن فترة حكم آل عبّاد كانت شؤماً على الإسلام والمسلمين. إذ بدأت المحنة في عهد الطاغية المعتضد بالله عميد أسرة آل عبّاد ، وإلى آخر ملوكهم الذي هو المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله بن عبّاد. ويعلم الله أن الوالد ما اعتضد بالله ، وأن الابن ما اعتمد على الله! بل هذه مجرد أسماء وألقاب ليس لأصحابها منها نصيب! وقد خلف الابن أباه على إشبيلية في (461هـ) - وكذلك يرث الظالمون بعضهم بعضاً. وطغى المعتمد بن عبّاد طغياناً كبيراً ، وبغى في الأرض بغير الحق ، وأهدر الدماء المحصونة ، وقتل الأنفس البريئة ، وأشاع الهلع والذعر بين الأمنين ، واغتر بحاله وعتاد سلطانه! ولسان حاله يقول: (من أشد منا قوة). وظل الأمر هكذا إلى أن اجتمعت كلمة العلماء الموحّدين بالأندلس على خلع المعتمد ، وتنصيب (يوسف بن تاشفين) أميراً على المسلمين. وأعدوا العدة ، وجهزوا الجيش ، وسار المرابطون وباغتوا المعتمد بن عبّاد في إشبيلية إذ كان ساهياً غافلاً غافياً لاهياً بفتاة تنادمه ، مخامراً للذاته وشهواته ، ملقى بين جواريه. ولما بلغ الكتاب مداه صار المعتمد رهناً بما قدمت يداه. وجعله الله عبرة هو وأهل بيته وأولاده وبناته. أما بناته فقد بتن يغزلن للناس بالأجرة بعد عز الملك. وابنه (فخر الدولة) صار أجيراً في دكان صانع على قارعة الطريق ، وأما ابنه (المأمون) وابنه الثاني (الراضي) فقد قتلا شر قتلة ، وأخذ (المعتمد) مكبلاً بالحديد إلى سجن (أغمات) وظل سجيناً إلى أن مات ، ونودي في جنازته بالصلاة على (الغريب). تلك كانت النهاية المأساوية. أما إن عدنا إلى تاريخه لنقرأ بعض الصفحات ، فمنها صفحة محزنة مبكية يوم أخذ من سجنه في حراسة مشددة وهو مقرن في أصفاد الحديد ، وأدخل على بناته في يوم عيد ، وقد غزلت إحداهن غزلاً بالأجرة لشرطي كان في خدمة أبيها لما كان في عزه ، فرآهن في أطمارهن الرثة وحالهن السيئة فأنشد يقول مستروحاً أرج الملك المفقود والمجد الموقود:-

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءك العيد في (أغمات) مأسورا

ترى بناتك - في الأطمار - جائعة يغزلن للناس ، ما يملكن قِطميرا

برزن نحوك - للتسليم - خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين ، والأقدام حافية
 كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
 أفطرت في العيد لا عادت إساءته
 فكان فطرك - للأعياد - تفتيرا
 لا خذ إلا تشكى الجذب ظاهره
 وليس إلا - مع الأنفاس - مطورا
 قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً
 فردك الدهر منهياً ومأمورا
 من بات بعدك في ملك يسر به
 فإمبات - بالأحلام - مغرورا

لقد كان المعتمد فوق كل ما ذكرتُ أميراً خادعاً متآمراً مع الصليبيين ضد المسلمين. وأيضاً وزيراه (ابن عمار) و(ابن زيدون) كانا عضداه في الإفساد في الأرض وظلم المسلمين وإضاعة الدولة. وكانت النهاية أن سقط آل عباد ، وأذاقهم الله من ذات الكأس التي أذاقوا منها أهل الإسلام في الشرق والغرب ، ولا يظلم ربك أحداً. هذا الذي عليه كثير من المؤرخين وأهل المغازي والسير في القديم والحديث ، ولا تغرنا بعض المواقف الشجاعة والكلمات النبيلة للمعتمد بن عباد ، فإن الغالب على سيرته هو الظلم والبغي والعريضة والخنوع للصليبيين والتآمر على الإسلام وأهله. كما أن الذي يدمغ سيرته أكثر هو تعطشه لسفك الدماء إلى أن من الله على المسلمين بيوسف بن تاشفين الذي أسس دولة المرابطين الموحدين ، فكانت صفحة بيضاء في تاريخ الأندلس. والعجيب أن الذي صد الصليبيين في المشرق صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة 585هـ. والذي صد الصليبيين في المغرب يوسف بن تاشفين سنة 479هـ. واما أمر المعتمد بن عباد فعجيب وغريب. ففي الوقت الذي يُعطى ألفونسو الصليبي الكافر المشرك الهبات والعطايا تجنباً لبطشه ، شأنه في ذلك شأن ملوك الطوائف الآخرين ، نرى ابن عباد الذليل الخانع لألفونسو رفض طلب ألفونسو في رسالة منه أن تدخل امرأة الفونسو إلى جامع قرطبة لتلد فيه حسب إشارة القساوسة بذلك ، فرفض المعتمد وقتل الرسول وصلبه منكوساً بقرطبة ، وأمر بمن معه من الفرسان فقتلوا. ولكن كما أسلفنا ليس هذا بمبرر له من تعطشه لسفك الدماء وإفساده في الأرض وإهداره للحقوق. إن كثيراً من الكُتاب والروائيين والدارسين قد يندفعون بموقف معين أو بقول معين لأحد الناس ثم هم يبنون عليه الأحكام بعد ذلك. والأصل هو الإحاطة الشاملة الكاملة الجامعة المانعة لهذا الإنسان للوصول إلى الحقيقة بدون زيادة ولا نقصان بكل حيدة وموضوعية. وإذن فالمعتمد بن عباد سيرته واضحة فلماذا المغالطة؟ إن سيرته من وجهة نظري لتشبه سيرة الحجاج بن يوسف في العراق مع فارق في المكان والزمان. وإنما لواجدون في سيرة الحجاج بعض الخير. ذلك الخير الذي منه أنه أي الحجاج أول من كتب على الدينار لا إله إلا الله ، وأنه ذات يوم أغاث المرأة التي صاحت تستنجد به قائلة: (واحجاجاه!) ، ومنها تمثله لبعض الحكم وأبيات الشعر الجميلة في مواقف معينة. حتى طالعتُ كتابا عنوانه: (مغالطات يجب أن تمحى من التاريخ) وفيه يدافع المؤلف عن الحجاج دفاعاً مستميتاً للغاية. إننا يجب أن ندرس قواعد الجرح والتعديل قبل الحكم على الأشخاص ، كما أننا يجب أن لا نغفل عن الحسنات لكثرة السيئات ولا العكس. وآل عباد تجاوزوا للحد الذي كانوا فيه أقرب إلى

الطواغيت منهم إلى الأئمة المسلمين المُقسطين. عموماً عندما شرعتُ في الكتابة عن سقوط آل عباد نازعتني قافيتان وبحر. فأما القافيتان فهما الدالية والرانية...فأما الدالية لتطابق الاسمين (المعتضد الأب ، والمعتمد الابن) وأما الرانية فتلك التي رثا بها المعتمد بناته! فأثرت أن اكتب على ذات بحره ورويه. وأما البحر فهو البسيط ذلك البحر الذي يروق لي كثيراً في عرض الأحداث. ومن هنا كتبت القصيدتين. فعنونت للأولى بـ (لماذا سقط آل عباد؟) والثانية بـ (من شابه أباه فما ظلم). وكنت قد كتبت عن الأندلس قديماً في أوائل التسعينات عن الأندلس بعنوان (الأندلس: الأرض والفتاة). وإذن فليست هذه المرة الأولى التي أكتب فيها عن الأندلس. وكنت قد كتبت قصيدة منذ سنين تحمل عنوان (الأندلس بين المجد والفقْد) وكانت في ديوان (القواعة الدامية) ، وأوردت في التقديم وفي القصيدة ما يشيد بآل عباد ويجعلهم سنا الأقران ووجهاء الناس وذلك جرياً على ما ارتآه فيهم الوزير أبو بكر محمد بن عيسى المعروف بـ (ابن اللبانة) فهو يزيكي القوم ويرثيهم في مملكتهم التي اغتصبها النصارى ، فيصور لنا بكاء السماء على العظماء آل عباد فيقول:-

تبكي السماء بدمع رائج غادِ على البهاليل من أبناء عباد!

وربما يكون الوزير قد خدع في القوم أو جاملهم إبقاء على وزارته ، وربما يكون بنو عباد في أول أمرهم أفضل منهم في آخره ، إذ بدأوا مجاهدين مخلصين ، ثم تحولوا بعد الملك والتمكن والهيمنة إلى جبارين متأمرين مفسدين فأذلوا العباد وسلموا البلاد. غير أنهم في النهاية كان لهم نصيب كبير من الوصف الأخير ، أو يكون الوزير ابن اللبانة قد علم خيراً وغابت عنه أخبار (مثلي عندما أُنثيت عليهم لخبر ما أو لقول ما ، ولم أكن قد درست تاريخهم ، ووقعتُ من خلال دراسة ذلك التاريخ على أسود أخبارهم وسيئ صفاتهم). وإن التاريخ خير شاهد على ما نقول ونثبت ولنا الظاهر والله يتولى السرانر. والحقيقة أننا يجب أن نستقي من التاريخ العظات والعبر حتى نستعين بها على المستقبل. ذلك أن التاريخ فعلاً يُعيدُ نفسه ولو بعد حين كما يقولون. ويقول شوقي في ذلك: اقرأوا التاريخ إذ فيه العبرُ ضل قوم ليس يدرون الخبرُ
ومن هنا وجب على كل أمة أن تتعرف على ماضيها لتستلهم الدروس لحاضرها الذي تعيشه ومستقبلها الذي هو آتٍ لمحالة! وصدق أرسطو عندما قال: (اعتبر بمن مضى قبلك ، ولا تكن عبرة لمن بعدك). والحقيقة أنني توقفت كثيراً عند المآسي التي ذاقها المسلمون في الأندلس. إنها مأساوية بكل ما تحملها الكلمة في طياتها من المعاني. بعد هذا التقديم التاريخي الطويل يطيب لي أن أطلع مع القارئ الحبيب ما أنشدته في سقوط آل عباد!

كم عشتَ تسمُرُ - بالأعياد - محبورا لَمَّا حَكَمْتَ بما تهوى الجماهيراً!
كم احتفيتَ بما يُشجيك مُغْتَبطاً إذ أمْرُوك - على السادات - تَأْميراً!
كم اعتليتَ سِنام العز مُزدهياً لَمَّا غدا صوتك المَطْعونُ مشهوراً!
كم اجتنيبتَ خيوراً لا خُدود لها والدربُ عطره العبيدُ تعطيراً!

وساق كل - لمراك - التباشيرا!
وما أهانوك ، بل وقرت توقيرا!
إذ عزروا قبلك الأفاذذ تعزييرا!
فيهم لتحيا - مدى الأيام - مشكورا!
لكي تعيش - على الأعداء - منصورا!
وعمروا الدار - بالطاعات - تعمييرا!
وحذروك - من الكفار - تحذيرا!
وتصحب الصفوة الصّيد المغاويرا!
أو أحسنوا الظن تسهياً وتيسيرا!
من عالم الطهر ، يزجي الخير والنورا
إذ نصبوك ، فزاد الحين تعسيرا
ودمروا عزها الميمون تدميرا
إذ أسلموك القرى والمال والدورا
وحولوا الدار - للأوباش - ماخورا
يا ليتهم قدروا الأمور تقديرا!
لما أقاموا - على الأمصار - شيريرا
من المكائد تزجي الظلم والزورا
حتى استساغوا شقيّ الحال مخمورا
من الأباطيل ما قد بات منظورا
إذ بايعوك على ما كان مسطورا

كم قلدوك - من الألقاب - أفخمها
كم وقروك لكي ترضى ، فكرمهم
كم عزروك - لوجه الله - في ملاً
كم أكرموك ، لكي تقيم شرعتهم
كم أخلصوا - لك - إساناً وتكرمة
كم أحسنوا البذل في سر وفي علن
كم ناصحوك ، وما ضنوا بموعظة
كم جادلوك - بشأن الحرب - تشعلها
كانهم فيك يادهقان كم خدعوا
كانهم أمّلوا - في الذي قد ارتاؤه - مدى
كانهم ظلّموا - بالعمد - أنفسهم
كانهم حطموا آمال أمّتهم
كانهم خالفوا شروط ملّتهم
كانهم نصّبوا من خان شرعتهم
كانهم أخطأوا التقدير ، فانجدلوا
كانهم غلبوا الأهواء جامحة
كانهم غفلوا عما يحاك بهم
كانهم جهلوا أحوال من فسقوا
كانهم فتنوا عن حقهم فأتوا
كانهم أخذوا بما كتبت لهم

فيك اعتماداً على ما كان مستورا؟
على العمالة حتى صيرت مثبورا؟
حقوقهم منذ غدا القرآن مهجورا؟
حتى تُغيّر هذا الحال تغييرا؟
حتى تزيل الأسى والقهر والجورا؟
أيدي الأعداء فلا تستأمن البورا؟
ضاعت وتبرها الأعداء تتبيرا؟
أو (البطاح) أو الثكلى (أغاديرا)؟
قلوب من سَطروا الأحداث تسطيرا؟
إذ أصبحت خبرا يحوي الأساطيرا؟
وسلمت - للطواغيت - المقاصيرا؟
إذ حَبَرَ السِّيرَ الشَّوْهَاءَ تحبيرا
يُعَيِّرُونَ به - في الناس - تعيرا
إذ إنه ليس - إما خط - ماجورا
تردي النفوس ، وتجتاخ الأساريرا
يُدها ، والناس لا تألوه تثبيرا
إذ لا يرد الرعايد المقاديرا
وقد يذوقون ذمأ عنه مسعورا
إذ عاش مُنعدم الإحساس شنفيرا
ولم يزدها هواة السرد تزويرا

يا ليت شعري ، فهل نافقت من وثقوا
أو ليت شعري ، فهل راهنت دون حيا
أو ليت شعري ، ألم ترحم من اغتصبت
أو ليت شعري ، أما عاينت محنتهم
أو ليت شعري ، أما أبكاك موقفهم
أو ليت شعري ، أما أدركت ما صنعت
أو ليت شعري ، أما استحييت من مدن
أو ليت شعري ، أما ساءلت (مَرسية)
أوليت شعري ، أما أبكت (بنسية)
أو ليت شعري أما ساءتك (قرطبة)
أو ليت شعري وهل (جيان) قد رضخت
يا آل (عباد) التاريخ حاكمكم
ولم يفته - عن الباغين - من خبر
ولم يُجامل - من العادين - من أحد
يا آل عباد الطغيان مخبثة
والظالم الدهر مأخوذ بما كسبت
وقد يموت ويبقى شوم نِقْمته
يفنى ، ويذكر أهل الأرض بطشته
جزاء ما قدم الشقي من مَن
يا آل عباد الأخبار قد رُصدت

تأديب مَنْ سَعَرُوا الْفَتُونَ تَسْعِيرًا!
ثم اتخذتم - مِنَ الثَّأْرِ - التدابير!
كأنهم أصبحوا - صدقاً - عصافير!
وما ادخرتم - لأهل العلم - توقيرا!
كي تسمعوا صادقاً يشدو وظنبورا!
تُبذرون - على اللذات - تبذيرا!
وتكرمون الألى ارتادوا المواخيرا
واستصحبوا - للتواشيح - المزاميرا
وبدّدوا - في المَواويل - الغباشيرا
وأوقدوا - للذي يهجوّه - تنورا
وللدعاة أعدوا السيف والكورا
إذ نصبوا ملكاً فظاً وتيهورا
له الممالك حتى زادهَا (أورا)؟
ترفعْ كان - في الأمصار - مذكورا
تزجي الصليب - على الرايات - منظورا
حتى رأى الناس ما قد كان محذورا
وأصبح السؤدد المغوار مدحورا
كم عاش يأسر ، حتى بات مأسورا!
ويح الغلوج غزت لم تُؤ مؤتورا!
كم دبّروا أمرها بالكيّد تدبيرا!

فكم ظلمتم عباد الله ، حُجّتم
وكم قتلتم - بلا حق - رعيتم
وكم ذبحتم - مِنَ الأبرار - كوكبة
وكم عصيتم مليك الناس في ملأ
وكم دفعتم - من الأموال - في سَفِه
وكم بذلتم - مِنَ الآلاف - هينة
وتنفقون - على الغناء - في سرف
وتغدقون - على الفسّاق - من عزفوا
وأوغروا ليّهم من بعد غدوتهم
وعلية القوم - في قعر الخنا - رتعوا
وشردوا من سعى جهراً يناوئهم
كانهم - في الورى - باتوا فراعنة
فهل غدا في الدنا النمروذ قد خضعت
يا آل عبادِ المُلكِ انتهى ، ومضى
لما أتت جوقة الذؤبان غازية
تحتل ما تشتهي بلا مقاومة
وضاع مجدّ ، وأخلاق ، ومملكة
وبات - في القيد والأغلال - (معتمد)
وجاء (ألفونس) ، والأخبار تسبقة
ويح المفاليس يجتاحون خندمة!

بأن أهل التقى صاروا شحاريرا
لذا فشانهم قد بات مبتورا
مهندا من سيف الله مشهورا
وقال قولا - مدى الأيام - ماثورا
ثم امتطى أبلقا - في الحرب - منشيرا
كأته بات - في الجوزاء - زرزورا
ومن يطيق لبأس الأسد تصويرا؟
ولا تخيرها - في الخنق - تخيرا
يا للأسود إذا لاقيت خنازيرا!
وعاد - من حرب أهل الكفر - منصورا
إذ أمرته جيوش النصر تأميرا
إذ هجروه - من الديار - تهجيرا
ولا بلهينة تسناق تيسيرا
من الصياغة لما صار ماجورا
رضا أبيه الذي أعماه تبريرا
كم عاش ينتظر الأنبياء تبشيرا!
إذ بتن يغزلن للشرطي طرورا
يسخدم اليوم بنت العز تسخيرا!
تزيد من بيتغي - في العيش - تبصيرا
وكان أمر إله الناس مقدورا

لكنهم غفوا جدا إذ اعتقدوا
توهموا أن كل الناس (معتمد)
لكن (يوسف) في الآفاق لاح بهم
قائد الجيوش ، وصاغ النصر ملحمة
لن نستكين لهم ولا (لمعتمد)
يطوى البيادي ، لا يبدو العجاج له
وجنده الأسد - في الهجاء - ثائرة
تطير مرعدة ، ترجو فريستها
حتى لتجعلها تفر لائذة
وكان (يوسف) يزجي الصف محتسبا
وبات رأسا على أتباع ملته
واقتيد للسجن بعد الملك (معتمد)
ولم يكن في دجى (أغمات) من فرح
و(فخر دولته) يقتات مرتزقا
ومات - في حرب - (المأمون) ملتسما
وفي الجلال قضى (الراضي) فهذا أبا
أما البنات فكم عانين متربة!
من كان يخدم قبل اليوم (معتمدا)
ياناس هذي من الجبار موعظة
وسنة - في الورى - يأتي بها قدر

خير لك مما طلعت عليه الشمس

(ص (60) من (حدث في المحكمة) للعمرى قصة القسيس الذي أسلم عندما رغب المترجم والقاضي في هدايته في مجلس القضاء. دخل رجل يتحدث الفرنسية ، وكان المترجم يتمتع بذكاء وجودة ، وقد أشعر القاضي أن هذا الرجل من قساوسة النصارى ، فذكر القاضي قصة مريم من كلام الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام ، وتكلم عن حزام الألفة في أوروبا ، وعقدة الخطيئة ، وصكوك الغفران ، وقضايا الوثنية ، فبهت النصراني ، وعجب من القاضي وقال له: إنك تعلم عن عيسى ابن مريم وأمه ما لا أعلمه أنا ، ولسوف أدرس هذا. ودرس بعد ذلك وأخلص فأسلم! روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس). وإذن فذكر الله ودعوة عبده إلى الهداية هما صمام الأمان في ديننا وديننا! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قَوْلَ اللَّهِ لِأَنَّ يَهْدِي بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ). [متفق عليه عن سهل بن سعد]. ، (خير له مما طلعت عليه الشمس). [أخرجه الطبراني عن أبي رافع]. ، (خير لك من الدنيا وما فيها). [تخريج أحاديث الإحياء للعراقي]. إن كل مسلم لا يدري أي أعماله قبلها الله عنه ، كما لا يدري أي أعماله ردها الله عليه! ومن هذا المنطلق فلقد تكون دعوته لإنسان اهتدى عليه يديه هي التي بقيت في ميزانه ، بينما طاشت كل أعماله! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا ، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا ، جَلَّهْمُ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا). [سنن ابن ماجه عن ثوبان]. (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ). والأصل أن الداعي البصير يدعو الناس إلى الله تعالى ، لا يدعوهم لنفسه ولا لحزبه ولا لفرقته ولا لجماعته! ويعلمهم أن هدايتهم تعود عليهم هم أول ما تعود! قال عز وجل: (مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا). وقال جل جلاله: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى). وقال سبحانه وبحمده: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ). قال ابن القيم: (فعل الرب تعالى هو الهدى ، وفعل العبد هو الاهتداء ، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي. قال تعالى: (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي) وقال - رحمه الله -: في (الفوائد 166 - 171): (تكرر في القرآن جعل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والإضلال). هـ. وقال ابن القيم (الفوائد 87): (علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً... أي في ذات الله. وقد قسم ابن رجب الناس إلى ثلاثة أقسام ، فقال: الناس ثلاثة: راشد ، وغاوي ، وضال ؛ فالراشد عرف الحق واتبعه ، والغاوي عرفه ولم يتبعه ، والضال لم يعرفه بالكلية ؛ فكل راشد هو مهتد ، وكل مهتد هداية تامة فهو راشد ؛ لأن الهداية إنما تتم بمعرفة الحق والعمل به أيضاً. هـ. وقال رحمه الله: وإنما وصّف - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - الخلفاء بالراشدين - في الحديث - ؛ لأنهم عرفوا الحق وقضوا به ، والراشد ضد الغاوي ، والغاوي من عرف الحق وعمل بخلافه. هـ. نعود للنصراني الذي درس فأسلم لله!)

هداه الإله لأسمى السنن فأشهر إسلامه في العن

مُنِيباً إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْوَرَى
لَقَدْ حَصَحَ الْحَقُّ مُسْتَعْلِياً
عَلَامَ التَّلَاحِي بِلا غَايَةٍ؟
أَصْرَ الْمَتْرَجْمُ مَسْتَعْذِباً
وَجَاهِدَ - بِالْحَقِّ - لَمْ يَكْتَرِثْ
وَسَاقَ الدَّلِيلَ عَلَى حَقِّهِ
وَقَضَى أَحْسَنَ بِمَا يَنْبَغِي
أَبَانَ سَبِيلَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
وَلَمْ يَغْمِزْ قَطُّ ، أَوْ يَلْمِزْ
وَكَانَ الْقَضَاءَ طَرِيقاً إِلَى
فَأَسْلَمَ قَسّاً أَرَادَ الْهُدَى
وَلَمْ يَطْعَنْ الْقَوْمَ فِي نِيَّةٍ
وَلَمَّا يُجَادِلْ ، وَلَمَّا يَثْرُ
وَلَمَّا يَنْاقِشْ بِبَلَطَائِلِ
وَلَمْ يَكُ - فِي الْأَمْرِ - مُسْتَتَكِفاً
وَلَمَّا يُرَاوِغْ ، وَلَوْ لِحْظَةً
وَلَمَّا يُرَائِي بِإِسْلَامِهِ
وَوَدَعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ هَوَى

كَمَا يَفْعَلُ الْعَبْقَرِيُّ الْفَطِنُ
أَلَا إِنَّهُ - بِالتَّسَامِي - قِمْنُ
أَلَمْ يُذْهِبِ النُّورَ كُلَّ الدُّخَنِ؟
عَلَى النَّصْحِ مَهْمَا يَكُونُ الثَّمَنُ
بِمَا قَدْ يُوَاجِهُهُ مِنْ مِحْنِ
لِقَسِّ - عَلَى فَهْمِهِ - مُؤْتَمِنُ
فَأَخْلَصَ فِي جُودِهِ وَالْمِنْنِ
بِوَعْظِ مُبِينٍ وَلِفِظِ مَرْنِ
إِذِ الْوَعْظِ - بِالْغَمَزِ - لَا يُقْتَرَنُ
بِبَيَانِ الرَّشَادِ وَأَزْكَى السُّنَنِ
وَأَبْلَى الْبَلَاءِ الْجَمِيلِ الْحَسَنِ
لَهَذَا تَجَاوَزَ كُلَّ الْمِحْنِ
وَلِلطَّعْنِ - فِي الدِّينِ - لَمْ يَرْتَكُنْ
وَلَمْ يَأْوَ قَطُّ لْغَرَسِ الْفِتَنِ
يُوزِّهُمَا بِالْكَلامِ الْخَشَنِ
فَقَدْ كَانَ يَخْشَى سِبَاقَ الزَّمَنِ
لَأَنَّ الْمَرَائِيَّ قَدْ يُفْتَتِنُ
فَزَالَتْ - عَنِ الشَّهْمِ - أَعْتَى الْإِحْنِ

خرقة بألف دينار

(في كتاب مجالس النساء صـ (116) يورد قصة امرأة مع النبي داود – عليه الصلاة والسلام -. يروى أن امرأة دخلت على داود عليه السلام ، فقالت: يا نبي الله ، ربك ظالم أم عادل؟! فقال داود: ويحك يا امرأة هو سبحانه وتعالى العدل الذي لا يجور ، ثم قال لها: ما قصتك؟ قالت: أنا أرملة عندي ثلاث بنات أقوم عليهن من غزل يدي ، فلما كان يوم أمس شددت غزلي في خرقة حمراء ، وأردت أن أذهب للسوق لأبيعه ، وأبلغ به أطفالي ، فإذا أنا بطائر قد انقضَّ عليّ وأخذ الخرقة والغزل وذهب ، وبقيتُ حزينة لا أملك شيئاً أبلغ به أطفالي. فبينما المرأة مع داود عليه السلام تحكي له قصتها وتبث شكواها وتدّيع سرّها ، فإذ بالباب يطرق على داود ، فأذن بالدخول ، وإذ بعشرة من التجار كل واحد بيده مائة دينار فقالوا: يا نبي الله أعطها لمستحقها. فقال لهم داود عليه السلام: ما كان سبب حملكم هذا المال؟ قالوا يا نبي الله ، كنا في مركب فهاجت علينا الريح ، وأشرفنا على الغرق ، فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء وفيها غزل ، فسددنا به عيب المركب! فهانت عليه الريح وانسد العيب ، ونذرنا لله أن يتصدق كل واحد منا بمائة دينار ، وهذا المال بين يديك ، فتصدّق به على من أردت. فالتفت داود - عليه السلام - إلى المرأة وقال لها: ربّ يتجر لك في البر والبحر ، وتجعلينه ظالماً ، وأعطاه الألف دينار ، وذلك لأنها صاحبة الخرقة الحمراء التي أخذها الغراب ، وقال: أنفقيها على أطفالك.هـ. أقول: إن المسلم الموحد القانت يجب أن يحسن الظن بالله - عز وجل - في كل أحواله. روى مسلم من حديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل). وجزء من حديث قدسي صحيح يقول الله فيه: (أنا عند ظن عبدي بي ، إن ظن خيراً فله ، وإن ظن شراً فله). ومن هنا يجب أن ندرك أن بلاءات الله - تعالى - شتى ، فقد يبئلي بالخير ، وقد يبئلي بالشر. وكنتُ تأملت قول الله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، وإلينا ترجعون). وتعجبتُ طويلاً: كيف يكون البلاء بالخير؟ وتعجبتُ أكثر عندما قرأت وتساءلت: لماذا فُدم الشر على الخير في هذه الآية؟ والحقيقة أن ابتلاء الله للعبد بالشر له أن يتقدم هنا ، لأن الابتلاء بالخير قد ينشغل فيه العبد بالخير والنعمة ، وينسى الذي تفضل عليه بتلك النعمة وبذلك الخير ، الله رب العالمين. وأما الابتلاء بالشر فحريّ أن يتذكر العبد فيه رب العالمين ، ويجأر إليه ، ويستعين به وحده في صرف ما ألم به من الشر والمصيبة. وكانت قصة المرأة مع داود - صلى الله عليه وسلم - الباعث على كتابة هذه القصيدة التي رأيت أن أتخيل فيها داود - عليه الصلاة والسلام - يلقن المرأة درساً في العقيدة من وجوب إحسان الظن بالله - تعالى - فأنشدت من الرمل أقول:

ربك الرحمن خيرُ الرزاقين فلم إذا تفتن القلب الظنون؟
كفل الرزاقُ رزاقَ الورى فلم إذا الشك يودي باليقين؟
كم يحاز المرءُ فيما حوله من أمور الناس هذي أجمعين!
فغنيّ يشتهي أمواله بلغت آلاف ألفٍ بالمئين!

وله - في ظلمة - الليل أنين
فبهم تكويه نيران الديدون
أو فتاة ، باذلاً أندى الحنين
لسنا التقوى بعلم مستبين
من ضيا القرآن أوحاها الأمين
وبها - في معرض الشكوى - جنون
من سؤال يُذهب الحلم الرزين!
جل شأنُ الله مولانا المتين!
وارجمي - بالذکر - إبليس اللعين
قبح ظن ظاهر السواى مشين
بعد سُقم دام ردها من سينين
بعد زوجي غيرُ ربي من مُعين
وملاك الأمر ، والركنَ الركين
بحليل فاقدِ التقوى غبين
يجعلُ البيت كما الحصن الحصين
بين أهل الأرض من خل خدين
من نظى الحاجة أمسى يستكين
خرقة حمراء كيلا يستبين
يُشترى - بالمال - مأكول البطون
خرقتي والغزل في لحظ العيون

وفقيراً يرتجي بعض الغنى
ومعيراً حار في أولاده
وعقيمٌ يبتغي ظل فتى
وعليمٌ بات يدعو مخلصاً
وجهولٌ ليس يدرى آية
جاءت المرأة تشكو ربها
تصفى المولى بظلم ، ياله
قلت: كلا ، إن ربي عادلٌ
أحسنى القول ، ولا تستهتري
وانكري القصّة قادتكِ إلى
قالت المرأة: زوجي قد ثوى
عن بُنياتٍ ثلاثٍ ، ماننا
كُن شغلي ، وحياتي ، والدنا
فتأيمتُ لئلا أبتلى
لم يكن عندي غلامٌ يافعٌ
وأنا أحصنتُ فرجي ، ليس لي
فاحترفتُ الغزل في بيتي الذي
وشددتُ الغزل في كيس له
أنتوي بيعاً له في السوق كي
فإذا بالطير ينقض على

بالذي حاز ، وأمسى لا يبين
ودهنتني - بعواديها - الفتون
وبقايا الأكل ليست في الصحون
بعض ما نلقاه من ريب المنون!
إنه الجور ، وأعطيك اليمين
قال (داود): ادخلوا يا قادمون
نذروا - لله - نذر الصالحين
للمساكين إذا ينجو السفين
ثم شجت سلمه الريح السفون
إذ غدا المركب كالبئر الشطون
عندما الأحزان طمت والشجون
رحمياً - كانت لغزل - كالجنين
إنه تدبير رب العالمين
غزلها ، واستخدمت شتى الفنون
ساقه المنان خير الرازقين
وقضاه الله بالخير ضمين
في ثناياه انطوى الخير الدفين
فيه شر مستطير قد يكون
قدر الأقدار خير الخالقين

ثم يعلو في السما مستأثراً
وأنا الأحزان طالبت همتي
ليس عندي ما يُداوي جوعنا
يا نبي الله: هذي قصتي
أي عدل يُجتنى فيما ترى
فإذا بالباب يعلو وطرقه
عشرة كانوا ، وكل تاجر
مئة من كل فرد نادر
كان - في البحر - معافى سالم
فإذا بالكل يمسي حائراً
ودعا الكل رحيماً راحماً
فإذا بالطير يُلقى خرقة!
أصلحت عيباً ، وأنجت أنفساً
وإذا الألف لأم أتقتنت
لم تكن تحلم بالخير الذي
حكمة الله ورا أقداره
قد نرى أمراً فظيعاً منكراً
ونرى أمراً جميلاً طيباً
جل رب الناس مولانا الذي

المدرسة الثكلى!

كانت هذه المدرسة سعيدة وهانئة بإدارتها التربوية الحكيمة ، وهيئتها التدريسية المدربة المتطورة المخلصة الوافية ، وطلابها وطالباتها. فتخرج الأجيال ، وقد أهدتها العلم النافع والنصائح الغالية والمنهج القويم الذي يؤهلهم لأن يكونوا مسلمين مؤمنين قائمين بأمر الدين والدنيا معاً. ثم ابتليت هذه المدرسة بإدارة فاشلة لا تجيد من الإدارة أجديتها ، ولا تواكب التطور ولا تحترم التعليم ولا تعترف بالمعلم ، بل قامت بهدم ما بنته الإدارة السابقة انتصاراً للهوى ليس إلا. وصدق أرسطو إذ يقول محتقراً الظلم والظالمين: (الظلم من طبع النفوس البشرية ، وإنما يصدها عن ذلك أحد علتين: إما علة دينية لخوف معاد ، أو علة دنيوية لخوف سيف). وهذا هو الذي حدث لهذه الإدارة الفاشلة المتعطرسة ، أمنت السيف لثقة من عينها فيها ، وتجرات على الله لاندحام الوازع الديني في قلوب أصحابها. ويوماً ما ستندم هذه الإدارة ولا شك ، ذلك أنه مادام هناك ظالم فلا بد من وجود مظلوم ، ومن ينصر المظلوم إذا دعا رافعاً كفيه إلى السماء إلا الذي في السماء الله رب العالمين؟ وللحارث بن أسد المحاسبي كلمة في هذا الشأن نذكرها: (الظالم نادماً ، وإن مدحه الناس! والمظلوم سالم ، وإن ذمه الناس ، والقانع غني وإن جاع ، والحريص فقير وإن ملك). إن على الظالم أن يعلم أن المظلوم يوم يدعو فهو موعود بالنصر من الله تعالى: (وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين). ويقول ولي الدين يكن الفيلسوف المسلم المحترم: (من أقبح أنواع الاستبداد الجهل على العلم ، واستبداد النفس على العقل). إنني أسأل كل مدير مدرسة أو أي مدير: ألسنت تمد يدك آخر الشهر لتتقاضى راتبك؟ والجواب بالطبع: بلى! وأعود فأسأل: ألسنت تمد يدك من الموظفين أجراً عند أصحاب العمل؟ والجواب: بلى! إذن لماذا التجاوز ونسيان النفس والبطش بالناس واعتبارهم عبيداً لا كرامة لهم ولا حقوق ولا احترام؟ إن المدير الناجح الموفق هو من يقيم إدارته على الحق والعدل والخلق واحترام الآخرين. وليست الإدارة أبداً بتصفية الحسابات على عادة الظالمين. ويوم أن يفترض أي مدير أنه يرزق ويمنع فليُفَق إلى رُشدِه وصوابه قبل فوات الأوان ولات ساعة مندم! وبحكم عملي كمدرس للغة الإنجليزية على مدى عقدين ونصف ، تعاملت مع ستة مدراء ، وأُفِيت الحكمة والعدل في أقلهم. إذ الوظيفة قد تصرف صاحبها عن الحق ، فبدلاً من أن يستخدمها في طاعة الله والتمكين لدينه في الأرض ، إذا به يستخدمها في إذلال الناس من حوله واسترقاقهم ، وكأنهم عبيد عند أبيه قد ورثهم إرثاً! ومن صحيح ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذم الظلم والظالمين ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة). عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اتقوا دعوة المظلوم) (وإن كانت من كافر ، فإنه ليس لها حجاب دون الله). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ، ففجوره على نفسه". وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره ، وظلم لا يتركه فأما الظلم الذي لا يغفره الله: فالشرك ، قال الله: {إن الشرك لظلم عظيم}. وإذن فالظلم ظلمات: ظلم العبد لنفسه وهذا يغفره الله بالاستغفار والتوبة النصوح والندم ولزوم الصالحات! وظلم العبد لغيره من العباد وهذا لا يغفره الله لا بالاستغفار ولا

بالندم ولا بالتوبة النصوح! عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أيها الناس اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة). وعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اثنتان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين". روى مسلم ، في الجامع الصحيح ، عن أبي ذر الغفاري قال: قال النبي - عليه الصلاة والسلام - فيما يرويه عن الله عز وجل: (يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تُخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه). أما المدرسة التي هي موضوع قصيدتنا فليس المهم اسمها ولا وصفها ولا مكانها ولا زمانها. هي مدرسة منكوبة ككل مدرسة تبتلى بمن يسيئ التصرف فيولي عليها إدارة فاشلة جاهلة متعطسة ، ليس لها من مسمى الإدارة إلا التسمي فقط. وهنا تكون الكارثة ، ويصبح الجاهل عالماً ويمسي العالم جاهلاً ، إذ يوسد الأمر إلى غير أهله. فتخيلت هذه المدرسة إنسانة حزينة دامعة على عزيز غال فقدته فرحت أعزيتها. وأبكي معها على حالها الماضي السعيد وحالها الحاضر التعيس!

صغتُ دمعِي - يا غادتي - أشعارا	في مُصاب يستنطقُ الأحجارا
هزني من أعماق نفسي وذاتي	فانتحبثُ أسـتهجنُ الـديارا
مُشهرأ سيفَ الثأر ممن تحدى	أهل ودي ، والصفوة الأخيارا
مُعلنأ أني لن أهادنَ وغداً	فرقَ الجمعَ ، ثم عنا توارى
أخذأ بالثأر انتصاراً لقوم	عجزوا عن أن يُدركوا ذا الثأرا
ذائداً عن حق يُعاني التجني	جاعلاً إنصافَ النشامى شِعارا
إيه يا تكلى ، جابهى كل ظلمٍ	واستجيشي الآهاتِ والأشعارا
وامنحيني من ذكرياتك قسطاً	واذكرني عهداً كنت فيه منارا
واسرُدي الأحداثَ التي أمتعنا	صدقيني إن قلتَ ليست تُبارى

إن طيف الماضي عزيز علينا
 معقل أنت - للعلوم - حصين
 فيه - يا كم - تخرجت أجيال!
 ليس شيء كالعلم يُغلي البرايا
 وأسألي عن صيتٍ وسمتٍ أصيل
 واستمحي التاريخ عذراً ، كفانا
 بين شتى المدارس ازددت خيراً
 ما الشهادات إن تدنى ذوها؟
 إن (عجمان) قلدتك التحايا
 أنت صرخ للعلم شعّ ضياءً
 وأهالي (عجمان) تُطريك خُباً
 ونبوغ الطلاب أزكى دليل
 والمربّون أدركوا ما عليهم
 أن يجودوا بالعلم يسحق جهلاً
 والأساليب - بين الأيادي - تحدت
 خبرة - في التدريس - تشمخ زهواً
 وانطلق نحو الجديد احتساباً
 قناعين بالراتب المتدني
 عازمين أن لا يخلوا بشرط
 باذلين ما قلدوا من سجايا
 حيث أمست أنسامه تذكارا
 مجده كم يستلفت الأنظارا!
 أكبرت إسهاماته إكبارا
 فاز من - في درب التعلم - سارا
 واستعدي الأنباء والآثارا
 كل شهم يستظهر الأخبارا
 والعلوم تستجلب الأنوارا
 ما البيوت إن عافت الزوارا؟
 طبيبات جادت بهن افتخارا
 في الدياجي يهدي جميع الحيارا
 واحتراماً وعزة واقتدارا
 ولهذا نستبشّر استبشّارا
 فأصرّوا ، واستعذبوا الإصرارا
 ثم هم منه استكثروا استكثرارا
 كل فذ - في الدرس - يهوى ابتكارا
 واطلاع يستروح الأفكارا
 باذلين الأموال والأسفارا
 حافظين العيوب والأسرارا
 بل رأوا في الإخلال بالشرط عارا
 كي يبيدوا الآفات والأخطارا

قاصدين الجبار في كل أمر
 مسـتهينين بالبلاءات توذي
 ناصحين الطلاب دون مـلال
 كلهم يبني - في الصغار - المعالي
 والمـديرُ أخ لهم مسـتنيرٌ
 خصّهم - بالإرشاد - في كل حين
 ثم جاءت إدارة لا تبالي
 كثرت - عن ناب العداوة - عمداً
 أمعت - بالتغير - ينشد غـراً
 شمّرت - عن ساق التعنت - بطشاً
 ثم أبدت حرصاً يُداريه كيـدٌ
 والقـرارُ لا تساوي تراباً
 واستهانت بالناس دون اكتراثٍ
 واستجارت منها الضمانر لـما
 واستحلت عرض الموحد جهراً
 وأضرت بالناس ظلماً وبغيّاً
 ضحكوا إذ أنات قوم تعالت
 أي دين هذا؟ وأية ناس؟
 هل مديرٌ من قلبه فاض حقداً
 هل مديرٌ من يعتلي الزهر فلـكاً

كيف يخزي من يقصد الجبارا؟
 كل شهم يرجو العلاء والفخارا
 صانعين الأعلام والثوارا
 كي يعيشوا - بين الوري - أبرارا
 إنه - بالعلم الرصين - استنارا
 حازماً في إرشاده أمرارا
 بالغت - في تهريجها - استكبارا
 ثم هدّت - بالترهات - الدارا
 والأباطيل تعجب الأغرارا
 والتعدي كم يأسر الأشرارا!
 حاملاً سيفاً قاصلاً بتارا
 بل أزاغت - عن شوفها - الأبصارا
 واستبدت ، لم تتق القهارا
 أسفرت - عن تضليلها - إسفارا
 ياترى هوذا أهلها أم نصارى؟
 ثم أمسى أربابها فجّارا
 بل تسلوا ، واستصحبوا الأكبارا
 إنما النفس تمقت الغدارا
 واختيالاً على الوري ، واغترارا؟
 مُبحراً - في بحر الهوى - إبحارا؟

وعن التقوى يُغلق الأزرار؟
زادهم تدريس الصغار انكسارا؟
من أناس لاكوا العنا والمَرار؟
موقداً - فيمن يرتجيه - النار؟
أنت مردولٌ ، لست ترعى الذمارا
ثم يوماً تجني الشقا والخسارا
يشتهيها الرجال قبل العذارى!
فارحم النفس ، واخش هذا الدمارا
لم أنهيت الملتقى والحوارا؟
إنما الاستغلال يزجي البوارا
ما استشيروا ، لم يسألوا الاختيارا
والسعيد من جاوز الإختبارا
رغم أنني ناصحته إسرارا
ليس هذا يريد أن يستشارا
والمليك أولى بأن يستجارا
دون حق ، وألحقوا الأضرارا
فاز عبدٌ يستغفر الغفارا
فطفقتنا نسترحم الستارا
إن فينا - لشرعك - الأنصارا

هل مديرٌ من يلبث العُجب ثوباً
هل مديرٌ من ليس يرحم هلكى
هل مديرٌ من لا يبارك جهداً
هل مديرٌ من - في التشفي - يغالي
أيها الخب كم كذبت علينا!
غرك الشيطان اللعين طويلاً
فأراك النفس الوضيعة فضلى
ذات يوم تكون - للدود - طعاماً
واستمع لى: إن الإدارة علم
اكتب الناس ، لا تكن مستغلاً
لم تدم للغير الإدارة ، فاعقل!
منصب أضحى محنة وابتلاء
كم نصحت ، والغر لم يستمع لى
والضحايا توليه حنقاً وغيظاً
تستجير من شر عبدٍ مبير
رب سلم ممن تجنوا علينا
واغفر الذنب ، نحن أهل المعاصى
كم وقعنا في عرض من ظلمونا
وانتصر للمظلوم ، يا رب واثراً

غيرة عليك ليس إلا

(دالي فتاة أمريكية أسلمت منذ ثلاث أعوام ، وتزوجت من مسلم باكستاني ، كان قد شرع في تعليمها اللغة العربية معه على يد معلم يجيد الإنجليزية والعربية. وعندما أتم المعلم دروسه وقررت دالي العودة إلى بلادها مع زوجها أهدت المعلم حاسوباً محمولاً كان خاصاً بها. فإذا به يجد عليه بعض أسرار خاصة بها أيام كانت مشركة لا تدين دين الحق. فمحاها غيرة عليها واحتراماً لحرمتها فقد أسلمت. وهذه هي طبيعة الإسلام عندما تخالط حقيقته القلب ، وتتجلى حقيقته للعقل ، ويتغلب جوهره في الضمير ، إنه في هذه الأحوال ينقلب قوة فاعلة وطاقة بناءة ، لإيجاد فرد مؤمن حقاً يشعر باستعلاء الإيمان والإسلام ، وهو يتعامل مع هذه الجاهلية المعاصرة الجهلاء. إنه يحقق قول الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) ، وقوله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) ، وقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: (مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر). وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله عليه -: (المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى). وهذا الذي حدث مع ذلك المعلم بالضبط ، عندما اكتشف هذه الأشياء التي تشين أختاً له في الإسلام ستر عليها ابتغاء وجه الله ، راجياً منه سبحانه الأجر والمثوبة. ستر عليها وهي من قبيلة غير قبيلته ، ومن عائلة غير عائلته ، ومن دولة غير دولته ، ومن قارة غير قارته ، وتتكلم بلغة غير لغته ولغة قومه ، إنما كان ستره عليها منبثقاً من لا إله إلا الله ومتفرعاً من شجرتها الطيبة ، فعل ذلك غيرة عليها ، إذ الإسلام جعلها أختاً في العقيدة والتوحيد ، يشينه في الناس ما يشينها ، ويرقى به فيهم ما يرقى بها ، ومن هنا راح يدافع عنها ويستر عليها كما يستر على أخته من أبيه وأمه. (إنما المؤمنون إخوة) فلما حكى لي هذه الواقعة بنفسه وجدنتي أحكيها شعراً على لسانه بعدما تخيلت وتصورت حقيقة هذه الوشيحة الإيمانية التي تتضاعل عندها كل الوشائج ، وتتهاوى عندها كل رابطة جاهلية مقيتة ومن هنا انفعلت ووجدتني أنشد من البحر البسيط وقافية اللام أقول معترراً بها وراجياً ما عند الله تعالى لها:)

عليك أرجو إلهي حط أثقالِي	مستعففاً - في البرايا - هائئ البالِ
أرجو لك الخير ، مهما كنت نائية	أعانك الله في جِل وتِرحال
وثبت الله إيماناً خصصت به	وصاتك الله عن سَهو وإهمال
وعشت يا أخت في عز وفي شرفِ	ولا أذاقك ربي سوء أحوال
لمّا رأيت الذي خلفت ضقتُ به	وقلت: زلت ، لذا أمسيتُ يرثي لي
إن الذي ضمّه الحاسوب من صور	تُزري بصالحه في وضعها الحالي

تُفضِي إلي شر غاياتِ وأعمال
وكبلتها بأصْفادٍ وأغلال
حتى تقودَ لها عقولَ أجيال
ومِن أساليبِ تسبي العاشقِ السالي
أن السعادة في تزيينِ محتال
مِن المُجون له رهيبُ أهوال
وعن ضياعِ شديدِ الوقع قتال
أودتْ بِدُورِ وآنامٍ وأمـوال
وكم يسودُ الفنا بكيدِ جهال!
إذ يمتـرون بادبـار وإقبـال
حتى يكون له وفيـرُ إجـلال
حظيـتْ منها بتكريمٍ وإفضـال
أجري العظيمَ لدى ذي الطول والنال
طمسـتُها مُنقـذاً مِنِ مِحـنةٍ (دالي)
له البرايا باخباتٍ وإذلال
بها أحقـقُ - في دنياي - آمالي
لكل ذنب له عتي أثقال

ماضيكِ هذا متاهاتٌ مُشتتة
والجاهلية خطتْ درب ضائعةٍ
وجندت - مِن غواة الناس - شردمة
فكنتِ صيداً لِمَا صاغوه مِن خططِ
تابعتهم في الذي خطوه زاعمة
وما تساءلتِ عما يرتجي غجرٌ
وعن فجور غزوا به شبيبتنا
وعن جرانم في أصقاعنا ارتكبت
وخرّبوا دُورهم هذي بما صنعوا
أختاه فلتذكري مكر الألى كفروا
حاسوبك اليوم قد نضرتْ صفحته
أغارُ جداً على أختِ مباركةٍ
محوث كل الذي عاينتُ مُحسباً
أمانة هذه الأسرارُ في عُنقي
محوثها أبتغي مرضاة من خشعت
أرجو بذلك عند الله مكرمة
بها أريدُ - من الرحمن - مغفرة

إنها التربية بالقُدوة

(أثر عن الدعاة المعلمين المخلصين الربانيين أن القلوب تنفتح لهم لتعمل بما يقولون. فهل هذا يا ترى من فراغ؟ بالطبع لا ، إنها التربية بالقُدوة. إن حمل الناس على اتباع الحق نظرياً لا يمكن أن يوتي ثماره إلا عندما يقترن باقتداء الناس بداعيةٍ يفعل ما يأمر به. وهذا هو الحسن البصري – رحمه الله – نحسبه واحداً من هذا الفريق الذي كُتب له القبول في الأرض – والله حسيبه ووكيله ولا نزكي على الله أحداً. الحسن البصري رحمه الله ، هو شيخ الواعظين ، جاءه عبيد البصرة ذات يوم ، وقالوا له: يا تقي الدين ، قد أساء سادتنا معاملتنا ، وقست علينا قلوبهم ، وجئنا إليك لتكون خطبتك في الجمعة القادمة الحث على عتق الرقاب. ولبي رحمه الله رغبتهم ، ووعدهم خيراً ، ومضت جمعة وجمعة ، والحسن لا يخطب فيما كلموه بشأنه ، ولم يتحدث فيما دعوه إليه. وذات يوم من أيام الجمع اعتلى الحسن المنبر ، وخطب عن عتق الرقاب ، فما من أحد سمعه إلا خرج وأعتق عبده. فلما تحرروا من الرق ، اجتمعوا في بيت الحسن ، وقالوا له: يا تقي الدين جئناك مُعاتبين. قال فيم العتاب؟ قالوا له: ما الذي أخرج هذه الأسابيع ، وأنت تعلم أننا كنا في مسيس الحاجة إلى التعجيل بالكلام في هذا الموضوع؟ فقال لهم الحسن كلمة تكتب بحروف من الذهب على صفحات النور. قال بلسان اليقين ومنطق الحق المبين: إنما أخرجني أني كنت لا أملك عبداً ، ولم يكن معي ما أشتريه به ، فلما رزقني الله مالاً اشتريت عبداً وأعتقته ، فلما خطبتُ الناس دعوتهم إلى عتق الرقاب ، فوجد الكلام استجابته في قلوبهم ، لأنني طبقت على نفسي ما أمرت به غيري. وتلك هي الأخلاق الكريمة والخلال العظيمة التي اقتبسها البصري ونهلها من كتاب الله – عز وجل – ومن سنة النبي – صلى الله عليه وسلم –. وصدق الشاعر محمود الأيوبي إذ قال : والمرء بالأخلاق يسمو ذكره وبها يُفضل في السورى ، ويوقرُ وصدق الشاعر أحمد شوقي إذ يبين قيمة الأخلاق في حياة الفرد والمجتمع في بيته المعروف: وإنما الأممُ الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبَ أخلاقهم ذهبوا وصدق المتوكل اللبثي في بيته إذ يعتبر من يدعو إلى خلق ويخالف عنه كأنما أتى عاراً يعير به: لا تنه عن خلق ، وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم! والآية القرآنية تحسم الموقف: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون!) والمقت كما يقول المفسرون هو أشد الغضب. إن العلماء هم أولى الناس بالعمل بما يعلمون من الحق وبما يدعون الآخرين للعمل به ويحثونهم على فعله. إن العلماء عندما لا يلتزمون في ذوات أنفسهم ومن يعولون بالحق الذي يؤمنون به ويدعون الناس إليه ليؤدوا شهادة عملية على أنهم كاذبون مخادعون ، أو أن ذلك الحق لو كان فيه خير لكان فيه من الدافعية ما يجعلهم يلتزمون به تطبيقاً في ذوات أنفسهم ومن يعولون من الأبناء والبنات. إن العالم الذي يدخن ويدعو الناس إلى ترك عادة التدخين وضرورة الإقلاع عنها مبيناً الأضرار البالغة التي أقرتها منظمة الصحة العالمية من أن التدخين لا يترك أي عضو في جسم الإنسان إلا كانت له بصمة ضرر عليه ، ثم هذا العالم في الوقت نفسه يدخن ، ويراه الناس يشعل سيجارة من أخرى لا يمكن أن تثمر دعوته ، ذلك أنه شخصياً لو كان يؤمن بما يقول من حُرمة التدخين وسونه لامتنع هو أولاً! وكذلك العالم الذي يأمر بنات المسلمين ونساءهم بالحجاب ، على حين نرى بناته

المكلفات العاقلات الراشداً غايات رائحات مُتبرجات مظهرات للحسن كاسيات عاريات مائلات مميلات ، ما تركن فناً من فنون التبرج إلا أتين منه ما تيسر ، وما تركن عطرأً من العطور إلا أصبن منه قدر الطاقة والاستطاعة ، فأنى تثمر دعوته في البنات والنساء عن ترك التبرج والتزام الحجاب؟ ومن هنا انتظر الحسن البصري - رحمه الله - حتى يطبق ما سوف يأمر الناس به ، وذلك ليكون أوقع في نفوسهم وليحفزهم على التطبيق. وقد كان ، فأثمرت دعوته. ومن هنا رحلت أطري هذه الأخلاق التي غابت كثيراً عن عالمنا اليوم ، حيث ابتلينا بالمرتزقة الذين جُل همهم الراتب والبيت والمال والوظيفة وتيسيرات الجاهلية ، في محاولة مكشوفة من هذه الجاهلية والقائمين عليها لبيان أن الدين قائم ، وذلك بعدما أضفى المرتزقة الشرعية على انحرافات الجاهلية هنا وهناك! إن البصري ما أراد للمسألة أن تكون هكذا أبداً ، بل يلتزم هو أولاً لتكون هناك تربية بالقدوة ، ويعنون الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي ب: (التربية بالقدوة الحسنة) فيقول وبالنص: (إنَّ التربية بالقدوة قد تكون أبلغ من التعليم والترغيب والترهيب وغيرها من الوسائل لأنَّ الأخذ بالشيء عملياً والتمسك به أكثر إقناعاً للمتعلم من الحديث عنه والثناء عليه فمجرد العمل بالخير ، تحصل قناعة عند الولد بصلاحية هذا الخير ، وهذا واقعٌ مشاهدٌ في حياة الناس ، وقد أكد على هذا علماء الإسلام منذ القديم ونقلوا وصية عمرو بن عتبة لمؤدب أولاده ليكن أول إصلاحك لولدك إصلاحك لنفسك ، فإنَّ عيونه معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت فكونوا أيها المعلمون لتلاميذكم قدوةً صالحةً في الأعمال والأحوال والأقوال ، لا يرون منكم إلا الصالح من الأعمال والأحوال ولا يسمعون منكم إلا الصادق من الأقوال ، وإنَّ الكذب في الأحوال أضر على صاحبه وعلى الأمة به من الكذب في الأقوال ، فالأقوال الكاذبة قد يخرز منها وأما الأحوال الكاذبة فلا يمكن منها الاختراز. أعيدكم بالله يا أبنائي المعلمين أن تجعلوا كل اعتمادكم في تربية الصغار على البرامج والكتب ، فإنَّ النظم الآلية لا تبني عالماً ولا تكون أمةً ولا تجدد حياة ، وإنما هي ضوابط وأعلام تُرشد إلى الغاية وتعين على الوصول إليها من طريقٍ قاصدٍ وعلى نهجٍ سويٍّ أما العمدة الحقيقية في الوصول إلى الغاية من التربية ، فهي ما يفيض من نفوسكم على نفوس تلاميذكم الناشئين من أخلاقٍ طاهرةٍ قويمَةٍ يحتذونكم فيها ويقتبسونها منكم ، وما تبثونه في أرواحهم من قوةٍ وعزمٍ ، وفي أفكارهم من إصابتٍ وتسديدٍ وفي نزاعاتهم من إصلاحٍ وتقويمٍ ، وفي ألسنتهم من إفصاحٍ وإبانةٍ. الآثار ، ج 3 ، ص 268. يروى أنه في زمن خلفاء بني أمية قبل ولاية عمر بن عبد العزيز كان الناس إذا تلاقوا وجلسوا مع بعضهم بعضاً كان سؤالهم بينهم حول كم يملك أحدكم من الجوارى والدرهم والبيوت والأنعام. ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز تغير الحال وصار سؤال الناس فيما بينهم في مجالسهم حول كم يحفظ أحدكم من كتاب الله تعالى ، وكم يحفظ أحدكم من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. تلك هي القدوة وخطورتها في المجتمع! قال تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْتُمْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنْهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ). قال القرطبي في تفسيره: (قوله تعالى : قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي تقدم. ورزقتني منه رزقاً أي واسعاً حلالاً ، وكان شعيب - عليه السلام - كثير المال ، قاله ابن عباس وغيره. وقيل: أراد به الهدى والتوفيق والعلم والمعرفة ، وفي الكلام حذف ، وهو ما ذكرناه ، أي أفلا أنهاكم عن الضلال! وقيل: المعنى أرايتم إن كنت على بينة من ربي أتبع الضلال؟ وقيل: المعنى

أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أتأمروني بالعصيان في البخس والتطفيف ، وقد أغناني الله عنه.
"وما أريد أن أخالفكم". في موضع نصب بـ "أريد". إلى ما أنهاكم عنه أي ليس أنهاكم عن شيء
وأرتكبه ، كما لا أترك ما أمرتكم به).هـ. فأنشدت من شعري أقول:

بالقدوة المثلى وعظمت ملوكا
أعتقته حتى يكون مُحَرَّرًا
وأردت بالإعتاق حث أشاوش
ظلموا العبيد ، ولم يفوا بحقوقهم
فأتوك يلتمسون فصل خطابهم
سألوك خطبة جمعة عن حالهم
لتقول حقاً ثابتاً بأدلة
بعبارة يسبي القلوب جمالها
وكلام من خبر الحياة وأهلها
وشدا بالقاء يُزين قوله
واستخدم (البصري) لهجة ناصح
متجرداً لله يُخلص وعظمه
هو ليس مرتزقاً بدين إلهه
هو لا يريد بما أتى دنيا الورى
وهو الفعول لما يقول تقرباً
هو لا ينافق بالكلام تنطعاً
بل صدق القول الفعال تأسياً
إذ إنه عبداً لرب واحد

لما اشتريت - بمالك - المملوكا
ودفعت عنك مطاعناً وشكوكا
أن يحسنوا فعلاً لهم وسلوكا
والعيشن أصبح سيئاً وضنيكا
أو حل مشكلة يكون وشيكا
لتسوق - من ظلم الولاة - فكوكا
فلكم أنرت دجى الحياة بفيكا!
وعبيرها ، واللفظ ليس ريكيا
حتى غدا - في العضلات - حنيكا
والدرس كان محبباً وضحوكا
يُهدي النصيحة سادة وملوكا
إذ لا يريد - على المقال - صكوكا
هو ليس فيما قاله ضعلوكا
لكنه يرضي بذاك مليكا
كيلا يكون كلامه مشكوكا
ليكون جُل خطابه متروكا
بنبييه ، لما يكن مأفوكا
لم يتخذ أبداً لذاك شريكا

أحسنَت وبارك الله فيك

(في جريدة البلاد العدد: (9021) قصة مؤثرة أعدها للنشر الأستاذ عبد العزيز الحمدان. تحكي عن شاب ذهب إلى الخارج ، تعلم وحصل على شهادات عالية ، ثم رجع إلى البلاد ، وتزوج من فتاة غنية جميلة كانت سبباً في تعاسته لولا عناية الله. يقول هذا الشاب: مات والدي وأنا صغير فأشرفتُ أُمي على رعايتي ، فعملتُ خادمة في البيوت حتى تستطيع أن تصرف علي ، فقد كنتُ وحيداً ، أدخلتني المدرسة ، وتعلمتُ حتى أنهيت الدراسة الجامعية. كنتُ باراً بها ، وجاءت بَعثتي إلى الخارج فودعتني أُمي ، والدموعُ تملأُ عينيها وهي تقول لي: انتبه يا ولدي على نفسك ، ولا تقطعني من أخبارك ، أرسل لي رسائل حتى أطمئن علي صحتك. أكملتُ تعليمي بعد مُضي زمن طويل ، ورجعتُ شخصاً آخر قد أثرتُ فيه الحضارة الغربية ، رأيتُ في الدين تخلفاً ورجعية ، وأصبحتُ لا أؤمنُ إلا بالحياة المادية - والعياذُ بالله - . وحصلتُ على وظيفة عالية ، وبدأتُ أبحثُ عن الزوجة حتى حصلتُ عليها ، كانت والدتي قد اختارت لي فتاة متديّنة محافظة ، ولكني أبيتُ إلا تلك الفتاة الغنية الجميلة ، لأنني كنتُ أحلم بالحياة (الأرستقراطية) كما يقولون. وخلال ستة أشهر من زواجي كانت زوجي تكيد لأُمي حتى كرهتُ والدتي ، وفي يوم من الأيام دخلتُ البيت ، وإذا بزوجي تبكي ، فسألته عن السبب ، فقالت لي بحدّة: اسمع ، إما أنا وإما أمك في هذا البيت ، لا أستطيع أن أصبر عليها أكثر من ذلك. وُجُنُ جنوني ، وطردتُ أُمي من البيت في لحظة غضب ، فخرجتُ وهي تبكي ، وتقول: أسعدك الله يا ولدي. وبعد ذلك بساعات خرجتُ أبحثُ عنها ، ولكن بلا فائدة ، رجعتُ إلى البيت ، واستطاعت زوجتي بمكرها وجهلي أن تنسيني تلك الأم الغالية الفاضلة. انقطعت أخبار أُمي عني فترة من الزمن أصبتُ خلالها بمرض خبيث ، دخلتُ على إثره المستشفى! وعلمت أُمي بالخبر فجاءت تزورني ، وكانت زوجتي عندي ، وقبل أن تدخل علي طردتها زوجتي وقالت لها: ابنك ليس هنا ، ماذا تريدان منا؟ اذهبي عنا ، فرجعتُ أُمي من حيث أتت! وخرجتُ من المستشفى بعد وقت طويل انتكستُ فيه حالتي النفسية ، وفقدتُ الوظيفة والبيت ، وتراكتُ علي الديون. وكل ذلك بسبب زوجتي ، فقد كانت ترهقني بطلباتها الكثيرة ، وفي آخر المطاف ردت زوجتي الجميل ، وقالت: مادمت قد فقدت وظيفتك ومالك ، ولم يعد لك مكان في المجتمع ، فإني أعلنها لك صريحة: أنا لا أريدك ، طلقني. كان هذا الخبر بمثابة صاعقة وقعتُ على رأسي ، وطلقتها بالفعل ، فاستيقظتُ من السبات الذي كنتُ فيه. خرجتُ أهيمُ على وجهي أبحثُ عن أُمي ، وفي النهاية وجدتها ولكن أين وجدتها؟! كانت تقبع في أحد الأربطة تأكل من صدقات المحسنين. دخلتُ عليها وجدتها وقد أثر عليها البكاء فبدت شاحبة ، وما إن رأيتها حتى ألقىت بنفسي عند رجليها ، وبكيت بكاء مُراً ، فما كان منها إلا أن شاركتني البكاء. بقينا على هذه الحالة حوالي ساعة كاملة ، بعدها أخذتها إلى البيت وآليت على نفسي أن أكون طائعاً لها ، وقبل ذلك أكون متبعاً لأوامر الله ومجتنباً لنواهيه. وها أنا الآن أعيش أحلى أيامي وأجملها مع حبيبة العمر: أُمي - حفظها الله - وأسأل الله أن يديم علينا الستر والعافية. اهـ. ولما قرأت هذه القصة دمعت عيناوي طويلاً. إنه ولا شك ظلمٌ كبير من الزوجة أن تستطيل في حق أم زوجها! وكان الأخرى بالابن هنا أن يعطي كل ذي حق حقه ، فلا يقبل استطالة زوجته في حق أمه ولا العكس! لأنه إن فعل فسيكون ظالماً. قال الله - تعالى -: {وَالَّذِينَ يُؤدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً

وَأَيْمًا مُبِينًا} ، وقال تعالى: {وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}. وفي صحيح مسلم: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: عَرَضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ ، النَّفْوَى هَاهُنَا ، بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ». وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ». مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ». مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ. والحقيقة أن قصة قصيدتنا دامية مؤسفة! وإن كنت لأحمد الله تعالى لهذا الشاب أن الله أراد به الخير حيث تدارك أمره ، وعاد إلى ما كان عليه من البر بأمه وعسى أن يجد في قصته عبرة كل عاق لأمه! وكلما طالعتها انهمرت الدموع من عيني ودعوت لذلك الابن بخير. وأكبرت ما فعله. وأشدت من شعري أقول حكاية عن هذا الشاب متخيلاً إياه وهو يحكى لنا القصة الأليمة شعراً:

أسرفتُ في الحب ، حتى صرتُ ختارا	وكم حملتُ - لأجل الحب - أوزارا!
وكم بذلتُ لمن أحببتُ أحسبها	يوماً سـتـكـبـرُ ما بذلتُ إكبارا!
وكم تبذلتُ في عشقٍ بليت به	حتى استسغتُ هوانَ النفس والعارا!
وكم تنازلتُ عن رجولةٍ رخصتُ	حتى غدت لا تساوي اليوم ديناراً!
وكم تجاوزتُ ما قلدتُ من قيم	ثم اخترعتُ لما أتته أغذاراً!
وكم تنصتُ من شرع أدين به!	فهل حلفتُ على أن أدخل الناراً؟!!
وزوجتني بالذي صـنـعـته فرحتُ	وساعدتني إلى أن صرتُ دياراً
وثبطتُ همتي عن كل عارفةٍ	وأظهرتُ بـغـضها - للخير - إظهاراً
وأوقدتُ - حول أمي - الحرب ساعرة	وأشهرتُ سـيـفها البتارَ إشهاراً
وزخرفتُ إفكها المكذوب دون حيا	وأجبرتني - على التصديق - إجباراً
فأوقبتُ قلب هيمانٍ حين لها	وأوغرتُ صدره الملتاع إغياراً
فعلقَ أما عقوقاً لا خـدود له	وما استطاع - لما يأتيه - إضماراً
تلك الرعونة قد أعمت بصيرته	فما استطاع لما تُمليه إحصاراً
كأنما أمه تمثلت شـبـحاً	فلا يليقُ بها أن تسكن الداراً
أما شـبـعتُ من التلـفـيق بؤت به؟	وكم جنينا بما لفتت أضراراً!

بها حصدت متاهاتٍ وأخطارا؟
في يوم نصبحُ أنباءً وأخبارا؟
توججين - بها - العدوانَ والثارا؟
وكم يُضلل فرط الحب أخيارا!
بل أرسلت دمعها المقهورَ أنهارا
بعد المليك سوى ابن بات غدارا
تدعو ، وتغذِر - للرحمن - إعدارا
وخلفتني - بما قالتها - محتارا
من يوم آثرت سبك الكيد إيثارا؟
وتسدل الصفح - فوق الجرم - أستارا
وما التمسنا لرأب الصدع أنصارا
وكان هذا - من الديان - إنذارا
وأسفر الصبح - بعد الليل - إسفارا
فيمين رمى أمه ، فانهد وانهارا
ممن توشح - بالعقوق - إطمارا
وصوتها صار - في الأركان - هدارا
بل احتفلت بما تنويه مُحْتارًا
والدمع - من أجلها - ينساب مدرارا
فلم أعد في أمور العيش مهذارا
ولم أذع للألى راموه أسرارًا

أما اكتفيت بما أحرزت من محن
يا ليت شعري أما فكرت في غدنا
أو ليت شعري أما استحييت من غصص
طردت أمي لكي ترضى مُتيمتي!
فودعتني ، وما ضجّت ، ولا اعتراضت
سارت ، وليس لها - في الأرض - من أحدٍ
سارت ، وقد رفعت كفاً لخالقها
تدعو بخير ، وترجو الله ضارعة
ماذا أقول ، وقد حطمت والدي
ورغم ذلك تدعو لي ، وترحمني
وزايلتنا ، فعانينا عقوبتنا
حتى أتتني - من الجبار - نِقْمته
وأيقظ المرضُ الفتاك مُجترماً
وأقبلت زوجتي تختال شامته
وأطلقت ضحكة في التوساخرة
وطالبني بإجراء الطلاق لها
فلم أسوف ، ولم أرفض لها طلباً
حتى أفرغ نفسي للتي رحلت
طلقت صاحبتني الحسنة دون أسى
ولم أخل بشرطٍ في مؤخرها

إزدتها فوق ما ترجوه جائزة
ورحث أبحث عن أمي لأرضيها
حتى ظفرت بها ، والبوس مظهرها
تمام - فوق أديم الأرض - باكية
وكم تبييت لعمر الله طاوية
والبرد يلجم ظمأى ليس يسعفها
وقلت: يا أم عفواً إنني بشر
أخلصت عشرتها ، لكنها مكثت
وكم سقتني عقوق الأم عامدة!
وكنيت أحسبها تريد مصالحتي
واليوم بانيت ، فقد بانيت حقيقتها
وكم ندمت على من أنت جنت بها
وقلت: هذي عروس ابني وزوجته
وفوق ذلك هذي البنيت دينة
وسئل ، وقل للبرايا عن عبادتها
لكنني قلت: ليست هذه هدفي
حتى ابتليت بمن أخليت ساحتها
هي الأيومة يا أمي ، وليس سوى

إزدتها ألف دولار ودولارا
وأجعل البر منهاجاً وتذكارا
وخلف هذي البراري تسكن الغارا
وتلعق الفقر - رغم الأنف - مغزارا
من بعد ما عدمت أهلاً وأبرارا!
ماء ، وتغمزها السماء أمطارا
وزوجتي أورثت خليها الآرا
ويخذل الله عبداً عاش مكارا
وكم أصرت - على الهجران - إصرارا!
فزدت طاعتها - في الكيل - قنطارا!
وبعد طلقث - بعد الزوج - أصهارا
برفقة الأهل يا أماه أمرارا
ووجهها فاق - في الجمال - (سينمارا)
وكم تردد قرآناً وأذكارا!
وبعد بكر فهل زهدت أكارا؟
وعنك أدبرت يا أماه إدارا
إذ لم تخف - في الذي - جاءته جبارا
كيلا أجز عليك - الدهر - أضرارا

ماء زمزم لما شرب له

(لا يزال هذا الماء الميمون المبارك ماء زمزم يحتوي على الكثير من الأسرار والمعجزات. وصدق النبي ﷺ إذ قال: (ماء زمزم لما شرب له). فكم تحققت به آمال لطالبيها. وكم قضيت به حاجات. وأما هذه المعجزة التي هي سبب القصيدة فأوردها الأستاذ / محمد السيد رشاد الخولي في قصصه الواقعية ص 97. ومؤداها: أن امرأة مغربية تصاب بالسرطان ويفشل أطباء العرب والغرب في علاجها. تقول (ليلي الحلوة): فقدت الأمل في الله الذي لم أكن أعرفه من قبل ، فتوجهت إليه في بيته الحرام ، وهناك كان الشفاء. فمنذ تسع سنوات أصبت بمرض خطير جداً ، وهو مرض السرطان ، والجميع يعرف أن هذا الاسم مخيف جداً ، وهناك في المغرب لا نسميه السرطان ، وإنما نسميه (الغول) أو (المرض الخبيث). أصبت بالتاج الأيسر ، وكان إيماني بالله ضعيفاً جداً ، إذ كنت غافلة عن الله تعالى ، وكنت أظن أن جمال الإنسان يدوم طوال حياته ، وأن شبابه وصحته كذلك ، وما كنت أظن أبداً أنني سأصاب بمرض خطير كالسرطان. فلما أصبت به زلزلني زلزالاً شديداً ، وفكرت في الهروب ، ولكن إلى أين؟! ومرضى معي أينما كنت ، فكرت في الانتحار ، ولكني كنت أحب زوجي وأولادي ، وما فكرت أن الله سيعاقبني إذ انتحرت ، لأنني كنت غافلة عن الله كما أسلفت. وأراد الله سبحانه وتعالى أن يهديني سواء السبيل بهذا المرض ، وأن يهدي بي كثيراً من الناس ، فبدأت الأمور تتطور. فعندما أصبت بهذا المرض رحلت إلى بلجيكا ، وزرت عدداً من الأطباء هناك ، فقالوا لزوجي: لا بد من إزالة الثدي. وبعد ذلك كان عليّ أن استعمل أدوية كيميائية حادة من شأنها أن تسقط الشعر وتزيل الرموش والحاجبين ، وتثبت لحية في الوجه ، كما تسقط الأظافر والأسنان ، فرفضت رفضاً كلياً وقلت: اني أفضل أن أموت بثديي وشعري وكل ما خلق الله في ولا أشوه خلقي ، وطلبت من الأطباء أن يكتبوا لي علاجاً خفيفاً ففعلوا. فرجعت إلى المغرب واستعملت الدواء ، فلم يؤثر عليّ ففرحت بذلك ، وقلت في نفسي: لعل الأطباء أخطأوا في تقديرهم وأني لم أصب بمرض السرطان. ولكن بعد ستة أشهر تقريباً ، بدأت أشعر بنقص في الوزن ، و لوني تغير كثيراً ، وكنت أحس بالآلام التي كانت معي دائماً ، فنصحتني طبيبي في المغرب بأن أتوجه إلى بلجيكا ، فتوجهت إلى هناك. وهناك ، كانت المصيبة ، فقد قال الأطباء لزوجي: إن المرض قد عمّ ، وأصيب الرئتان ، وأنهم الآن ليس لديهم دواء لهذه الحالة. ثم قالوا لزوجي: من الأحسن أن تأخذ زوجتك إلى بلدها حتى تموت هناك. ففجع زوجي بما سمع ، وبدلاً من الذهاب إلى المغرب ، ذهبنا إلى فرنسا حيث ظننا أننا سنجد العلاج هناك ، ولكننا لم نجد شيئاً ، وأخيراً حرصنا على أن نستعين بأحد هناك لأدخل المستشفى ، ويقطع ثديي وأستعمل العلاج الكيماوي الحاد. لكن زوجي تذكر شيئاً كنا قد نسيناه ، وغفلنا عنه طوال حياتنا ، لقد ألهم الله زوجي أن نقوم بزيارة إلى بيت الله الحرام ، لنقف بين يديه سبحانه ، ونسأله أن يكشف ما بنا من ضر ، وذلك ما فعلناه. خرجنا من باريس ونحن نهلل ونكبر ، وفرحت كثيراً لأنني لأول مرة سأدخل بيت الله الحرام ، وأرى الكعبة المشرفة ، واشتريت مصحفاً من مدينة باريس ، وتوجهنا إلى مكة المكرمة. ووصلنا إلى بيت الله الحرام ، فلما دخلنا ورأيت الكعبة بكيت كثيراً ، لأنني ندمت على ما فاتني من فرائض وصلاة وخشوع وتضرع لله ، وقلت: يا رب لقد استعصى علاجي على الأطباء ، وأنت وحدك منك الداء ومنك الدواء ، وقد أغلقت في وجهي جميع الأبواب ، وليس لي إلا بابك فلا تغلقه في وجهي ،

وظفت حول بيت الله ، وكنت أسأل الله كثيراً بأن لا يُخيبني ، وأن لا يخذلني ، وأن لا يُحير الأطباء في أمري. وكما ذكرت آنفاً ، فقد كنت غافلة عن الله ، جاهلة بدين الله ، فكنت أطوف على العلماء والمشايخ الذين كانوا هناك ، وأسألهم أن يدلوني على كتب وأدعية سهلة وبسيطة حتى أستفيد منها ، فنصحتني كثيراً بتلاوة كتاب الله والتضلع من ماء زمزم - والتضلع هو أن يشرب الإنسان إلى أن يشعر أن الماء قد وصل أضلاعه - كما نصحتني بالإكثار من ذكر الله ، والصلاة على رسوله ﷺ. شعرت براحة نفسية واطمئنان في حرم الله ، فطلبتُ من زوجي أن يسمح لي بالبقاء في الحرم ، وعدم الرجوع إلى الفندق فأذن لي. وفي الحرم كان بجواري بعض الأخوات المصريات والتركيات رأينني أبكي كثيراً ، فسألنني عن سبب بكائي. فقلت: لأنني أولاً وصلتُ إلى بيت الله ، وما كنت أظن أنني أحبه هذا الحب ، ثانياً أنني مصابة بالسرطان. فلازمني وأشفقني عليّ ورثين لحالي ، ولم يكن يفارقني. فأخبرتهم أنني معتكفة في بيت الله الحرام ، فأخبرن أزواجهن ومكثن معي ، فكنا لا ننام أبداً ، ولا نأكل من الطعام إلا القليل ، لكننا كنا نشرب كثيراً من ماء زمزم ، والنبى ﷺ يقول: (ماء زمزم لما شرب له) ، فإن شربته لشفى شفاك الله ، وإن شربته لتشبع من جوع أشبعك الله فلا تحس بالجوع ، وإن شربته لظمك قطعه الله ، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله ، فقطع الله جوعنا ، وأذهب عطشنا ، وكنا نطوف دون انقطاع ، حيث نصلي ركعتين ، ثم نعاود الطواف ، ونشرب من ماء زمزم ، ونكثر من تلاوة القرآن ، وهكذا كنا في الليل والنهار لا ننام إلا قليلاً. وعندما وصلت إلى بيت الله كنت هزيلة جداً ، وكان في نصفي الأعلى كثير من الكويرات والأورام ، التي تؤكد أن السرطان قد عمّ جسمي الأعلى ، فكن ينصحتني بأن أغسل نصفي الأعلى بماء زمزم ، ولكنني كنتُ أخاف أن ألمس تلك الأورام والكويرات ، فأتذكر ذلك المرض فيشغلني ذلك عن ذكر الله وشكره وحمده وعبادته ، فغسلته دون أن أغسل جسدي. وفي اليوم الخامس ألح علي رفيقتي أن أمسح جسدي بشيء من ماء زمزم ، فرفضتُ في بداية الأمر ، لكنني أحسست بقوة تدفعني إلى أن آخذ شيئاً من ماء زمزم وأمسح بيدي على جسمي ، فخفت في المرة الأولى ، ثم أحسستُ بهذه القوة مرة ثانية ، فترددتُ ولكن في المرة الثالثة ودون أن أشعر مسحتُ بيدي على جسمي ثانية ، فترددتُ ولكن في المرة الثالثة مسحتُ بها على جسمي وثديي الذي كان مملوءاً كله بالدم والصدید والكويرات والأورام. وحدث ما لم يكن في الحسبان ، كل الكويرات ذهبت ولم أجد شيئاً في جسمي ، لا ألماً ولا دمماً ولا صديداً. فاندعشتُ في أول الأمر ، فأدخلتُ يدي في قميصي لأبحث عما في جسمي ، فلم أجد شيئاً من تلك الأورام ، فارتعشتُ ، ولكن تذكرتُ أن الله على كل شيء قدير ، فطلبتُ من إحدى رفيقتي أن تلمس جسمي ، وأن تبحث عن تلك الكويرات ، فصحن كلهن دون شعور: الله أكبر ، الله أكبر. فانطلقتُ لأخبر زوجي ، ودخلتُ الفندق ، فلما وقفتُ أمامه مزقتُ قميصي وأنا أقول: انظر رحمة الله ، وأخبرته بما حدث ، فلم يصدق ذلك ، وأخذ يبكي ويصيح بصوت عال ، ويقول: هل علمت أن الأطباء قد أقسموا لي على أن موتك بعد ثلاثة أسابيع فقط؟ فقلتُ له: إن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ، ولا يعلم الغيب إلا الله. مكثنا في بيت الله أسبوعاً كاملاً ، فكنتُ أحمد الله وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، ثم زرنا المسجد النبوي في المدينة المنورة ، ثم رجعنا إلى فرنسا. وهناك حار الأطباء في أمري واندعشوا وكادوا يُجنون ، وصاروا يسألونني: هل أنت فلانة؟! فأقول لهم: نعم - بافتخار - وزوجي فلان ، وقد رجعتُ إلى

ربي ، فهو الطبيب! وما عدت أخاف من شيء إلا من الله سبحانه ، فالقضاء قضاء الله ، والأمر أمره. فقالوا لي: إن حالتك غريبة جداً ، وإن الأورام قد زالت ، فلا بد من إعادة الفحص. فأعادوا فحصي مرة ثانية فلم يجدوا شيئاً ، وكنت من قبل لا أستطيع التنفس من تلك الأورام ، ولكن عندما وصلت إلى بيت الله الحرام ، وطلبت الشفاء من الله ذهب ذلك عني. وبعد ذلك كنت أبحث عن سيرة النبي ﷺ ، وعن سيرة أصحابه - رضی الله عنهم - وأبكي كثيراً ، كنت أبكي على ما فاتني من حب الله ورسوله ، وعن تلك الأيام التي قضيتها بعيدة عن الله عز وجل ، وأسأل الله أن يقبلني ، وأن يتوب عليّ وعلى زوجي وعلى جميع المسلمين. اهـ. أقول تعليقا على هذه القصة الواقعية الجميلة: إن المسلم لا يجب أن يفقد الأمل في خالقه ومولاه أبداً ، وإلا تحطم وانهارت قواه وبات في حال لا يحسد عليه أبداً. بل يعيش يُحسن الظن بالله ويخافه ويحبه ويرجوه ويخشى عذابه. يعبد ربه بالحب والخوف والرجاء معاً. وإذا أسرف على نفسه بارتكاب المعاصي وفرط في جنب الله فليعلم أنه إن عاد إلى الله فإن الله يقبله. (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم). إن الإسلام يحضنا على الواقعية والإيجابية في التعامل مع ما نعانيه من المحن والإحزن. وصدق بولدبير عندما يُقرر ذات القاعدة: (من بنى آماله على الأوهام يجدها تتحقق في الأحلام). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «عُرِضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد! إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ، ثم نهض فدخل منزله فحاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب! فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يُشركوا بالله شيئاً - وذكروا أشياء - فخرج عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟» فأخبروه فقال: «هم الذين لا يرقون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ؛ وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال: «أنت منهم». ثم قام رجل آخر ، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال: «سبقك بها عكاشة». متفق عليه. إن قصة الحاجة ليلي الحلوة حرية بأن يتناولها الأدباء والشعراء والكتاب بكثير من العناية والاهتمام. ولذلك فإنني عندما طالعت أحداثها أعدت القراءة وأنشدت من شعري (!)

تترفعين عن الأمور الباطلة	(ليلى) بصُرتكِ - في العواتق - فاضلة
وبشيرة الإسلام أنتِ العاملة	وتحبّذين العيش في كنف الهدى
هو طعنة تُفضي لأفضل نازلة	ولئن بلاك الله بالمرض الذي
ليودع الدنيا اللجوج العاجلة	وتكلف الإنسان يوماً عُمره
لا تستبدّ بها الخطوب الصائلة	ولقد وجدتك - في التصبر - آية

تهدي الرشاد لكل فضلى عاقلة
لم تعبئى برحى السقام الغائلة
فغزا التفاول داركم والعائلة
إن التواكل كم يعوق القافلة!
تجتث من جسمي النحيل الأكلة؟
نعم الحياة بها أندن رافلة!
وبلا عذاب ، أو زرايا قاتلة!
وغدوت من بلد لأخرى راحلة
ودموع أعينهم تهدل هاطلة
تنعى الشبية خلفتها ثائلة
إما انتهت لمحاولات فاشلة
والأمنيات - أمام حلمك - ماثلة
وتقول: رب اقبل دعاء السائلة
ها قد شربت ، وبعد ذا أنا غاسلة
منه الشفا ، ثم السلامة نافلة
لما شفا الرحمن تلك الفاضلة
مهما تناعى الخلق عنها هائلة

ولمست فيك مناقباً لا تنقضي
ألقيت دلوك - في التوكل - عن رضا
ونصحت من ينهك عن طلب الشفا
وأخذت بالأسباب دون تواكل
وسألت أهل الطب هل من حيلة
لأعيش أرفل في الحبور وفي الهنا
نعم الحياة بلا سقام أو عنا
ثم التمتت الطب في أقصى الدنا
والأهل حولك كلهم يرجو الشفا
يبكون (ليلى) أن يعذبها الأسى
وتبيت تخنقها عذابات الجوى
وتظل تحلم بالتماثل للشفا
وتقوم تسأل ربها بتبذل
وتقول: زمزم للذي شربت له
وأظن ظن الخير بالله الذي
وتحقت بالشرب أغرب أية
فالحمد لله الذي آواه

ببركة الدعاء

(هدى الله الأسرة بكاملها على يد ابن من أبنائها هداه الله على يد (الشيخ إبراهيم). والتزم بما سمع ، ودعا إلى ما سمع ، فكانت النتيجة التزام الكل ببركة دعاء الله عز وجل. ففي الموسوعة للأستاذ محمد رشاد الخولي ص 136 نص الحكاية. (يروى القصة الشاب الذي هو الشخصية الرئيسية فيها فيقول: أنا شاب عشت حياة متفرّدة مع أبي في أحد الأحياء الراقية بالقاهرة ، وكان الخمر يقدم على المائدة بصورة طبيعية. وكنت أعرف تماماً أن دخل والدي كله من الحرام وخاصة الربا ، وكان بجوار بيتنا مسجد كبير فيه إمام وخطيب يسمى (إبراهيم). وفي يوم من الأيام كنت جالساً في شرفة المنزل والشيخ يتحدث ، فأعجبني كلامه ، فنزلت من الشرفة وذهبت إلى المسجد لأجد نفسي أنني قد انسلخت من كل شئ ، وأصبحت شيئاً آخر. كان الشيخ يتحدث عن قول الرسول ﷺ: "أيما جسد نبت من حرام فالنار أولى به". فوجدت نفسي لا أريد أن أدخل البيت ، ولا أن أكل منه شيئاً ، وصرتُ أدخل وأخرج ، وأتعمد أن لا أكل شيئاً أبداً وأجلس بعيداً عن أسرتي ، وأضع أمامي قطعه من الجبن وبعض (الفلفل) ، وأسرتي أمامها كل ما تشتهي النفس من طعام. وكادت أمي تموت هماً من أجلي ، تريدني أن أكل معهم ، ولكنني رفضت ، وأفهمتها أن مال أبي حرام ، وأنهم يأكلون حراماً ، ويشربون حراماً ، فانضمت أمي إليّ ، والتزمت بالصلاة ، وبعدها انضمت إلينا أختي ، أما أبي فقد أصرّ على ما فعله عناداً واستكباراً. فكنتُ أتعامل مع أبي بأدب واحترام ، وقمتُ أنا وأمي وأختي كل منا يجتهد في الدعاء لأبي ، وكنتُ أقوم الليل فأسمع نحيب أمي وأختي وتضرعهما إلى الله أن يهدي والدي. وفي صباح يوم من الأيام استيقظتُ لأجد أبي قد تخلص من كل الخمر التي في البيت ، ثم أخذ يبكي بكاء شديداً ويضمّني إلى صدره ، ويقول: سوف أتخلص من كل شئ يُغضب الله. وفي صباح يوم من الأيام استيقظت لأجد أبي قد تخلص من كل الخمر التي في البيت. ولما حان وقت الصلاة ، أخذتُ والدي ، وذهبتُ إلى المسجد ، وسار يسمع خطب الشيخ إبراهيم ، والحمد لله تخلص من الربا ومن الخمر ، وأصبح بيتنا - والله الحمد - مملوء بالطاعات. اهـ. إن الكسب الحلال طيبة ثماره وجميلة آثاره وعظيمة نتائجه. وقد روى الحاكم من حديث سعيد بن عمير - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل أي الكسب أطيب؟ فقال: (عمل الرجل بيده ، وكل كسب مبرور). وروى ابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أيما رجل كسب مالاً من حلال فأطعم نفسه أو كساها فمن دونه من خلق الله فإن له به زكاة). وروى الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من أكل طيباً وعمل في سنة ، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة). قالوا: يا رسول الله إن هذا في أمتك اليوم كثير. قال: وسيكون في قرون بعدي). وخرّج الطبراني بإسناده من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: تليت هذه الآية عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً) ، فقام سعد بن أبي وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقدف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به). وخرّج البيهقي من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول

الله - صلى الله عليه وسلم :- (الدنيا خضرة حلوة ، من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه في حقه أشابه الله وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه أحله الله دار الهوان ، ورب متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة. يقول الله: كلما خبت زدانهم سعيراً). ومن منة الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بهذه النعمة العظيمة ، والمِنَّة الجسيمة فقال: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى). وأيضاً: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين). وأيضاً: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). وللهداية أسبابها المؤدية إليها ، تلك التي على العبد الجاد في درب الهداية أن يسلكها! قال تبارك وتعالى: (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَاهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). قال بعض العلماء في تفسير الآية: أي أنه لا يهديهم ؛ لأن القوم عرفوا الحق وشهدوا به وتيقنوه وكفروا عمداً ، فمن أين تأتيهم الهداية؟ فإن الذي تترجى هدايته من كان ضالاً ولا يدرى أنه ضال ، بل يظن أنه على هدى فإذا عرف الهدى اهتدى ، وأما من عرف الحق وتيقنه وشهد به قلبه ثم اختار الكفر والضلال عليه فكيف يهدي الله مثل هذا؟ إن امثال ما أمر الله به ورسوله ، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه ، مفتاح كل خير! قال عز وجل: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِن لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا). قال ابن جرير - رحمه الله -: يعني بذلك جل ثناؤه ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم لإيتاننا إياهم على فعلهم ما وعظوا به من طاعتنا والانتهاة إلى أمرنا أجراً يعني جزاءً وثواباً عظيماً وأشد تثبيتاً لعزائمهم وآرائهم وأقوى لهم على أعمالهم لهدايتنا إياهم صراطاً مستقيماً ، يعني طريقاً لا اعوجاج فيه ، وهو دين الله القويم الذي اختاره لعباده وشرعه لهم ، وذلك الإسلام ، ومعنى قوله ولهديناهم: ولوقفتاهم للصراط المستقيم.اهـ. وقال الحافظ ابن كثير: (ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به وتركوا ما ينهاون عنه لكان خيراً لهم أي من مخالفة الأمر وارتكاب النهي وأشد تثبيتاً ، قال السدي: أي وأشد تصديقاً ، وإذا لآتيناهم من لدنا أي من عندنا أجراً عظيماً يعني الجنة ، ولهديناهم صراطاً مستقيماً أي في الدنيا والآخرة).هـ. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر اقتصاص الخلق بعضهم من بعض ، ثم قال: فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا. ويهديهم ربهم بسبب إيمانهم بالله عز وجل. قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ). فَمَنْ هُدِيَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هُدًى فِي الْآخِرَةِ ، (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا). وقد قال الله في أهل الجحيم: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ بِلَهُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانْنَا عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَانِقُونَ فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ). والمقصود بكلمة أرواهم وأشباهم وأشياعهم وأضرابهم. ومن هنا رُحِتْ أبارك لهذا الصبي الميمون المبارك الطيب أن هدى الله الأسرة كلها من

أكبرها إلى أصغرها ببركة تصرفه وحكمة رأيه وحرصه على أهله ولين دعوته وخالص دعائه ،
وجعلت هذا الإطراء وهذه المباركة في قالب شعري على البحر الوافر وقافية الميم!

رزقت جوامع الخير العميم وسرت على الصراط المستقيم
وقلدت المدائح لا تبارى وأنجأك الإله من الرجيم
وأسبغ ربنا خيرات شتى على شهم أبى صور النعيم
وأدخلك المليك جنان خلد وزحزحك الرحيم عن الجحيم
وثبتك القدير على المعالي وأبعد عنك كل هوى غشوم
لقد أنقذت بيتاً من دمار شديد الوقع محتدم قصيم
ونورت السبيل لأهل دار عشوا في ظلمة الليل البهيم
وأرشدت الجميع لكل خير لكيلا يدخلوا نار السموم
فأصغوا للنصائح والوصايا فكانوا - في اللقاء - خير الخصوم
ولم يتكفوا الأعداء ثودي بهمة كل مقدم كريم
وما اخترعوا الصوارف والأحاجي وما عمدوا إلى الجدل العقيم
وما سخروا من الداعي بتاتاً ولو بالهمز أو لفظ أثيم
بل ابتدروه بالترحيب حتى يُبلغهم بلا أدنى هجوم
وحاطوه بباقيات التهاني فودع كل ألوان الهموم
وبارك هجرهم شتى المعاصي بقلب دائم التقوى سليم
وبات البيت يرفل في التسامي عن العصيان في الوضع الوخيم
بفضل الله ، ثم بفضل فرد أتى لكل بالخير العميم
ألا إن الدعاء بشير سعيد فكم وأد التضرع من غموم!

الفتيا أمانة ومسئولية

(أورد أستاذنا / وحيد عبد السلام بالي في كتابه: (المبتكرات في المحاضرات) ص 134 ما نصه: (ينبغي لطالب العلم أن يعلم أن الفتوى في الدين مسؤولية عظيمة ، فعليه أن يدفعها عن نفسه إبقاء لدينه. قال البراء - رضي الله عنه - : لقد رأيتُ ثلاثمائة من أصحاب بدر ، ما فيهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتيا. قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: لقد أدركت عشرين ومائة من الأنصار ، من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة ، فيردها ، هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، حتى ترجع إلى الأول. وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : من أفتى الناس في كل ما يُسأل عنه فهم مجنون. وسئل القاسم بن محمد بن أبي بكر عن شيء ، فقال: لا أحسنه ، فقال السائل: إني جئت إليك ، لا أعرف غيرك ، فقال القاسم ، وهو أحد الفقهاء المشهورين: لا تنظر إلى طول لحيتي ، وكثرة الناس حولي ، والله ما أحسنه ، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها ، فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم ، فقال القاسم: والله لأن يقطع لساني أحب إليّ من أن أتكلم بما لا علم لي به. وسئل مالك عن مسألة فقال: لا أدري ، فقيل له: إنها مسألة خفيفة سهلة ، فغضب وقال: ليس في العلم خفيف ، أما سمعت قول الله تعالى: "إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً". فالعلم كله يا هذا ثقيل ، وخاصة ما يسأل عنه المرء يوم القيامة. قال عطاء: أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليسأل عن الشيء فيتكلم ، وإنه ليرعد. وقال سفيان بن عيينة: أجسر الناس على الفتوى أقلهم علماً. وسئل الشعبي - رحمة الله - عن شيء فقال: لا أدري. فقيل: ألا تستحيي من قولك: "لا أدري" وأنت فقيه العراق؟ فقال: لكن الملائكة لم تستحي حين قالت لربها عز وجل: "لا علم لنا إلا ما علمتنا". وقال ابن وهب: سمعتُ مالكا يقول: العَجَلَة في الفتوى نوع من الجهل. اهـ. إن في الساحة اليوم من يجترون على الله ودينه ورسوله فيفتون بغير علم. وإن فتاوى تطلق اليوم هنا وهناك لأسئلة ربما لو سئلتها أمثال أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهما - لتورعوا عن القطع فيها ، فإذا بشحيط ومحيط ونطاط الحيط يفتون فيها بكل جرأة وجسارة! فليحذر المتتبعون والمتحذلقون والمتفهبون أن يُحبط الله أعمالهم بافتراءهم عليه. قال الشافعي رحمه الله: لا يحل لأحد أن يُفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله بصيراً بأحاديث رسول الله ، بصيراً باللغة الفصحى والشعر الجيد ، وما يحتاج إليه منهما في فهم القرآن والسنة ، ويكون مع هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار ، مطلعاً على أقوال العلماء والخلاف بينهم ، وتكون لديه قريحة وقادة ، فإذا كان هذا فله أن يفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي. دخل مالك رحمه الله على شيخه ربيعة فوجده يبكي ، فقال له: ما يبكيك ، أمصيبة نزلت بك؟ قال: لا! ولكن استفتي من لا علم له ووقع في الإسلام أمر عظيم ، ولبعض من يفتي هاهنا أحق بالسجن من السراق. قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا ينبغي للرجل أن يُنصَب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: * أولاً: أن تكن له نية ، فإن لم تكن له نية يعني صالحاً لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور. * والثانية: أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة. * والثالثة: أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته. * والرابعة: الكفاية والإلمام بمضغه الناس. * الخامسة: معرفة الناس). هـ. وقال البهوتي رحمه الله في شروط المفتي: معرفة الناس ، ينبغي له أن يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم ، ولا ينبغي له أن يحسن الظن ، بل يكون حذراً فظناً مما يصورونه في سؤالاتهم ؛ لئلا يوقعونه في

المكروه. وقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)! ولما سئل ابن باز عن فتوى البعض بغير علم قال: (الواجب على طالب العلم أن يحذر الفتوى بغير علم ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم-: (من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار) ، فالواجب على الإنسان أن يتحرى العلم ، ويتحرى الدليل حتى يفتي على بصيرة ولا يفتي على الله بغير علم ، فالمقصود أن العلم دين ، والفتوى دين فلا بد أن الإنسان يتقيد بما أوجب الله عليه ، فلا يفتي بغير علم ، بل يتحرى وينظر في الأدلة في الكتاب والسنة ، ويفتي على ضوء الكتاب والسنة وإلا فليرشداهم إلى غيره ، ولا يجوز أن يقول على الله بغير علم ، الله سبحانه يقول: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون). فجعل القول عليه بغير علم ، فوق مرتبة الشرك ، لما يترتب على القول على الله بغير علم من الفساد الكبير ، والشر العظيم ، وقد يبيح ما حرم الله ، وقد يوجب ما لا يوجبه الله ، وقد يقع في شرور كثيرة ، وأخبر جل وعلا في آية أخرى أن هذا من أمر الشيطان ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء- أي الشيطان - وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ، فالواجب على طالب العلم أن يتحرى الحق ، وأن يحذر من القول على الله بغير الله ، وإذا كان لا يستطيع ذلك فليرشداهم إلى غيره ، ولا يتكلم ولا يقول على بغير علم ، نسأل الله السلامة). هـ. قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيَ بغيرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ). وقال: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ). وقال: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذُنٌ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ). ومن هنا ينبغي أن يعلم الكل أن الفتوى بالحل أو بالحُرمة أمانة ومسئولية. فليأخذوا حذرهم ولا يخوضوا في دين الله! وأنشد من شعري في هذا فأقول:

كم جاهل يفتي ولا يتحقق!	وله لسان - في التخرص - أزلق
ويحرف الأحكام ، يزهق روحها	ما قيمة الأحكام إذ هي تزهق؟
ويضل - بالأهواء - من يصغي له	وجماع ما يحكيه جهل مطبق
يفتي خزعبلة ، ويفرض طيشه	بئس التخبط والهوى والمنطق!
متعمداً إغواء من ركنوا إلى	فتواه ، ثم يقول: يا قومي ثقوا!
أوليس يدرك أن هذي منحة	تند العقيدة في القلوب ، وتوبق؟
أولم يفكر في مصير من افتري	كذبا على المولى ، وعاش يلفق؟

أوليس يخشى من عذاب مُخَدِّق؟
أوليس يؤمن يا ترى بقيامةٍ
أم أن ساداته اشترؤا إيمانَه
أم بات بوقاً للدهاقنة الألى
أم أثر الدنيا ، وأصبح عبدها
أم أنه يَأوي إلى هفواته
أم أنه عشق الضلال مُفضلاً
وغدا النفاقُ يدب في أوصاله
فيلوئُ فتوى ، ثم ينشرُ ضدها
ويَلْمَع الفتوى ليسحر سامعاً
فيُجِل بالفتوى الحرامَ تحايلاً
ويُحِق باطلَ من يجود تكرماً
وينال بالفتوى رضا من أفسوا
ويثور إن جاءت إليه نصيحة
ويضيقُ ذرعاً بالذي يُزجي له
وأمانة هذي الفتاوى كلها
فليسألن - عن الشريعة - سائلٌ
ولسوف يُخزي الله كل محرفٍ
إذ إن فتوى الناس مسنولية

أم ليس يردعه العذاب المحدق؟
من هولها كل الخلاق تشفق؟
فمضى يُنفذ ما رأوه ، وينعق؟
صنعوه ، ثم عليه دهرأ أنفقوا؟
ولذا غدا - بين الورى - ينفهيق؟
تلك التي فيها يغوصُ ويغرق؟
ظلماته ، فغدا به يتعلق؟
فإذا به مُستمرناً يتملق
ليروج التفسيقَ إذ يتشددق
من فرط تلميع الكلام يُصدق
ليُصارع الماء السرابُ الديسق
أيراه رباً يجتبيهِ ويرزق؟
وكأنه - لرضاهم - يتشوق
وفؤاده - من غيظه - يتحرق
وعظماً سكينته تفوخ وتعبق
فعلى الألى يُفتون أن يتحققوا
وجوابُ من كذبوا عزيماً أخرق
كم عاش - في تضليله - يتحذلق!
وأمانة عند الذي يتعمق

وإن تصبك مصيبة يفرحوا بها

(لقد كان لوفاة السلطان المسلم محمد الفاتح - رحمه الله - صدئاً في الغرب من الفرحة والسعادة الغامرة أكبر بكثير من مقدار الحزن والأسى الذي عمّ ديار الإسلام في ذلك الحين. أورد أصحاب (موسوعة التاريخ الإسلامي المعاصرة) ص 619 مقولة عن محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية. أورد أستاذنا الدكتور / علي الصلابي في كتابه (الدولة العثمانية - مراحل النهوض وأسباب السقوط) ص 198 : 200 ما نصه: (في شهر ربيع من عام (886هـ - 1481م) غادر السلطان الفاتح القسطنطينية إلى آسيا الصغرى ، حيث كان قد أعد في إسكدار جيشاً آخر كبيراً. وكان السلطان محمد الفاتح قبل خروجه من إسطنبول قد أصابته وعكة صحية ، إلا أنه لم يهتم بذلك لشدة حبه للجهاد وشوقه الدائم للغزو ، وخرج لقيادة جيشه بنفسه ، وقد كان من عادته أن يجد في حوض غمار المعارك شفاء لما يلم به من أمراض ، إلا أن المرض تضاعف عليه هذه المرة ، وثقلت وطأته بعد وصوله إلى إسكدار فطلب إليه أطباؤه أن يرتاح ، غير أن القضاء قد حم به ، فلم ينفع فيه تطبيب ولا دواء ، ومات السلطان الفاتح وسط جيشه العرمرم يوم (الخميس الرابع من ربيع الأول (886هـ - 3 مايو 1481م) ، وهو في الثانية والخمسين من عمره بعد أن حكم نيافاً وثلاثين عاماً. وبعد أن ذاع نبأ الوفاة في الشرق والغرب أحدث دويماً هائلاً اهتزت له النصرانية والإسلام ، أما النصرانية فقد غمرها الفرح والابتهاج والبشرى ، وأقام النصارى في رودس صلوات الشكر على نجاتهم من هذا العدو المخيف ، وكانت جيوش الدولة العثمانية قد وصلت إلى جنوب إيطاليا لفتح كل إيطاليا وضمتها للدولة العثمانية ، إلا أن خبر الوفاة وصلهم فانتاب الجنود هم شديد وحزن عميق ، واضطر العثمانيون إلى الدخول في مفاوضات مع ملك نابولي لينسحبوا آمين على حياتهم وأمتعتهم وعتادهم ، وتم الاتفاق على ذلك ، إلا أن النصارى لم يوفوا بما تعهدوا ، واعتقلوا بعض الجنود الذين كانوا في المؤخرة وصدفدهم بالحديد. وعندما وصل خبر وفاة السلطان إلى روما ابتهج البابا ، وأمر بفتح الكنائس ، وأقيمت فيها الصلوات والاحتفالات ، وسارت المواكب العامة تجوب الشوارع والطرقات ، وهي تنشد أناشيد النصر والفرح بين طلقات المدافع ، وظلت هذه الاحتفالات والمهرجانات قائمة في روما طيلة ثلاثة أيام. لقد تخلصت النصرانية بوفاة محمد الفاتح من أعظم خطر كان يهددها. لم يكن أحد يعلم شيئاً عن الجهة التي كان سيذهب إليها السلطان الفاتح بجيشه ، وذهبت ظنون الناس في ذلك مذهب شتى ، فهل كان يقصد رودس ليفتح هذه الجزيرة التي امتنعت على قائده مسيح باشا؟ أم كان يتأهب للحاق بجيشه الظافر في جنوبي إيطاليا ويزحف بنفسه بعد ذلك إلى روما وشمالى إيطاليا ففرنسا وأسبانيا؟ لقد كان من عادة الفاتح أن يحتفظ بالجهة التي يقصدها ويتكتم أشد التكتم ويترك أعداءه في غفلة وحيرة من أمرهم ، لا يدري أحدهم متى تنزل عليه الضربة القادمة ، ثم يتتبع هذا التكتيم الشديد بالسرعة الخاطفة في التنفيذ ، فلا يدع لعدوه مجالاً للتأهب والاستعداد. وذات مرة سأله أحد القضاة أين تقصد بجيشك؟ فأجابه الفاتح: "لو أن شعرة في لحيتي عرفت ذلك لنتفتها وقذفت بها في النار". إن من أهداف الفاتح أن يمضي بفتوحات الإسلام من جنوب إيطاليا إلى أقصاها في الشمال ، ويستمر في فتوحاته بعد ذلك إلى فرنسا وأسبانيا وما وراءها من الدول والشعوب والأمم. لقد تأثر المسلمون في العالم الإسلامي لوفاة محمد الفاتح وحزنوا عليه حزناً عميقاً ، وبكاه

المسلمون في جميع أقطار المعمورة ، لقد بهرتهم انتصاراته ، وأعاد إليهم سيرة المجاهدين الأوائل من السلف الصالح. قال عن وفاته عبد الحي بن العماد الحنبلي في وفيات سنة ست وثمانين وثمانمائة. " كان من أعظم سلاطين بني عثمان ، وهو الملك الفاضل الجليل النبيل العظيم أعظم الملوك جهاداً وأقواهم إقداماً واجتهاداً ، وأثبتهم جأشاً وقياداً وأكثرهم توكلاً على الله واعتماداً ، وهو الذي أسس ملك بني عثمان ، وقتن لهم قوانين صارت كالأطواق في أجياد الزمان ، وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة وجيلية وآثار باقية في صفحات الليالي والأيام ومآثر لا يحوها تعاقب السنين والأعوام وغزوات كسر بها أصلاب الصلبان والأصنام! من أعظمها أنه فتح القسطنطينية الكبرى ، وساق إليها السفن تجري رخاء برأً وبحراً ، هجم عليها بجنوده وأبطاله وأقدم عليها بخيوله ورجاله ، حاصرها خمسين يوماً أشد الحصار ، وضيق على من فيها من الكفار والفجار ، وسل على أهلها سيف الله المسلول ، وتدرع بحصن الله الحصين المسبول ، ودق باب النصر والتأييد ، وولج من قرع بابا ولج ، وثبت على متن الصبر إلى أن أتاه الله تعالى بالفرج القريب والنصر المبين ، ففتح إستانبول في اليوم الحادي والخمسين من أيام محاصرتهم ، وهو يوم الأربعاء والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، وصلى في أكبر كنائس النصرانية صلاة الجمعة وهي أيا صويا ، وهي قبة تسامي قبة تسامي قبة السماء ، وتحاكي في الاستحكام قبب الأهرام ولا وهت كبيراً ولا هراً ، وقد أسس في إستانبول للعلم أساساً راسخاً لا يخشى على شمس الأفول ، وبنى مدارس كالجفان لها ثمانية أبواب سهلة الدخول ، وقتن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول ، فجزاه الله خيراً عن الطلاب ، ومنحه بها أجراً وأكبر ثواب ، فإنه جعل لهم في أيام الطلب ما يسد فافتهم ، ويكون به من خمار الفقر إفاقتهم ، وجعل بعد ذلك مراتب يترقون إليها ، ويصعدون بالتمكين والاعتبار عليها ، إلى أن يصلوا إلى سعادة الدنيا ، ويتوسلون بها أيضاً إلى سعادة العقبى ، وأنه رحمه الله تعالى استجلب العلماء الكبار من أقصى الديار ، وأنعم عليهم وعطف بإحسانه إليهم كمولانا علي القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الكوراني وغيرهم من علماء الإسلام ، وفضلاء الأنام ، فصارت إستانبول بهم أم الدنيا ومعدن الفخار والعليا ، واجتمع فيها أهل الكمال من كل فن ، فعلمواها إلى الآن أعظم علماء الإسلام ، وأهل حرفها أدق الفطناء في الأنام وأرباب دولتها هم أهل السعادة والعظام . فللمرحوم قلادة ممن لا تحصى في أعناق المسلمين لا سيما العلماء الأكرمين. فرحمة الله ومغفرته ورضوانه على السلطان محمد الفاتح وأعلى ذكره في المصلحين. ومن اقوال محمد الفاتح الخالدة: (إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث رسول ﷺ ومعجزة من معجزاته ، وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التقدير ، فأبلغوا أبناءنا العساكر فرداً فرداً أن الظفر العظيم الذي سنحززه سيزيد الإسلام قدراً وشرفاً ، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه ، فلا يصدر عن أحد منهم ما يُجافي هذه التعاليم ، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ، ولا يمسوها بأذى ، ويدعوا القساوسة الضعفاء والعجزة الذين لا يقاتلون). لقد كانت حياة الأمير عثمان مؤسس الدولة العثمانية جهاداً ودعوة في سبيل الله وكان علماء الدين يحيطون بالأمير ويشرفون على التخطيط الإداري والتنفيذ الشرعي في الإمارة ، ولقد حفظ لنا التاريخ وصية عثمان لابنه أورخان وهو على فراش الموت ، وكانت تلك الوصية فيها دلالة حضارية ومنهجية شرعية سارت عليها الدولة العثمانية فيما بعد ،

يقول عثمان في وصيته لابنه: (يا بني: إياك أن تنشغل بشئ لم يأمر به الله رب العالمين ، وإذا واجهتك في الحكم معضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين موقلاً. يا بني: أحط من أطاعك بالإعزاز ، وأنعم على الجنود ، ولا يغرنك الشيطان بجندك وبمالك ، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة. يا بني: إنك تعلم أن غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين ، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق ، فتحدث مرضاة الله جل جلاله. يا بني: لسنا من الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم أو سيطرة أفراد ، فنحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت ، وهذا يا ولدي ما أنت له أهل). وفي كتاب: (التاريخ السياسي للدولة العلية العثمانية) نجد رواية أخرى للوصية: (اعلم يا بني ، أن نشر الإسلام ، وهداية الناس إليه ، وحماية أعراض المسلمين وأموالهم ، أمانة في عنقك سيسألك الله عز وجل عنها). وفي كتاب "مأساة بني عثمان" نجد عبارات أخرى من وصية عثمان لابنه أورخان تقول: (يا بني: إنني أنتقل إلى جوار ربي ، وأنا فخور بك ، بأنك ستكون عادلاً في الرعية ، مجاهداً في سبيل الله لنشر دين الإسلام . يا بني: أوصيك بعلماء الأمة ، أدم رعايتهم ، وأكثر من تجليلهم ، وانزل على مشورتهم ، فإنهم لا يأمرن إلا بخير. يا بني: إياك أن تفعل أمراً لا يرضي الله عز وجل ، وإذا صعب عليك أمر فاسأل علماء الشريعة ، فإنهم سيدلونك على الخير. واعلم يا بني أن طريقنا الوحيد في هذه الدنيا هو طريق الله ، وأن مقصدنا الوحيد هو نشر دين الله ، وأننا لسنا طلاب جاه ولا دنيا). وفي التاريخ العثماني المصور ، عبارات أخرى من وصية عثمان تقول: (وصيتي لأبنائي وأصدقائي والمسلمين أن أديموا على الدين الإسلامي الجليل بإدامة الجهاد في سبيل الله ، وأمسكوا راية الإسلام الشريفة في الأعلى بأكمل جهاد ، اخدموا الإسلام دائماً ، لأن الله عز وجل قد وظف عبداً ضعيفاً مثلي لفتح البلدان ، اذهبوا بكلمة التوحيد إلى أقصى البلدان بجهادكم في سبيل الله ، ومن انحرف من سلالتني عن الحق والعدل حُرِم من شفاعة الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم – يوم المحشر. يا بني ، ليس في الدنيا أحد لا تخضع رقبته للموت ، وقد اقترب أجلي بأمر الله جل جلاله ، أسلمك هذه الدولة وأستودعك المولى عز وجل ، اعدل في جميع شؤونك).هـ. فرحمة ربنا على أهل الإيمان والإسلام من آل عثمان. أعجبت بهذه الكلمات فجعلتها في مقدمة القصيدة ، ولكن حزن المسلمين على رحيل الفاتح لم يكن الباعث على كتابة هذه القصيدة ، وإن كان الفاتح ليستحق مائة قصيدة نشيعة وتؤبنه. ولكن الباعث على كتابة هذه القصيدة هو تصوير فرحة الكفار برحيله إلى الدار الآخرة. ومن هنا رحلت أنشد من شعري في ذلك أقول لهم:)

امألوا الدنيا بألوان الرنين	حقدكم - مهما توارى - مستبين
نحن لن نعدم فيكم نظرة	نبصرُ الحق بها عينَ اليقين
وثريناً ما تفرّدت به	من لظى الأصغان والغل الدفين
أفصح القرآن عن أوصافكم	وتلاها المُجتبى الهادي الأمين
هذه الأوصاف لا تُزري بكم	ليس - بعد الكفر - من ذنب مُهين

أصّلتُ فيكم على مرّ السنين!
واستسغتم يا خزايًا كل هُون
واتبعتم ما افتراه الأولون
وابتأستم واكتأبتم أجمعين
واعترى من أسلموا ريبُ المنون
والأغاريدُ انتشتُ منها العيون
وابتأستم بالدواهي والفتون
قومكم ذلاً بكتُ منها الحصون!
أحرزوا النصر ، وعادوا آمنين
بل له - في البأس - إقدام رصين
للرزيّا جنده لا تستكين
تضربُ الدفّ على هز البطون
ثم خافوا الله رب العالمين
إذ جهادُ المعتدي ركنٌ ركين
من سلاح ، أو رجال ، أو سجون
في سماء العز والفتح المبين
جاد بالروح لمولاه المتين
بإذلاً في أمها شتى الفنون
قد تشفى ، خسرَ الغربُ اللعين
سوف تلقى بعدُ خيرَ الفاتحين!

كم لديكم من نعوتٍ تزدري
فاستحلتم كالمطاييا في الورى
وغدا الإفلاسُ منهاجاً لكم
إن نصيبٌ خيراً بدتُ أحزانكم
وإذا يوماً أصبنا بالأذى
فإذا الأفراحُ تغزوداركم
همّة الفاتح أدمتُ عزمكم
والفتوحات التي كم كبدتُ
فارسٌ قواد الغطاريف الألى
لم يكن - في حربه - يخشى الردى
وانتقى - للحرب - أقوى جحفل
هولاء الجنود ليسوا جوقة
إنما قومٌ كرامٌ آمنوا
جاهدوا - في الله - أعداء الهدى
لم يبالوا بالذي عند العدا
فاستحقوا النصر والذكرى معاً
ثم مات (الفاتح) الفذ الذي
فإذا بالغرب يُبدي فرحة
من أغنانٍ واحتفالاتٍ بها
إن يمتُ يا غربُ منا (فاتح)

سلطان العلماء ، لا عالم السلاطين

(أورد السبكي في (الطبقات) ص84 ما نصه: (كان لممالك الأتراك نفوذ في الدولة الإسلامية في أواخر حكم العباسيين ، وامتد نفوذهم حتى أصبحوا أمراء في الدولة أيام حكم نجم الدين أيوب في مصر ، وكان الشيخ العز بن عبد السلام قاضياً للقضاء فيها ، وقام – رحمة الله عليه – مُصلحاً لأمر القضاء منفذاً بحزم أحكام الشرع ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم ، فنظر في حقيقة قضية أولئك الأمراء التي أثارها هو ثم أصدر قضاءه الآتي: قال السبكي: ذكر كائنة الشيخ مع أمراء الدولة من الأتراك وهم جماعة ذكروا أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار ، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين. فبلغهم ذلك ، فعظم الخطبُ فيه واحتدم الأمر ، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراء ولا نكاحاً ، وتعطلت مصالحهم بذلك ، وكان من جملة نائب السلطنة فاشتات غضباً ، واجتمعوا ، وأرسلوا إليه. فقال: نعقد لكم مجلساً ، ويُنادى عليكم لبيت مال المسلمين ، ويحصل عتقكم بطريق شرعي ، فرفعوا الأمر إلى السلطان فبعث إليه ، فلم يرجع فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة ، حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله هذا الأمر ، وأنه لا يتعلق به. فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار ، وأركب عائلته على حمير أخرى ، ومشى خلفهم من القاهرة قاصداً الشام ، فلم يصل إلى نحو نصف بريد حتى لحقه غالب المسلمين لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه له يتخلف ، ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاهم فبلغ السلطان الخبر ، وقيل له متى راح ذهب ملكك قبله ، فرجع واتفقوا معه على أن ينادي على الأمراء فأرسل نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه فانزعج النائب. فقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفي هذا. فركب بنفسه في جماعة ، وجاء إلى بيت الشيخ ، والسيف مسلول في يده ، فطرق الباب ، فخرج ولد الشيخ ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد إلى أبيه ، وشرح له الحال ، فما اكتثرت لذلك ولا تغير. وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله ، ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة ، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب ، وسقط السيف منها وارتعدت مفاصله ، فبكى وسأله أن يدعو له. وقال: يا سيدي ، خيراً ، أي شئ تريد أن تعمل؟ قال: أنادي عليكم ، وأبيعكم. قال: فقيم تصرف ثمننا. قال: في مصالح المسلمين. قال: من يقبضه؟ قال: أنا. فتم له على الأمراء واحداً واحداً وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير. وهذا لم يسمع لأحد قبله رحمه الله. وفي هذا ما يدل على أن العز بن عبد السلام كان فعلاً سلطان العلماء ولم يك يوماً عالم السلاطين). هـ. إن الفرق كبير جداً بين أن يكون العالم سلطاناً للعلماء وأن يكون عالماً للسلاطين! إن علماء السلاطين كثيرون اليوم وأمس وغداً ، من الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم ، ومن الذين يرتزقون بدين الله عز وجل وبكتابه وبسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، من الذين يطوعون الدين ويلوون نصوصه من أجل عرض من الدنيا زهيد قليل حقير يرميه لهم الطواغيت كما نرمي العظم للكلاب ، من الذين – بعمالتهم وتخريفهم الذي لا حدود له وتحريفهم للنصوص وخوضهم في دين الله – يُضفون الشرعية على انحراف الطواغيت في الأرض ، من الذين إن تكلموا فالكلام الذي يريده أسيادهم وإن يستكثروا فالكلام الذي يريده أسيادهم ، من الذين لا يُمثلون أبداً اتجاهاً للكاتب ولا للسنة ، من الذين هم ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أشد فتكاً من قلوب الذناب ، من الذين يذكروننا في حركاتهم

وسكناتهم بمسرح العرائس التي تشد بالخیوط لتتحرك يمناً ويسرة فهم العرائس والعطاءات الخیوط ، وأما الذین یشدون الخیوط حسب أهوانهم فالطواغیت والظالمون ، من الذین یأكلون أموال الناس بالباطل لیصدوا عن سبیل الله ، من الذین هم أتباع كل ناعق فهم إمعات ومقلدون ، من الجوقة المرتزقة حارقي البخور وقارعي الطبول وضاربي الودع وقارني الكف من الذین یفسدون فی الأرض بتقیرر الجاهلیة والجاهلیین ، ولا یصلحون بعدم انتصارهم للحق ولا الدعوة إلیه ولا الجهاد فی سبیله ، من الذین قدوتهم وأسوتهم بلعام بن باعوراء عالم بني إسرائيل الذی انسلخ من نصوص التوراة والإنجیل الصحیحة وكان من الغاویین! ولكن العلماء الربانیین یختلفون كل الاختلاف ، فهؤلاء لا یخافون فی الله لومة لائم ، یبلغون عن الله رسالته ویدعون الناس إلی الحق المبین مهما كلفهم ذلك من ثمن ، من الذین هم الغصص فی حلوق الطواغیت ، من الذین لا تؤثر فیهم الإغراءات ولا التهیدیات ، من الذین إن تكلموا فیمنطق الحق المبین فی الدعوة إلی الله تعالی على بصیرة ، وإن سكتوا فلدراء فتنة أو لاتقاء شبهة أو لتحقیق مصلحة راجحة لا بأمر أحد بل بفقہ وعلم واقتناع وحجة ، من الذین یصلحون فی الأرض ببیان الحق للناس ولا یفسدون بتطويع الدین للطواغیت ، من الذین یجاهدون فی سبیل الله بكل أنواع الجهاد ، من الذین قدوتهم وأسوتهم مؤمن آل یسن عندما قال: (یا قوم اتبعوا المرسلین) ومؤمن آل فرعون عندما قام فیهم داعياً وناصحاً ومحدراً. وعن أبی سعید الخدری عن النبی صلی الله علیه وسلم: (یکون أمراء تغشاهم غواشٍ أو حواشٍ من الناس ، یکذبون ویظلمون ، فمن دخل علیهم فصدقهم بکذبهم ، أعانهم على ظلمهم ؛ فلیس منی ، ولست منة ، ومن لم یدخل علیهم ، ولم یصدقهم بکذبهم ، ولم یعنه على ظلمهم ؛ فهو منی ، وأنا منة) صححه الهیثمی وابن حبان وابن حجر وقال عنه الألبانی حسن لغيره. وعن رجل من بني سلیم عن النبی صلی الله علیه وسلم قال: (ایاکم وأبواب السلطان ، فإنه قد أصبح صعباً هبوطاً) قال الألبانی صحیح ومعناه: أن من لازم السلطان صار مذلولاً له لا یسلم من النفاق. وعن عبد الله بن عباس عن النبی صلی الله علیه وسلم قال: (سیكون أمراء تعرفون وتكررون ، فمن نابذهم نجا ، ومن اعترلهم سلم ، ومن خالطهم هلك) صححه الألبانی. وعن أبی هريرة رضي الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم قال: (من بدا جفا ، ومن تبع الصید غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن ، وما ازداد عبداً من السلطان قرباً ؛ إلا ازداد من الله بعداً) قال الألبانی حسن صحیح. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم قال: (من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصید غفل ، ومن أتى السلطان افتتن). أخرج ابن داود والترمذی والبيهقي وصححه الألبانی. وروی كعب بن عجرة عن النبی صلی الله علیه وسلم قال: (أنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل علیهم فصدقهم بکذبهم وأعانهم على ظلمهم فلیس منی ولست منه وليس بوارد علی الحوض ومن لم یدخل علیهم ولم یعنه على ظلمهم ولم یصدقهم بکذبهم فهو منی وأنا منة ، وهو وارد علی الحوض) صححه الترمذی وابن حجر وابن حبان. ومن هنا كان الفرق بینهم وبین العملاء المرتزقة المتاجرین بالدين كالفرق بین السماء والأرض. والعز بن عبد السلام أحد هؤلاء العلماء الربانیین الموحدين ، ولا نزکیه على الله.)

سلطان من ملکوا دوراً وأوطاناً تبقي وتخلع ، ترجو الخرس سلطانا

وتعلن الأمر - بين الناس - إعلانا
بل زادك الزجرُ والتهديدُ إيماننا
وناوتُ - في القصور - الشمَّ عبَدانا
وإن من خلفهم جنداً وأعاننا
إن أثنوا - في القتا - أسداً وعقبانا
والنصرُ كان لهم - في البأس - برهانا
رُشداً ورأياً وتفكيراً ورُجحانا
ف قيل: يا عز ساد الحال أزماننا
فانصب لقولك قسطاساً وميزاننا
به تفارقُ أحباباً وأوطاننا
تقطرُ الثأرُ أحقاداً وأضغانا
يُخاتلون السورى ظلماً وعدوانا
وإن رُميت بها أشمت من خاننا
يُوشي ليغري بأهل الخير طغيانا
لأنه جعل الإصرارَ فرقاننا
وأمعنوا - في الأذى والمكر - إمعاننا
وما استطاعوا لَمَّا أملاه عصياننا
سيفاً يُجامل أهواءً وبُهتاننا
حتى أصموا - لهول القرع - أذاننا
فقد غدا وأبوه (العز) صنواننا

وتجعل العتق شرطاً في ولايتهم
وتستهين بما حازوا وما جمعوا
وتصدِرُ الحكم فتوى في البلاد سرت
وللمماليك - في الأمصار - ساطنة
وهم أساطين - في الهيجاء - تحسبهم
خاضوا الحروب ، وفي آفاقها ركضوا
وتشهدُ الدارُ والتاريخ أن لهم
ولكن (العز) لم يعبأ بصولتهم
وأصبح - للعبيد - اليوم شوكتهم
نخشى عليك قراراً ظالماً عَجلاً
نخشى عليك سيوفَ القوم مُشهرة
نخشى عليك عيوناً لست تبصرهم
نخشى عليك سهاماً خاب حاملها
نخشى عليك عميلاً عاش مرتزقاً
و(العز) لم ينتصت حيناً لَمَّا ذكروا
وجاءت الجُند والظلماء تسترهم
وأضمرُوا قتله بسيف قائدهم
والكل جاء لدار (العز) مُمتشقاً
وأوسعوا الباب قرعاً ، بعضه فرغ
فقام (الابن) لهم بغير مَجبنةٍ

والموت ينسج للمغوار أكفانا
وقال: مرحى بأهل الحكم ضيفانا
واذهب ، وخل الفتى - للبطش - قربانا
إني أراهم - ورب الناس - ذؤبانا
حتى يزيد مناط الحكم تبياننا
من أن يكون شهيداً حنقه حانا
ويسأل الشيخ - وسط الجند - غفرانا
حتى نسوا ما انتووا - في التو - نسيانا
عن بيعهم والذي يحوز أثماننا
وراح يتلو - على الأضياف - قرآنا
فأيقن الجمع - بالأحكام - إيقاننا
بأنفس المال ، ليس الأمر مجاننا
بل كل عبد بنى - في الدار - ديواننا
وكيف يرضى - لبيت المال - خسرانا؟
وأصبحوا سادة فيها وأعياننا
وأحسنوا - لعباد الله - إحساننا
ولم يخروا - على الآيات - عُماننا
وعاش كل - على الإسلام - معاوننا
يرجو - على العلم - أموالاً وأطياننا

حتى إذا وجد الأسياف لامعة
تقدم (العز) معتزاً بخالقه
وقال الابن: أبي دعني لهم ثمناً
هم قاتلوك ، فكن منهم على حذر
فقاطع (العز) في عز وفي رشد
أبوك أهون عند الله يا ولدي
فاذ (بأبيك) يلقي سيفه جزعاً
فأطرقوا ، ودموع العين ساجمة
وأقبلوا يسألون (العز) أسئلة
فأوضح (العز) ما ساقوه من شبه
وساق من سنة العدنان حخته
وباعهم في مزاد بيع مالهم
إذ لا يبيع عبيداً هان سؤددهم
وما ارتضى النقص في أسعارهم أبداً
حتى إذا باعهم ، صحت ولايتهم
وجاهدوا - في سبيل الله - من كفروا
وبالحديث وآي الذكر قد علموا
(والعز) آزرهم في خير ما قصدوا
سلطان قادتهم ، وليس مرتزقاً

أمة اقرأ أولى بهذا

(دعي الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو إلى حفل على مستوى راق من طبقات الشعب الفرنسي. فصافح الحضور جميعاً ورحب بهم بعبارات ظريفة. وفجأة يلتزم أحدهم ويقبل رأسه ويده اليمنى ويده اليسرى ويعانقه طويلاً. فسأله في ذلك قائلين: صافحت الوزير والمهندس والصيدلي والفلكي والجيولوجي والبيولوجي والمدير والضابط والكيميائي والفيزيائي وغيرهم مصافحة عادية ، حتى إذا صافحت هذا خصصته بما رأينا فلم؟ فأجاب: لأن هذا معلم ، ومن تحت يديه تخرج هؤلاء جميعاً). إن مكانة المعلم اليوم قد نيل منها ، للحد الذي امتهن فيه المعلم امتهاناً لم يعرف التاريخ مثله. وبوصفي معلماً أمارس مهنة التربية والتعليم قرابة العقدين ونصف العقد ، رحت أتساءل: لماذا وصل الحال بالمعلم إلى هذا الحد المزري المضحك المبكي؟ هل هي فقط المؤامرة العالمية على التعليم في ديارنا؟ وإن كنت لا أنكر ذلك ولكنني أقول: هل هي المؤامرة وحدها السبب؟ إن المؤامرة على ضرب التعليم خطيرة ولا شك ، وقد ساهمت بنصيب الأسد في ازدياد المعلم والنيل منه. ولكنني أقطع بأننا إن قلنا بأنها المؤامرة وحدها فقد جعلناها شماعة نعلق عليها الممارسات السيئة المسيئة للمعلم في ديارنا. إن هناك عوامل وأسباباً أخرى أورثت المعلم هذا الازدياد والاحتقار في المجتمع. إن دور بعض الإدارات الفاشلة في بعض المدارس - خاصة المدارس الخاصة حيث يغيب دور الرقابة والمساءلة - قد أودى بالمعلم كذلك (حيث تقوم هذه الإدارات الفاشلة بجعل المدارس أشبه ما تكون بحلقات الصراع بينها وبين معلميها. فلا يكون هناك أمن وظيفي للمعلم ، بل قلق واضطراب ، حيث يشعر المعلم أن دوره فقط تنفيذ أوامر المدراء الفاشلين المتسلطين ، وليس إثراء العملية التعليمية وتطوير الطلاب والنهوض بمستواهم العلمي والمعرفي والأخلاقي والسلوكي. يضاف إلى ذلك عملية تدني الرواتب المتعمدة مما يجعل الكثير من المعلمين يزهدون في هذه الوظيفة التي لا تقيم شأنهم بين الناس. وانعدام من ترفع إليه الشكوى للنظر فيها لإنصاف المعلم. إن فيكتور هوجو عنى بقوله هذا المعلم ذا الرسالة لا الوظيفة ، وفرق ما بينهما كالفرق بين الثرى وبين الثريا. إن المعلم صاحب الرسالة يمكن أن يضحي بالكثير من أجل تحقيق رسالته. وأعود فأقول: ولكن لهذا المعلم بيت وأسرة وأولاد لهم مطالب واحتياجات ، فإذا كانت وظيفته أو رسالته على حد سواء لا تفي باحتياجاته هو وأسرته فعلى الرسالة السلام! نعم يا فكتور هوجو: من تحت يد المعلم تخرج الكل ، وربما لأنكم تحترمون التعليم قلت في أبناء جلدتك ما قلت ورأيت ما رأيت. وأنا أقولها بصدق: إن أمة (اقرأ) أولى منك بهذا. إن آيتكم التي تفاخرون بها وهي ثابتة في كتبكم: (أطفئ سراج عقلك واتبعني!). وآيتنا التي نفاخر بها: (اقرأ باسم ربك الذي خلق). ومن هنا فنحن أولى باحترام المعلم وتذليل الصعاب أمامه والإغداق عليه والتدخل العادل لحمايته من مافيا الإدارات الفاشلة الجاهلة المتغطرسة التي هضمت حقه ونالت من كرامته وأغرته به السفهاء ، حيث إنها تعتبر المدارس التي تتولى إدارتها أشبه ما تكون بالمزارع التي ورثوها عن آبائهم ، والمعلمين عبيداً اشتراهم آباء هؤلاء المدراء ليعملوا في هذه المدارس!)

خبر به الكتب الصّاح تبوح مُواتر - بين الورى - وصحيح

مترفع عمّا يشوّه صدقه أنى له التشوية والتجريح!

وتلا العناق تحية ومدح
منها احترام ذوي العلوم يفوح
شأن المعلم ، هاله التنقيح
فتساءلوا: من ذلك الممدوح؟
ويهز كفاً علمت ويلوح
أنيغ (هوجو) سره ، ويبيوح؟
والشعب يغدون نحوهم ، ويروح
وعن السفاهة ينتحي ، ويشيح
هل بعد هذا يرافاق شروح؟
حتى غدا جسداً قلته الروح
عليانها ، فعطأها ممنوح
وله أمان - في الورى - وطموح
إذ جهده - بشقائه - مجدوح
إلا جهولاً مفلس مفضوح
بمقاله فيها ذكاً وفتوح
والأمر - في قرآننا - مشروح
(اقرأ) ، وخص بها البشير الروح
أوجاءكم بمثيل تلك (مسيح)
من بعده الصلوات والتسبيح

من أن (فيكثر) قد أطال سلامه
ومضماً إطراره بحفاوة
ومنقحاً زيد الكلام ومُعظماً
ومفاجئاً كل الحضور بفعله
ومقبلاً يده ، وأيضاً رأسه
ما سر ذيك التكلف يا ترى؟!
والحفلة ممتلئ بأرفع معشر
فإذا بـ (هوجو) يستثير جموعهم
ويقول: هذا - يا فنام - معلم
هذا الذي للناس جاد بروحه
هو علم الأجيال ، أرشدها إلى
لم يدخر جهداً ، ولم ين همة
وجهوده ليست تُقاس بغيرها
إن المعلم ليس ينكر فضله
(هوجو) أصبت من الحقيقة قلبها
ولنحن أولى بالذي أوردته
إذ إن أول آية قد أنزلت
لما تكن يوماً بإنجيل لكم
فالعلم أصل في شريعة (أحمد)

بين عالم شجاع وأمير رَجَاع

(أورد أستاذنا وحيد بالي في كتابه (المتكبرات في المحاضرات) ما نصه: (حين قدم سليمان بن عبد الملك وهو يريد مكة ، وأرسل عالمها الجليل أبا حازم ، فلما دخل عليه قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم خربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب. قال: كيف القدوم على الله؟ قال: يا أمير المؤمنين ، فكالغائب يُقدم على أهله ، وأما المسئى فكالأبى يُقدم على مولاه. فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لي عند الله؟! قال أبو حازم: اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال: (إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم). قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين. قال: يا أبا حازم أي عباد الله أكرم؟ فقال: أهل البر والتقوى. قال: أي الأعمال أفضل؟ فقال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم. قال: أي الكلام أسمع؟ فقال: قول الحق عند من تخاف وترجو. قال: فأَي المؤمن أخسر؟ فقال: رجل أخطأ في هوى أخيه وهو ظالم ، فباع آخرته بدنيا غيره. قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟ فقال: أوتغفني؟ قال: لا بد ، فإنها نصيحة تلقىها إلي. فقال: إن أباك قهر الناس بالسيف ، وأخذ هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم ، حتى قتلوا منهم مقتله عظيمة وقد ارتحلوا ، فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم. فقال رجل من جلسائه: بسما قلت. قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. فقال سليمان له: يا أبا حازم ، كيف لنا أن نصلح الناس؟ قال: تدع الصلف ، وتستمسك بالعروة ، وتقسم بالسوية). هـ. قال العلامة المحدث عبد المحسن العباد حفظه الله تعالى وأطال عمره في طاعته في شرحه على سنن أبي داود رحمه الله: قال المصنف رحمه الله تعالى: [عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر)]. أورد أبو داود حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر أو أمير جائر) ، وذلك أن الجهاد فيه احتمال السلامة واحتمال الهلاك ؛ لأنه يقتل ، وقد ينتصر ويغلب ، ويحصل الغنيمة والأجر والثواب من الله عز وجل ، وأما السلطان الجائر فهو قاهر لمن بين يديه ، فيبطش به ، ويؤدي ذلك إلى هلاكه ، ويكون هلاكه أقرب من هلاك من يجاهد في سبيل الله ، فمن أجل ذلك كانت الكلمة التي تقال عنده بهذه المنزلة ، والمقصود من ذلك: أنه عندما يقول كلاماً باطلاً في مجلسه لا يسكت عليه ، وإنما يبين أن الحق هو كذا ، ولا يقر الباطل ويسكت عليه ، وإنما يبين الحق وأنه خلاف ما يقول ، وأن الذي قاله ليس بصحيح وإنما الصحيح هو كذا وكذا ، لأن هذا هو الذي جاء عن الله وعن رسوله عليه الصلاة والسلام ، فكونه يكون عند سلطان جائر معناه: أنه يكون عرضة للهلاك ، لاسيما إذا كان ذلك الجائر معروفاً بإزهاق النفوس وإتلافها بأي سبب من الأسباب ولو كان أمراً يسيراً والجور في السلطان كونه يبطش بالناس ، ومن السهل عليه إزهاق النفوس ، مثل ما اشتهر به الحجاج من البطش والشدّة والقسوة ، وسهولة القتل عليه ، ولهذا كان بعض العلماء يكره أن يحدث مثل الحجاج بالحديث الذي فيه قصة العرنيين ، وأنهم حصل منهم كذا. والرسول عمل فيهم كذا وكذا. لأن هذا يجرنه على بطشه وجوره. والصدع بالحق يعني به العلماء الذين عندهم معرفة ، وإلا فإن غير العالم يمكن أن ينكر ما هو معروف لجهله وعدم بصيرته ، فليس كل واحد يقبل منه الأمر والنهي ، ولهذا قالوا: لا بد في الأمر والنهي من العلم والبصيرة ، لقول الله عز وجل: (قُلْ

هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي). هـ. إنه ينبغي للعالم أن يقول الحق ، فإذا لم يقدر على قوله سكت حتى لا يضل الناس ، وكان صمته أبلغ من حديثه بالباطل وأقل إساءة!

رَزَقْنَا وَالْمَوْتَ - قَطْعاً - وَالْعُمْرَ
بِيَدِ اللَّهِ الْمَلِيكَ الْمُقْتَدِرَ
خَطَّ آجَالاً وَأَرْزَاقاً ، فَمَا
تَرَكَ التَّدْبِيرَ يَوْمًا لِلْبَشَرِ
إِنْ نَعِشْ ، فَالْقَوْتُ مَكْفُوفٌ لَنَا
أَوْ نَمُتْ ، فَالْأَرْضُ مَلَأَى بِالْحُفْرِ
فِيمَ نَخْشَى النَّاسَ إِنْ هُمْ هَدَدُوا
وَبَلُونَنَا بِالتَّجْنِي وَالضَّرَرِ؟
فِيمَ نَبْقَى فِي مَتَاهَاتِ الشُّقَا
ثُمَّ نَصَلِي بِالمَصِيرِ المُسْتَعْرِ؟
فِيمَ نَرْضَى بِالتَّرْدِي عِيشَةَ
تَقْتُلُ الإِحْسَانَ فِينَا وَالنَّظَرَ؟
فِيمَ نَسْتَجِدِي الرِّضَا مِنْ طَعْمَةٍ
هَمَّ - عَلَى التَّحْقِيقِ - فِي الدُّنْيَا حُمْرًا؟
هَذِهِ الدُّنْيَا سَرَابٌ ، وَالذِّي
يَعْبُدُ الدُّنْيَا سَيَعِشُّهَا الْقَتَرُ
خُلُوهَا مُرٌّ ، وَمِلْحٌ عَذْبُهَا
خَابَ مَفْتُونٌ - بَبَلْوَاهَا - يُعْرَى!
وَأَهْلُ الْعِلْمِ فِيهَا رُؤْيَا
تُرْشِدُ الْعَقْلَ ، وَتَسْمُو بِالْبَصْرِ
هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ خَيْرٌ مِنْهُمْ
وَلَهُمْ جَهْدٌ عَظِيمٌ مُبْتَشِرٌ
يَنْصَحُونَ الْقَوْمَ حَتَّى يَرِثُوا
بِكَلَامِ فِاقٍ - فِي الْحُسْنِ - الدَّرَرَ
وَيَصَوْنُونَ السَّجَايَا وَالْهُدَى
وَيُزْفُونَ الوَصَايَا وَالْعَبْرَ
لَا يَخَافُونَ الْوَرَى مَهْمَا عَلُوا
بَل - لِأَهْلِ الْبَغْيِ - يُزْجُونَ النَّذَرَ
صَدَقُوا الْمَوْلَى ، فَأَعْلَى شَأْنُهُمْ
إِذْ لَهُمْ - فِي النَّاسِ - مِيمُونَ السَّيْرِ
حَمَلُوا لِلْحَقِّ أَسْمَى رَايَةً
وَاسْتَهَانُوا بِالزَّرَايَا وَالغَيْرِ
فَإِذَا بِالْجَيْلِ يَسْمَعِي خَلْفَهُمْ
يَنْهَلُ الذِّكْرَى ، وَيَسْتَقْصِي الْخَبَرَ
إِنَّهُ الْمَجْدُ ، وَهُمْ أَرْبَابُهُ
وَبِمَا حَازُوهُ - دَوْمًا - نَفْتَخِرُ

هلا قرأتم أقوال منظرىكم؟

(كثيرة تلك الأقوال التي خطها علماء وفلاسفة وأدباء ومنظري الغرب عن النبي محمد ﷺ. فمنها ما كان بحق يعترف بنبوته ورسالته وشريعته ودينه. ومنها ما كان بباطل يدحض كل ذلك بلا دليل. وأنا هنا أطالب هذا (الفريق الملعون الذى يذم النبى ﷺ وشريعته ودينه بلا دليل! أطلبه بأن يطالع ما خطه الفريق المعارض المناظر له ، وكلاهما غربي). قال تولستوي الفيلسوف الروسي تحت عنوان (من هو محمد؟): (إن محمداً - ﷺ - هو مؤسس ورسول الديانة الإسلامية التي يدين بها في جميع جهات الكرة الأرضية مائتا مليون نفس (يعنى فى حساب وزمان تولستوي ، لكنهم اليوم فاقوا المليار!) ، ثم قال: ولد النبي - محمد ﷺ في بلاد العرب سنة 571 بعد ميلاد المسيح عليه السلام من أبوين فقيرين ، وكان في حادثة سنة راعياً يرعى الغنم ، وقد مال منذ صباه إلى الانفراد والعزلة في البراري والأماكن الخالية ، حيث كان يتأمل في قدرة الله وخدمته - أي طاعته - إن العرب المعاصرين له عبدوا أرباباً كثيرة ، وبالغوا في التقرب إليها واسترضائها ، فأقاموا لها أنواع التعبد ، وقدموا لها الضحايا المختلفة ومنها الضحايا البشرية ، ومع تقدم سن محمد كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب ، وأن ديانة قومه ديانة كاذبة ، وأن هناك إلهاً واحداً حقيقياً لجميع الشعوب. وقد ازداد هذا الاعتقاد في نفس محمد ، حتى اعتزم أن يدعو مواطنيه إلى الاعتقاد باعتقاده الصحيح الراسخ في فؤاده ، ثم دفعه إلى ذلك عامل داخلي آخر وهو أن الله اصطفاه لإرشاد أمته ، وعهد إليه بهدم ديانتهم الكاذبة ، وإنارة أبصارهم بنور الحق ، فأخذ من ذلك العهد ينادي باسم الواحد القهار ، وذلك بحسب ما أوحى الله إليه ، وبمقتضى اعتقاده (الراسخ). وعندما وصف تولستوي الديانة الإسلامية وصفاً صحيحاً موجزاً - حسب معتقده وتصوره ويجب أن نراعي هنا الترجمة وفوارق الألفاظ الدقيقة بين اللغة الإنجليزية وأختها الروسية - قال: "وفي سني دعوة محمد الأولى تحمّل محمد كثيراً من الاضطهاد ، شأن كل نبي بعث قبله ، نادى أمته إلى الحق ولكن هذه الاضطهادات لم تتنّ عزمه ، بل ثابر على دعوة أمته ، مع أن محمداً لم يقل إنه النبي الوحيد ، بل جاء متمماً للرسالات السابقة ، ودعا قومه إلى هذا الاعتقاد أيضاً". اهـ. ومما يذكر أيضاً أن هذا الفيلسوف أعني تولستوي قد نال خطاب ثناء وشكر من الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الأسبق ربما أكثر من أهل ملته! يقول الفيلسوف كارليل في كتابه (الأبطال): (وإني لأحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، ولقد كان ابن القفار والصحاري هذا رجلاً مستقل الرأي ، لا يعول إلا على نفسه ، ولا يدعى ما ليس فيه ، وإلا فما كان ملاقياً من أولئك العرب الغلاظ توقيراً ولا احتراماً ولا إكباراً ولا إعظاماً ، وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته ثلاثاً وعشرين حجة ، وهم ملتفون به ، يقاتلون بين يديه ، ويجاهدون حوله. لقد كان في هؤلاء العرب جفاء وغلظة ، وكانوا حُماة الأنوف ، وأبابة الضيم ، فمن قدر على رياضتهم وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستفادوا فذلّم وأيم الله بطل كبير ، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبيل والفضل لما خضعوا له ، ولا أذعنوا. وظني أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه لما كان مصيباً فى طاعتهم مقدار ما ناله فى ثوبه المرقع بيده ، فكذلك تكون العظمة ، وهكذا توزن الأبطال). اهـ. جاء في دائرة المعارف البريطانية ما

نصه: "كان محمد أظهر الشخصيات الدينية العظيمة وأكثرها نجاحاً وتوفيقاً". يقول دينسون عنه عليه وسلم - في كتابه (الحركات كأساس للحضارة): "وفي القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدين على شفا جرف هار من الفوضى ، لأن العقائد التي كانت تعين على إقامة الحضارة قد انهارت ، ولم يك ثم ما يُعتد به مما يقوم مقامها ، وكان يبدو إذ ذاك أن المدنية الكبرى التي قامت بعد جهود أربعة آلاف سنة مُشرفة على التفكك والانحلال ، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية ، إذ القبائل تتحارب وتتناحر ، لا قانون ولا نظام ، وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم بأجمعه". ويقول جيمس عن رسول الله عليه وسلم: (إن محمداً هذا الرجل الملهم الذي أقام الإسلام ، ولد حوالي 570 ميلادية في قبيلة عربية تعبد الأصنام! وكان قد ولد يتيماً محباً للفقراء والمحتاجين والمساكين ، والأرامل واليتامى ، والأرقاء والمستضعفين. وقد أحدث محمد بشخصيته الحارقة للعادة ثورة في شبه الجزيرة العربية ، وفي الشرق كله ، قد حطم الأصنام بيده ، وأقام ديناً يدعو إلى الله وحده ، وأرشد العالم إلى أنه بشر مثلهم ، أرسله الله بشيراً ونذيراً). اهـ. وفي محاضراته المكونة من جزأين بعنوان: (غربيون مدحوا الرسول) يقول الدكتور عمار علي حسن ، وتحديداً في سطور من محاضراته الثانية إذ لم أستطع سماع ولا قراءة المحاضرة الأولى ، يقول ما نصه: (وأما كتاب «ألف شخصية عظيمة» لبلانتاجيت سومرست فرأى فيشهد بأن «الكثير من المغرضين طمسوا معالم شخصية نبي الإسلام ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، إنه شخصية كبرى في تاريخ العالم ، فضلاً عن أنه نبي مرسل». وينصف العلامة رودينسان حضارة المسلمين قائلًا: «إن علوم أوروبا فيما تلي الحروب الصليبية ، والقرون الوسطى هي كلها علوم عربية الأصول إسلامية المصادر». ويؤكد العالم الفرنسي جوزيف كالميت أن المسلمين هم الذين قدموا الثقافة العربية الإسلامية بكل فخر واعتزاز. ويقول الشاعر الأمريكي الكبير واشنطن إيرفينج: «كانت أمية محمد إحدى دلائل معجزة النبوة عند هذا الرجل الأمين الصادق ، الذي بعثت به السماء لمهمة مقدسة ، وكان حريصاً لإيصالها بالحب ، بعد أن علمته السماء. كان يحارب من أجل العقيدة ، لا من أجل مصلحة شخصية». والأمر الثاني أن أداء الجاليات الإسلامية في الغرب لا يخدم الإسلام كثيراً ، فالجهد الذي يبذلونه في تبصير الناس بحقيقة الإسلام قليل ، وسلوك بعضهم يسئ إلى دينهم ، كما أن انغلاقهم على أنفسهم ، ورفض الاندماج الإيجابي في المجتمعات التي يعيشون فيها ويستفيدون منها يقلق اليمين الأوروبي المتطرف المنحرف منهم ، فينعكس هذا سلباً على الإسلام. أما الأمر الثالث فيتعلق بالصبغة السياسية التي سيطرت على مضمون الصور المسيئة للرسول الكريم ، من زاوية ربطها بين الإسلام والإرهاب ، وهي صورة مستقرة في أذهان الكسالى في الغرب ، الذين يصدقون ما تبثه إليهم وسائل إعلام مغرضة ، ومناهج تعليمية وتربوية محرفة ، ولا يكفون أنفسهم عن البحث عن الحقيقة ، ومن بين من رسم هذه الصور ومن نشرها ، اعترف اثنان في مقابلة صحفية أجريت معهما بعد تفاقم الحدث أنهما لا يعرفان كثيراً عن الإسلام ، ولا يدركان شيئاً عن سيرة الرسول. والأمر الرابع يرتبط باحتمال استغلال القوة التي تبشر بصراع الأديان والحضارات في العالم هذا الحدث في البرهنة على صواب رؤيتها ، وهي مسألة يجب أن يعيها جيداً العقلاء من المسلمين والنصارى على حد سواء ،

ويواصلوا الحوار الدائر بينهما ، درءاً للفتنة ، وتحقيقاً لرسالة العدل والمحبة والإخاء والسلام التي تحملها رسالات السماء).هـ. وقال البروفيسور جارسون دي تاسي في كتابه "الإسلام" : إن محمداً ﷺ - كان منذ نعومة أظفاره مجانباً للزديلة ، محباً للفضيلة ، حتى أطلق عليه بنو قومه الصادق الأمين. ثم يقول: "إني لأجرو بكل أدب أن أقول: إن الله الذي هو مصدر ينابيع الخير والبركات كلها ، لو كان يوحي إلى عباده ، فدين محمد صلى الله عليه وسلم هو دين الوحي. ولو كانت آيات الإيثار والأمانة والاعتقاد الراسخ القوي ووسائل التمييز بين الخير والشر ودفع الباطل هي الشهادة على الإلهام ، فرسالة محمد هي هذا الإلهام).هـ. يقول البروفيسور بورسورث سميث: (عندما ألقى نظرة إجمالية أستعرض فيها صفات محمد وبطولته ما كان منها في بدء نبوته ، وما حدث منها فيما بعد ، وعندما أرى أصحابه الذين نفخ فيهم روح الحياة - وكمن من البطولات المعجزة أحدثوا - أجدّه أقدس الناس وأعلاهم مرتبة ، حتى أن الإنسانية لم تعرف له مثيلاً).هـ. وقال الكاتب الإنجليزي الكبير لويل توماس: "قبل أن يكتشف كريستوفر كولمبس أمريكا بألف سنة أبصرت عينا الطفل القرشي محمد بن عبد الله النور في مكة ، فكأن الله اختار هذا الطفل ليغير به تاريخ العالم ، وكان في طفولته يرعى الماعز والغنم فيقودها إلى أعالي الجبال التي تحيط بمكة إحاطة السوار بالمعصم ، ولما شب وأينع راح يذهب إلى سوريا في تجارة بمال إحدى نساء قریش - يشير إلى السيدة خديجة - وسرعان ما شعر بأن قومه الذين يعبدون الأوثان كانوا على ضلال ، يتمسكون بدين منبعث من الأوهام والأساطير ، فبعث بدين متسامح رضي أن يقبله كل إنسان بدون مشقة. وقد علم أصحابه حب آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ، واعتبارهم أنبياء مرسلين". ثم قال توماس: "لقد كان محمد العربي القرشي النبي الهاشمي ، والرسول التهامي أول من وحد قبائل العرب المتنافرة في تلك الجزيرة ، وأول من ألف قلوب شعوبها المقاتلة وجمع كلمها تحت راية واحدة. جاء محمد وجمع كمة العرب ، ووحد صفوف العرب ، ولكن ليس باستعمال القوة والاعتماد على الشدة ، بل بكلام عذب حكيم ، وأخذ منهم كل مأخذ ، فاتبعوه وأمنوا به. وقد فاق في مكة جميع الرسل وقادة الرجال بصفات لم تكن معروفة لدى العرب ، فجمع بين القلوب المتفرقة وجعل منها قلباً واحداً. وفي الختام قال توماس: "وفي ذلك العصر عصر فتوحات الإسلام قدم العرب للعالم أجمع أعلم رجال الإسلام وأكثرهم ثقافة ومعرفة ، وبذلك فإن الإسلام قد حل بالعالم وانتشر في ربوعه بسرعة البرق". قال إدوارد مونتيه مدير جامعة جينيف في محاضراته التي ألقاها: (.....ولقد انتشر الإسلام منذ نشأته بسرعة ، وقلما توجد بل لا توجد أبداً ديانات كانت تنتشر بمثل هذا الانتشار. وإن ما صادفه الإسلام من أول عهده كان عظيماً وهاشماً. حتى لقد تكونت آراء طائشة عن حقيقة سبب تلك الفتوحات السرعة التي وطدت سلطة نبي الإسلام ﷺ وإصلاحه بعيداً عن حدود بلاد العرب. لقد قرروا ولا يزالون يقررون حتى الآن أن نجاح العقيدة الإسلامية يرجع إلى العنف وإلى قوة السيف في عهد محمد ﷺ وعهود خلفائه الأولين - يريد الخلفاء الأربعة - ولكن هذه الفكرة لا تضع موضع الاعتبار العناصر المختلفة للمسائل المراد حلها والوقوف على حقيقتها). قال مونتيه في محاضرة أخرى بجينيف ما ترجمته: (الإسلام في واقع الأمر ينتشر نوعاً ما من تلقاء نفسه ، أريد أن أقول: إنه ينتشر بواسطة المسلمين أنفسهم ، لأن كل مسلم في البلاد الوثنية رسول لدينه مبدئياً ، فالمسلم على وجه العموم مؤمن قوي العقيدة ، وتلك خاصة من

خصائص الدين الإسلامي أن يستحوذ تماماً على نفس المؤمن بكليته وجزئيته ، وأنه إن وجد عدد من المسلمين فاتري العزيمة ، أو من غير المبالين ، فإن الحمية من الصفات المميزة للدين الإسلامي وإني أكرر أن المسلم غالباً يحمل في جسمه أنسجة المبشر. فالإسلام كما قلنا ينتشر من تلقاء نفسه ، فهو ينتشر بواسطة القوافل التي تذهب للتجارة إلى البلاد الوثنية ، أو الديار التي تعبد فيها الأصنام. فرسل الإسلام تدفعهم الغيرة للتبشير إلى الالتجاء إلى الوسائل المختلفة الملائمة لكل حالة خاصة في البلاد ، وفي الشعوب التي يقيمون فيها بأداء عملهم الديني ، وهنا نرى العامل الديني يعمل عمله بجانب العاملين الاجتماعي والاقتصادي. فالإسلام في البلاد الشاسعة التي ينتشر فيها ويمتد نفوذه ينم لنا عن حالة اجتماعية واقتصادية في أرقى الحالات ، وتباعاً يعتبر من أولى وسائل التقدم والرقي). هـ. وأما البروفيسور كارادي فو فقد قال في كتابه "المحمدية": (إن محمداً أتم طفولته في الهدوء ، ولما بلغ سن الشباب اشتهر باسم الشاب الذكي الوديع المحمود ، وقد عاش هادئاً" في سلام حتى قد بلغ الأربعين من عمره ، وكان بشوشاً تقياً لطيف المعاشرة ، وكان النبي والملمهم والمؤسس ، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العليا التي كان عليها ، ومع ذلك فإنه لم ينظر إلى نفسه كرجل من عنصر آخر ، أو من طبقة أخرى غير طبقات بقية المسلمين. إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه محمد بين أعضاء الكتلة الإسلامية كان يطبق عملياً حتى على النبي نفسه). هـ. وهذا إدوارد ورمسي المستشرق الأمريكي يقول: "كانت بلاد العرب غارقة قبل نبوة محمد ﷺ في أحط الدركات ، حتى ليصعب علينا وصف تلك الخزعبلات التي كانت سائدة في كل مكان. فالفوضى العظيمة التي كان الناس منهمكين فيها في ذلك العصر وجرائم الأطفال (يعنى قتلهم خشية الإملاق) وواد البنات وهن أحياء ، والضحايا البشرية التي كانت تقدم للأصنام والأوثان باسم الدين ، والحروب الدائمة التي تنشب أنا بعد أن بين القبائل المختلفة ، والنقص المستديم في نفوس أهل البلاد ، وعدم وجود حكومة قوية. كل هذه كانت سبباً في سيادة الهمجية بين الناس ، وازدياد الجرائم ، وإنهاك الحرمات ، وهذه حقيقة يحملها التاريخ ، ولا يمكن إنكارها". ثم قال: "كانت بلاد العرب في حالة تشويش وبلبل ، وفي فوضى منتشرة لم يسبق لها مثل في تاريخ أية أمة من الأمم ، حتى إن بيت الله الحرام الذي بناه إبراهيم الخليل عليه السلام لإقامة الشعائر الدينية فيه قد تحول إلى معبد يحتوي على أربعمئة صنم ، لكل قبيلة صنم يعبدونه" ثم يقول: "كان العرب يعيشون في جو فاسد مملوء بالغبار والميكروبات الاجتماعية ، حتى إن مجرد ذكرى هاتيك الأيام تقشع منها النفوس ، وهكذا كانت أحوال سكان الجزيرة العربية ، وتلك عاداتهم حينما جاء محمد ﷺ شارحاً للعالم رسالة الواحد القهار ، حاملاً بيده اليمنى الهدى والفرقان (يعنى القرآن) وبيده اليسرى نور المدينة الوضاء ، وإنما ذلك ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه عز وجل". هـ. ليت المخالفين يقرؤن هذه الأقوال الجميلة الصادقة التي هي بأقلام أهلهم ومنظريهم!

هـ لاقـرأتم أـعذب الكـلمات
ورشـفتـم - مـن زهـرها - النـفحات؟
ودرسـتم أنـدى النـصوص بلا هـوى
ورأيـتم - بـين السـطور - عـظـات؟
ولمسـتم الحـق الـذي لا يرعـوي
للمغـرضـين ، ولا لـأي غـوأة؟

وسبرتم غور الحقائق أشرفت
ووجدتم الترجيح يوقظ غافلاً
هلا وعيتم ما تخرصتم به
أوما اعتبرتم بالأدلة أطلقتم
كيف استبحتم ديننا وكتابتنا
كيف اتهمتم - بالفساد - نبينا
وتخذتم دحض الثوابت منهجاً
وسمعتم أقوال كل معربٍ
وسعدتم بتكهنات من افتري
وتبعتم من يستبد برأيه
وجعلتم هذا العزيف ذريعة
ورأيتمكم أصدرتم أحكامكم
فلتقروا ما خطه إخوانكم
وخذوا الأمور بأصلها وأصلها
وترفعوا عن كل قول مبطل
ما فاز - في التنظير - إلا فرقة
يجنون ما زرعوه من تدقيقكم
هم نزهوا الأقلام عن تزويرهم
رباه فاهد القوم أنصف جمعهم

كالشمس تقشع داجي الظلمات؟
ويجيرُه من ترهات غفاة؟
حتى تبوؤوا - بعده - بسكات؟
مثل السهام أمام شرر رُماة؟
لترقعوا - بالزيف - ثوب عتاة؟
لثجاملوا بالكذب بعض طغاة؟
كي تضمنا - بالغش - خير حياة
واصطدتم العثرات والزلزلات
وتلقف التهريج والسقطات
ويبيد نور الحق بالهفوات
لتسَطروا - بالباطل - الصفحات
أبئس بأحكام عتت وقضاة!
ودراسسة الآراء خيبر أداة
ودعوا التندر في القضا بنكات
ألقى به - في الساح - شر وشاة
من منصفين مُحققين أباة
والحق يسطع في ضمير جناة
فحباهم الإنصاف عذب صفات
لمكارم الأخلاق والخيرات!

أمومة لها رصيد!

(قبل سنوات كتبت: (أمومة بلا رصيد!) عن أم أدبرت تاركة زوجها وطفلها ، ولم تعقب. برغم إحسان الزوج وانتشاله لها من وحل الحضيض والنخاسة والرق ، حيث كانت تعمل خادمة ، وعشقها فهده ضميره إلى الزواج منها على كتاب الله وسنة رسوله بأذلاً في سبيل ذلك الغالي والنفيس ، مبتغياً في هذه الزيجة وجه الله تعالى. ولم يشأ أن يلوّث حياته ليكتب عند الله في ديوان الزناة والمسافحين على عادة المنحليين الذين لا يخافون الله ولا يتقون حُرّماته. فلما رزقت بطفلها الأول الذي وضعته في أرقى المستشفيات وأغلاها ، إذا بها تنتظر فرصة خلو غرفتها من الناس والزوج ، ثم تخرج ولا تعود ، فكان تصرفها في غاية الغرابة إذ ولت مدبرة ، وتناست الطفل والزوج والعز والكرامة. فتخيلت الطفل الرضيع يناشدها العودة إلى حياض الديار والزوج والابن والكل. ولكنها لم ترجع! أما هذه المرّة فأكتب عن أم أخرى عاد لها ضميرها ، وندمت بعد أن تركت أولادها لأبيهم بسبب تخبيب المخبيين ووشاية الواشين وإفساد المفسدين ، حتى أوصلوا العلاقة بينها وبين زوجها إلى المحكمة ، برغم بساطة الخلاف بينهما. إن كثيراً من الناس وللأسف يتفنون في توسيع هوة الخلاف بين الزوجين ، ولست أدري ما هو المكسب الراجح المتحقق لهم عندما يطلق فلان فلانة؟ ثم في المحكمة ، وأمام القاضي ، وعندما تشبث أبناؤها بها في براءة الأطفال وأمسكوا بعباءتها ، وأبوا أن يتركوها ، ووعظ القاضي الزوجين فاستأنفا الحياة من جديد. والقصة في كتاب (حدث في المحكمة) للعمري - جزاه الله خيراً - ص 58. فلما أخذتني رقة الموقف أشدّت من شعري حكاية على لسان زوجها أقول وعلى البحر المتقارب ، عسى الله أن يقرب بينها وبين زوجها! وهناك في جريدة: (العرب) الصادرة يوم 27-11-2016م كانت هذه الدر عن دور المرأة في التربية: (إن المجتمع الشرقي ينظر إلى المرأة على أنها حجر الأساس في تربية الأبناء ، على الرغم من أن دور الرجل لا يقل عنها أهمية ، حيث لا تقتصر مهمة الرجل على الذهاب كل يوم للعمل وتأمين لقمة العيش لعائلته ، لكن يمكنه تقسيم وقته والاتفاق مع زوجته بتقسيم مسؤولية الأطفال بينهما ، فمثلاً يقوم بالتدريس للأطفال بعد عودته من العمل أو اللعب معهم ، ومعرفة ما فعلوه خلال فترة النهار ، فيجب أن يلجأ الوالدان إلى استخدام أسلوب الحوار مع الأطفال ، وأن يبتعدا عن الضرب والعنف ، كذلك يجب أن يكون العقاب المتخذ بسبب الخطأ موحداً من قبل الطرفين. وتشير الإحصائيات العالمية إلى أن الأطفال الذين حظوا بوجود دور فعّال للأب في طفولتهم ، كانت لديهم مشكلات سلوكية أقل من أقرانهم ، مشيرين إلى أنه ليس بالضرورة أن يعيش الأب في نفس المنزل مع الأطفال ، فقد يكون الأبوان مطلقين ، لكن وجود الأب في حياة أبنائه يكون بشكل فعّال ، فالأبناء الذين يجدون آباءهم بجانبهم يتميزون اجتماعياً ودراسياً عمّن يفتقدون دور الأب في حياتهم ، مؤكدين أن تواجد الأب في المنزل لكي يتقاسم مسؤولية تربية الأبناء مع زوجته يجعله يشكل قدوة لأولاده ، بالإضافة إلى أنه سيكون موجوداً ليراقب أبنائه ، فلا يلقي اللوم على الأم ولا يحملها المسؤولية وحدها ، لأن المهام والمسؤوليات مشتركة بينهما دائماً. وأثبتت الدراسات أن قيام الأم بمفردها بعملية تنشئة الأطفال ينعكس بالسلب على شخصية الطفل بسبب عدم توازنها ، ويظهر ذلك في سلوكه وميله إلى الاعتماد على الآخرين والخضوع لهم ، كما يتصف الطفل بالسلطوية). هـ. واخترت أن يكون العنوان: (أمومة لها رصيد) وذلك لعودة الأم! أما

قصيدة: (أمومة بلا رصيد) فكانت التسمية هكذا لعدم عودة الأم! إذ لو كان لها قلبٌ فيه رصيّدٌ من الأمومة والحنان والشفقة والتبعل والزوجية والإنسانية لما جاز لها في منطق العقل والحياة أن تترك وليدها الشرعي (فهو ابن نكاح لا سفاح) ، وتذهب إلى حيث اللاعودة! ولكنني هنا جعلت الحكاية على لسان الزوج أبي الأولاد الذي راح يذكرها الأيام الخوالي والقرية والغنم والبادية والحقول والمزارع والأشجار واللهو البرئ واللعب المشروع! وتخيلته يستدر عطفها وحنانها لا من أجله وحده! بل من أجل الأولاد الذين صنعوا الموقف برمته أمام القاضي والناس في المحكمة!)

حنانيك يا زوجتي القاسية
ورقي ، وصوني الذي بيننا
ولا تنكني الجرح مهما جرى
ولا تشعلي النار في دارنا
ولا تسـتغلي خلافتنا
ورفقاً بأحوال أولادنا
رأوك فطابت أسرارهم
وضمّوك في لهفة المشتهي
وكلّ تشبّث مسـتعذباً
وكنت أحاول تعويضهم
ووفرت كل الذي أملاوا
وعاطفة تسـتجيب لهم
وأحسب أنني بلغت الذرى
وناولتهم - عن رضا - طعمتي
وقلّدتهم خاطراً صافياً
وخابت ظنوني التي حكتهما
وعودي إلى الخيمة الحانية
من الود والصحة الغالية
لكيلا تُحطمننا الداهية
فما أنت بالزوجة الغافية!
فتشمت جيرتنا الهاذية
ولا تنبشي المحنة الجاسية
ورقوا لعشـرتك السامية
حنيناً إلى العيشة الهانية
بنفس على ما مضى باكية
عن الأم في الفترة الماضية
بنفسية برّة راضية
وهمة مسـتعطفٍ عالية
وأنقذت طفلي من الهاوية
لكي أشبع الأبطن الخاوية
يُغرّد في البيئة الصافية
ثياباً لأحلامي الساجية

كأنني بها صالحة داجية
وعابوا قطيعتنا الضارية
يُحرق كالجمره الحامية
إذا كنت صالحة واعية
وذي سنة - في الورى - جارية
يُجنبنا الضربة القاضية
هـ داديك ، أيتها النانية
أدنياك تغني عن الباقية؟
نباهي بها القرية الثاوية؟
تناغم في الليلة الشتاتية
ل - مياهاً تجود بها الساقية
كدوح فواكهها دانية
وتشددو بأحانها الماشية
أريج لقاءتنا الزاكية
يُدل بنكهته الغاوية؟
نخاف من الضبع العاوية
معيناً يقلدنا العافية
وغرفة نومك والزاوية
نتوق لرجعتك الآنية

لأن الصغار قلوا صحتي
وعافوا الرتابة تُزري بهم
ولاموا بلفظ كمثل اللظى
فأصغي لهم! واستجيب لهم!
لأن الأمومة لا تُشترى
ومنها لديك الرصيد الذي
ولا تغبنينا ببعد اللقا
أما اشتقت - بعد التنائي - لنا؟
ألم تذكرى حلو أطيافنا
يرددها الغيث أنشودة
ونحن نسامر - بين الحقو
وللطير منظومة تزدهي
وئدلي الخمانل أفانها
ويبتسم الحقول مسـتروحاً
ألم تذكرى التوت يا غادتي
وأغنامنا عندما جاهرت:
بربك عودي ، وكوني لنا
على حالها الدار ما بدلت
عسى الله أن ترجعي ، إننا

المرثية السليمانية (في رثاء والدي)

(إنه في عصر يوم الجمعة 2015/3/13م نبئت برحيل والدي علي سليمان - رحمه الله - عن عمر يناهز الثامنة والثمانين من السنوات ، قضاهن الوالد في جد الحياة وكدها. وكان خبراً عاتياً الوقع على سمعي ، ليس لاستبعاد أن يموت الوالد - رحمه الله - ، ولكن لأنني لا أستطيع تغسله ولا تكفينه ولا تشييعه. وذلك لظروف تجديد الإقامة ، وإذن فجواز السفر غير موجود! وعليه فقد تعين علي أن أعرّد في هذه المناسبة الأليمة (مصيبة الموت) خارج السرب. فبكيتة وحدي وحرزنت عليه وحدي ، وها أنذا أشيعه بشعري وحدي. وكانت هذه المرثية الخمسينية السليمانية ترجمة لما أحسست به بعد رحيل الوالد - رحمة الله عليه - . وبعد قليل من الوقت وجدنتني أمسك بقلمتي وأكتب مطلع هذه القصيدة الرثائية ثم انهمرت الأبيات كالسيل مستصحبة الذكريات الجميلة التي عشتها مع الوالد عبر عقدين ونصف تقريباً بين مدّ الحياة وجزرها ، حلوها ومرّها ، وكم اختلفنا! وكم اتفقنا! وبقي مقام البنوة كما هو ومقام الأبوة كما هو ، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس! وأشهد الله يا أبي أنني سامحتك إلى الأبد ابتغاء وجه الله!)

أبي رحيلك أشجاناً أعانيها
وبالفؤاد جوياً ، فاضت مرارته
من أين أبدأ يا أبتاه تعزيتي
رحلت عني ، ولفراق صولته
ما اخترتها قبلة ، ولا سعيث لها
ولا تفيثاً ظلاً أغدقته على
بل امتثلت وصاياك التي ارتسمت
مشواراً عمر ، وآمالاً وتجربة
وقصة نسجت - بالمجد - حبكثها
طفولتي أنت حاديتها ومرشدها
فكم حنوت - على الطفولة - ابتليت
وكم حرصت على إحسان تربيتي

وذكريات تؤز النفس ، تشقيها
والروح تجترّ حزناً عالقاً فيها
والنفس تحتاج - عفواً - من يعزيها؟
في غربةٍ وأدت عزمي عواذيتها!
ولم أكن - بأصيل الشعر - أظريها
من أله القوت والدينار تأليها
والقلب أمسى - مدي الأيام - يُمضيها
وهمة تنثني - من فخرها - تيهها
وكل شهم من الأبناس سيرويهها
وأنت - في لجج الأمواج - حاميهها
بالمعضلات - بلا رفق - تعانيها!
حتى تنقيها مما يدسها!

وبالدماء زكيت والروح يفديها
يزيدني - في الورى - عزاً وتنزيها
كسب المعيشة حاضرها وماضيها
وعيشة تحتفي بمسـتزيديها!
وللمصائب أياماً نقضـيها
وللبليات إن شططت بواكيها
تصاحب العيرَ ، أو تووي المعاتيهـا
وللعهدود رجالات توفيهـا
وما الحقوق إذا استغنى مؤيديها؟!
إن الحقائق تغلي شأن أهليها
أقول ذلك تصريحاً وتنويهـا
وذبت - في ثقل البأساء - تفريها!
ولم تبين لنا الغايات تخفيها
حتى رأني البرايا من محبيها
حتى طواك - بسيف الموت - مؤتيها
مرارة السقم ، إذ فاضت دواعيها
بل اصطبرت - على البلوى - تعانيها
مطاعن الشيب ، إذ عنت دواهيها
وما الرعية إن ضاقت براعيها؟!
ولم يئسوا لأهات تقاسيها

وكنيت خير أب يـؤوي رعيتـه
وشدت صرحاً من الإباء المسـه
وعشت عفأ ، فلم ترض الدنية في
وكم نشدت لنا مستقبلاً غرداً
وكم تألمت إمـا مسنا ضرراً!
وكم تأثرت تبكي ما يحيق بنا!
أبي علمتك تختار الصديق ، فلا
وتحفظ العهد إن عاهدت محتسباً
وكم رعيت حقوق الجيرة اشترعت!
وكم صدقت بأقوال تبوخ بها!
وكم شقيت لنحيا في بلهنية!
وكم تحملت فقراً مُدقعاً شرساً
واحتلت للعيش في سـر وفي علن
وجرت في نفحات النصح تبذلها
واحترت في حكمة ما زالت تنشرها
وصرت عشراً من الأعوام مُحتملاً
ما ضقت ذرعاً بما تلقاه من ألم
واشتد نزغك ، والأمراض ما رحمت
وحولك الكل ، لكن قل ناصحهم
لم يكفلوك كما أبناءهم كفـلوا

وقصة سنوات العمر تحكيها
في حالة تجتني إحساس رائيتها
وعاجلته ظروف كان يديرها
والكأس دائرة ، والدهر ساقها
وجُدت بالفضل - مجهوداً - تزكيتها
مزينة عشت - في قلبي - تنميها
وللمناقب كم وجهت توجيهها!
محبة - بيننا - سَمَت معانيها
إذ اختلفت في زواياها مراميها
إذ يُصبح القول تلبساً وتمويهها؟
قبل الوسائل نمضيها وننويها!
فالجزر يكبتها ، والمد يطغيها
وأنت - بالصبر والتصبير - راعيها
وزوجة كنت - في البلوى - تسليها
ودمعتي - في لظى المأساة - أذريها
إرادة لم تكن يوماً تداجيها
مُسْتَرَجِعاً ذكريات غاب شاديها
ما أشرقت - في الدنا - شمس تُعشيها

لم يرحموا الضعف قد ذل العزيز له
لم يعذروا الشيخ هد الشيب قوته
لم يقدروا قدر من وآت شبيبته
لم يُكرموك ، فقد زاغت بصائرهم
أبي خبرتك قد أنشأت تجربتي
علمتني الجد في الأمور أغلبها
لقتني الحزم - في الحياة - دون هوى
عشنا صديقين - بين الناس - تجمنا
كم اختلفنا ، فلم تثمر مناقشة!
ما نفع ألف نقاش دونما هدف
كم اتفقتا على الآمال ننشدها
في عيشة أصبحت - كالبحر - جامحة
وأنت - في إحن الأهوال - قائدها
واليوم ترحل عن أهل وعن وطن
وقد عجزت - عن التوديع - مُعتذراً
مؤبناً والدي في غربة قهرت
مُشيعاً رجلاً كم عشت أظبره!
عليك من ربك الرحمن رحمته

المرثية السماحية (في رثاء الوالدة)

(في يوم الأحد 2015/3/15م أخبرت برحيل الوالدة الغالية كوكب أحمد السعيد محمد سماحة عن عمر يناهز السبعين عاماً من الكفاح ، في حياة حُفَّتْ بالمكاره والصعاب والمشاق. فكانت نِعَم الزوجة لأب كابد مشاق الحياة مثلها. وكانت نعم الأم الحنونة ، المُحِبَّة لأبنائها ، الناصحة لهم. وكنتُ نويت أن أسافر إليها لأعزيها في والدي الذي قضى قبلها بيوم واحد ، فلقد توفي يوم الجمعة 2015/3/13م. ولكنني لم أستطع لظروف ومقادير يعلمها الله تعالى! وكان حدثاً فوق الاحتمال والتصبر لولا معونة الله وتوفيقه! فتلقفتُ يراعتي ورُحْتُ أسترجع شريط ذكرياتي مع أمي ، وعبر الدموع والنحيب والأشجان تولد المطلع الذي تلتته الأبيات سراعاً إلى أن أتممت البيت الخمسين! وعندما يخلو ديوان الشاعر من رثاء أبيه وأمه الذين ماتا في حياته ، فمن كان أولى برثائه وبكائه ودموعه؟ ألا وإنني أعتبر الشاعر الذي لا يرثي أباه وأمه وقد ماتا في حياته عاقاً لهما وحسابي على الله! إذ من البر بهما الإحسان إليهما ، وبر صديقيهما ، وإنفاذ وعدهما ، وإنجاز عهدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، والتصدق عنهما ، والحج والعمرة عنهما ، وسداد دينهما ، والدعاء لهما ، وذكر مناقبهما ليتأسى الناس بها ، والاستغفار الدائم لهما! هذا كله يفعله كل الناس! والشاعر واحدٌ من الناس ويزيد على ذلك كله رثاؤهما شعراً فإنه من باب الإحسان إليهما!)

خَبَرَ أراه - مِنَ البليَّة - أكبرا
والقلبُ أدركه الخشوعُ ، وردّه
والنفس لاكت ما تُصارعُ من أسى
واستيقن العقلُ الأمورَ ، ولم يكنْ
والروحُ للمقدور - بعدُ - استسلمتْ
أرواحنا هذي ودائعُ عندنا
كانت - مدى الأيام - سير حياتنا
كتبَ المليكُ - على الخلائق - موتهم
جَل المهيمن ، ليس يبقى غيرُه
أمّاه فارقَتِ الحياةَ رضِيَّة
أسلمتِ روحكِ للذي رفع السما
والدمعُ - فوق الخدِّ - منه تحدّرا
للحق حتى يستكين ، ويصبرا
والخاطرُ المُلتاعُ قد طرح المرأ
فيما يُعيانُ ذاهلاً مُتحيّرا
واللهُ ألهمها بأن تسْتَغفرا
ونردّها يوماً لمن هو قد برا
وإذا تفارق يلحقُ الموتُ الورى
وبه يبيد اللهَ مَنْ كان افترى
خاب الذي فيما أقول به امترى!
لَمّا انتهى الأجلُ الرقيمُ ، وأدبرا
والناسُ باتوا - في عزائكِ - خُصرا

والكل أكبر ما أتيت ، وكبيرا
والوجه مثل الصبح ، إنا أسفرا
كانت أجل - من الصفاء - وأطهرا
والدمع - فوق حدود من فجعوا - جرى
ورجعت - من وخز العذاب - القهقري
والنفس أرسلت البكاء مقتظرا
من بعد أن يفعت ، وشبت مُعصرا
فالموت يُحصي المرء مهما عمرا!
والعائدات الهوج أذهبت الكرى
وغدا البلاء - عليك - سيفاً مشهرا
وسني عمرك تستخف بما ترى
كفي حنين ، والعلاج تعذرا
تمحو الذنوب أتيتها والمنكرا
وتجوب - سيرا - كل أصقاع القرى
وتصارع الدنيا كأساد الشرى
يوماً ، ولا مرضاً تأصل واعتري
كلا ، ولا خرفاً يلقنها الهرا
وتساعد الهلكى ، وتعطي القصرا
حتى تراهم - بالمبادئ - في الذرى
وشبابها الوسنان عنها أدبرا

ونطقت فيهم بالشهادة جهرة
ومن المنية ما جزعت لحيظة
وعلت جبينك - في المصاب - سكينه
وبكى الحضور - على الكريمة - ودعت
وأنا انتحبت ، وهزني ألم الجوى
والقلب حلق ، ثم حوقل راضياً
ما أنت يا أمه أول من قضت
وأراك لست كذاك آخر من قضت
أمه آذتك الدغول جمه
وجراحة تأتي ، وأخرى تنقضي
والجسم يجتر العذاب متلاتاً
والطب أمسى - من سقامك - نافضاً
أجر عافية وعاجل محنة
فإذا التي كانت تروخ وتغدي
وإذا التي كانت تبيع وتشترى
وإذا التي لم تشك أدنى علة
وإذا التي لم تشك وعياً غائباً
وإذا التي كانت تصبر غيرها
وإذا التي كانت تشجع قومها
أمست على الكرسي يقهرها الأسى

والضعفُ - عن ساق الكهولة - شمرا
والله يشهد ، لا جدال ولا مرا
من كل من تكس يُباع ويشترى!
نفأ أمه ، أولى به أن يُزدرى
وانظر لغيرك ما أتاه وما جرى
أعنى رحيل أب غدا تحت الثرى
والنفسُ تقبل ما المهيمُن قدرأ
أنى لمثلك - بعده - أن تصبرا!
فغدا بيذكما أجلّ وأنصرا
وأمومةٍ كانت أعز وأطهرا
فهو الجديرُ بمجده أن يُذكرا
فأبى المناقب والهوى ، فتقهرا
لجميل ما في الوالدين تنكرا!
بشذى المحبة والوفاء مُحَبِّرا
وتفوقُ - في الحَبكِ الرصين - الجوهرأ
لتبيت - للناعين - بدرأ نيرا
إن الرحيل - إلى الديار - تعذرا
لولا الطغاة تغلبوا ما قصرأ
ما أشرقت شمس على كل القرى!

ومضتْ كذلك قوّة وقتوّة
وأنا بعيدٌ عنك ليس برغبتى
وتركت - عند الخالين - ودیعة
تعسّ الذي من أجل زوجته يعـ
والكأسُ دائرة ، سيشربها غداً
أماه لم تتحملي أعتى البلا
أقنعتِ نفسَك أن قلبك ثابتٌ
حتى لحقت به بدون تردّدٍ
أكملت ما مشوارَ عيش لا عج
وتفياً الأبناءً ظلّ أبوةٍ
فالبعضُ حاز - من النجابة - أصلها
والبعضُ ما قبلتْ عزائمهُ الغلا
والذنبُ ليس إليكما ، لكنه
أمّاه شعري ثاويأ سَطْرته
مرثية زهراء تختصرُ المدي
وبذلتُ - في تجميلها - ما استطعته
فتقبليها ، واعذري من صاغها
هو نادمٌ ومُفرطٌ ومُقصّرٌ
رباه فارحم (أم أحمد) رحمة

قرتا العين (في رثاء والديّ الكريمين معاً)

(لم أختَر هذا العنوان. وإنما الذي اختاره هو الزميل أحمد جمال ، معلم الحاسوب بالمدرسة الوطنية بعجمان. فلقد طلب إليّ أن أكتب عن رحيل أبويّ الراحلين في قصيدة واحدة. فأخبرته أنني سوف أفعل إن شاء الله تعالى. ذلك أنني كنتُ قد جعلتُ لكل منهما قصيدة مستقلة منفصلة. فلما سألتُه عن العنوان الذي يقترحه ، فجاد عليّ بهذا العنوان الذي وجد عندي رحابة صدر. والأستاذ أحمد جمال هنا أراد أن يحاكمني إلى ما ذهبتُ إليه من قولي بوجوب رثاء الشاعر لوالديه ، وإلا يفعلُ فيعتبر عاقاً لهما! ورأى الأستاذ أحمد جمال أن بعض آي القرآن قد جمعت الوالدين معاً: قال الله عز وجل: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا). وقال: (قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ). وقال: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ). وقال: (وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ). ومن هنا وعدت الأستاذ ووفيتُ والله الفضل والحمد والمنة! وجزاك الله خيراً يا أحمد!)

أشرت بالرأي ، والبرهان مقرون	وأمر رب الأنعام الكفاف والنون
وكنيت أبتت كلاً في قصيدته	فهل يعيد - لنا من غاب - تأبين؟
لكنه الدين - مثل القيد - في عنقي	وللوفاء به شرط وغربون
أكبرت رأيك لما أن جهرت به	وقلت أفعل ، والجميل ممنون
(أبا جمال) جزاك الله مكرمة	على النصيحة زانتها المضامين
وفارق السن لم يجعلك في حرج	ولم تخفك - من الرد - الأظانين
مساحة الود لم تحدث مشاحنة	إذ ألفت - بيننا - الطاعات والدين
ولم يُلنك حياءً عن مصارحة	ما - في الصراحة - إرجاف ولا لين
يا (أحمد الخير) أبشر سوف أنظّمها	قصيدة نظّمها البديع موزون
والواقعية فحواها وزبدتها	ما قيمة الشعر إن أملاه تدشين؟!
أصوغها مثلما ذكرت محتسباً	ولفظها - بسنا الإخلاص - مشحون
لم آل جهداً ، ولم أبخل بعارفة	لكي تُزان - بمرآها - الدواوين

برغم أن يَـرَاعَ الشَّـعْرَ مَحْـزُون
وشاهدي - في الذي ذكـرتـه - الحـين
وجـلها - بالوفـا والحب - مَقـرون
والعـيشُ فيـه - على الدـعوى - البراهـين
وكـلُّ بـذل لـه مـدحٌ وتـدشـين
إنَّ وسوسـتَ - في قنـاعـاتي - الشـيـاطـين
وفي القـصـائد إثـباتٌ وتـدوين
لـواعظ الخـير ، فالإكـرامُ مـكنون
بـين الخـلائق حـتى قـيل مـجنون
لأنـصـرَ الحـق إن سـاد الفـراعـين
جـنـدُ الحـنـيفـة آسـادَ عـرانيـن
لـيس الثـراءُ أتـت بـه (الفـدادين) !
والـيـومَ يُثـمـرُ إرـشـادٌ وتـلقـين
إلى الصـراحة إن غـلا الدـهـاقـين
فـلا يـسـرُّ بـنـي ظـلـمٌ ولا هـون
وفي اغـتـرابـي دـهى الفـؤادَ تـوطـين
فـهـاجـرتُ - عـن مـجـالـيها - المـلـايـين
ومـن بـقوا في الحـمى ، فـهـم مـسـاجـين
على المـكـائد أمـلاها الهـوامـين
حـتى يـحـوز - عـطاياها - القـوارـين

وما خـفـرتُ جـواراً أنـت مُعـنـه
ولم أوجـلُ لـحين ما وـعدتُ بـه
وأنت أعلـم - بالأشـعار - أكتـبـها
الوالـدان هـما الحـياة مـاتـعة
كـم أسـعداني بـما قـالا وما بـذلاً!
وناصـحاني ، وجـداً في مُراجـعتـي
وربـيـاني صـغيراً خـيرَ تـربـيـةٍ
وأكرـماني بـما اسـطاعاه تـلبـيـة
وشـجـعاني - على المـعـروف - أصـنعـه
ونـاوا لاني حُـسامَ الحـق مُشـتـهراً
وعلماني اتـباعَ الهـدي في ثـقـة!
وأرـشـداني إلى الثـراء أنـشـده
ولقـتاني الرضا بـما خـصـصتُ بـه
ووجـهـاني بـلا ضـيق ولا سـام
وأشـرباني - مـن الإبـاء - أجـملـه
وكنتُ هـاجرتُ عـن أهـل وعـن وـطن
داري قلتُ كـل مـن راموا شـرافـتها
أنى اتـجهتُ تـرى مـن أهـلها زـمراً
والبـعضُ ضـممتهمُ الأـجـداثُ بـاكيـة
والبـعضُ آثرَ أن يـموتَ مُنتـحـراً

والبعضُ فر من الجحيم يُشعلهُ
وقلتُ: آتني لكي أراك يا أبتني
وإن أتيت فقد تزيدي غضباً
احتلتِ الدارَ - رغم الأنف - شردمة
فهل تجيئ إلي البلاء ، يا ولدي؟
ونحن نرجو (صلاً) كي يوحدنا
شتانَ بين الذي تركت من زمن
فلا تقل: أتقي ، ولا أعارضهم
لقد يطالك منهم غدرٌ أفجرهم
صفَ الجنودَ ، وفي الأيدي السلاحُ بدا
فقلتُ: أمي ، فقالت: لا تزرُ أبداً
كنْ جالس دارك في منفي لجأت له
واضممُ إليك جناح الرهب مُبتعداً
أنجباك ربك بالمنفي وعائلة
والله ما استويا عيشٌ تدنُ به
كلا ، ولا استوتت الشجوى بمرحمةٍ
يا قرتا العين ، يا أبوي معذرتي
جازاكم الله عنّي الخيرَ أجمعه

بين الأنام على الدرب الملاعين
فقال: كلا ، وإن عمّت طواعين
ولا يغرنك تزييفٌ وتوهين
أمست يُحرّكها عيرٌ مجانين
قد زال عِز وخيراتٌ وتمكين
والكل يسأل: هل تكون (حطين)؟
وبين ما أحدثت الحمرة الأساطين!
لأن منهنهم غشٌ وتخوين
فاربأ بنفسك أن يلقاك تنين!
وللتحايل كم سُنتت قنوانين!
حتى وإن قيل تغسيلٌ وتكفين
لا يصرفنك تزييفٌ وتزيين
عن العذاب ، ولا يصرفك ملسون
فكيف يُغريك - بعد الرفعة - الطين؟
وعيشة أسنتت ، قوامها الدون!
ولا استوى الحنظل البري والتين
أسوقها لكمما ، والعفو ميمون
مامات ميبنت ، وما نعاها تآبين

إن كيدكن عظيم

(في بعض كتب الأدب القديمة قصة مشهورة جداً ، كنتُ أعجب بها وأنا صغير لا أدرك من معناها ومبناها أي شيء! وأعجبت بها كبيراً وأنا أدرك المغزى والمعنى وما وراءهما! وسواء حدثت هذه القصة أم لا ليس مهماً! بل الدرس المستفاد منها هو المهم! وكم من قصص طويلة عريضة نقرأها ولا نستفيد منها شيئاً! بينما في قصتنا القصيرة تلك دروس عظيمة! إنه في إحدى القرى البعيدة تزوجت فتاة شابة ، وكانت مستاءة من ذلك الزواج. ذلك أن زوجها كان يسيء معاملتها ، من أجل هذا انطلقت الفتاة لتشكو زوجها لدى شيخ القرية وتطلب منه عوناً في حل مشكلتها. قال لها شيخ القرية الذي حنكته التجارب: يتوجب عليك أن تنزعي بنفسك شعرات من ذنب حي ثم انتيني بها حتى استطيع تليين قلب زوجك. وفكرت الفتاة كيف يمكنها أن تفعل ذلك. كيف يمكنها أن تنزع شعرات من ذنب حي. وذهبت الفتاة إلى الصحراء عليها تحصل على ذنب. ورأت ذنباً يجزّ ماعزاً وينطلق بها إلى الغار. فراحت تراقب. رأت جراء الذنب يرضعون من أمهم. وفي اليوم التالي أخذت الفتاة قدراً من اللحم والعظام ، ووضعتها في طريق الذنب. وجاء الذنب فأكل قسماً وحمل الباقي إلى جرائه. كل يوم كانت الفتاة تفعل ذلك. وشيئاً فشيئاً راحت تقترب أكثر فأكثر. فأما الذنب فأطمأن للفتاة. والفتاة راحت تمسح على رؤوس الجراء. وذات يوم وهي تمسح على رؤوس الذئاب الصغيرة ، انتزعت بلطف عدة شعرات وذهبت بها لشيخ القرية. واندش الشيخ وقال: كيف أمكنك أن تفعلي ذلك؟! كيف تسنى لك أن تنزعي شعرات من جسم ذنب حي؟! وقصت الفتاة على الشيخ ما جرى وقالت: لقد توددت للذنب حتى أصبح يطمئن لي فلا يؤذيني. وهنا التفت الشيخ وقال لها: يا ابنتي لقد استطعت ترويض ذنب مفترس وحيوان كاسر ، أفلا تستطيعين ترويض زوجك! افعلي معه ما فعلت مع الذنب. لو أنك توددت له لأحبك وأصبح قلبه أسيراً بين يديك! وقديماً قالوا: "الإنسان عبدُ الإحسان"! وقصة هند بنت النعمان مع الحجاج وعبد الملك بن مروان مشهورة معروفة ، أوردتها في ديواني (دموع التصبر) تحت عنوان: (الحجاج تذله امرأة). وبينما كنتُ مع مجموعة من الأصحاب في المدرسة الوطنية بعجمان ، وأعجبتة قصيدة (الحجاج تذله امرأة) ، وراح يسألني عن الشعر وأحواله وبحوره وكيفية ولادة النص الأدبي. وفي الختام طلب إليّ أن أوافيه بنص آخر عن ذات المناسبة بقافية أخرى وبحر آخر ، ولفرط إعجابي بشخصية هند بنت النعمان وذكائها في إفحام الخصم ، وعدت الزميل بالوفاء إن شاء الله ، فكانت هذه القصيدة المختلفة في بحرها وقافيتها ، وإن كان الموضوع واحداً! وجمعتُ هنا في التقديم بين قصة هند بنت النعمان والعروس التي أحضرت شعيرات من الذنب لأن فيهما من كيد الأنثى ما الله به عليم! وصدق الله ربي: (إن كيدكن عظيم!).

ويحرق القلب منه الوهج والوقد	كيداً أمر من النيران يتقد
من السعير ، ومنها يضرم الكمد	لظاه يبعث - في الإحساس - السنة
منها تفر عقل المرء والكبد	وللنساء إذا ما كدن فلسفة

صبرُ الرجال وإن جدوا أو اجتهدوا
حِلْمُ الصناديد ، حتى إن هُم صمدوا!
قوامه الغلُّ والتتبيرُ والنكد!
وقومها - بعلو الهمة - انفردوا
وعقلها زانه الرجحانُ والرشد
شأنُ التقاة - عن المزالِق - ابتعدوا
وفي القصيدة يأتي السرْدُ والسند
شباب الروايات تزويرٌ ولا فند
كأداء ما خاضها أقوامها المُجد
وكم ألمت بها - في دارها - إدد
في عيشة دأبها اليسارُ والرغد
خمسون ألفاً إذا ما خانني العدد
وما أحسن بها - من حولها - أحد
حتى يُخَاصها من كربها الصمد
سعيها - في سُويدا القلب - يتقد
أيستهين بما قالت وينتقد؟
عنته بالشعر تُلقيه ، وتعتقد
معيشة شبابها البلاءُ والوبد
والقصرُ - في ظلها - كأنه جُدَد
وربّة القصر بالتضيق تضطهد؟

لهن - في المكر - ترتيبٌ ينوء به
وكم يضيق بما زخرفن من حيل
ومن يُجابه كيداً لا حدود له؟
وتلك هذ التي بالحسن قد وصفت
حبيبة سَطعت أنوارُ طلعتها
وأضربُ الذكر صفحاً عن مفاتها
وسوف أذكرُ من أخبار سيرتها
حكاية فنذت كيدَ النساء ، وما
إذ خاضت العطبُل الغيداء تجربة
وصارعت غصصاً أزرت بسوددها
كم حطمت محن (الحجاج) خاطرها
ومن يُطبق لها حصراً ومعرفة
وما استكانت لها يوماً ، وما ينسئ
لكنها جارت لله ضارعة
فأنشدت شعرَ تكلي تشتكى كُرباً
ولم تبال بمن يصغي لزفرتها
حتى إذا سمع الأبيات كاد لمن
أبياتها صدرت عن زوجة كرهت
وعشرة أوغلت في التيه شاردة!
ما قيمة العيش والتنغيصُ ديدنه

حتى إذا نهرت - بالشعر - عيشتها
 وأيقظت أذنَ (الحجاج) آهئها
 فطلقتَ (هندُ) و(الحجاجُ) فارقها
 فكافأت من أتى فرداً يبشّرها
 آلافها مئتان اليوم جائزة
 لم تألُ جهداً ، ولم تبخلْ بعارفةٍ
 على (ابن طاهر) الآلافُ قد سكبَتْ
 واستبشرتْ لابنةَ النعمان ضيعتها
 وفاخروا بابنةٍ عادت كرامتها
 وأرسل (الأموي) الشهم يخطبها
 فأدركتْ فرصة تشفي الغليل بها
 قالت: أودّبه حتى يفىءى إلى
 فسنتِ الشرط أن يقود هودجها
 كأنما أصبح الجَمال خادمها
 أما العروسُ فديناراً لها طرحت
 فقال: بل هو دينارٌ ألا ادكري
 فقاطعتْه بأن الله أبداها!
 إذ أبدلتُ (هندُ) بالدرهم تكرمة
 فأسقطتْ هيبَةَ الحجاج فعلتها

وما لها - في الذي آلت إليه - يد
 وما لأذن كذي - على الأذى - جلد
 وأصبحت حُرة ، وانحلت العُقد
 بمبلغ ما درى يوماً به خلد
 ولو أراد مزيداً ، فالدعا مَدَد
 ولم تخفْ جُند جبار وما رصدوا
 فبات يُخشى عليه الحقْد والحسد
 والأهل بالعودة السماء كم سعدوا!
 واستقبلوها بكل العِز ، واحتشدوا
 وأي شرطٍ لها في التو يُعتمد!
 فيمن يذلّ الورى جبراً ، ويضطهد
 تقوى الإله ، فلا تشقى به البلد
 والحبْل في يده ، كأنه المسد
 وقوته - عبرَ هذي الرحلة - الزيد
 وبعْدُ قالت: أنا الدرهم أفتقد!
 أم أنت من معشر في مالهم زهدوا؟
 جَلّ الإله المليكُ الواحدُ الأحد
 دينارَ عِز هو الأهلونَ والسفر!
 وبات - من هولها - اللسانُ ينعدد!

ليتنى ارتضيتُ زواجه!

(حدثني من أثق في كلامه أن امرأة جميلة (ولا يجوز في ديننا وصف النساء ، لكنه هنا لا يعرفُ بامرأة معينة معروفة للسامعين ، فليتنبه إلى أن في الأمر سعة!) هذه المرأة عرض عليها زوجها أن يتزوج من أخرى سالحة. فقالت: إن لي أهلاً هم أبي وثلاثة إخوة. ألحقتي بهم ، وعش كيف شئت: فأخذ يحذرها من سوء العاقبة ، ولكن دون جدوى. فطلقها بناء على طلبها ، وتزوج. ولحقت الأولى بأهلها. وبعد عشرة أيام توفي أبوها وإخوتها الثلاثة في حادث مروع. وبقيت وحدها وأن ورثت الكثير ، حيث كانت الوريثة الوحيدة. فهل أغنى عنها المال شيئاً؟ وهل أبدلها من ضيق فرجاً ، ومن خوف أمناً ، ومن حزن فرحاً؟ بالطبع ، لا. ناهيك عن الخطاب الذين تراحموا على بابها وقد أتوا من كل صوب وحذب. وجُلهم يريد الزواج منها إما لجمالها ، فهي جميلة ، وإما لغناها فهي غنية. وأحست هذه الموفقة العبقريّة بمدى المخاطر التي تتهددها ، فاخترت الرجوع إلى زوجها ، ولو أن تعيش مع ضرة لها أفضل من هؤلاء المغرضين ، فراحت ترسل الرسل لتعيش في بيتها مع زوجها قبل أن تنقضي عدتها ، وتمنت لو لم تفعل ما فعلت. وكان زوجها كريماً طيباً إذ أعادها إلى بيتها زوجة مكرمة معززة ، متناسياً ما كان منها من قبل - شأن كرام الناس الذين ينسون إساءة من أساء إليهم إن جاءهم معتذراً مقراً بالخطأ - وعاشت مع ضررتها على السوية كما شرع الله تعالى في كتابه: (لهذي ليلة ، ولتلك أخرى!) وكان هناك مبدأ الحياد الإيجابي والتعايش السلمي ، ولكن على هدى من الله وكتاب منير. وفي معرض جوابه عن سؤال عن التعدد قال الدكتور أحمد الفرجاني ما نصه: (لا شك أن وسائل الإعلام وضعف الإيمان وقلة العلم الشرعي وغيرها من وسائل وأسباب هي التي ساعدت على انتشار هذه المفاهيم الغربية ، وإذا لاحظ الإنسان الهدي الذي كان عليه رسولنا والراشدون يلاحظ أنهم جميعاً كانت لهم عدد من الزوجات ، ومضى هذا الخير في أمة النبي صلى الله عليه وسلم حتى حلَّ المستعمر بديارنا وترك نابتة شريرة من بني جلدتنا وممن يتكلمون بألسنتنا ، وليتهم إذا خرجوا من الدين كانوا وحدهم ، لكنهم يُصرون وما زالوا على إخراج الناس معهم ، وذلك عن طريق تطاولهم على أحكام الشريعة وطرح ثوابت الأمة للأخذ والرد دون علم أو معرفة ، فجاء من يقول: ما رأيك في التعدد؟ وجاءت من تتكلم عن مساواة المرأة مع الرجل في الميزان! إلى غير ذلك من القضايا والإشكالات التي لو عرض بعضها على عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر. ورحم الله مسلماً ومسلمة ومؤمناً ومؤمنة يقفون عند حدهم ويرددون بلسان أهل الإيمان: سمعنا وأطعنا ، ولا يقدمون على قول الله وكلام الرسول رأياً أو فكرة ؛ لأنهم يفهمون قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). ولا عجب فإن مجرد الحرج في أحكام هذه الشريعة قد يُخرج الإنسان من دائرة أهل الخير والإيمان ، قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ، ومشروعية تعدد الزوجات فيها من الحكم البالغة والفوائد الحاصلة الشيء الكثير ، والإسلام دين عظيم جاء ليعالج مشكلات الحياة ويواجه ظروف وضرورات الفرد والمجتمع. والإسلام صان للمرأة كرامتها ، وتوعد من يميل إلى زوجة دون الأخرى بالوعيد الشديد ، وطبق الصحابة الأبرار هذا العدل لدرجة أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان لا يشرب الماء في بيت زوجته الأولى إذا كان اليوم للثانية. وقد أقر الإسلام نظام تعدد

الزوجات وجعله رخصة لمن ضاقت به ظروف الحياة ، وجعل فيه حماية للأسرة من التصدع ، ومن هنا كان فيه مصلحة عظيمة للمرأة ؛ فهل الخير للمرأة التي تعجز عن أداء وظائفها والقيام برسالتها أن يتركها الزوج إلى غيرها أم الأفضل لها أن تظل في رباط الزوجية معززة مكرمة مع أختٍ لها أخرى يجمع بينهما الإيمان والطاعة للرحمن؟! وفي ذلك نفتح لفرص زواج جديدة لأخوات مسلمات ، وفيه حماية للرجل من الانحراف ، وفيه منع له من الخيانة التي تدفع ثمنها المرأة أمراضاً وأضراراً. وقد تطاول بعض السفهاء فمنعوا التعدد وأباحوا اتخاذ الخليلات ؛ يقلدون في ذلك الكفار أعداء الله ، وليس بعد الكفر ذنب ، ولكن عار على أهل الإسلام أن يتركوا شريعة الله ويسيروا خلف القوم. وخير من يتكلم في هذه الأمور بعد أكابر العلماء هن الداعيات الفاضلات ، وهذا طرف من أقوالهن ؛ فهذه الداعية زينب الغزالي تقول: تعدد الزوجات له حكمة أراها أولاً من صالح المرأة ، وقد اشترط الحق تبارك وتعالى العدل بينهما في المبيت والنفقة حتى الكلمة الصالحة التي يجامل بها من أحب يجعلها عملاً صالحاً له عند الله للأخرى. إلى أن تقول: وتعدد الزوجات أراه شامة في تشريعنا الإسلامي ، فماذا يفعل الرجال الذين لا تكفيهم معاشرة امرأة واحدة؟ وكيف يتصرف من يتقي الله؟ والله تبارك وتعالى الذي قرّر أن الرجم هو عقاب الزاني المحصن هو الرحيم الذي اقتضى عدله أن يمنح الرجل رخصة التعدد. إلى أن تقول: وأقول للمرأة هل الأفضل أن يعود زوجك نظيفاً طاهراً على صلاة ووضوء من عند أختك في الإسلام لها فيه مثل ما لك فيه ، غير خائنة ولا معتدية ، أم الأفضل أن يأتيك ملطخاً بالآثام والأمراض من عند خليلته بالحرام؟ أما الداعية الأمريكية آمنة شولتز فتقول: "تعدد الزوجات تشريع إسلامي وهو رحمة من الله ، ومن نكون نحن حتى نناقش أوامر الله تعالى – وصدقت والله وأحسن – والتي ترفض ذلك لا تؤمن بالآية التي تبيح التعدد ، والذي لا يؤمن بآية واحدة لا يعد مسلماً ، على أنه يشترط في تعدد الزوجات العدل والقدرة على تحمل الأعباء ؛ فإن لم يستطع فواحدة". أما الدكتورة كوثر كامل فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك حين قالت: "إن التعدد ليس مما يلجأ إليه عند الضرورة ، والدليل على ذلك هو أمر النبي صلى الله عليه وسلم عقب نزول آية تحديد الزوجات بأربع ، حيث أمر كل من أسلم ومعه أكثر من أربع أن يختار أربعاً ويطلق الباقي ، ولو كان التعدد لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة لأمر باستبقاء واحدة فقط ثم أعطى الرخصة لمن كانت زوجته مريضة أو عاقراً ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. والفضل ما شهدت به الأعداء ، وهذا ذكر لبعض أقوال الكافرين ، ويشهد الله أننا لم نكن بحاجة لذكر أقوالهم لولا ما عند بعض أبناء الأمة من ميل إليهم وإعجاب بأقوالهم، ونسأل الله أن يلطف بنا وبإخواننا وأن يردنا إليه رداً جميلاً ، يقول د. جوستاف بول: "إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الإسلام من أفضل الأنظمة وأوفاهها بأدب الأمة التي تذهب إليه وتعتصم به ، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالاً وأوجه شأنًا وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية". أما الألماني شوينهور فيقول: "ولقد أصاب الشرقيون في تقريرهم لمبدأ تعدد الزوجات ؛ لأنه مبدأ تحتمه وتبرره الإنسانية" ، ويقول الدكتور فيشر: "إن الأخطار الهائلة التي يتعرض لها المجتمع الغربي يمكن أن تحل بإباحة تعدد الزوجات ، بل إن إباحة التعدد ضرورية جداً لتخليص المجتمع الغربي من الهاوية التي أوشك أن يقع فيها". ونحن من جانبنا ندعو الرجال والنساء إلى الاحتكام إلى هذه الشريعة: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) ، ومن الضروري كذلك أن تكون النيات خالصة ؛ (فبعض الأزواج يقصد الإضرار بزوجته ،

وبعضهم يتكلم بالزوجة الثانية سنوات ولا يتعدى مقاله ؛ ولكنه يربك تصرفات زوجته ويجعلها تفسر كل التصرفات والمواقف انطلاقاً من ذلك التهديد.) والرجل ليس ملزماً بأن يفاوض ويحاور ويشاور في أمر الزوجة الثانية).هـ. والحقيقة أن الناس لو اطلعوا على علم الغيب لاختاروا الواقع . فتأثرت بهذه الواقعة ، وكتبت في هذا الموقف وعلى البحر الكامل وقافية العين هذه القصيدة!)

عزيتُ قلبي البائسَ المُلتاعا	في زوجةٍ رأيتِ الزواجِ صِراعا
رفضته زوجاً لاثنتين ، مُحققاً	شرط العدالة يُصلح الأوضعا
وتعمدتُ إشعالَ نارِ شِقاقها	إذ إنها ما أقنعتُ إقناعا
وتنكرتُ لحليلها وعيالها	والى الأقارب أسرعتُ إسراعا
والكل ساعدها ، ودمر بيتها	إذ لم تجدُ أهلاً ولا أشياعا
وبيعلها ضحّت لترضي قومها	وهم الألى نسجوا لها الأوجعا
حتى إذا هلكوا تحدر دمعها	وغدا الفؤادُ - من الجوى - مُلتاعا
ومضى الجميعُ وخلفوها وحدها	عرضاً غدا - بين الذئاب - مُشاعا
لا عمّ يحمل عباها ، ويصونها!	لا خالَ عنها يستطيع دفاعا!
لا زوج أمّ في القرية ، أو أخاً	يرعى الذمار ، ويطرخ الأطماعا
والدارُ - من أهل وقوم - أقفرتُ	لا زوج يُمتعها بها إمتاعا
والكل يسعى في خداع صبية	فمن الذي - عنها - يصدُ خداعا؟
كلّ يريدُ نكاحها لجمالها	والحسنُ يخضعُ عاشقاً إخضاعا
والبعضُ ينشدُ - لاهثاً - ميراثها	والمالُ يُعمي مُعدماً طماعا
والبعضُ يجمع بين حُسن والغنا	ويكيلُ من عذب الكلام صواعا
ويصوغُ أغنية تُعزي حالها	ويُرجعُ الألمانَ والإيقاعا
ويمرّ - من بين البيوت - مُسلماً	وإذا أتاه الليلُ ساق وداعا
وغدت تُعاني وحدة فتكتُ بها	وأمانها - وسَط الدياجر - ضاعا

وتشرذموا - في أمرها - أنواعا
ومعانذ عنها الزيوف أشاعا
ويسوق - عبر هرائه - الأسجاعا
ولسان كل يغلب المذياعا
في غابة أمست تضم سباعا؟
حتى تؤدب بالهزبر ضباعا
كم أحدثوا - بعد النزاع - نزاعا!
وكأما أضحى الأذى إجماعا
زوج خواطر حبهما ما باعا
فأتوا - إلى الزوج الكريم - سراعا
كلا ، وعند قدومهم ما ارتاعا!
لفظ الخلاف ، وآثر الإقناعا
بل كان فيما قرروا مطواعا
وأعارها وسواسه اللماعا
أهدى له تسويله الخداعا
متجاهلاً عنها الذي قد ذاعا
فيه الأسى والوجد والأوجاعا
صرف القلوب ، وزل الأسماعا

والناس تطعن عرضها في خسة
فمغالط يهذي ، ويخترع الفري
ومعربذ يغتال سُمعتها ضحى
ومنافق يُصغي إلى متحرص
ما حيلة العزلاء في هذا البلا
لا حل إلا أن تعود لبعلمها
من راهنوا دوماً على تلويثها
وتشابها أقالهم وفعالهم
فاختارت العصماء عودتها إلى
هي أرسلت رسلاً لتشرح موقفاً
ماردّهم - حاشا - وما أزرى بهم
بل أكرم الضيفان إكرام الذي
وأطاع لم يجحد شفاعة زائر
وأعاد زوجاً غالها شيطانها
حتى إذا اتخذت قراراً ظالماً
فإذا ببعل يستطيب رجوعها
وتجمّع الشمل الذي نفخ النوى
والحمد لله الذي لم يراده

ادرسوا قبل إصدار الأحكام

(إنها القضية الجديدة القديمة ذات التفاريع المتشعبة ، تلك القضية التي تحرّص بها علماء الغرب من تسمية الأرض بالكوكب ، ومن القول بأن الشمس هي جهنم ، ومن القول بوجود 150000 سماء وليست سبعة فقط كما صرح القرآن الكريم ، ومن القول بأن هناك مائة شمس وسبعين قمراً وليست شمساً واحدة ولا قمراً واحداً كما هو ظاهر النص القرآني القاطع ، ومن القول بثبات الشمس ودوران الأرض حولها ، ومن القول بدوران الشمس والأرض معاً. أقول: فرق بين النظرية البحتة القابلة للبحث والدراسة وبين العلم اليقيني الثابت. وأسرد هنا الأدلة والحجج والبراهين من كتب العلماء ، ثم أورد قصيدتي. إن القول بأن السماوات السبع قد تكون أفلاكاً سبعة أو مجرات سبعة أو مجموعات نجمية سبعة أو سُدماً سبعة أو عوالم سبعة أو أية خلانق فلكية سبعة ، إن هذا الكلام باطل وضلال بعيد وإفكّ قديم. والكلام على بطلانه وضلاله من وجوه عدة:-

* الأول: إن السماوات ليست هي النجوم ، لأن الله أخبر أنه زين السماء بالنجوم ، فقال: "ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح ، وجعلناها رجوماً للشياطين". * الثاني: أن هذا القول لم يقله أحد ، وعلى هذا فهو يعتبر من القول على الله بغير علم. وهذا محرّم في ديننا: "قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون". أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن مجاهد في قوله تعالى: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء....". قال: (خلق الله الأرض قبل السماء. فلما خلق الأرض ، خرج منها دخان ، فذلك قوله ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات. يقول: خلق سبع سماوات بعضهم فوق بعض وسبع أراضي بعضهم تحت بعض). هـ. وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات". قال: (إن الله كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً قبل الماء. فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً ، فارتفع فوق الماء ، فسماء سماء ثم أيبس الماء ، فجعله أرضاً فتفقاها واحدة ، ثم فتفقا فجعلها سبع أراضي في يومين في الأحد والإثنين ، فخلق الأرض على حوت وهو الذي ذكره في قوله: "فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم". والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاءة على ظهر ملك ، والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتتحرك الحوت ، فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسي عليها الجبال فقوّت ، فالجبال تفخر على الأرض ، فذلك قوله: "وجعل لها رواسي أن تميد بكم" وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها ، وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء. وذلك قوله: "قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض...". إلى قوله "وبارك فيها" يقول: أنبت شجرها وقدر فيها أقواتها! يقول لأهلها: "في أربعة أيام" ← سواء للسانين. يقول: من سأل فهكذا الأمر. ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، ثم فتفقا فجعلها سماء واحدة ، ثم فتفقا فجعلها سبع سماوات في يومين في الخميس والجمعة ، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض ، وأوحى في

كل سماء أمرها ، قال: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي فيها من البحار أو جبال البر ، وما لا يعلم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها سبحانه زينة وحفظاً من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب "استوى على العرش". هـ. مجلد (1) ص 43. والقول بدوران الشمس حول نفسها كلام باطل وإفك مبين ، بل هو مخالف تماماً للقرآن وللحديث ولإجماع علماء السنة! يقول الله حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: "قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب". فلو كانت الشمس حقيقة تدور حول نفسها كما قال: "يأتي بالشمس من المشرق" والذي لا يجري لا يؤتى به من المشرق إلى المغرب. فمن زعم أن الشمس ثابتة تدور حول نفسها فهو مكذب لكتاب الله القرآن. وقال تعالى: "وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال". فمن ادعى أن الشمس ثابتة فقد رد ما صرح الله به في كتابه من طلوع الشمس وغروبها ، لأن كونها ثابتة ينافي طلوعها وغروبها. والآيات القرآنية في ذلك كثيرة. وفي الصحيحين من حديث بن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى تغيب). وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (غزا نبي من الأنبياء ، فدنا من القرية ، وقد دنت الشمس من الغروب فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست ، ففتح الله له) متفق عليه. وهذا الحديث عن النبي يوشع بن نون. فهذان الحديثان صريحان في طلوع الشمس وغروبها وسيرها ، ولو كانت واقفة ثابتة لا تتحرك لما احتاج أن يقول: اللهم احبسها. وكان يقول: الله أمسك علينا دوران الأرض حتى تغيب الشمس. وهذا واضح باللغة والعقل. وعن أبي ذر - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال له حين غربت الشمس: "أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها. فيقال لها: ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها. فذلك قوله تعالى: "والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم". قال الحافظ ابن حجر في الكلام على هذا الحديث:- "والغرض منه هنا بيان مسير الشمس في كل يوم وليلة ، وظاهره مغاير لقول أهل الهيئة أن الشمس مرصعة في الفلك ، فإنه يقتضي أن الذي يسير هو الفلك ، وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجري ومثله قوله تعالى: "كل في فلك يسبحون" أي يدورون. "فتح الباري مجلد (6) ص 299. وأنا أقول: إن القول بثبات الشمس ودورانها حول نفسها في مكانها افتراء وكذب ومخالفة لصريح القرآن والسنة وإجماع أهل العلم. يقول الله: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساء مصيراً". والقول بان الفلكيين قد حسبوا سرعة الشمس باثني عشر ميلاً في الثانية قولٌ عجيب في الضلال. إذ كيف لهم أن يدركوا ذلك والشمس في السماء ، وبيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام؟! بنص الأحاديث الصحيحة. - إن الأرض ثابتة لا تتحرك ولا تدور: "أم من جعل الأرض قراراً؟! قال ابن كثير: أي قارة ساكنة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم ، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش ولا الحياة. "وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم" أي: لنلا تميد بكم: أي تتحرك وتميل ، والميد في اللغة هو الاضطراب والتكفؤ ، ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر ميد. وقد روى ابن جرير عن علي - رضى الله عنه - في قوله تعالى: "والبيت المعمور" قال: بيت في

السماء يقال له الضراح ، وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حُرمته في السماء كحُرمة البيت في الأرض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ولا يعودون فيه أبداً. وذكر نحوه عن مجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم ، فهذا دليل واضح على ثبوت الأرض ، ولو كانت تدور لما صارت الكعبة محاذية له أبداً. روى البخاري والبخاري والبخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة". * القول بأن العرش هو المجرة قول باطل وضلال * . ذلك أن الأدلة على إثبات حقيقة العرش وصفته قد دلت عليها آيات وأحاديث كثيرة. من أن العرش حقيقة وأنه ذو أركان وقوائم وأن له حملة يحملونه وأنه فوق جميع المخلوقات. يقول الله: "وهو الغفور الودود. ذو العرش المجيد" ويقول: "وكان عرشه على الماء". ويقول: "الرحمن على العرش استوى" ويقول: "الذين يحملون العرش ومن حوله" ، ويقول: "ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية"! فهل يقول عاقل منصف أن المجرة هي العرش؟ وهو القول المفترى والإفك المبين ، جرياً على مذاهب أصحاب الهيئة والفلك والمعاصرين. وأما من الأحاديث: فعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقها عرش الرحمن. رواه البخاري. وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يضيق ، فإذا موسى باطش بقائمة من قوائم العرش". رواه البخاري ومسلم. وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ" رواه البخاري في المناقب ورواه مسلم أيضاً. وقد علم المسلمون من صريح السنة ، أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السماوات والأرض ، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، وأن العرش خلق من مخلوقات الله ، لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته. وأشار إلى هذا كله شيخ الإسلام بن تيمية في مجموع الفتاوى (ص 50) المجلد الخامس. وعن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك. وليس يخفى عليه شئ من أعمال بني آدم" أخرجه أبو داود وغيره ، ورواه الترمذي وابن ماجه. وفي قرّة العيون في التعليق على كتاب التوحيد قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحم الله الجميع: "وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما ، فلا عبرة بقول من ضعفه! والقول بأن الأرض تسبح وتدور حول الشمس بسرعة ستين ألف ميل في الساعة أقول: هذا يلزم منه أن الشمس ثابتة لا تطلع ولا تغرب إلا بدوران الأرض حولها ، وهذا كفر وتكذيب بصريح القرآن والسنة. وإن فكرة دوران الأرض وحركتها أصلاً مأخوذة عن فيثاغورث اليوناني الوثني ، كما أشار إلى هذه الحقيقة صاحب كتاب "الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة" وهو قول باطل أي قول فيثاغورث - فقام صاحب الصواعق بالرد عليه ، وأقام الأدلة على جريان الشمس وثبات الأرض واستقرارها! ونلخصها بعده في الآتي:- قول الله تعالى: (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ولننزلن آلنا إن أمسكها من أحدٍ من بعده ، إنه كان حليماً غفوراً). ولو كانت الأرض تدور كما يزعم أهل الضلال

لتغيير مكانها ولأخذنا مكان أمريكا يوماً ما ، ولأنت أمريكا مكان استراليا أو مكان جنوب أفريقيا يوماً ما! وقوله تعالى: "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره. قال البغوي: قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: قامت على غير عمد بأمره سبحانه وتعالى. وقال ابن كثير في تعليقه على قوله تعالى: "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره" (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) وقوله تعالى: "إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا". وقال ابن منظور: أي جبلاً ثوابت. وفي لسان العرب: ويجيئ القيام بمعنى الوقوف والثبات. يقال للماشي قف لي ، أي تحبس مكانك حتى أتيتك وكذلك قم لي بمعنى قف لي ، وعليه فسروا قوله سبحانه ، وإذا أظلم عليهم قاموا. قال أهل اللغة والتفسير: فقاموا هنا بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين. إلى أن قال: ومنه قول الله: "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره" فمعناه الوقوف والثبات وعدم الحركة والدوران. وروى عبد الرزاق وابن جرير عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: لما خلق الله الأرض قمصت وقالت: تخلق عليّ آدم وذريته ، يلقون عليّ ننتهم ، ويعملون عليّ بالخطايا؟ فأرساها الله بالجبال ، فمنها ما ترون ومنها مال اترون ، وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه اختلاجاً. ويشهد لهذه الآثار الواردة مارواه الإمام أحمد والترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت. وقال ابن كثير في تفسيره في سورة النحل: ذكر الله تعالى الأرض وما ألقى فيها من الرواسي والشامخات والجبال الراسيات لتقرر الأرض ولا تميد أي تضطرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنأ لهم عيش لسبب ذلك وقال في قوله تعالى: "وجعلنا في الأرض رواسي" أي جبلاً أرسى الله الأرض بها وقررها وثقلها ، لنلا تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها. وقال في سورة لقمان عند قوله تعالى: "وألقى في الأرض رواسي" يعني الجبال أرسى الله الأرض وثقلتها لنلا تتحرك وتتضرب بأهلها على وجه الماء. ولهذا قال: "أن تميد بكم" أي لنلا تميد بكم. وقال القرطبي في آية الأنبياء: "وجعلنا في الأرض رواسي". أي جبالاً ثوابت ، أن تميد بهم أي لنلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار عليها ، قاله الكوفيون. وقال البصريون: المعنى كراهية أن تميد ، والميد هو التحرك والدوران ، يقال ماد رأسه أي دار والميد ← دوار البحر كما أشرنا من قبل ونكرر. وإن فالجبال خلقت لنلا تميد الأرض ، والمعنى أي لكيلا تتحرك الأرض ولا تدور ولا تضطرب ولا تختلج بأهلها. وقال الشوكاني في قوله تعالى: "وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم". والميد التحرك والدوران أي لنلا تدور وتتحرك وتدور بهم. وفي آية الرعد: "وهو الذي مدّ الأرض - وجعل فيها رواسي وأنهاراً" قال ابن كثير: أي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض ، وأرساها بجبال راسيات شامخات. وقال البغوي في قوله تعالى: "وجعل فيها رواسي" أي جبلاً ثابتة ، واحدتها راسية. وقال القرطبي: أي وجعل فيها رواسي أي جبلاً ثوابت ، واحدتها راسية ، لأن الأرض ترسو بها أي تثبت ، والإرساء الثبات. وقال البغوي على الآية: "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي" أي بسطناها على وجه الماء ، وألقينا فيها رواسي أي بسطناها على وجه الماء ، وألقينا فيها رواسي أي جبلاً ثوابت ، وقد كانت الأرض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال. وقال البغوي تعليقا على آية فصلت: أي وجعل في الأرض جبلاً رواسي ثوابت ، واحدتها راسية لأن الأرض ترسو بها وتثبت ، والإرساء الثبوت. وقال ابن كثير على ذات الآية: - أي وسعنا الأرض وفرشناها

وألقينا فيها الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب فإنها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها. اهـ. ولقد نفى الله الدوران عن الأرض بقوله في سورة تبارك: "أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور؟" والمؤر في لغة العرب هو الحركة والدوران والهوي. قال ابن كثير: تمور: أي تذهب وتجيئ وتضطرب وتختلج. وقال البغوي قال الحسن: أي تتحرك بأهلها ، وقال: تهوي بهم. قال الراغب الأصفهاني: المؤر هو الجريان السريع. يقال: مار يمور موراً. قال: يوم تمور السماء موراً ، ومار الدم على وجهه والمور التراب المتردد بالريح ، وناقاة تمور في سيرها فهي مؤارة. وقال الجوهري والهروي من انمة اللغة: مار الشيء يمور موراً إذا جاء وذُهب. وقال ابن الأثير: وفي حديث قس بن ساعدة الأيادي: "ونجوم تمور" أي تذهب وتجيئ. قلت: والمعنى في قوله تعالى "فإذا هي تمور". كالمعنى في قوله: "يوم تمور السماء موراً" قال مجاهد في هذه الآية: تدور دوراً. وقال الضحاك استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض. قال ابن كثير: وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة. قال: وأشد أبو عبيدة معمر ابن المثنى بيت الشاعر الأعشى الذي يقول: (كأن مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل)! أقول: كمثل قول كعب بن زهير: (عفته رياح الصيف بعدي بمورها وأبرته الجوزاء بالوبل والديم)! وقال البغوي في تفسيره: "يوم تمور السماء موراً" أي تدور كدوران الرحي وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قال قتادة: تتحرك. قال عطاء الخرساني: تختلف أجزاءها بعضها في بعض ، وقيل تضطرب. والمور يجمع هذه المعاني كلها فهو في اللغة الذهاب والمجيئ والتردد والدوران والاضطراب. اهـ. وإذن فقد علم من آية سورة الملك أن الأرض قارة ساكنة لا تدور فتذهب وتجيئ. ولهذا امتن الله تعالى على عباده بتذليلها لهم وحذرهم من عقوبته بخسف الأرض. وبجعلها تمور بهم. ولو كان الأمر على ما يزعمه العصريون الجهلة الحمقى لكانت الأرض تمور دائماً كما تمور النجوم والسحب والرياح ، ولم يبق للتخويف بمورها فائدة: "أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور؟" القول بأن الأرض كلها بما عليها وبمن عليها تابعة للشمس قول باطل وهراء ويحتاج إلى دليل وإلا فهو الافتراء. وإلا فهو الجهل المحض! وهذا التخبط والتخرص مدون في كتب الجغرافيا في كل بلاد الدنيا عربها وعجمها. يقولون: (المجموعة الشمسية) عانين بهذا المصطلح: (مجموعة الكواكب التي هي توابع للشمس وتدور حولها!) ، فإذا من بين هذه الكواكب (الأرض) وعلى هذا تكون الأرض كلها تابعة للشمس بوصفها أحد الكواكب التي تدور حولها وتشكل مجموعتها. * القول بأن شمسننا واحدة من ملايين الشموس في المجرة الواحدة هو باطل مخالف لما دلت عليه الآيات من أنها شمس واحدة فقط. "وَجُمع الشمس والقمر". وقول النبي ﷺ: "تدنو الشمس من الخلائق يوم القيامة حتى تكون قدر ميل أو نحوه". رواه مسلم. ولم يقل: تدنو الشموس لأنها واحدة. والقول بأن الأرض تسيح في الفضاء قول باطل! لأن الأرض ثابتة مرساة بالجبال: "والجبال أرساها" ، "ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً". * القول بأن هناك كتلا نارية ضخمة متناثرة في الفضاء وسدما تناثرت من الشموس يعتبر كذلك قولاً باطلاً ، ونسأل: أين ذكرت هذه الشموس التي يزعمها الخراصون. هلا ذكرت في القرآن أو في السنة أو تكلم بذلك أحد من علماء المسلمين الموثوق بهم؟ أفيظن الظانون أنهم عثروا على علم ما أخبر به الشرع وقد قال تعالى:- "ما فرطنا في الكتاب من شيء" ، وقال ﷺ: "ما بقى شيء

يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم". وقال أبو ذر: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وذكر لنا منه علماً". هـ. يقول الله تعالى: "إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت"، ويقول: "إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت"، ويقول: - "وخسف القمر وجمع الشمس والقمر". قال البغوي: "وإذا النجوم انكدرت": أي تناثرت في السماء وتساقت على الأرض. "وإذا الكواكب انتثرت" نفس الشيء. اهـ. وروى ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف عن ابن عباس قال: "يَكْوَرُ اللهُ الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر، ويبعث الله ريحاً دبوراً فيضرمها ناراً". وكذا ذكر البغوي في تفسيره عن ابن عباس. قال ابن كثير: وكذا قال عامر الشعبي. اهـ. أقول: ويشهد لهذا الأثر ما رواه البخاري في صحيحه: حدثنا مُسَدَّدٌ حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "الشمس والقمر مكوران يوم القيامة". ورواه البزار وفيه أن أبا سلمة بن عبد الرحمن حدث في مسجد الكوفة والحسن يسمع، أن رسول الله ﷺ قال: إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة. فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أهدتك عن رسول الله ﷺ وتقول: وما ذنبهما؟ وهذا الحديث إسناده صحيح على شرط الإمام مسلم. وروى الحافظ أبو يعلى عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "الشمس والقمر ثوران عقيران في النار". قال الهيثمي فيه ضعفاء قد وثقوا. وأنا أقول: وحديث أبي هريرة في البخاري يشهد له ويقويه بصرف النظر عن الضعفاء الذين وثقوا بعد. وقد أجمع المسلمون على ثبوت الأرض وأنها لا تتحرك إلا لعارض كالزلزلة ونحوها. كما ذكره الشيخ عبد القاهر بن طاهر التميمي في كتابه "الفرق بين الفرق" وقال في كتابه "أصول الدين" ص60: "اختلفوا في المسألة على مذاهب، فقال المسلمون وأهل الكتاب بوقوف الأرض وثباتها وسكونها وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها، وبه قال جماعة من الفلاسفة منهم أفلاطون وأرسطو طاليس وبطليموس وإقليدس! وزعم بعض السمنية أن الأرض تهوي أبداً بما عليها. وزعم قنادوس وحكي عن ميلانوس أن الأرض تتحرك حركة دورية، لكنها لا تزول عن مركزها. وحكى أرسطو طاليس في كتاب (السماء والعالم) عن قوم من الفلاسفة أن الفلك أي المدار ساكن وأن الأرض هي التي تدور بما عليها من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة دورة واحدة. وإذن فالمسلمون مُجمعون على ثبات الأرض ودوران الشمس حولها، بينما الخلاف كان بين الفلاسفة الوثنيين الذين لا يؤمنون بالله ولا بيوم الحساب، فمنهم من وافق المسلمين في النظرية، ومنهم من خالفهم وقال بعكسها. فلا إله إلا الله. القول بأن الأرض كرة تسبح في فضاء الكون قول باطل لا دليل عليه، بل الكتاب والسنة والإجماع على خلافه. * أولاً: لأن ثبات الأرض وسكونها واستقرارها ورسوخها على قواعد متينة ثابتة هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، وسار عليه الرسول ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها. ثانياً: لو كان هذا صواباً وحقاً لدل عليه القرآن أو السنة ولو مرة واحدة، ومن هنا فإنه قول باطل وضلال بعيد. والاحتجاج بقول الله: "وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب" هو احتجاج باطل لأن هذا إنما يكون يوم القيامة بإجماع المفسرين، ليس قضية هيئة سهلة خاصة إن كان من أجل كوبر نيقوس الوثني أو فيثاغورث عابد الصنم المشرك الذي نعال أحد أهل التفسير من المسلمين أشرف من ملئ الأرض منه ومن أمثاله. ثالثاً: أن هذا القول يوهم أن

هناك شيئاً أسفل من الأرض وهذا باطل. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة العرشية أن الأرض هي المركز وكل ما هبط فإنه ينتهي إليها. وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل". رواه الترمذي وأحمد وابن جرير والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن صحيح. وكثير من المتغترسين اليوم يقولون ما كان الرسول ولا أصحابه يعلمون هذه الأشياء! أقول بكل صراحة وصرامة ووضوح وجزم ويقين: افتراض أن الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين ما كانوا يعلمون عن دوران الأرض المزعوم حول الشمس شيئاً ، بل كانوا يعتقدون دوران الشمس حول الأرض يعتبر فيه تجهيل لهم ، وهذا في حد ذاته كفر. إذ كيف لي أن أعتقد اليوم جهل الرسول في قضية (عقدية) مثل هذه ، وعلمي أنا اليوم بها؟ تعدد الشمس ودوران الأرض حولها وما إلى ذلك من الهراءات والهراطقات. إن الحكم على هذه الأشياء يختلف عن الحكم على الأوانل للإنترنت ولسفن الفضاء والحاسوب وما نحو ذلك. هذه المخترعات ليست من العقيدة في شيء. ولكن الأرض والشمس والعرش هذه عقائد يا قوم لا يجوز العبث فيها. فإذا ادعى أحد أن رسول الله وأصحابه والتابعين علموا هذه الأشياء ولم يبينوها (يعنى كتموها عن الناس وحاشاهم) كان ذلك قدحاً في حقهم ، ومعلوم أن هذا باطل. وقد قالت عائشة – رضی الله عنها –: "من زعم أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب ، لأن الله تعالى يقول: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك". متفق عليه. وهذا قول المتفلسفة كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في المجموع مجلد 5 ص 32: ومنهم من يقول: بل الرسول علمها ، لكن لم يبينها ، إنما تكلم بما يناقضها ، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها ، لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق. اهـ. وإن قال: إنهم لم يعلموا ذلك ، وعلمه أهل هذا الزمان (موازناً هذا بالكمبيوتر والفيروس والإنترنت ونحوها) فهذا لا يقوله إلا ملحد لم يقدر الرسول حق قدره. قال شيخ الإسلام – رحمه الله – لما ذكر المنحرفين عن طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان قال: "وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخيل وأهل التأويل وأهل التجهيل فساق الكلام ، إلى أن قال: ثم هم على قسمين ، منهم من يقول أن الرسول ﷺ لم يعلم الحقائق على ما هي عليه ، ويقولون إن من الفلاسفة الإلهيين من علمها وكذلك الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين ، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية سواء باطنية الشيعة أو باطنية الصوفية الغلاة". اهـ. مجموع الفتاوى ج 5 ص 32. فإن قال: لم تكن عندهم وسائل توصلهم إلى معرفة ذلك (تلسكوب وسفن فضاء ومحطات فلكية) قيل إن الله قادر على إعطائهم وسائل توصلهم إلى معرفته. فإن قال: هذا من علم الدنيا ولا يتعلق بالدين ، قيل هذا الكلام مرفوض من وجهين: -1- أن هذا له تعلق بالدين ، وهذا العلم الجديد مسبب لرد ما ثبت في الكتاب والسنة من جريان الشمس وثبوت الأرض. 2- إذا كان الله قد اختار لأفضل الخلق الجهل بعلوم الدنيا ما يكون سبباً لكثرتها وخاف علينا النبي ﷺ ما يفتح من زهرة الدنيا ولم يخف علينا الفقر ، فالأكمل لنا أن نختار ما اختار ونزهد فيما زهد فيه. * وهذه طائفة عطرة من الأحاديث الدالة على ثبات الأرض: 1- روى الإمام أحمد والترمذي عن أنس بن مالك – رضي الله تعالى عنه – عن النبي ﷺ قال: "لما خلق الله الأرض

جعلت تميد ، فخلق الجبال ، فألقاها عليها فاستقرت". وهذا الحديث يعتبر نصاً قاطعاً في استقرار وثبات الأرض وسكونها. 2 – روى الإمام أحمد والترمذي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح عن صفوان بن عسال المرادي أن النبي ﷺ ذكر بابا من قبل المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله ، وذلك قول الله تعالى: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقد رواه ابن ماجه في سننه بإسناد صحيح ولفظه: "إن من قبل مغرب الشمس باباً مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه ، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، وهذا الحديث يعتبر من أقوى الأدلة وأنصعها على أن الأرض قارة ساكنة لا تدور ولا تفارق موضعها أبداً ، وهذا يستفاد من النص على أن باب التوبة ثابت من ناحية المغرب لا يزيله ، ولا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله ، ولو كان الأمر على ما يزعمه أهل الضلال الذين يقولون بدوران الأرض لكانت وجهة ذلك الباب تختلف بدوران الأرض وسيرها حول الشمس. وهذا إبطال للنص بغير دليل شرعي بل بمجرد الظنون الكاذبة الغثة والتوهامات الخاطئة.

3 – روى الأزرق في أخبار مكة عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "البيت الذي في السماء يقال له الضراح ، وهو مثل بناء هذا البيت الحرام. ولو سقط سقط عليه ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً". ورواه الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحياته لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يروونه قط وإن له في السماء حُرمة على قدر حرمة مكة يعني في الأرض". وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة". ولهذا الحديث شاهد قوي جداً في الصحيحين ويستفاد منه برواياته كلها أن الكعبة بحيال البيت المعمور في السماء وأن البيت المعمور لو سقط يسقط على الكعبة. ولو كان الأمر ما يزعمه الخراصون من أهل دوران الأرض لما كان البيت المعمور بحيال الكعبة ، ولو خر لم يخر عليها بل يخر على الشمس لأنها المركز الذي تدور عليه الأفلاك على حد زعمهم الباطل الكاذب ، ولو قالوا بدوران الأرض والشمس فعلى أي شيء يسقط البيت هذا من السماء؟ 4 – روى الطبراني وأبو نعيم في الحلية وله شواهد في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال: "إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السماوات والأرض ، وصاغه يوم صاغ السماوات والأرض ، وصاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام ، وإنه لم يحل لأحد قبلي وإنما أحل لي ساعة من نهار ، ثم عاد كما كان". أقول: وفي هذا الحديث دليل على ثبات الأرض واستقرارها ، ولو كانت الأرض تدور لما كان حرم السماء بحيال حرم الأرض في كل وقت ، بل يكون بحiale تارة وبحيال غيره تارات. 5 – روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير والبيهقي وقال الترمذي: هذا حديث إسناده حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل". ووجه الاستدلال بهذا الحديث على ثبات الأرض أن الله تعالى جعل الأرض مركزاً للأثقال ومستقراً لما ينزل من السماء ، ولو كانت الأرض تجري وتدور حول الشمس لكانت

الشمس هي المركز والمستقر للاثقال ، وهذا تكذيب لهذا الحديث الصحيح ، لا لشيء سوى لسواد عيون فيثاغورث وأذنا به الرطبة الذين لا يؤمنون بيوم الحساب. 6- روى الإمام أحمد والترمذي وابن أبي حاتم والبزار عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله ﷺ هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا العنان هذه روايا الأرض يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ، ثم قال: هل تدرون ما فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف. ثم قال: كم تدرون كم بينكم وبينها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بينكم وبينها خمسمائة ، ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: فإن فوق ذلك سمانين ما بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سماوات ، ما بين كل سمانين كما بين السماء والأرض. ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السمانين. أقول: وتحديد النبي ﷺ المسافة بين السماء والأرض بخمسمائة عام ثابت من جميع الجهات لأن النبي ﷺ أطلق ولم يخص أو يحدد ، ومن هنا نستنتج ثبات الأرض ، لأنها لو كانت تدور وتتحرك فبالضرورة تتغير المسافة بـ (خمسمائة عام) طولاً أو قصراً والأمر واضح. وليس هذا كلامي وحدي ، فلقد وجدت له شاهداً عند الإمام الحسين بن المنادي ووافقه على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ويراجع في هذا: - مجموع فتاوى ابن تيمية. 7 - روى ابن خزيمة في كتاب التوحيد بإسناد صحيح على شرط مسلم. عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: ما بين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء والله على العرش ويعلم أعمالكم. 8 - روى البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذ". وروى أحمد ومسلم والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح عن المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل. وفي رواية لأحمد والطبراني نفس الحديث وزيادة ← "ويزداد في حرها". وروى الطبراني عن سلمان - رضي الله عنه - قال: "تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ، ثم تدنى من جماجم الناس". ولهذا الحديث السابق عن سلمان حكم الرفع إلى النبي ﷺ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي وإنما يقال على التوقيف. وفي هذه الأحاديث السابقة دليل على أن الأرض ثابتة قارة لاتفارق موضعها ، ولو كانت الشمس هي القارة لكانت الأرض هي التي تدنو منها ، ولو كانت الشمس تدور والأرض تدور فعلا فكيف تدنى الشمس من رؤوس الخلائق وهم على الأرض يوم الحساب؟! هذا ولقد حكى إجماع ثبات الأرض ودوران الشمس حولها الشيخ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي في آخر كتابه: (الفرق بين الفرق) وأيضاً ذكر إجماع أهل التفسير وأهل التفسير وأهل الفقه في الدين وأهل الحديث العلامة ابن القيم على ثبات الأرض ودوران الشمس في كتابه العظيم: (مفتاح دار السعادة). ولم يخالف هذا الإجماع سوى الكفرة الملاحده من أمثال كوبر نيكوس البولوني وهرشل الإنجليزي وأذنا بهم الرطبة من الخرافيين الفلكيين العلمانيين المعاصرين.

وخالفهم فيثاغورث اليوناني الوثني وجوقة معه من المشركين وقالوا بثبات الأرض ودوران الشمس حولها. ولا اعتداد بمن قال تدور الأرض حول الشمس ، ولا بمن قال تدور الشمس حول الأرض والأرض ساكنة من هؤلاء لأنهم أصلاً كفرة فجرة وليس بعد كفرهم بالله ذنب. وأيضاً أقول: القول بأن الشمس (نجم) لا دليل عليه لا من قريب ولا من بعيد. يقول الله: "وسخر الشمس والقمر" ، "والنجوم مسخرات بأمره" ، ويقول: " ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم" . وإذن فالشمس تختلف عن النجوم لأن العطف في الآيتين السابقتين من سورة الأعراف والحج يقتضي المغايرة كما يرى جمهور علماء التفسير. والقول بأن النجوم متناثرة في فضاء الكون هو خلاف ما أخبر الله به من أنه جعل النجوم زينة للسماء وأنه جعل النجوم متناثرة في الفضاء أبداً. والقول بأن هناك ما يسمى بالمجموعة الشمسية باطل ، فلا وجود إلا لشمس واحدة فقط. وهذا ما دل عليه القرآن ، وأثبتته الأحاديث. ولو كان ذلك صواباً فلماذا أتت الشمس مفردة في القرآن كله ولم تأت ولو مرة جمعاً؟! تأمل — وردت في القرآن 33 مرة مفردة. الحجة الواهية القائلة بأنه لولا دوران الأرض حول الشمس ما تعاقب الليل ولا النهار ولا كانت الفصول الأربعة حجة في غاية الضلال ، والردّ عليها من وجوه:- الأول: أن دوران الشمس حول الأرض هو الذي يسبب الفصول الأربعة والليل والنهار. الثاني: أن الأرض ثابتة قارة "أم من جعل الأرض قراراً" قال ابن كثير كما أسلفنا: أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا تنجرف بهم ، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش ولا الحياة. الثالث: أن الأرض هي المركز وليست الشمس ، يعني مركز الكون هي الأرض كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة العرشية. وقد أخبر الله عز وجل عن المشركين قولهم: "فأسقط علينا كسفا من السماء". الرابع: إن معرفة الفصول الأربعة بدوران الشمس وثبوت الأرض ، لا بالعكس. فإن هذا القول الأخير ردّ للكتاب والسنة وإجماع العلماء من أن الأرض ثابتة والشمس تجري. قال العلامة ابن القيم في (مفتاح دار السعادة): (ثم تأمل بعد ذلك أحوال هذه الشمس ، انخفاضها وارتفاعها لإقامة هذه الأزمنة والفصول وما فيها من المصالح والحكم ، إذ لو كان الزمان كله فصلاً واحداً لفاتت المصالح المترتبة على الفصول الباقية). اهـ. ص 208 — مفتاح دار السعادة. القول بأن الأرض التي نعيش عليها (كوكب) قول باطل علمونا إياه مترجماً عن الغرب الصليبي الوثني الكافر. ولقد درجنا ونحن صغار على أن الكوكب هو الجسم المعتم الذي لا يضيئ بذاته ، بل يعكس ضوء النجم عندما يسقط عليه ، ودرجنا كذلك على أن النجم هو الجسم المشع المضيئ بذاته. وعلى هذه القاعدة الملعونة تكون الأرض والقمر كوكبين لأنهما معتمان بزعم الكفار. وتكون الشمس نجماً. أقول: لقد نص القرآن على أن الشمس والقمر مضيئان ونوران ومنيران. "تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً" ، " ألم ترأ كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل الشمس فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً" ، " هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً". "وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى". وإذن فالشمس تجري والقمر يجري والأرض ثابتة ويتعاقب تبعاً لجريانهما أي الشمس والقمر: الليل والنهار والفصول الأربعة. ونعود للضلال المفترى المتعطر الذي يقول بأن الأرض كوكب فنقول: قد أخبر الله عن الكواكب أنها تتناثر يوم القيامة كما في قوله: "وإذا الكواكب انتثرت". قال ابن جرير: أي تساقطت. وكذا قال ابن كثير والقرطبي والبغوي وغيرهم ولم يذكر مثل هذا عن الأرض. بل قال الله: "يوم تبدل الأرض غير

الأرض". فعلم أن جعل الأرض كوكباً باطل. ثم أنه تعالى قد أخبر أن الكواكب تنكدر يوم القيامة. قال تعالى: "وإذا النجوم انكدرت". قال ابن جرير: "تناثرت من السماء فتساقطت ، وأصل الانكدار والانصاب كما قال العجاج: أبصر خربان فضاء فانكدر. وذكر عن ابن زيد قال: رمي بها من السماء إلى الأرض ، فهذا يؤخذ منه أن الكواكب يرمى بها؟! وأيضاً: أخبر الله عن الكواكب أنها ترجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع. "إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد". ومعلوم أنهم يسترقون السمع من السماء فيأتون به إلى الأرض كما قال صلى الله عليه وسلم كما يروي البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله حتى إذا فُزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير". فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق الكلمة فيلقيها إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه". هـ. فهذا يدل على أنهم يرمون قبل أن يصلوا إلى الأرض ، فعلم أنها ليست كوكباً! لا شك أن مما ينبغي لطلاب العلم الشرعي هو أن يقربوا العلوم الدنيوية إلى العلوم الشرعية لا العكس ، فإن فعلوا العكس فلربما زاغت القلوب. ولقد أخبر المولى جل جلاله - فقال: "والشمس تجري لمستقر لها". قال الشيخ السعدي في تفسيره: (أخبر الله أن الشمس والقمر والنجوم تجري لمستقر لها). وقلت: فلم يذكر الله أن الأرض تدور حول الشمس بل ذكر أن الجبال جعلها الله رواسي في الأرض. ولقد قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله في رده على من يقول أن الشمس ثابتة والأرض تدور عليها أن هذا الكتاب ينافي الكتاب والسنة ، وإن قال معتقداً ذلك فقد كفر. وقد سئل سماحة الشيخ ابن عثيمين حول دوران الشمس حول الأرض؟ فقال: (ظاهر الأدلة الشرعية تثبت أن الشمس هي التي تدور حول الأرض ، وبدورانها يحدث تعاقب الليل والنهار على سطح الأرض ، وليس لنا أن نتجاوز ظاهر الأدلة إلا بديل أقوى من ذلك يسوّغ لنا تأويلها عن ظاهرها. ومن الأدلة على أن الشمس تدور حول الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل والنهار ما يلي: 1- قال الله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - في حاجته لمن حاجه في ربه: "فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب". فكون الشمس يوتى بها دليل ظاهر على أنها تدور حول الأرض. 2- وقال أيضاً عن إبراهيم - عليه السلام: "فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنني بري مما تشركون". فجعل الأفل من الشمس لا عنها ولو كانت الأرض التي تدور لقال (فلما أفل عنها). 3 - قال - سبحانه وتعالى -: (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) فجعل الأزوار والقروض من الشمس وهو دليل على أن الحركة منها ، ولو كانت من الأرض لقال يزاور عن كهفهم عنها ، كما أن إضافة الطلوع والغروب إلى الشمس يدل على أنها هي التي تدور وإن كانت دلالتها أقل من دلالة قوله: "تزاور" و "تقرضهم" 4 - وقال - سبحانه وتعالى -: "وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون". 5 - قال سبحانه وتعالى "يغشي الليل والنهار يطلبه حثيثاً". فجعل الليل طالباً للنهار والطالب مندفع لاحق ، ومن المعلوم أن الليل والنهار تابعان للشمس. 6 - وقال - سبحانه وتعالى - : "خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار". فقوله: "يكور الليل على النهار" أي

يديره عليه ككور العمامة وهو دليل على أن الدوران من الليل والنهار على الأرض ولو كانت الأرض التي تدور عليهما لقال: (يكور الأرض على الليل والنهار). وفي قوله: "كلّ يجري لأجل مسمى". المبين لما سبقه من دليل على أن الشمس والقمر يجريان جرياً حسيماً مكانياً لأن تسخير المتحرك بحركته أظهر من تسخير الثابت الذي لا يتحرك. 7 - وقال سبحانه وتعالى -: "والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها" ومعنى (تلاها) أتى بعدها وهو دليل على سيرها ودورانها على الأرض ولو كانت الأرض تدور عليهما لم يكن القمر تالياً للشمس بل كان تالياً لها أحياناً وتالياً له أحياناً ، لأن الشمس أرفع منه والاستدلال بهذه الآية يحتاج إلى تأمل. 8 - قال - سبحانه وتعالى -: "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون". فإضافة الجريان إلى الشمس وجعله تقديراً من ذي العزة والعلم يدل على أنه جريان حقيقي بتقدير بالغ ، بحيث يترتب عليه اختلاف الليل والنهار والفصول ، وتقدير القمر منازل يدل على تنقله فيها ، ولو كانت الأرض هي التي تدور لكان تقدير المنازل لها من القمر لا للقمر ، ونفي إدراك الشمس للقمر وسبق الليل والنهار يدل على حركة اندفاع من الشمس والقمر والليل والنهار. 9 - وقال النبي ﷺ - لأبي ذر وقد غربت الشمس: "أتدري أين تذهب؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب فتسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، فيوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها". أو كما قال - ﷺ - متفق عليه. فقوله: "ارجعي من حيث جئت! فتطلع من مغربها" ظاهر جداً في أنها تدور على الأرض وبدوارنها يحصل الطلوع والغروب. اهـ. من فتاوى ابن عثيمين - رحمه الله. وبعض الناس يمكن أن يقول بأن الشيخ ابن باز قد رجع عن فتواه بكتاب آخر في هذه المسألة. فالرد على ذلك بأن الشيخ رحمه الله قد تناول إمكانية الصعود إلى القمر والقول بدوران الأرض حول الشمس في كتاب واحد صدر عن دار الإرشاد والفتوى والدعوة بالسعودية. وبعد دراسات ومراجعات أصدر الشيخ بياناً في كتاب آخر يرجع فيه عن القول باستحالة الصعود إلى القمر فقط. أما دوران الأرض حول الشيخ فالشيخ لم يرجع فيه لعدم رجاحة الأدلة فليُتفطن إلى ذلك. والكتابان موجودان في المكتبات لمن أراد التثبت والرجوع. وإذن فقصيدتي هذي بمقدمتها التفصيلية الهدف منها التثبت قبل إصدار الأحكام.)

مِن قَبْلِكُمْ خَلَتْ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ	وكان فيها - لأهل العلم - مُعتبرُ
وغيّرتْ هذه الآياتُ مُتَّجِهاً	وإنما الحق - بالآيات - ينتصر
وكم أزاحت عن الأنظار من غبش!	وكم هدت - لصراط الله - من كفروا!
وكم أضاعت دروباً طالما حَلَكَتْ!	والعلمُ إن ساد فهو الشمسُ والقمر
وللأدلة جَـدواها وجَـذوتها	في كل عقل يُواليها ويذكر

إلا تخاريفُ - بين الناس - تُحْتَقَر
على الحقائق ، يُزجِها لمن ذكروا
عقلٌ بوحى مليك الناس يأتَمِر
وليس قط - على الأهواء - يقتصر
ولا تراه - بزيْف القول - ينبهر
وليس قط - إلى التلبيس - ينحدر
ولا يتابع مَنْ - في غيِّهم - سَدروا
ويصطفي لفظه دوماً ، ويفتكر
وعند رب السورى الثواب والأجر
به ، وليس - إلى الصواب - يفتقر
مَنْ بالعلوم وأسرار الهدى خَبَروا
مِن الذين قَضَوْا ، والبعضُ ينتظر
هوى النفوس ، كمن بالعلم يتجر
وإن عُقبى الذي باع الهدى سَقِر
بالعلم يأكلُ ، خابَ الكاذبُ الأشر
به الخلاق ، لا بدو ولا حَضر
أو صحّ - نصاً - عليه الخُبْر والأثر
بمثَلهم بين أهل الأرض يُفتخر
على كلام الألى رَشادهم خَسِروا

وما الثوابتُ إن خَبَت أدلتها
والعالمُ الفذَمَن يُدلي بَحْجته
ولا يُرَجِّح رأياً لا يُصدِّقه
وليس ينصر رأياً لا دليل له
ولا يزخرف - بالتدليس - باطله
ولا يؤصِّل - للتزوير - مدرسة
ولا يجاري الألى عهدهم مَرَجَتْ
بل يجعل النص فيما يجتبي حكماً
ويُخضع الجهدَ للتمحيص مُحْتسباً
وليس يُهدِرُ جُهداً جاد باذله
ولا يُحقِّق شأن السادة العلماء
ولا يبعثر مجهود التقاة سُدىً
وليس يُصدِر أحكاماً يُصاحبها
شأن الذي عاش - بالإفتاء - مُرتزقاً
والعلمُ يأنف من غاوٍ ومُرتزق
والعلمُ إن شابه التطويغ ما انتفعت
والعلمُ ما ثبتت - قطعاً - أدلته
وعَضَدته مِن الأثبات كوكبة
ولم يخالف نصوص الوحي مُعتمداً

أخجلت تواضعي يا دكتور

(في ديوانه (حرقه ألم وإشراقه أمل) وتحديداً في ص 237: 241 أورد سماحة الوالد الشاعر الدكتور / عدنان النحوي أبيات من قصيدة لي عنوانها: (لا يطفئ النار الرماد). وهي عبارة عن رسالة عزاء قَدَمَها له في التسعينات ، وتحديداً عام 1997م وفي رمضان 1417هـ. وكانت 149 بيتاً من الكامل (نونية). أعزىه في ابنه (إياد) الذي قضى طالباً في الجامعة ، فرحمة الله عليه. وعُدت في طبعة الديوان الثانية فرأيت أن أجعل اسمها (رسالة عزاء رقيقة – إليك يا عدنان) من أجل أن يناسب المقال المقام. فأحسست بأنه بإيراده لها في ديوانه العظيم هذا قد أخجل تواضع أخيه أحمد سليمان ، إن لم يكن قد قطع عنقه. ذلك أن مجرد إيرادها يُعدّ منقبة عظيمة ومجاملة رقيقة وسبقاً يتضاعف حجمي واسمي وقامتي وهامتي عنده. ذلك أن إيراده لها في ديوانه العملاق يُعطي كاتبها صفة الشاعر المُجيد ، الأمر الذي أراني دونه بكثير. وبخاصة أن هذه القصيدة كنت قد كتبتها فيه وأنا في الثالثة والثلاثين من العمر. وعلى ذلك فقل أن تكون قد خلت من الركافة أو الضعف الفني سواء في الصياغة أو الأسلوب! وإن هو إلا كرم الدكتور عدنان وتشجيعه لشويعر لا يزال يخطو أولى خطوات الشعر ويرتقي على أولى سلّماته! وتحت عنوان: (الشاعر الحقيقي) وفي مجلة: (الجديد) ، كان هناك رأي لإيمان عبدالوهاب حميد هو: (إن الشاعر في وقت الحروب والخراب والانهيارات الأخلاقية ، ليس بالضرورة أن يكتب ، لأنه وقتها يعاني من المدهش في محاولة إيجاد تفسير ومبرر لهذا العبث وهذا الجنون ، وقد يمر الشاعر بصفة خاصة والمبدع بصفة عامة بأزمة نفسية بسبب حساسيته ودهشته مما يحدث. وهذه الازمة ليست بالضرورة أن تنتج نصاً شعرياً ، لأن الشاعر الحقيقي ليس شاعر مناسبات يكتب متى أراد الكتابة. الشاعر ما هو إلا وسيلة للقصيدة متى ما أحببت التجلي والظهور ، وقد يكون هذا التجلي متزامناً مع غرق الإنسانية في العبث والحروب والضياع ، أو ألا يظهر ذلك النص إلا حين يهدأ البركان وتسكن مياه البحر ، حين يبدأ الشاعر في محاولة استعادة إرادته المسلوقة ، محبته للحياة واحترامها ، يقوم بتقييم ما حدث على ضوء الدين والأخلاق وسلطة الضمير. ومعظم ما نتج من مسرح العبث أو المسرح الطليعي مثلاً كان بعد أن تجاوز العالم محنته في الحرب العالمية الثانية ، بدأ كُتّاب المسرح بالتعبير عن العبث بكل قيمة جميلة في حياة الإنسان ، وبحياة الإنسان نفسها حين يصبح الموت مجانياً ولا مبرر له ، مسرحية "في انتظار جودو" نموذجاً. وإذن فالشاعر في وقت الحروب مثله مثل أيّ إنسان ينتظر السلام والاستقرار والهدوء ، ليستطيع التفكير في كل ما مرّ به ، وقد ينتج نصاً أو لا ينتج! والكتابة ليست واجباً ولزماً على الشاعر ، لأنّ لا حيلة له إلا انتظار القصيدة التي لا يعرف موعدها مثل السلام تماماً). هـ. فجزا الله خيراً أستاذي ومعلمي الدكتور عدنان النحوي!

ورفعت قذري - في النورى - ومقامي

أخرجتني ، يا ذا البيان السامي

بمقالة تحوي رطيب كلام

وخصصتني بالمدح - منك - تواضعاً

ينساب في لطف ، وفي استلهم

وذكرت من إطرائك العذب الذي

يوماً عن الفصحى ، أو الإسلام
أنا لستُ - عن ضعف القريض - أحامي
يحدو فتىً يرنو إلى الأوهام
حرمته - عبر الليل - بعض نيام
تجتاله من عالم الأحلام!
كم صاغ - ما في القلب - بالمرسام!
لمُرادِه إذ رام خيـرَ مَرام
ويُعيرُ آذاناً لخير مَلام
بيدين حانيتين بين الهام
وتزيـدُ في الترحيب والإنعام
تشجيعٌ فـذِ فاضلٍ مِقـدام
شـتان بين الشـبل والضـرغام!
لا فرقَ بينك والـدأ وغلام!
تلك التي عانت عتي فصام
وتنكرتُ للـدين والأحكام
ونأت عن الإيمان والإسلام
قد أسرفتُ في الكيد والإجرام
وتبيد كل فضيلةٍ ودعام
وتُعيدُ جيل عبادة الأصنام

وأنا الذي لَمَّا أوفِ جَمـيلكم
وبضاعتي في الشعر أعرِفُ قدرها
لكنه شرفُ المحاولة الذي
وتداعبُ الأحلام عزمته التي
فلعل حُلماً يسـتحيلُ حقيقة
ولعل شعراً يحتفي بشئـويعر
ولعل أهل الشعر يفتنُ بعضُهم
ولعل جـيلاً يستسيغ عتابه
وأراك يا (عدنان) ترفعُ هامتي
وتخصني بالمكرّمات تواضعاً
وتكيل - من ألفاظ جودك - باذلاً
وثـذيبُ آلاف الفـوارق بيننا
بأبوةٍ سمحاء تختصرُ المدى
إننا التقينا في جراح ديارنا
إذ بدلتُ شرعَ المهيمـن جُملة
واستسلمتُ للغرب تلهـث خلفه
وعلى الديار تداعتِ الأممُ التي
تجتاحُ بيضةً أمةً منكوبةً
وتشيع كل رذيلةٍ تُردى الحمى

والسدعَ بالإغراء والإرغام
ويقومُ - بالتنظير - خيرَ قيام
تصفُ الهدى ، وتمجِّج كل ققام
موسومة الأهداف والآضام
وتناولت بالنقد بعضَ فنام
من عاطر الأفكار والأنسام
يلقي - على الشعراء - لفتح ضرام
برويةً وتناسق وتسامي
لاك الجوى من شدة الآلام
وسواك صاغ مجلداً استنام
ونقدت نقداً بالغ الإكرام
وهديته لقواعدٍ ونظام
فحذقت به بتعاقب الأعوام
يا ذا الفصاحة والبيان السامي
بعبارةٍ تحتز حزرَ حسام
وعليك يا (عدنان) خيرُ سلامي
هو رحمة السديان للأنام
هذا الدعاء العذب خيرُ ختامي

وثذيق أهل الدار ألوان الخنا
وقد انبرى (عدنان) ينصح من غووا
بمحاضرات - في الخلائق - أشرفت
وقصائدٍ طابت ، وطاب أريجها
ملأت بحب الخير أسماع الورى
وتنسم القراء أعذب ما حوت
وأنا اتخذتك قدوة في عالم
وأعرتك الشعر الذي حررتاه
لتداني وتقبل عشرة حائر
وقرأت ما صاغت يميني مخبراً
ونصحتني صادقاً بدون تكلف
وغمرت - بالتشجيع - قلب شويعر
حتى يكون الشعر أقوى حجة
والفضل للرحمن ، ثم لشخصكم
واليوم نخجل - بالثناء - تواضعي
جوزيت خيراً أن مدحت قصيدي
وصلاة ربي والسلام على الذي
وعلى من اتبع النبي مؤخداً

مجرم مع سبق الإصرار والترصد

(في البداية والنهاية لابن كثير كثير كلام خطير عن الشاعر العباسي أبي علاء المعري. وأورد ابن كثير في أحداث سنة 441: 459 ما نصه: (توفي في هذه السنة من الأعيان: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن داوود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أبو العلاء المعري التنوخي الشاعر ، المشهور بالزندقة ، اللغوي ، صاحب الدواوين والمصنفات في الشعر واللغة ، ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأصابه جذري وله أربع أو ست أو سبع ، فذهب بصره ، وقال الشعر وله إحدى عشرة أو ثنتا عشرة سنة ، ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم خرج منها طريداً منهزماً ، لأنه قال شاعراً يدل على قلة دينه وعلمه وعقله وهو قوله:

تناقض ما لنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار
يدٌ بخمس مئین عسجد وُدیت ما بالها قطعَتْ في ربع دينار؟!)

وهذا من إفكه يقول: اليد ديتها خمسمائة دينار ، فما بالكم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار؟ وهذا من قلة عقله وعلمه ، وعمى بصيرته. وذلك أنها إذا جُني عليها يناسب أن تكون ديتها كثيرة لينزجر الناس عن العدوان ، وأما إذا جُنّت هي بالسرقة فيناسب أن تقل قيمتها لينزجر الناس عن أموال الآخرين وتصان أموالهم ، ولهذا قال بعضهم: كانت ثمينه لما كانت أمينة ، فلما خانت هانت ، ولما عزم الفقهاء ، على أخذه بهذه وأمثالها هرب ورجع إلى بلده ، ولزم منزله فكان لا يخرج منه ، وكان يوماً عند الخليفة ، وكان الخليفة يكره المتنبي ويضع منه ، وكان أبو العلاء يحب المتنبي ويرفع من قدره ويمدحه ، فجرى ذكر المتنبي في ذلك المجلس فذمه الخليفة ، فقال أبو العلاء ، لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته التي أولها: (لك يا منازل في القلوب منازل) لكفاه ذلك. فغضب الخليفة وأمر به ، فسحب برجله على وجهه وقال: أخرجوا عني هذا الكلب. وقال الخليفة: أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة وذكره لها؟ أراد قول المتنبي فيها: (وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل)! وإلا فالمتنبي له قصائد أحسن من هذه ، وإنما أراد هذا. وهذا من فرط ذكاء الخليفة ، حيث تنبه لهذا. وقد كان المعري أيضاً من الأذكياء المشهورين المعروفين في زمانه ، ومكث المعري خمساً وأربعين سنة من عمره لا يأكل اللحم ولا اللبن ولا البيض ، ولا شيئاً قط من حيوان ، على طريقة البراهمة والفلاسفة ، ويقال إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع في مجبئه من بعض السواحل آواه الليل إليه ، فشككه في دينه وكان يتقوت بالنبات وغيره ، وأكثر ما كان أكله العدس ويتحلى بالدبس والتين ، وكان لا يأكل بحضرة أحد ، ويقول: أكل الأعمى عورة ، وكان في غاية الذكاء المفرد ، على ما ذكر ، وأما ما ينقلونه عنه من الأشياء المكذوبة المختلفة من أنه وضع تحت سريره درهماً فقال: إما أن تكون السماء قد

انخفضت مقدار درهم أو ارتفعت الأرض مثل ذلك ، أي أنه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم الذي وضع تحته ، فهذا ما لا أصل له ، وهو كذب عليه ، وكذلك يذكرون عنه أنه مرّ في بعض أسفاره بمكان فطأ رأسه فقيل له في ذلك فقال: أما هنا شجرة؟ قالوا: لا ، فنظروا فإذا أصل شجرة كانت هناك في الموضع الذي طأ رأسه فيه ، وقد قطع ، وكان قد اجتاز بها قديماً مرة فأمره من كان معه بمطأأة رأسه لما جازوا تحتها ، فلما مر بها المرة الثانية طأ رأسه خوفاً من أن يصيبه شيء منها ، فهذا لا يصح. وله مصنفات كثيرة أكثرها في الشعر ، وفي بعض أشعاره ما يدل على زندقته ، وانحلاله من الدين ، ومن الناس من يعتذر عنه ويقول: إنه إنما كان يقول ذلك مجوناً ولعباً ، ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ، وقد كان باطنه مسلماً. قال ابن عقيل لما بلغه: ما الذي ألجأه أن يقول في دار الإسلام ما يكفره به الناس؟ والمنافقون مع قلة عقلهم وعلمهم أجود سياسة منه ، لأنهم حافظوا على قبائحهم في الدنيا وستروها ، وهذا أظهر الكفر الذي تسلط عليه به الناس وزندقوه ، والله يعلم أن باطنه كظاهرة. قال ابن الجوزي: وقد رأيت لأبي العلاء المعري كتاباً سماه الفصول والغايات ، في معارضة السور والآيات ، على حروف المعجم في آخر كلماته وهو في غاية الركاكة والبرودة فسبحان من أعمى بصره وبصيرته. قال: وقد نظرت في كتابه المسمى لزوم ما لا يلزم ، ثم أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الإسلام أشياء كثيرة فمن ذلك قوله:

إذا كان لا يحظى برزقك عاقلٌ وترزقُ مجنوناً ، وترزقُ أحقماً

فلا ذنب يا رب السماء على امرئٍ رأى منك ما لا يُشتهي فتزندقاً

ومن ذلك أيضاً قوله في السخرية من الأنبياء والمرسلين ورسالاتهم والحج إلى بيت الله الحرام:

ألا إن البريئة في ضلال وقد نظر اللبيب لما اغتراها

تقدّم صاحب التوراة موسى وأوقع - في الخسار - من افتراها

فقال رجاله: وحيّ أتاه وقال الناظرون: بل افتراها

وما حجبني إلى أحجار بيتٍ كرّوس الخمر تُشربُ من ذراها

إذا رجع الحليم إلى جباه تهاون بالمذاهب ، وازدراها

ومن ذلك أيضاً قوله في الحكم بالضلال على كل ما جاء من عند الله لليهود وللنصارى وللمجوس:

هدت الحنيفة ، والنصارى ما اهدت ويهودُ جارت ، والمجوسُ مضلّة

إثنان أهل الأرض ، ذو عقل بلا دين وآخر ذو دين ولا عقل له

ومن ذلك أيضاً قوله في النيل من الرسل وأن ما جاؤوا به كذب وأنهم سبب تكدير الحياة:

فلا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطره
فكان الناس في عيش رغيد فجاءوا بالمحال فكدره

وقلت في معارضة هذا الكفر (والكلام هنا لابن الجوزي يورده ابن كثير في البداية والنهاية):

فلا تحسب مقال الرسل كذباً ولكن قول حق بلغوه
وكان الناس في جهل عظيم فجاءوا بالبيان فأوضحوه

ومن ذلك أيضاً قوله في استهجان شرائع الله ومن ذلك ملك اليمين بالجهاد:

إن الشرائع ألفت بيننا إحنا وأورثتنا أفانين العداوات
وهل أبحث نساء القوم عن عرض للغرب إلا بأحكام النبوات؟

وقوله في ذم أبينا آدم - عليه السلام - وذريته جميعاً بدون استثناء:

وما حمدي لآدم أو بنيه! وأشهد أن كلهم خسيس

ومن ذلك أيضاً قوله في التحذير من الدين واعتباره مكر من السابقين القدماء:

أفيقوا أفيقوا يا غواة ، فإنما ديانتكم مكر من القدماء

ومن ذلك أيضاً قوله في السخرية من القضاء والقدر والموت والقيامة:

صرف الزمان مفرق الإلفين فاحكم إلهي بين ذاك وبينني
أنهيت عن قتل النفوس تعمداً وبعثت أنت لقبضها ملكين؟
وزعمت أن لها معاداً ثانياً ما كان أغناها عن الحاليين!

ومن ذلك أيضاً قوله في النعمة على الزمان والأقدار وكأننا لسنا المذنبين بل الأيام:

ضحكنا ، وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تخطنا الأيام حتى كأننا زجاج ، ولكن لا يُعاد لنا سبك

ومن ذلك أيضاً قوله في الحكم على الكتب السماوية بالثبور والهلاك:

أمورٌ تسخفُ بها خلومٌ وما يدري الفتى لمن الثبورُ!
كتابُ محمدٍ وكتابُ موسى وإنجيلُ ابنِ مريمَ والزبور
وقوله في إنكار نبوة موسى وعيسى - عليهما من ربهما السلام -:

قالت معاشرُ لم يبعثَ إلهكمُ إلى البرية عيساها ولا موسى
وإنما جعلوا الرحمنَ مأكلةً وصيروا دينهم في الناس ناموسا
وذكر ابن الجوزي وغيره له أشياء غير ذلك ، بل كل قطعة من هذه الأشياء تدل على كفره ،
وزندقته وانحلاله ويقال أنه أوصى أن يكتب على قبره:

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ ———— وَيَّ ، وَمَا جَنَيْتُ عَلَيَّ أَحَدٌ

معناه أن أباه بتزوجه لأمه أوقعه في هذه الدار ، حتى صار بسبب ذلك إلى ما إليه صار ، وهو
لم يجن على أحد بهذه الجناية ، وهذا كله كفر وإلحاد ، قبحه الله ، وقد زعم بعضهم أنه ألقع
عن هذا كله وتاب منه ، وأنه قال يعتذر من هذا كله ، ويتنصل منه ، وهي القصيدة التي يقول
فيها متناولاً الحديث عن قدرة الله سانلاً مولاه التوبة والغفران:

يا من يرى مدَّ البعوض جناحها في ظلمه الليل البهيم الأليل
ويرى مناظ عروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
امنن علي بتوبة تمحو بها ما كان مني في الزمان الأول

وقد كانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة بمعرة النعمان ، عن ست وثمانين سنة إلا أربعة
عشر يوماً ، وقد رثاه جماعة من أصحاب و تلامذته ، وأنشدت عند قبره ثمانون مرثاة ، حتى
قال بعضهم في رثائه:

إن كنت لم تُرقِ الدماء زهادةً فلقد أرقيت اليوم في جفني دما

قال ابن الجوزي: وهؤلاء الذين رثوه والذين اعتقدوه إما جهال بأمره ، أو ضلال عن مذهبه
وطريقته ، وقد رأى بعضهم في المنام رجلاً ضريراً على عاتقه حوتان متدليان على صدره ،
رافعان رأسيهما إليه ، وهما ينهشان من لحمه ، وهو يستغيث ، وقائل يقول: هذا المعري
الملحد. وقد ذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات ، فرجع في نسبه على عادته في الشعراء ،
كما ذكرنا. وقد ذكر له من المصنفات كتباً كثيرة ، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد
المائة من كتابه المسمى بالأيك والغصون ، وهو المعروف بالهمز والردف ، وأنه أخذ العربية
عن أبيه ، واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سعد النحوي ، وأخذ عنه أبو القاسم على

بن المحسن التنوخي ، والخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، وذكر أنه مكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم على طريقة الحكماء. قال ابن خلكان: وهذا أيضاً يتعلق باعتقاد الحكماء ، فإنهم يقولون إيجاد الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جناية عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات. قلت: وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده ، وهو ما يعتقده الحكماء إلى آخر وقت ، وأنه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها ، وذكر ابن خلكان أن عينه اليمنى كانت ناتئة وعليها بياض ، وعينه اليسرى غائرة ، وكان نحيفاً ، ثم أورد من أشعاره الجيدة أبياتاً منها قوله:

لا تطلبن بألّة لك رتبة قلم البليغ بغير جد مغزل

سكن السما كان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل

وكثير من العلماء من أهل زمان المعري حكموا بكفره وزندقته! فلقد احتوى كتابه: (لزوم ما لا يلزم) خرافات وأباطيل وفي الأسلوب جرأة كبيرة على الله والأنبياء والرسل والعلماء والشريعة اللامية والقضاء والقدر! وكتاب (الفصول والغايات). ولربما يقول قائلون: لقد دافع المعري عن نفسه وردّ تهم أعدائه ودفع بالشبهات في نحو من قالوها عنه في كتابه (زجر النابج) ولكنّه لم يستطع إقناع من أتى من بعده من العلماء كابن الجوزي وابن تيمية وابن كثير وابن القيم وغيرهم فقد اتهموه بالزندقة وأخذوا الظاهر من كلامه ، وقد أنصفه المؤرخ الحلبي كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم (588-660هـ) في كتابه (العدل والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري) فقال: «فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملاحدة. ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده ، فجعلوا محاسنه عيوباً وحسناته ذنوباً وعقله حمقاً وزهده فسقاً ، ورشقوه بأليم السهام وأخرجوه عن الدين والإسلام ، وحرّفوا كلامه عن مواضعه وأوقعوه في غير موافقه!» وفي قول ابن العديم دليل على أنّ المعري تعرض إلى حملة شعواء من أعدائه فنسبوه إلى الكفر! والأصل أننا نجري أحوال وأقوال الناس على ظاهرها والله يتولى سرائرهم! وظاهر الأبيات والأقوال المعرية هو الذي أسلفت! وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن الجوزي لا يمكن أن يحكموا بكفره اعتباطاً أو حقداً أو حسداً أو غيرة فهم أفضل منه وأصحّ ديناً منه! وإنما هم أجروا أحكامهم على الظاهر! إذ لا يمكن أن يقول مسلم هذه الكلمات ثم يزعم له زاعم أنه لا يزال في دائرة الإسلام! ولعل الأستاذ جمال بن حويرب يرى ذات الرؤية يوماً عندما يقرأ الرأي والذي يخالفه بالأدلة! وهذا يعني إجرام أبي العلاء مع سبق الإصرار والترصد حتى فارق الدنيا. وأمّا حكم الله عليه يوم القيامة فالله أعلم به. لكن في أحكام الدنيا الظاهرة فإنه قد أجرم في حق الله وأنبيائه ورسله ودينه وشريعته. ومن هنا أنشدت في أبي العلاء من البحر المنسرح وقافية اللام أقول:

من أين هذا الضلال والدغل؟ وهل تساوى الرشاد والخبل؟

كم كنت مخدوعاً في الذي خبثت منه الطوايا والقول والعمل!

كم كنت فيه المدح الملى هوئ! ما ردني - عن أمداحه - خجل

ألفيتُ لفظي يُطريه يحسبه
والحق أني ما كنتُ أعرفه
بل قلتُ فيه الذي خدعتُ به
(أبو العلاء) الذي انزلتُ إلى
تخرصاتٍ ومَحَضُ فلسفةٍ
لم تخورُ رشداً ولا مناصفة
قادت - إلى الهرطقات - قارئها
وحطمت كل مَنْ يُطالعها
وإن تحلّت بما يُجملها
وازينت - بالجَمال - يغمُرُها
وطاب أسـلوبُها لعاشقـه
لكنها كالسـموم قاتلة
وهل يسـُبب التقـي خالقـه؟
وهل يعيب اللـيب شـرعتـه؟
وهل يُهين النبيّ تابـُعه
هذا (المعري) العمى تعقبـه
أعني عمى القلب والعيون معاً
ذا مجرمٍ ليس الحق مذهبـه
وسبقُ إصراره الطريقُ إلى

برُشده بات يُضربُ المثل
ولم يكن من مُعلمي الرجل
حتى بدا لي التضليلُ والخطل
عزيفه إذ تبعتُ مَنْ غفلوا
تشوبها الحـذقاتُ والدغل
ومالها منطقٌ ولا ثقل
وزلزلت فطنة الألى عقلوا
إذ - في ثنايا سطورها - الضلل
وزخرفتها الرموز والجمل
وأصبحت - بالبيان - تحتفل
كأنه - للحبيبة - الغزل
فهل بسـُم يتبـل الأكل؟!
يزجي الأباطيل أبها الدجل
شأن الألى - بالمليك - قد عدلوا
إلا إذا اغتال عقله الهبل؟
حتى انتهى - في الضلالة - الأجل
مهما يكون اللجـاج والعـل
بل عاش فحوى الرشاد ينتحل
فضيحة - في الأنـام - ترتذل

وكذلك أخذ ربك

(طبيب جراح عبقرى فى علمه ، لا يكاد يؤمن إلا بالعلم والبحث العلمى والتجربة. كان قد أجرى مع فريق طبي معه عملية خطيرة لمريضه كانت تخرج من غيبوبة لتدخل فى أخرى ، وينس أهلها من علاجها. وسافرت من دولة إلى دولة إذ هي ميسورة ، ولكن دون جدوى ثم التمس أهلها التداوي عند هذا البروفيسور المغربى ، ذلك الطبيب الجراح العبقرى. وكانت العملية التي ستجرى لها هي (القلب المفتوح) على حد ما يقولون. واحتاط لنفسه ذلك الجراح بأن جعل أهلها يوقعون له على أوراق العملية والتعهدات اللازمة لذلك. وهذا لنلا يقاضونه إن هي ماتت ، ولنلا يخسر سمعته إن هو فشل. وراح يشرح لهم مدى الخطورة والمغامرة. وأن نسبة النجاح لا تتجاوز 5 في المائة ، ووافقوا ، وراحوا يثبتون له أنهم مؤمنون بالله ويقدره ويقضائه ، وأن الذي عليه أن يجري الجراحة بكل دقة ، ويكل النتائج لأمر الله. وراحو يحثونه على الإيمان بالقدر. فقال: أنا لا أؤمن إلا بالتجربة ولا أفقه كثيراً مما تندنون حوله. وبرغم أنه مسلم راح يتجرأ على الله وينال من القضاء والقدر. وبعد إحدى عشر ساعة خرجت المريضة ، وقد نجحت عملياتها بفضل الله. ونفق الطبيب على باب غرفة العمليات ولفظ أنفاسه الأخيرة فى الدنيا ، ومات غير مأسوف عليه. فكانت آية ما أعظمها ، وكانت صورة من أخذ الله للظالم أخذ عزيز مقتدر. فسبحان من له الدوام بعد فناء خلقه. فتذكرت قول الله: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد). وصدق الله تعالى: (إنا من المجرمون منتقمون). إن الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ ركين من أركان الإيمان فى ديننا. وبدونه لا يصح إيمان إنسان (والرضا بالقدر خير من شربه). ولا تجوز السخرية من القدر واتهامه بأنه أحمق الخطأ ، كما لا يجوز أبداً أن نعنون لقصة بـ (سخرية الأقدار) أو (القدر الساخر) أو (لعنة القدر) أو (القدر الملعون) أو (ضلال الأقدار) إلى غير ذلك من الألقاب والمسميات التي تتهم القضاء والقدر وتنال منهما. إن مجرد ذكر هذه الألفاظ يعتبر من نواقض العقيدة والتوحيد. ولست هنا فى مجال بسط الأدلة ، وإن كان هذا يطيب لى ويروق ، ولكن على كل حال من أراد الموضوع بأدلته فليطرقه فى مظانه ومراجعته. فإن هذا ديوان شعر تكفى فيه الإشارة. وتأثرت جدا بما حدث للطبيب المغرور فأنشدت أقول:)

أخذ المهيمن مهلك لمن افترى
واعترز بالعلم الذي يزهبه
واعتد بالتجريب يغمزه هوى
وما العلم إن لفظ الشريعة والهدى؟
واعتر بالعلم إن طرح العقيدة خلفه ،
ولكل ما شرع المليك تنكرا؟
وما العلم إن جعل المخارف جوهرًا؟
وما العلم إن طرح العقيدة خلفه ،
ولكل ما شرع المليك تنكرا؟
وما العلم إن جعل المخارف جوهرًا؟
وما العلم إن طرح العقيدة خلفه ،
ولكل ما شرع المليك تنكرا؟
وما العلم إن جعل المخارف جوهرًا؟

والشهرة القعساء تسكنه الذرى
فاختال بين الناس ، ثم تبخترا
وغدت - له - بعضُ الجرائد منبرا
ونجأح كلَّ يستحث من امترى
ومهارة (الدكتور) أمست مظهرا
والبعضُ يسأل قانعاً مستفسراً
ونراه حيناً قد يُحذر مُنذرا
مما تعاني لم يداعبها الكرى
وعلاجه - فوق الدروب - تبعثرا
وحكايةٍ منها الفؤادُ تضجرا
رضيتُ بما المولى المهيمنُ قدرا
والأمرُ أوشك أن يُشاع وينشرا
صديقة ليست تننّ لَمَا جرى
ويُسيل دمعَ العينِ صدقاً أبحرا
ما أعذبَ الإيمانُ إن هو أثمر!
ترجو الحمام يريخها مما ترى
والكل - بالموت المحقق - بشرا
أبئسُ بما خطوا وما هو قررا!
نكرَ المشيئة ، ثم كابرَ وافترى
لمن استهان بحكم ربي وازدرى

وجنى عليه الصيِّثُ في كل الدنيا
والمال أكمل نقصه وعواره
وتناقلتُ صحفُ الحواضر شأنه
عملية من بعدها عملية
وجراحة تندأح إصر جراحةٍ
والكل يسألُ مستشيراً واثقاً
ويجيبُ صاحبنا على استفسارهم
حتى إذا جاءت إليه مريضة
بل صارعتُ قلباً يُجرعُها الشقا
في قصةٍ تؤذي وتجرح من تلا
ومصيبة نزلت بأجمل عادةٍ
واستسلمتُ لقضائه ومُراده
وجميع من عرف الحقيقة خالها
ومُصابها في قلبها يُدمي الحشا
لكنه الإيمانُ يمنحُها العزا
أسمى من الكلمات وصفُ حبيبةٍ
وجميعُ أهل الطب خطوا موتها
وكبيرُهم أدلى بما هم قرروا
والله أنجاهما ، وأهلك ناجياً
ليكون للضلال أعظم عبرة

ليس للتوبة ميعاد

(كان ذلك العبد غارقاً في المعاصي والموبقات. ثم انطلق بسيارته التي غرقت به في أعماق الماء. ثم أنجاه الله. فقرر العودة إلى الله والإقلاع عن المعاصي. أما بداية القصة وأحداثها وكيف سارت بصاحبها قافلة الأحزان فهذا ما نطالعه في مجلة الأمة القطرية عدد (70) بقلم حسين عويس مطر ، قال الراوي: (لقد تغير صاحبي ، نعم تغير ، ضحكاته الوقورة تصافح أذنك كنسمات الفجر الندية ، وكان من قبل له ضحكات ماجنة مستهترة تصم الأذان ، وتؤدي المشاعر ، نظراته الخجولة تنم عن طهر وصفاء ، وكانت من قبل جريئة وقحة ، كلما تخرج من فمه بحساب وكانت من قبل يبعثرها هنا وهناك ، تصيب هذا وتجرح ذاك ، لا يعبأ بذلك ولا يهتم ، وجهه هادئ القسمات تزينه لحية وقورة كثة ، وتحيط به هالة من نور ، وكانت ملامحه من قبل تعبر عن الانطلاق وعدم المبالاة ، نظرت إليه ، وأطلت النظر ففهم ما يدور بخلي ، فقال: تريد أن تسألني: ماذا غيرك؟ قلت: نعم هو ذلك ، فصورتك التي أذكرها منذ لقيتك آخر مرة من سنوات ، تختلف عن صورتك الآن. فتتهد قائلاً: سبحان مغير الأحوال ، قلت لا بد أن وراء ذلك قصة؟ قال: نعم ، قصة كلما تذكرتها ازدت إيماناً بالله القادر على كل شئ ، قصة تفوق الخيال ، ولكنها وقعت لي فغيرت مجرى حياتي ، وسأقصها عليك. ثم التفت إليّ قائلاً: كنت في سيارتي متجهاً إلى القاهرة ، وعند أحد الجسور الموصلة إلى إحدى القرى فوجنت ببقرة تجري ، ويجري وراءها صبي صغير ، وارتبكت ، فاختلت عجلة القيادة في يدي ولم أشعر إلا وأنا في أعماق الماء (ماء ترعة الإبراهيمية) ، ورفعت رأسي لأعلى لعلني أجد متنفساً ، ولكن الماء كان يغمر السيارة جميعها ، مددت يدي لأفتح الباب فلم يفتح ، هنا تأكدت أنني هالكٌ لا محالة. وفي لحظات – لعلها ثوان – مرّت أمام ذهني صور سريعة متلاحقة هي صور حياتي الحافلة بكل أنواع العبث والمجون ، وتمثل لي الماضي شبحاً خيفاً ، وأحاطت بي الظلمات كثيفة ، وأحسست بأنني أهوي إلى أغوار سحيقة مظلمة فانتابني فزع شديد ، فصرخت في صوت مكتوم: يا رب ، ودرت حول نفسي ماداً ذراعي أطلب النجاة لا من الموت الذي أصبح محققاً ، بل من خطاياي التي حاصرته وضيقته عليّ الخناق. أحسست بقلبي يخفق بشدة فانتفضت ، وبدأت أزيح من حولي الأشباح المخيفة وأستغفر ربي قبل أن ألقاه ، وأحسست كأن ما حولي يضغط عليّ كأنما استحالت المياه إلى جدران من الحديد فقلت: إنها النهاية لا محالة ، فنطقت بالشهادتين ، وبدأت أستعد للموت ، وحركت يدي فإذا بها تنفذ في فراغ ، فراغ يمتد إلى خارج السيارة ، وفي الحال تذكرت أن زجاج السيارة الأمامي مكسور ، شاء الله أن ينكسر في حادث منذ أيام ثلاثة ، وكنت بصدد إصلاحه ، وقفزت دون تفكير ودفعت بنفسي من خلال هذا الفراغ ، فإذا الأضواء تغمرني ، وإذا بي خارج السيارة ، ونظرت فإذا جمع الناس يقفون على الشاطئ كانوا يتصايحون بأصوات لم أتبينها ، ولما رأوني خارج السيارة نزل اثنان منهم وصعدا بي إلى الشاطئ. وقفنا على الشاطئ ذاهلاً عما حولي غير مصدق أنني نجوت من الموت ، وأنني الآن بين الأحياء ، كنت أنظر إلى السيارة وهي غارقة في الماء فأتخيل حياتي الماضية سجيئة هذه السيارة الغرقاة ، أتخيلها تختنق وتموت ، وقد ماتت فعلاً ، وهي الآن راقدة في نعشها أمامي ، لقد تخلصت منها وخرجت مولوداً جديداً لا يُميت إلى الماضي بسبب من الأسباب ، وأحسست برغبة شديدة في الجري بعيداً عن هذا المكان الذي دفنت فيه ماضيّ الدنس

ومضيت ، مضيت إلى البيت إنساناً آخر غير الذي خرج قبل ساعات. دخلت البيت وكان أول ما وقع عليه بصري صور معلقة على الحائط لبعض الممثلات والراقصات ، وصور النساء عاريات ، واندفعت إلى الصور أمزقها ، ثم ارتميت على سريري أبكي ، ولأول مرة أحس بالندم على ما فرطت في جنب الله ، فأخذت الدموع تنساب في غزارة من عيني ، وأخذ جسمي يهتز ، وفيما أنا كذلك إذ بصوت المؤذن يجلس في الفضاء وكأنني أسمع له لأول مرة ، فانتفضت واقفاً وتوضأت ، وفي المسجد وبعد أن أدت الصلاة أعلنت توبتي ودعوت الله أن يغفر لي ، ومنذ ذلك الحين وأنا كما ترى. قلت: هنيئاً لك يا أخي ، وحمداً لله على سلامتك ، لقد أراد الله بك خيراً ، والله يتولاك ويرعاك ويثبت على الحق خطاك).هـ. وفي هذه القصة الجميلة عبرة كبيرة لنا ودرس عظيم هو أن لا نسوف توبتنا! فنحن لا ندري متى الأجل! قال لقمان لابنه: يا بني ، لا تؤخر التوبة ، فإن الموت يأتي بغتة ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية ، كان بين خطرين عظيمين ، أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي ، حتى يصير ريناً وطبعاً فلا يقبل المحو ، الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو. وعن أبي إسحاق قال: قيل لرجل من عبد القيس في مرضه: أوصنا قال: أنذرتكم سوف. ويقول الحسن البصري رضي الله عنه إياك والتسوية ، فإنك بيومك ، ولست بغدك ، قال: فإن يكن غد لك ، فكس فيه - أي اعمل عملاً تكون به كيساً - كما كسنت في اليوم ، وإلا يكن الغد لك ، لم تندم على ما فرطت في اليوم. وهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد فرغ من دفن سليمان بن عبد الملك الخليفة الذي كان قبله ، وانتهى من الخطبة التي افتتح بها حكمه بعد أن بايعه الناس ، ينزل عن المنبر ويتجه إلى بيته ، ويأوي إلى حجرته يبتغي أن يصيب ساعة من الراحة بعد هذا الجهد ، وذلك الغناء اللذين كان فيهما منذ وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك. وما يكاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى يقبل عليه ولده عبد الملك - وكان يومئذ يتجه نحو السابعة عشرة من عمره - ويقول له: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين؟ فقال: يا بني ، أريد أن أغفو قليلاً ، فلم تبق في جسدي طاقة ، فقال: أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين؟ فقال: أي بني ، إني قد سهرت البارحة في عمك سليمان ، وإني إذا حان الظهر صليت في الناس ، ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله ، فقال: ومن لك يا أمير المؤمنين بأن تعيش إلى الظهر؟ فألهبت هذه الكلمة عزيمة عمر ، وأطارت النوم من عينيه وبعثت القوة والعزم في جسده المتعب ، وقال: ادن مني أي بني ، فدنا منه ، فضمه إليه ، وقبل ما بين عينيه ، وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي ، من يعينني على ديني ، ثم قام ، وأمر أن ينادي في الناس: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها إلى أمير المؤمنين. أعجبتني قصة توبة الشاب الغريق فأنشدت أقول:

هال التائب هـول المنظر	والأمواج تسلي المبحر
وعباب الماء يسامرُه	والزبد ينأوي ويحذر
ويجيب المضطر المولى	إذ أضحى - بالدمعة - يجار
أرسلها دعوة مسجون	منه الدمع غدا يتحدر

يبكي أوزاراً قارفها
 زين هذا الباطل ، صَحْبٌ
 لم يتبعوا الحق سبيلاً
 لكن - في شِقوتهم - سقطوا
 والإمعة اتبع رضياً
 إن شربوا الخمره بآرهم
 وإذا ما انطلقوا لقمار
 وإذا ما تبعوا ساقطة
 وإذا ما التمسوا معصية
 وإذا عاث الصحبُ فساداً
 حتى كان الحادث هذا
 وتذكر سنواتٍ مرتت
 ورأى الموت يروح ، ويغدو
 والسيارة تمضي قدماً
 في أعماق الماء تهاوت
 والمولى أنقذ سائقها
 قد تأتي توبة إنسان
 ما للتوبة من ميعادٍ
 فلنحسن دوماً ، ولنخلص

تعسن الوزرُ ، وخاب المنكر!
 بنس الصحبُ ، وبنس المعشر!
 يرشد محتاراً يستبصر
 والشهوات إليها المعبر
 وبهزل الخلان تأثر
 واستلم القدح لكي يسكر
 شاركهم في لعب الميسر
 غازلها باللفظ ، وأكثر
 شارك فيها ، لم يتأخر
 عن ساعد باطله شمّر
 سأل الله الصفح ، وكبر
 خلف سراب العمر الأغبر
 وله ناب عنه يكشر
 للقاع ، ويطويها المنظر
 وكان لم تك شيئاً يُذكر
 لما قال: أتوب وأقصر
 من حيث الغافل لا يشعر
 والله يدبر ، ويقدر
 ولنتأمل ، ولنتفكر

إن جازت لأبي الطيب ، فأنها بها أولى

(ليس لشاعر اليوم أن يدعى أنه أتى في تفعيلة الشعر وأوزانه ما لم يستطعه الأوائل ، إنما هو قالب واحد. وضرورات الشعر بالأمس يسع شعراء اليوم بلا شك ، وكذلك يسع الشعراء غداً. وكنث مع أحد الشعراء ذات ليلة يعرض عليّ ما عنده ، وأعرض عليه ما عندي على عادة الشعراء إذا خلا بعضهم إلى بعض. لكن الذي اختلفت جلستني معه من الشعراء هذه المرة أنني جلست لشاعر وفيت له ووفى لي فكان الصدق والإخلاص في النصيحة الشعرية هو مادة الجلسة ونبضها. وحديث الشعراء لا حدود له ، وتعليقاتهم لا تنتهي. ولكن لاحظت أن هذا الشاعر يريد أن يخضع الشعر لقالب واحد لا يحيد عنه أبداً. فلا ضرورة ولا تغيير لإحدى التفعيلات ، كما كان شعراء الأمس يفعلون. ولم أنكر عليه أن ينتكس ، فلا تقوم له قائمة ولا يكون له في الشعر شأن. إذ هو قد رفض النصيحة وتشبث برأيه واعتدّ بفكرته وأشرب من هواه! ولكن بدأت القضية عندما أنكر عليّ بعض التفعيلات في البحر المنسرح عندما استمتع لقصيدة لي من المنسرح. وراح يدعى أن بها كسوراً فأثيت له بديوان المتنبي ، وأثبت له أنني على حق. فلم ينكر عليّ ما استشهدتُ به ، بل اعتذر وتعلم ، واستفاد من الحوار. وأحب أن أورد هنا قول المتنبي – عندما مدح علياً بن إبراهيم التنوخي ، وعلى البحر المنسرح استخدم كل تفاعيل البحر الممكنة ، الأمر الذي قد يستهجنه بعض النقاد من شاعر معاصر. يا قوم ، إن الذي وسع المتنبي بالأمس يجب أن يسع أي شاعر اليوم ، بل ويسع كل شاعر ينشد بالفصحى إلى قيام الساعة. قال المتنبي في قصيدته وعلى البحر المنسرح:

أحرق عاف بدمعك الهمم أحدث شئ عهداً بها القدم

وإنما الناس بالملوك ، وما تفلح غرّب ملوكها عجم

ولقد استخدم المتنبي هذه التفاعيل كلها في قصيدته المذكورة من المنسرح. وأخذت التفاعيل هذي الصور: (0///0// 0//0/ 0//0//) ، وأيضاً (0//0// 0/0/0/ 0//0/0/) ، وأيضاً (0//0/ 0//0/0/) ، وأخيراً استخدم المتنبي في قصيدته تلك من المنسرح تفعيلة أخرى هي: (0//0/0// 0//0// 0//0//). وتحت عنوان: (النحاة والضرورة الشعرية) تقول الدكتورة وردة صالح نغماش بكلية الفقه - جامعة الكوفة - ما نصه: (تعد اللغة العربية من اللغات التي حباها الله تعالى بميزات لا تضاهيها فيها اللغات الأخرى ، فهي لغة شعرية موسيقية تتناغم الأصوات فيها في نظام دقيق تستريح إليه النفوس وتهفو إليه الأسماع! وإنما تهيأ لها ذلك بما حظيت به من تركيب فيه من اختلاف مخارج الحروف وتقسيم أبواب الكلمات! يضاف إليهما دلالة الحركات على المعاني والمباني المختلفة إعراباً واشتقاقاً ، وقد تجلّى هذا التميز في الشعر العربي الذي اعتمد لغة ناضجة مقتدرة لشاعر ، عُرف بإمكاناته اللغوية ومراسه في توظيف مفرداتها لخدمة أغراضه الشعرية ، حتى دارت أشعاره على ألسنة الناس ، ولا زالت يزين شعره نظام غير مسبوق في أوزانه وقوافيه يخضع إلى قواعد عامة اتفق عليها الشعراء ، اصطلاح عليها فيما بعد بفن العروض الذي وضع

قواعده الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) في ضوء ما تكلم به الشعراء في العصر الجاهلي. وما تلاه وكان ذلك ميداناً للكثير من الدراسات التي تناول بعضها المبنى في الشعر وما يتعلق به! فيما دارت الأخرى حول المعنى الذي يؤدي إليه ، ولعل من أهم الدراسات التي قامت حول قضايا المبنى في الشعر العربي هي الدراسات التي نشأت حول لغة الشعر ، فتحدثت عن ضرورة الالتزام بالقواعد اللغوية التي تحكم النص الأدبي ، باعتبارها الوسيلة الأولى في التعبير عما يريد الشاعر إيصاله إلى المتلقي في أبيات تتظافر فيها قوة الألفاظ مع عمق المشاعر. وذهب سيبويه في باب ما يحتمل الشعر إلى (أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام..). كما نص الجمهور على أن (الضرورة ما وقع في الشعر مما لا يقع في النثر، سواء كان للشاعر عنه مندوحة أم لا). ووفقاً لهذا فإن الخروج عن القاعدة النحوية يعد اختياراً من الشاعر وليس هناك ما اضطره إليه بدليل أن اللفظ الذي يرد ويعد من الضرورات يمكن إبداله بلفظ آخر يخرجها منها).هـ. ثم تختتم الدكتورة وردة بحثها عن ضرورة الشهر قائلة: (لقد أحسن فندريس في كتابه (اللغة) حين وصف لغة الشاعر بأنها تمثل لغة النفس بما فيها من توتر وانفعال والتي تختلف عن لغة النثر ، لغة العقل بما فيه من روية ، وأن اللغة الشعرية هي لغة انفعالية ينصب اهتمامها على الفكرة التي تعبر عنها فتقدمها على القلب اللغوي إذ لا يتيسر للشاعر الوقت للبحث عن الألفاظ التي تعبر عن فكرته خير تعبير وتتلائم مع القاعدة التي وضعها النحاة. فالشاعر غالباً ما يلتفت إلى مخالقات كان بإمكانه تجاوزها ، لولا انشغاله بما يعتمل في داخله وحرصه على إبرازه في صورة شعرية معينة. إذ (من الممكن أن نسم لغة الشعر بأنها لغة انفعالية ، ولغة النثر بأنها تعاملية أو منطقية) ، ففي اللغة الانفعالية (يقتصر الاهتمام على إبراز رؤوس الفكرة ؛ فهي وحدها التي تطفو وتسدو الجملة ، أما الروابط المنطقية التي تربط الكلمات بعضها ببعض ، وأجزاء الجملة بعضها ببعض ، فإما ألا يُدَلَّ عليها إلا دلالة جزئية بالاستعانة بالتنعيم والإشارة إذا اقتضى الحال ، وإما ألا يُدَلَّ عليها مطلقاً ويترك للذهن عناء استنتاجها).هـ. ولو كان الأمر مقتصرأ في حقي على صديقي الشاعر لهان الخطب ، إذ لا يزال الشعراء يجامل بعضهم بعضاً ، ويبغي بعضهم على بعض (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) ، ويأخذ بعضهم كذلك من بعض. ولكنني بليت ببعض المتحذلقين ممن يدعون العربية ولا نصيب لهم في علمها ، راحوا يعيبون علي هذه التفاعيل في كتابتي على المنسرح. وفي هذا أنشدت من المنسرح أنتصر لهذا المبدأ الذي يلتزم ما أتاه الأقدمون من الشعراء من الضرورات الشعرية ، إذ إن هذه الضرورات ما كانت لهم ضرورات إلا لأن اللغة تجيزها ، ومن هنا فأنا مع النقاد القائلين بأن الشاعر الذي لا يستخدم ضرورات الشعر التي استخدمها الأولون لا يكون لشعره مثل الذي كان لشعرهم من الحلاوة ولا الطلاوة ولا الجودة. والضرورة لا تدل أبداً على ضعف الشاعر مادام أنها ضرورة معتبرة ، نص عليها قانون الشعر ومعياره ، وسار عليها الشعراء الأوائل ، وأوردوها في أشعارهم. أنشدت أقول:

إن جاز شئٌ أملاه من سبقوا أولى به مثلي ، يا أباة ثقوا
والشعرُ لكل طعمة ورؤى وكلنا - للكمال - نستبق

بضاعة الفرد - للجميع - مدى
 ويسـ تطيبُ الظلال وارفة
 أعاتبُ القومَ فـيم تخطنتي؟
 وقومنا في النكال ما رحموا!
 واستخرجوا الأغلاط التي وهموا
 وأيقنوا بالإدانة افتريث
 وشهروا بالبرئ في ملاء
 قالوا: ننال الفتى ، ونلمزه
 فقلت: يا قومنا الكلام زنا
 هذي الأغاليط بالهوى رُصدت
 هلا رجعتم إلى من ارتجلاوا
 (وابن الحسين) الذي مناقبُه
 أراه بيني وبينكم حكماً
 طابت ضروراتُ شعره ، وخلصت
 واستقبلت أمتي القريض بلا
 ولم يعبُ وزنه الألى فقهاوا
 ولم ينل منه أي منتقِد
 حتى إذا صغث مثل صاحبنا
 واستعذبوا التشوية الذي اتسعت
 والله بيني وبين من ظلموا

يختال في أفقه ، وينطلق
 مستلهماً تبيين الألى سبقوا
 وفيم لوم عليّ يختلق؟
 وبالذي كنت صغته شارقوا
 كأنما يجتبيهم الخرق
 والطيث يُعمي الأنام ، والنزق
 كأنما هم - على الهوى - اتفقوا
 ياليتُه ينزوي ، ويحترق
 هل التجني عليه ينطبق؟
 لم يهد علم لها ، ولا حنق
 شعر الأعاريب الغض ، واعتقوا؟
 يضيقُ عنها الفضاء والأفق
 فكم له في القريض منطلق!
 وزانهن التناغم اللبـق
 تنطع يُدعى ويمتشق
 ولم يُشهر به الألى حذقوا
 يوماً ، ولم يستهجنه مرتزق
 هجا قريضي الغفاة من حنقوا
 له قلوب يؤزها الحنق
 إذ إن قلبي يكدأ يختلق

وخلق الإنسان ضعيفاً

(بينما كنت أسير في طريق عودتي هنا من رأس الخيمة إلى عجمان ، ومعني ابناي صلاح الدين وكان نائماً وعمر الفاروق وكان مستيقظاً ، ورأينا في الطريق حادثاً مرورياً مروّعاً ، أسفر عن جريح في المقعد الأمامي ، قد هطلت الدماء من رأسه مروراً بصدرة ، واستقرت عند قدميه. وهو شاب في الثلاثين يصرع أربعة رجال قوة. وأدركت وولدي عمر الفاروق - الذي رأى الحادث معي - ضعف الإنسان وقلة حيلته وهوانه على الناس إذا نزلت به المنايا وأتاه من قدر الله ما يُسِينه. وحتى في أمر التكليف الرباني ندرُك ضعف الإنسان ، مما جعل نبي الله ورسوله موسى - صلى الله عليه وسلم - يبين ذلك الضعف لنبينا - صلى الله عليه وسلم - قال موسى الكليم عليه الصلاة والسلام لنبينا صلوات الله وسلامه عليه ليلة الإسراء حين مر عليه راجعاً من عند سدرة المنتهى ، فقال له: ماذا فرض عليكم ؟ فقال: "أمرني بخمسين صلاة في كل يوم وليلة". فقال له: ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فإني قد بلوت الناس قبلك على ما هو أقل من ذلك فعجزوا ، وإن أمتك أضعف أسماعاً وأبصاراً وقلوباً ، فرجع فوضع عشرأ ، ثم رجع إلى موسى فلم يزل كذلك حتى بقيت خمساً [قال الله عز وجل: "هن خمس وهن خمسون ، الحسنه بعشر أمثالها"] الحديث. وأستاذنا عبد الكريم بكار له في هذا الجزء من الآية ذات الرؤية حيث يقول ما نصه بتصريف زهيد: (إن الضعف في هذه الآية الكريمة ضعف عامّ وشاملٌ لجميع جوانب الضعف البشري النفسي والبدني والعقلي والتركيبي والعاطفي ، فالإنسان ضعيف النفس بطبعه وفطرته ، وهو مجبورٌ على ذلك منذ أن خلقه الله تعالى ، وهو كذلك ضعيف الجسم بسبب ما يتعرّض له من الأمراض والآلام والأوجاع والأسقام ، ممّا يجعله يتألم ويركن للراحة والنوم أو المسكنات والأدوية ، وهو أيضاً ضعيفٌ في الجوانب العاطفية فيتأثر سريعاً بما حوله ، فأى شيء يجري له يؤثر على عاطفته فيبكيه أو يفرحه ، يُشجّعه أو يُخوّفه ، ومع كلّ هذه الأوجه من ضعف الإنسان فإنّ الله - تعالى - شرع له ما يناسبه وما فيه تخفيفٌ وتيسيرٌ عليه).هـ. ويقول الدكتور محمد محمد السقا عيد ما نصه: (هكذا يقرر الله تعالى هذه الكلية العاملة الشاملة لكل إنسان ، إن كل إنسان خلق ضعيفاً. خلق ضعيفاً في نشأته قال تعالى: (من أي شيء خلقه من نطفة خلقه) نطفة صباية من الماء المهين. وخلق ضعيفاً في علمه: قال تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً). فعلمه قليل ومحفوف بأفتين جهل قبل العلم ونسيان بعده! إن الضعف الإنساني سمة تلازم الإنسان من لحظة البداية في خلقه. الإنسان هذا المخلوق العجيب هو صنعة الله تعالى المحكمة الدقيقة هذا الإنسان الذي يبدو للوهلة الأولى في منتهى البساطة مشتمل على كل أشكال التعقيد ، إنه يبدو قوياً مخيفاً مع أنه في حد ذاته ضعيف في كل جانب من جوانب شخصيته ضعفاً لا يوازيه شيء ، سوى ما يدعيه من القوة والعزة والسطوة).هـ. المهم أنني عندما شاهدت ذلك الحادث أمسكتُ بؤريقة وقلم رصاص ، ودوّنت انطباعي عن الحادث شعراً ، واخترتُ هذا العنوان القرآني: {وخلق الإنسان ضعيفاً} ، ولئن كان النص قد نزل في أمر ضعف الرجال في الصبر عن النساء! فإن العبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم!)

إنما أنت ضعيفٌ زاد ضعفاً بل وإن فقت الورى كمأ وكيفا

كل أنس يغمرُ الإحساسَ ظرفاً
وتأملُ صُنْعها صرفاً وعطفاً
ثم أنت اليوم قد جاوزت نصفاً
وأراها تخطفُ الأعمارَ خطفاً!
فإذا بالمرء قد أصبح طيفاً
وإذا بالإلف يبكي - الدهرَ - إلفاً
إنما ينزفُ عمرُ المرء نرفاً
مثل صرح زاده الزلزالَ نسفاً
هل تعادي هذه الزهرة حتفاً؟
سوف لن تبقى ، وإن عمّرت ألفاً
وكفى هزلاً ، وتضليلاً ، وسُخفاً
رحم المولى امرأً أغضى وعفاً
كل ذنب ، تنسفُ الإجرامَ نسفاً
وتريك الخيرَ كالشهد المُصَفَى
تورث الإنسان من مولاه خوفاً
علها تكشفُ دربَ الخير كسفاً
ليس تُبقي بعدُ في الإيمان ضعفاً
صرفته عن مهاوي الشر صرفاً!

وانظر الأغيارَ من حولك تسبي
وارقب الأحوالَ حيناً بعد حين
وتزوّد ، إنما الدربُ طويلٌ
والمقاديِرُ رحاهها لا تبالي
والمنايا تحصدُ الأجالَ حصداً
وإذا الدنيا تلاشّت ، والأُماني
وإذا بالجرح لم يُسعفه طبٌ
وإذا الإنسانُ أمسى بعض ذكرى
إنه الموتُ جنى زهرة عُمر
أيها الإنسان ، فافعل كل خير
فالتزم بالشرع كي تحيا كريماً
واهجر العصيان والسواى ملياً
لم يُسوّف توبةً لله تمحو
وتعيدُ الحق وضاءً نقياً
توبةً يرجو بها نيلَ المعالي
توبةً من كل ألوان الخطايا
يُشرقُ الإيمانُ فيها والسجايا
ربما أحيّت مواتَ القلب حتى

أقطاب القرآن العشرة

(لا شك أن القراء العشرة أصحاب القراءات قد قاموا بجهد جهيد في خدمة القرآن الكريم. والقراء العشرة أرتبهم حسب التاريخ الزمني لهم: الأول فالثاني فالثالث فالذي يليه إلى العاشر على النحو التالي: * الأول – عبد الله بن عامر اليحصبي مقرئ الشام 8هـ - 118هـ . وراوياه هما: هشام بن عمار الدمشقي. وعبد الله بن أحمد الدمشقي المعروف بـ (ابن ذكوان). رحمة الله تعالى على الجميع. * الثاني - عبد الله بن كثير الداري مقرئ مكة 45هـ - 120هـ. وراوياه هما: البزّي ، وقنبل ، وهو تابعي لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك. رضي الله عن الجميع. * الثالث - عاصم بن أبي النجود الكوفي 129هـ. وراوياه هما: حفص بن سليمان الدورّي وشعبة بن عياش الحنّاط وهو تابعي. رحمة الله تعالى على الجميع. * الرابع – أبو العلاء البصري. زيان بن العلا 68هـ - 154هـ. وراوياه هما: حفص بن عمر الدوري ، وصالح بن زياد السوسي. رحمة الله على الجميع. * الخامس – حمزة بن حبيب الزيات الكوفي 80هـ - 156هـ. وراوياه هما: خالد الصيرفي وخلف البزار. رحمة الله على الجميع. * السادس – نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني 169هـ. وراوياه هما: ورش وقالون. رحمة الله على الجميع. * السابع – علي بن حمزة الكسائي النحوي المعروف 187هـ. وراوياه هما: حفص الدوري والليث بن خالد البغدادي. رحمة الله على الجميع. فهؤلاء هم القراء السبعة ، أصحاب القراءات السبع المتواترة المعتمدة المشهورة. وهناك قراءات ثلاث متممة للعشر وقد حازت على الشروط في القبول ، وقراؤها معتبرون كذلك وهم: (* الأول – أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني 130هـ. وراوياه: ابن وردان وابن جمار. * الثاني - يعقوب بن إسحاق الحضري 205هـ. وراوياه هما: روح عبد المؤمن ورويس. * الثالث – خلف بن هشام البزار 229هـ. وراوياه هما: إدريس الحدّاد والوراق. رحمة الله على الجميع. فجزاهم الله خيراً على جهودهم في إثراء علم القراءات. وأرى أن اتصّالهم بكتاب الله عز وجل هو الذي أعلى قدرهم وشأنهم ، وجعل لهم لسان صدق في الأولين والآخرين. إن كل شخص أو شئ يتصل بكتاب الله يأخذ صفة هذا الكتاب من العلو والرفعة والجلال. والسادة الأحناف قالوا قديماً: (وإن الكيس الذي يحمل المصحف لمن المصحف!) وتمتلئ دواوين كثير من الشعراء بأسماء المغنين والفسقة والممثلين واللاعبين والموسيقيين وغيرهم من المفسدين والمجرمين. الأمر الذي حدا بي إلى أن أملأ ديواني بأسماء الصالحين المصلحين الكرام من علماء القرآن والسنة. ذلك أن كل بئر بما فيه ينزح. ولما كنت أقر هؤلاء الأقبام رأيتني ألهجّ بتقديرهم وتثمين جهودهم. وعشتُ رداً طويلاً من عمري ولا أزال أجلهم وأنصتُ إلى نصائحهم ووعظهم ، وأصغي إلى قراءاتهم إن هم قرأوا ، وأرى أن تراثهم كنز تجب المحافظة عليه. وأكتب من شعري في الثناء عليهم وتقدير جهودهم العظيمة من السريع أقول:)

قلبي هفا للسادة العشرة مستعرضاً ما صاغه البررة

والنفسُ تستقصي منافعهم
والروحُ دوماً تستضيءُ بهم
قومٌ لـوحي الله قد نذروا
واسـتعذبوا القرآنَ يـمنحهم
هم علّموا الأجيال ما درسوا
لم يبخلوا يوماً بعارفـةٍ
هم ناولوا التنزيلَ من رغبوا
أجر المليك البر خالقهم
كم أتقفوا بالذكر عيشتهم!
كم أخلصوا لله ما بذلوا!
كم ناصحوا في الله دون هوى!
كم صحّحوا الأخطاء صارخة
كم حاربوا في الدار من بدع
كم حبّروا القرآنَ في ملاء
كم أصّلوا لقواعدٍ عُرفت
وجمـيلهم لا شئ يعدلـه
وقصـيديتي ديينٌ أقدمـه
أزجي لهم بعضَ الجميل بلا
كم كنتُ أرجو شعر ملحمة!

إذ إنها للصّيد مُفتحة
وتبييت بالأفـذاذ مُفتخرة
أعمارهم في زمرة السفرة
أرجى الهنا من آية العطرة
ونفوسهم في الدرس مصطبرة
فجهودهم في الناس مشتهرة
وقلبهم للأجر منتظرة
ووجوههم بالخير مبتشرة
ودموعهم في الليل منهمرة
والهائم من فرط العطانصرة
كم جادلوا من طغمة أشرة!
صيغث بأيدي الجوقة الغدرة!
حتى غدت في التو منحدرة!
بتلاوةٍ بالنور مزدهرة!
ورموزها في السفر مختصرة!
وهباتهم في الوزن معتبرة
للسادة الرئبالة العشرة
مَن ، وعينُ الشعر منكسرة
لكن ، وهل مثلي له الخيرة؟

أين المودة والرحمة؟

(في ص 34 من (حدث في المحكمة) لسلمان العمري ، قصة المرأتين اللتين أفسدتا بين أخوين هما زواجهما إفساداً تعذر الإصلاح معه. فكل أخ بات بعد الواقعة في ناحية. أخوان عاشا في بيت واحد ، وفي ظل ظليل وتربية أصيلة ثم اشتركا في التجارة والمال ، وباتا يسعيان في الأرض ويمشيان في مناكبها ويبتغيان من فضل الله ولم يدركا أن الله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي: (أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه). ومضت الأيام وتدخلت نون النسوة في شين الشؤون ، وأحدثت زلزالاً في العلاقات وأفسدت ما بين الأخوين ، فصار الخصام والنزاع الذي لا ينتهي أبداً ، وتولدت المشاكل ، وتتبعها جريان في أروقة المحكمة ، لا يُسلم أحدهما على الآخر ، ولا يصل أحدهما صاحبه ولا يبيغان للحق طريقاً ولا للصلح نفوذاً ، واستمر في خصومتها ، كل خصومة تولد خصومة أخرى ، وتتبعها مشاكلهما تتابعاً عظيماً نجم عنه فراق أولادهما وتباينهما ، كل ذلك لأنهما أصغيا للشياطين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون من شياطين الإنس والجن ، وشياطين الإنس أخطر وأشد من شياطين الجن ، قال جل وعلا: "شياطين الإنس والجن يُوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً". واستمر النزاع والخصام والشقاق والحدة بينهما ، وباعت محاولات المخلصين والمجاهدين بل والواعظين والناصحين للصلح بينهما بالفشل. ولم يدركا أن الله - جل وعلا يقول: (أنظروا هذين حتى يصطلحا) لمن كان بينه وبين أخيه خصومة. وقد قيل: "من جعل النمام عيناً هلك ، مبلغك الشر كباغيه لك". وقد أتى رجل الوليد بن عبد الملك فقال: لك عندي نصيحة ، فقال: "إن كانت لنا فأظهرها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها" ، قال: جار لي عصى وفر من بعثه قال: "أما أنت فتخبر أنك جار سوء ، فإن شئت أرسلنا معك ؛ فإن كنت صادقاً أقصيناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت تاركناك" ، قال: بل تاركني يرحمك الله. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن إبليس يضغ عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا ، فيقول: ما صنعت شيئاً» ، قال: «ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته» ، قال: «فيدنيه منه ويقول: نعم أنت» ؛ رواه مسلم. وقد جاء في الحديث: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - «نهى عن التحريش بين البهائم»؛ رواه أبو داود والترمذي. ومن هنا تتجلى عظمة الأقوال الحسنة الموزونة! والله - جل في علاه - يقول: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ). والتحريش والوقية عندما يكون هناك سماعون لهذا كله تندلع الحروب والخلافات والمشاكل! وصدق الله: (يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ). ولا تأتي سلامة الصدور والقلوب إلا بترك الغيبة والنميمة والتحريش والإيقاع! حيث قال - صلى الله عليه وسلم -: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً ؛ فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» رواه أحمد وأبو داود والترمذي. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى ، قال: «صلاح ذات البين ؛ فإن فساد ذات البين هي الحالفة»؛ رواه أبو داود والترمذي. قال عطاء بن السائب: «قدِمْتُ إلى مكة فلقيني الشعبي فقال: يا أبا زيد! أطرنا مما سمعت ، قلت: سمعت عبد الرحمن بن

عبد الله بن سابط يقول: لا يسكن مكة سافك دم ، ولا آكل ربا ، ولا مشاء بنميم ، فعجبت منه حين عدل النميمة بسفك الدماء وأكل الربا ، فقال الشعبي: لم تعجب من هذا؟! وهل تسفك الدماء ، وتركب العظائم إلا بالنميمة؟! وهذه حقيقة ملموسة مشهودة في مجتمعنا اليوم!

مَن ذا يُطِيقُ مكائد النسوان
ويصِدّ ما أعدَدن من عدوان؟
ويُعِيد بعد الهجر آصرة الصفا
ويُزيد غِلا قد تعاظم شره
ويمد جسر مودة ، أوتاده
ويقيم أعمدة التفاهم والفِدا
ويقصّ ألسنة التخريص والهوى
كم زوجةٍ كانت وبالأقاسطاً
عزلت بمكر واحتيال زوجها
وكأنه نعل يناسب رجلها
وتحكمت في البعل دون تحرج
وتسلطت قهراً عليه بلا حيا
واستسلم العبد الذليل مطأطأً
مُتازلاً عن عزة ورجولةٍ
هي أمر ناه ، وذلك طائع!
فالأمر ما أمرت ولية أمره
وأخوه نال من المصائب جائباً
وأراد نصح الزوج لكنّ أعرضت
وتفرّق الأخوان دون مُبرّر

وغدت هنالك فتنة مسعورة
 وعلى النقيض هناك زوج رثد لها
 إحساسها وحياؤها وذكاؤها
 ويقينها في الله يتحفف قلبها
 يتبوع إحسان ، وصرخ تفضل
 وتعفف عن كل ما يُزري بها
 ورزينة في الأمر قد نُذرت له
 وكريمة جاراتها يعرفنها
 وأصيلة أخلاقها شهدت لها
 ترعى الذمار ، ولا تعنف قومها
 وعلى جميع الأهل تُنفق جهدها
 وإذا زكت نار الخلاف رأيتها
 كي تنقذ الأقوام لَمَّا يفتنوا
 وبحكمة منها ونور بصيرة
 وبحيالة عم السلام مُغرّداً
 واستبشرت بالخير عائلة دنت
 وانزاح همّ كاد يُزهق أنفساً
 إذ أخذت نار ، وبُح سعارها
 إذ جند الفضلى لخير مُهمّة

فيها الحليم تراه كالحيران
 كالحكمة انحدرت من الأذهان
 وثباتها هبة من الرحمن
 فتعيش للإسلام والإيمان
 وفراسة قادت من الرجحان
 إن الترفع سمت كل حصان
 هل في النساء اليوم أي رزان؟
 ماذا يرد شهادة الجيران؟
 بأدلة محمودة البرهان
 وتقابل النكران بالشكران
 والأجر عند الواحد الديان
 تسعى بطهر سريرة وبيان
 من فورهم لتأجج النيران
 حقت دماءً أهرقت بطعان
 وتحقت للناس عذب أمان
 من حتفها وتفاءلت بتهان
 لَمَّا استعاد العزة الخصمان
 والفضل كل الفضل للمنان
 ليذوق أهل الدار طعم أمان

جواب لا تعقيب بعده

(قرأنا لشعراء كثيرين. وأدركنا من كلماتهم مراداتهم وبلونا أخبارهم. عملاً بالمثل القائل: (تكلم أقل لك من أنت). والشعر يُفصح عن مكنون شاعره ولا شك. وطالعنا الكثير من الأجوبة المخرسة المسكّنة بين الرجال وغيرهم وبين النساء وغيرهن ، ولكن جواب النساء الشواعر على الرجال الشعراء أحياناً يكون أشدّ وأنكى ، ولا يزال الكتاب والأدباء في القديم والحديث يُفردون فصولاً من كتبهم. وقد يخصصون كتباً من ألفها إلى يائها عن الأجوبة الملجمة. وما إن وقعت على جوابين لإحدى الشواعر في موقفين مختلفين تتبنى فيهما الدفاع عن النساء بصفة عامة ، حتى وجدتني أهتم بكتابة هذه القصيدة. ويحسُن بي أن أذكر الحوار الشعري بينها وبين رجل أخذ يُجادلها وتجادله حول الزواج من البكر والثيب ، فأنشدت المرأة مدافعة عن الزواج من البكر تقول:

قالوا نكحت صغيرة ، فأجبتهم أشهى المطي إلي ما لم يُركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة نظمت ، وحبّة لؤلؤ لم تثقب؟

وهذه الشاعرة هنا تنتصر للزواج من الشابة البكر ، وترى أنها الأوجه. فقام بالرد عليها شاعرٌ ينتصر للزواج من الثيب فقال:

إن المطيعة لا يُلذ ركوبُها حتى تُذلل بالزمام ، وتُركبا
والذر ليس بنافع أربابه حتى يُؤلفَ بالنظام ، ويُثقبا

وهذا شاعر آخر عانى من الافتتان بالنساء ، فراح يُقرّعهن وينال منهن فقال:

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شرّ الشياطين!

فاستمعت إليه إحدى النساء الشواعر ، فردت عليه وبنفس قافيته وعلى ذات بحرهِ ورويهِ قائلة:

إن النساء رياحين خلقن لكم فكلم يشتهي شمّ الرياحين!

فلما أدركتُ من هذه الشاعرة فراستها وإفحامها للخصم وإجامها له ، ولدتُ هذه القصيدة في زحمة الانفعال ، لتشارك الشاعرة هذا الانتصار الميمون ، ولتشهد لها بحق أنها قد حازت قصب السبق في إسكات ذلك الشاعر! وعلمتُ من أحد المصادر التي أوردت هذين الأثرين أن اسم الشاعرة الفذة تلك (زنابي) وأن اسم الشاعر المسكين الذي بضاعته في إفحام الخصم بضاعة مزجاة (درويش). إن هذه الروح الإبداعية في إفحام الخصوم ، وبنفس الطريقة ، وبذات الكلمات لم نعد نرى لها أثراً في زماننا. حتى لكأننا لا ننتسب إلى هذه الأمة العربية ، التي كانت عربيتها بالسليقة والفطرة ، أكثر من عربيتها بالتعلم والاكْتساب! وإنني لأتعجبُ كيف لا نرى في عالمنا

وقد رفعت - عن الكيد - النقابا
ولو حَزتْ قصيدتها الرقابا
لتمخر - عبر لَجته - العبابا
وجابهتِ المخاطرَ والحبابا
خصوصاً مَنْ تقلدن الحجابا
تُرغِب - في العطايا - الشبابا
وعشرتهن تسهوي الصحابا
يفوخ - لدى الأنوف - شذوى مُذابا
وكلُّ يرتجي - منه - اقترابا
وتعجبُ همةً عجباً عجابا
وتعجبُ قوةً أخرى عتابا
يُبادل - مَنْ يُصارعه - الحرابا
يُجَنَّب - مَنْ يُطبقه - العذابا
على الوحيين صحَّ هدىً ، وطابا
وإن جلب الدغول والصعابا
وضاعف - للحاليات - الثوابا
إذا ما حكمت فيهِ الكتابا

سقته الغادة القهر انتقاماً
لتنصر - في النزال - بناتِ حوا
وهاجت مثل بحر فيه مدّ
ولم تحفل بموج كالرواسي
لتبرز قيمة النسوان فينا
وتظهر مِيزة الأبقار حتى
وتبدي ما يحسن ثيابا
وتجعل - من نساء - الحي وِرداً
تحنّ له الرجال ، وتشتهيه
وتضعف همة ، وتزول أخرى
وتفتقر قوة ، وتزول أخرى
ألا إن النساء - لهن - بأس
فمرحى بالعلاقة وفق شرع
فحبّ - بعد رحلته - نكاح
وليس - كالاستقامة - من سبيل
فزوج ربنا صيد الأيامي
ومتّع كل صالحه بعيش

ولكن الله سلم

(في يوم الجمعة الموافق الثاني من ربيع الثاني لعام 1430 هـ الذي يوافق السابع والعشرين من فبراير لعام 2009م ، أجريت لولدنا يوسف الصديق عملية الزائدة الدودية بالمستشفى القاسمي بالشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة. وأخبرنا الطبيب أنها قد انفجرت منذ يومين ، وأنه لا أمل في الشفاء وأيده على ذلك زملاؤه الذين حدثنا عنهم ، فأخذت أثبت له أن الله هو الشافي ، وإنما عليك إجراء العملية فقط ، وكانت معجزة ربانية أن يظل الولد قبل وبعد العملية على قيد الحياة ، فحمدنا الله عز وجل واسترجعنا ، وقلنا إن الله في خلقه شؤوناً وإن له سبحانه عليهم منناً ونِعماً جمة. وقال ابن عجيبة في تفسيره: "إذا عَلِمَ العبدُ أن الله كاف جميع عباده ، وثق بضمانه ، فاستراح من تعبهِ ، وأزال الهموم والأكدار عن قلبه ، فيدخل جنة الرضا والتسليم ، ويهب عليه من روح الوصال وريحان الجمال نسيم ، فيكتفي بالله ، ويقنع بعلم الله ، ويثق بضمانه البحر المديد. ولما نزل بحذيفة بن اليمان الموت جزع جزعاً شديداً فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي أسفاً على الدنيا بل الموت أحب إلي ولكني لا أدري على ما أقدم على الرضا أم على سخط؟ ابن أبي الدنيا: المحتضرين. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له". رواه مسلم. والمؤمن إذ يصنع الله به ذلك كما قال ابن القيم في فوائده: "يتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فيشكره عليها ، ويضرع إليه أن لا يقطعها عنه ، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته فيبتهل إليه أن يحول بينه وبينها". ويروي ابن القيم عن الشيخ عبد القادر الجيلاني وصيته لولده التي قال فيها: "يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك وإنما جاءت لتمحصك ، يا بني القدر سُبِعَ والسُبُع لا يأكل الميتة والمقصود أن المصيبة كير العبد الذي يُسبك به حاصله فإما أن يخرج ذهباً أحمر وإما أن يخرج خبثاً كله". الطب النبوي. ومن هنا يبرز موقع الرضا بقضاء الله وقدره! ولقد كتب الفاروق إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - يقول له: (أما بعد ، فإن الخير كله في الرضى ، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر). وَعَنْ ثَوْبَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُمَسِّي رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ. أخرجه أحمد ومسلم والتِّرْمِذِيُّ. وسئل الحسن البصري: من أين أتى هذا الخلق؟ قال: "من قلة الرضا عن الله" ، فقيل له: ومن أين أتى قلة الرضا عن الله؟ قال: "من قلة المعرفة بالله". وعن عبد الرحمن بن إبراهيم الفهري: عن أبيه قال: أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبيائه: إذا أوتيت رزقاً مني فلا تنظر إلى قلته ، ولكن انظر إلى من أهده إليك ، وإذا نزلت بك بلية فلا تشكني إلى خلقي ، كما لا أشكوك إلى ملائكتي حين صعود مساوئك وفضائك إلي! (المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ، للخطيب البغدادي). ونشهد الله أننا رضينا بما حدث ليوسف واحتسابنا عند الله! وكنت قد كتبت هذه القصيدة أثناء العملية الجراحية التي أجريتها ليوسف! فقط انشغلت بالدعاء والصلاة ، والكتابة ليوسف أوصيه بالصبر والاحتساب!)

اشكرُ لربك - إذ أجاارك - ، واسجدُ وزدِ التضرعَ والتعبُدَ ، واحمدُ

واعلمُ بأن الله بالغ أمره فاصبرُ على مُر القضاء ، وغردُ

هذي هي الدنيا ، وذلك سَممتها
والمرءُ بين بلانها وهنائها
واسأل عبيداً جرَّعتهم سُمَّها
لم يَفطنوا لمرارها وفتونها
وأبوك أعتيه المصائبُ جَمَّة
عظَمَ البلاءُ ، وللدغاول وقعها
صُورُ الفنا شتى ، وأعاتها إذا
وفزعتُ إذ قالوا الفتى في محنةٍ
فقصدتُ أهلَ الطب ، أستبقُ الخطا
فسألتهم ، والخوفُ يغمُرُ همَّتي
والقومُ ما احتفلوا بعبرةٍ والدي
أمسى تُشاطرُه الهمومُ حياته
ويظنُّ يعتصرُ النحيبَ معانياً
وفتى سَقتَه العائداتُ كوزسها
ورثتُ - لحال الطفل - أفئدة ثوت
أرايتُ أمَّك ، والوجومُ يؤزها
تبكي ، ويُفقدُها الوجيبُ ثباتها
وأنا أخففُ ما تعاني من أسى
وأكرر: احتسبي البلية ، واصبري
وأسوقُ من قصص النبیین الألى

وصنيغها ، فامهدُ لنفسِك ، واهتد
وشققانها وعذابها المُتجدد
فغدوا كمثل البانسین الشرد
وسعيرها المُنتهب المتوقد
حتى استکان - لها - بقلب مُكمد
في نفس عبيدٍ مُخبطٍ مُتوجد
ذهبَ الفنا يوماً بصفو المَورد
ولسوف يخضعُ - للجراحة - في غد
والله يعلمُ وحده ما مقصدي
والقلبُ بين مُكبَّل ومُطررد
تُضنيه أنة مُستضام مُجهد
فيُفئقُ مُشتغلاً بطول تهجد
من عالمٍ يحيا بليلاً أسود
فبكتُه - من أهليه - خفقة أكُبد
وتأسفتُ كمداً لأبئس مشهد
والبؤسُ يُزري بالشباب الأغيْد؟!
ودموغها انحدرتُ كبحر مُزبد
وأقول: رفقاً يا حلياة ، واصمدي
وأسوقُ أنكاراً ، وأجهر: ردي!
خاضوا البلاءَ بهمةٍ وتعبد

تهدي لحال مُستساغ أرشد
إذ قال قائلهم بدون تردّد:
ونجاته حتماً ستُفلت من يدي!
ماذا نؤمل من عتاة عند؟
فقد افتريتم بعد طول تمرد
خاب الغرور بما يؤزّ ، ويعتدي
من طب مطموس البصيرة أنكد؟
الطب محرابّ ، وومضة فرقد!
كال الكلام بمنطق المتزيد
ثوب الكرامة والشجاعة يرتدي
أملاه طول تذللي وتهجدي
يُردي كسهم في الجوانح مقصد
ومصابنا الأعتى بفقد (محمد)
إن الشفاء من المليك السيد
فلسوف يحيى ، فامتثل لا ترعد
سيموث - ما هو في الحمام - بأوحد
وأقرّ أعيننا بنجح مُرفد
وحياته كم أذهلت من عُود!
من ميتة ذهبّت بصبر الشهد!

وأسوق من سير الصحابة عليها
ورأيتني والدمع يخنق خاطري
عزت سلامته على من طبّوا!
وخلافه رهط أمر من الردي
يا أهل نكر الطب لا تتمردوا
كم غر بعضكم الغرور بكيده!
وهل الشفا رهن بما تزجونه
الطب أشرف رتبة ومكانة!
الطب أرفع من تزيد جاهل
ليقود - نحو اليأس - قلب معذب!
فطفقت أوسعه بنصح مُخبِت
يا صاحبي ، وفر تشاؤمك الذي
إننا لأهل عقيدة وشريعة!
فيم التلاعب جهرة بعقولنا؟
لو شاء ربك أن يعيش مريضنا
ولئن أراد الله موت سقيمنا
والله من - على الغلام - بجوده
أنجاه من موت زوام مُحدد
سبحانك اللهم سلّمت الفتى

جنت راغبة أم غاضبة؟

(زوجها أبوها من أحد الصالحين لأنها طيبة صالحه ، واعتادت (سُمية) على المعاملة الرقيقة من زوجها. والخلاف سُنّة ، وذات يوم قام خلاف بين سمية زوجها ، وعلى إثره انطلقت إلى دار أبيها بالاسكندرية وطرقت الباب ، فقال الأب: مَنْ؟ فما استطاعت الردّ من غلبة النشيج وتغلب الغيظ ، فعلم الأب من مشربية الباب أنها ابنته سمية. فقال: راغبة أنت في زيارتي أم غاضبة من زوجك؟ فقالت: بل الثانية. فأبى أبوها أن يفتح الباب وقال: اذهبي إلى دار زوجك واسترضيه ، وعندما تعالجن مشاكلك جدي في زيارتي راغبة راضية. إن زوجك جنتك وشارك أفهمت؟ وعادت وصفت الخلاف وتنازلت لتسير السفينة في بحرهما وتمخر عُباب الماء. وفي المساء ذهبت وزوجها إلى أبيها راغبة راضية! وبعد سنوات قصّت هذه القصة بتمامها على الأمر الذي جعلني أكتب هذه القصيدة حكاية عن الأب. وقد نصح مولانا وأستاذنا الشيخ موافي عزب الزوجين بقوله: (النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (لو كنتُ أمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها). وإذن فطاعة الزوج في عشرة أمور: (1) كل ما يأمر به ما دمت قادرة على تنفيذه وما دام لا يتعارض مع شرع الله تعالى. (2) عدم الخروج من بيته إلا بإذنه. (3) عدم السماح لأحد أن يدخل بيته كأنناً من كان أيضاً إلا بإذنه. (4) عدم الإنفاق من ماله إلا بعد استئذانه أيضاً. (5) الاهتمام بنفسك شخصياً كأن تكوني مثل الوردة الطيبة ، طيبة الراحة حسنة المنظر. (6) الاهتمام ببيتك والاهتمام بأولادك. (7) ألا تطالبه ما لا طاقة له به ، وألا تكلفه ما لا يحتمل. (8) أن تصبري على أذاه. (9) أن تكثري من الدعاء له. (10) أن تحفظيه في عرضه وولده وماله وهو غائب عن بيته وعنك. هذه معظم الحقوق التي ذكرها أهل العلم. ولكن كيف تكون محادثة الزوجة لزوجها؟ تكون بالمعروف ؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول في العموم: (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنَ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدْوَى) ، وقال جل جلاله: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ، وقال أيضاً عن أهل الجنة: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) ، وأمرنا أيضاً بأن نقول الحسنى من القول: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) ، وقال صلى الله عليه وسلم: (الكلمة الطيبة صدقة). فالمرأة التي تريد أن تكون من أهل الجنة تحرص أن يكون كلامها مع زوجها في غاية التهذيب وفي غاية اللطف وفي غاية التواضع والمحبة ، وأن يكون كلاماً مليئاً بالرحمة ، ولا مانع أيضاً أن يكون في لحظات المزاح مليئاً بالمداعبة وخفة الدم وإثارة الكلمات التي يحبها الزوج ، وذكر العبارات التي يرتاح لها ، وأن تتخير كلامها معه كما تتخير أطيب الطعام ، حتى تكسب رضاه فيدعو لها بظهر الغيب ، ويدعو لها وهي بين يديه). هـ. وعندما حكّت لي هاتفيا الست سُمية قصتها مع أبيها بقطع النظر عن صحة أو عدم صحته تصرفه تأثرتُ جداً ، وأنشدتُ من شعري أقول:)

على بابي ضحى طرقت بُنيّة	تلووك الغيظ خالف المشربية
وتجتّر المكائيد باهتياج	ودمغ العين يعصف بالصربية
وأهات تُشيع حزن قلب	وأنتات مُقطعة شجيرة

تعبّر عن خواطر في الطوية
بلا خجل ولا أدنى روية
والأم تقود إلى بليّة
غزته من الصباح إلى العشية
ولفح الغيظ يزرد البقية
على الأحداث ترسم فوضوية
ومرحى ، ثم مرحى (ياسمية)
مطرة مرحبة ندية
وما هذي القلاقل؟ ما القضية؟
كغيث غال أمسية شتية؟
كمثل البدر طلعت بهية؟
لتركها معذبة شقية؟
وتذفن في المشاكل ، وهي حية؟
وتحيا - رهن ما تلقى - ضحية؟
فتأمل أن تعالجها المنية؟
بأجوبة مفصلة جلية
وخصّيني بكل صفاء نية
ويعلم صِدقها رب البرية
ولكن الزيوف هي الخفية
وأقسّم لم أفبرك مسرحية!

وهزيمة يرددها لسان
وزمجرة يبوخ بها ضمير
وثورة حرة تشكو أساها
وأشجان تميز في فواد
ونيران تحرق بعض فضلى!
وعطبول يحطمها التآبي
فقلت مسامراً: أهلاً وسهلاً
وبابي مغلق يزجي التحايا
وساءلت البنية ، ما دهاها؟
لماذا تذرف العينان دمعاً
لماذا تكبت الأغلال وجهاً
لماذا تأسر الأصفاد بنتي
لماذا - دون أسباب - تُعاني
لماذا تُزدرى بين الصبايا
لماذا يُعتدى ظمماً عليها
أجيبني - على ما قلت - فوراً
وزيديني بغير مقدمات
وخافي الله - في الأقوال - تُحكى
وإن الحق لا يخفى طويلاً
فقلت: يا أبا أشكو حياي

يَحِيفُ عَلَيَّ فِي سِرِّ وَجْهِهِ
وَيَقْدِرُ عَلَيَّ بِالْفِطْرِ تَدْنَتْ
وَيَقْهَرُنِي بِأَمْرِ بَعْدِ نَهْيِي
فَقُلْتُ: إِذْنِ أَتَيْتِ الْيَوْمَ غَضَبِي
لِيُرْجَعَ حَقٌّ مَن ظَلَمْتَ جَهَاراً
وَيُحْدِثُ فُجُوءَ لَيْسَتْ تُبَارِي
وَيُوسِعُهُ بِهَا سَبَاباً وَشَتَاماً
وَيَبْقَى عَارُهَا ، وَيَعُودُ كُلُّ
وَلَا يَفْنَى - مَعَ الْأَيَّامِ - جُرْمِي
وَمَنْ يَنْسَى لُوَالِدِكَ التَّجْنِي
وَيَنْسَى اللَّهْجَةَ الرَّعْنَاءَ تَكْوِي
أَلَا عُدِي لَزَوْجِكَ ، وَاعْذِرِيهِ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَلِي الدَّمْعَ يَمْحُو
أَلَا إِنِّي نَصَحْتُكَ ، فَاسْتَجِيبِي
دَعِي عَنْكَ الزَّعْمَ تَهْدِ بَيْتاً!
أَطِيعِينِي ، وَلَا تَعْصِي كَلَامِي
هَبِينِي الْيَوْمَ جِئْتُ لِهَذَا دَارِ
وَعَلْبَتْ الْعَوَاطِفَ وَالسَّجَايَا

وَيَكْسِرُ خَطْرِي بِالْعَنْجَبِيَّةِ
وَيَجْهَرُ بِالْأَسْبَابِ الرَّدِيَّةِ
بِدُونِ هَوَادَةٍ أَوْ أُرْحِيَّةِ
تَرِيدُ أَبَا لَيْصَحَبَ بِنَدِيقَةِ
وَيُحْرِجُ زَوْجَهَا بِالْبَرْبَرِيَّةِ
وَحَرْباً مِّنْ حُرُوبِ الْجَاهِلِيَّةِ
لَيْشْتَمَ فَيْكَمَا (الإِسْكَانِيَّةِ)
إِلَى دَارِ بَسَاكِنِهَا هَنِيَّةِ
وَأَلْفَاظِي الَّتِي هِيَ قَيْصَرِيَّةِ
وَيَنْسَى الْكُفَّ تُمْسِكُ بِالرَّمِيَّةِ
بِأَلْفَاظٍ مَجْرَدَةٍ عَتِيَّةِ
وَجَدِّي السَّيْرَ صَافِيَةَ نَقِيَّةِ
خِلَافِكَمَا ، وَأَنْهِيَ النَّرْجَسِيَّةِ
وَأَرْجُو الْآنَ تَنْفِيذَ الْوَصِيَّةِ
زَعْمٌ كَالْخِيَالِ فَرَزْدَقِيَّةِ
إِذَا مَا كُنْتَ حَقّاً عَبْقَرِيَّةِ
وَسَعَّرْتُ الْمَوَاقِفَ وَالرَّزِيَّةِ
فَأَيْنَ هِيَ الْحَيَاةُ الْعَاطِفِيَّةُ؟

وهكذا عدت بلا سحور

(في أحد برامج إذاعة (Mont Carlo) الدولية الهادفة (وما أقلها!) كان على كل متصل أن يأتي بذكرى قديمة وأخرى معاصرة عن شهر رمضان. وفاتني سماعُ الذكرى القديمة لهذا الرجل. وإنما فقط تابعتُ سماع الحديثة. يقول: دخلتُ أحد الأسواق الكبيرة في (أبو ظبي) لأشتري سحور ومستلزمات شهر رمضان قبل بدء صيامنا بيوم. وبينما أنا أتجول في السوق إذا أنا بصبي يقارب العاشرة ، يحتال على أمه في شراء الموز. فحاولتُ إقناعه بأن الموز غال ، حيث إن الموزة الواحدة بدرهم. ولكن رغبة الصبي في أكل الموز لا تعرف مثل هذي العلل. ورحتُ أتابع عن قرب هذا الحوار. وإذا بها تقول له: في نهاية تسوقنا اشتري لك واحدة. فافتنع نسبياً. ثم تسوقتِ المرأة واشترت لابنها موزة واحدة. وظللتُ أتابع ولم أتسوق لأرى نهاية هذا الموقف. فإذا بي عند باب ذلك السوق الكبير أجد الصبي يلتهم الموزة بقشرها. فقلتُ له عن بُعد: قشّرْها يا بني ، إذ كيف تأكل القشر؟ فتوقف عن أكلها ، فأمسكتُ بها من يده مداعباً ملاطفاً ، وقشرتها له. فسألني قانلاً: وماذا أبقيت لي منها؟ إنها موزة واحدة ، وكنتُ أكلها بقشرها ليُعوضني القشر عن موزة أخرى! فقلتُ له: انتظر هنا وسوف آتيك بكرتونة موز كاملة من أحلى الأنواع. فقال: أنتظر. وذهبتُ وقمتُ بإحضار كرتون موز كاملاً أهديته للصبي ، وأعطيتُ أمه المسكينة الفقيرة كل الذي كان معي من الدراهم. وعدتُ بلا سحور ولا شيء ولا طعام ولا فلوس ، وكنت سعيداً. وحكيثُ هذا للأهل والأولاد فكانوا أسعد مني. وعلل الأخ حكايته تلك بأنه أوردها لحدث الآخرين على الإحساس بالفقر ، ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن ، وأن يفرّج عنه غمًا ، أو يقضي عنه دينًا ، أو يطعمه من جوع). أخرج البيهقي في شعب الإيمان ، وحسنه الألباني في الصحيحة. وفي رواية للطبراني "إن أحب الأعمال إلى الله - تعالى - بعد الفرائض -: إدخال السرور على المسلم ، كسوت عورته ، أو أشبعت جوعته ، أو قضيت حاجته". وروى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان ، حتى ينسلخ يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة. والأستاذ عقيل بن سالم الشمري ذكر في محاضرة طويلة مائة فائدة تربوية في رمضان ، وهذه السابعة منهن: (رمضان تربية للجود بجميع أنواعه: أ - جود المال: ففيه الحث على الصدقة وتفطير الصائمين والإنفاق وتعهد الأراذل والمحتاجين. ب - جود الوقت: ففيه نفع المسلمين والمشى في حاجاتهم والقيام على شؤونهم. ج - جود الذات: ففيه بذل الجاه عند الأغنياء وأصحاب اليسر ابتغاء الأجر من الله. د - الجود ببذل الأعمال الصالحة: فيفعل الصالحات وينوع العبادة ما بين فرض ونفل وصلاة وصدقة وقرآن وتفطير وإمامة وأذان وقيام على حاجات الناس وإنفاق وكلمة وخطبة وهكذا. ولهذا كان صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان ، أجود بالخير من الريح المرسلة كما ثبت في الحديث الصحيح). هـ. وتحت عنوان: (من مظاهر الجود في رمضان من السنة النبوية) يقول الدكتور محمد بن عدنان السمان (المدير العام لشبكة السنة النبوية وعلومها) ما نصه: (* الجود بالمال والصدقة: ويدخل تحت الجود بالعبادة ، لكن إفراده أيضاً لميزة خاصة للجود المالي في

رمضان فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم (أجود الناس)، يجود بالمال والعطاء بفعله وقوله يعطي صلى الله عليه وسلم عطاء من لا يخشى الفقر ، قال الله تعالى: (من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً).هـ. فأنشدت على لسان ذلك المتصدق الكريم الذي جاد بموزه على الصبي البائس وجاد بماله على فقيرة بانسة مسكينة موقناً أن الله سيعوّضه!

لا شيء يكسر أنف المرء كالفقر
ويجعل الناس لا ترضى بشئفعته
ويستهين به الأهلون أجمعهم
وحجة الناس أن الفقر جندله
فعاش منكسر الإحساس مبتسماً
لذالك قال (الإمام) الفذ قولته
الفقر لو كان - في هذي الدنا - رجلاً
(عليّ) جبت - بهذا القول - عالماً
ويبلغ الفقر - بين الخلق - ذروته
ولا أدل على ما أذعيه سوى
أتيث للسوق ، والخيرات تغمره
والصوم أمسى على الأبواب يرصدهم
والسوق بالناس والتجار مزدحم
والمال في الجيب ، والأسعار لأفحة
وكنت وفرت - من وظيفتي - حصصاً
فالحمد لله أعطانا وفضلنا
لكن عيني هنا قد أبصرت عجباً
حتى يخلفه في ربة القهر
وتلتقيه بلفظ سيئ مزي
كأنه خامل الأوصاف والذكر
وخصه بالأذى والبؤس والضر
ينن - في الفقر - من طور إلى طور
تلك التي نقشت من قبل في السفر
حصدت هامته السوداء بالبر
فليس شيئ - يُذل الناس - كالفقر!
إن قل أهل العطا والجود والخير
حكاية حار - في أحداثها - فكري
والناس حشد يبيع ، وفرقة تشري
والسبت يوم غد بداية الشهر
وحالة السوق بين المد والجزر
وسوف أبتاع مهما زيد في السعر
وبارك الله ما قيضت من نخر
له على الفضل كل الحمد والشكر
ولم أحط بالذي أراه من خبر

طفلاً ، وأماً تعاني في معيشتها
فقلت: أسمع ما يدور بينهما
وقدوتي (عمر) فيما أمارسه
قال الصبي: أريد الموز ليس سوى
قالت: ألسنت ترى الغلاء ينهزنا؟
بدرهم موزة ، أليس ذا سرفاً؟
فقال: لو موزة ، أروي بها نهمي
فقلت: اهدأ ، ولا تلح ، قلت: نعم
ثم اشترتها ، ووفت بالذي وعدت
فراح يأكلها فوراً بقشرتها
فرحت أنزع - للمسكين - قشرتها
لو كنت أبقيت - لي - قشراً يعوضني
فسال دمعي - أمام الطفل - منهدراً
فقلت: أهديك (كرتوناً) أجود به
فقال: أفعل ، أهداك المليك غداً
وعدت أحمل (كرتوناً) شقيت به
وراح يرقص مسروراً ومحتفلاً
وجدت بالمال - عند الباب - محتسباً
وذعت سري لحمل الناس أجمعهم

وتشتكي قسوة الأحوال والعسر
علي أساعد ، أرجو وافر الأجر
ونيتي عند ربي عالم السر
وأنت يا أم بي خير التي تدري
أم أن مثلك لا يحس بالنهر؟
وسوف يسحبنا الإسراف للوزر
وأعشق العيش إمالها ثغري!
سأشترى موزة؟ عليك بالصبر!
حتى تعالج ما بالطفل من ضير
فقلت: ليس يُطاق الموز بالقشر!
فقال والدمع في عين الفتى يجري:
عن أكل أخرى هنا في حوزة الغير!
ودمع قلبي جرى - في التو - كالبحر
إذا انتظرت ، وأزجيه على الفور
من الجنان جميل الأكل والخمر!
فقلت: خذ ، فإذا بهالة البشر
كأنما الموز أضحى مطمح العمر!
فالجود بالمال من صنائع البر
على التخلي عن التقتير والحكر

مجلة الشباب - العدد (177) ص (6)

حكاية بلا نهاية

(أورد صاحب (القصص الواقعية) الأستاذ الخولي ص 639 قصة فتاة تعتبر ضحية من ضحايا الاستخدام الخاطئ للإنترنت! حيث اتصلت بوغد ساقط مردول ، فهدها بعد أن عرف كل شيء عنها ، أما كيف سارت الأحداث وكيف هي نهاية القصة فهذا علمه عند الله. كتبت في ذلك محذراً. إنه عندما تنعدم النخوة والشهامة في النفوس ، فتوقع أن الدناءة ستسيطر على البشرية فتجعل منها وكراً للرديلة وانعدام الأخلاق ، وقبل أن أتحدث عن هذا الموضوع سأذكر لكم قصة حدثت لإحدى الفتيات والتي مازالت دموعها على خديها إلى اليوم ، وسأذكرها لكم وبعد ذلك لي تعليق عليها! وأتمنى من كل فتاة قراءتها ونشرها. (أنا فتاة أبلغ من العمر عشرين عاماً سمعت عن الإنترنت في الجامعة بين زميلاتي اللاتي قمن بذكر قصصهن ، فأخذني الفضول لمعرفة هذا العالم الجديد بالنسبة لي. وبعد أن أخذت عنوان دليل المواقع ، قمت بتصفحه فدخلت أحد المواقع بعد أن قمت بتصفحها ، وسجلت في المنتدى ، وأخذت أتعلق به شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحت لا أستطيع الابتعاد عنه أبداً. وفجأة راسلني أحد الأشخاص وقال لي: أنا معجب بأسلوبك فهل تتكلمين بإضافتي لديك في الماسنجر؟! وبعد ذلك فرحت كثيراً خصوصاً وأن هذه الرسالة من فلان فقد كان مثلاً للأخلاق والالتزان ، وكان محبوباً في المنتدى ، فالكثير من الفتيات يحاولن التعرف عليه لأسلوبه ، ولمنطقه ، ولأخلاقه العالية ، ولقلمه الجذاب ، إلخ...وبعد ذلك كتبت له رداً على رسالته! وهذه كانت أول رسالة أتلقاها في حياتي وكتبت له: إنني لا أعرف الماسنجر أساساً. فأخبرني عن الطريقة ، وأعطاني عنوان إيميله ثم بعد ذلك قمت بعمل البريد والماسنجر ، وأضفته وليتني ما أضفته ، فقد كنت على موعد مع الموت حيث قال لي: يا فلانة أتوقع أنك شاب ولست بفتاة؟! فاستغربت من كلماته هذه فقلت: لماذا هذه الشكوك؟! فقال: هل بإمكانني أن أسمع صوتك حتى أتأكد؟ فقلت له آسفة ، فأخلاق لا تسمح لي بذلك. ولست كغيري من الفتيات اللاتي بعن شرفهن! فقال: حسناً سأتصل عليك وأرجو منك الرد حالاً! بعد ذلك فاجأني باتصاله! فقال: ألو هل أنت فلانة؟! عندها ارتعش قلبي ، وأنا لا أعلم كيف علم برقم هاتفي؟ فسألته: كيف استطعت التعرف على رقم هاتفنا؟ فقال: أنا أعرف عنك كل شيء ، وسأفضحك أمام أهلك إذا لم تستجيب لي لطلبتي! وأخبرني أنه أخذ رقمي عن طريق الماسنجر حيث كتبت غياب مني رقم هاتف منزلنا ، وبعد أن ضغط على اسمي وجد رقم منزلنا. قلت لنفسي وأنا مصدومة هل حقاً هذا فلان الذي يدعى الأخلاق؟ وانصدمت جداً ، وبكيت بمرارة وحسرة. ولكن بعد فوات الأوان ، حيث تطورت الأمور للأسوأ!)

أقول للتي ترهلت ، ولم تكن بصيرة

تحملني العذاب في دروب هذه المسيرة

وأنت من سعت بتهمه خسيصة حقيرة

وأنت أنت من مشيت لحتفها بلا جريرة

وأنت أنت من أطاعت الغريزة الضريرة

وأنتِ من لأجل ساقطٍ مُفتنٍ رَمَتِ بصورة
وتابعَتْ ساقوطها وترهاتها المبيرة
وواصلت مسيرها وزعجلاتها الجهيرة
وخادعتْ ، وراهنَتْ على المعيشة القريرة
ضحية الهوى ، وذميمة تنن مس تجيرة
ومن يُجيرُ ذاتَ علةٍ - كهذه - خطيرة؟
حكاية بلا نهايةٍ ، وقصة مثيرة
وطعنة ، على الحيا قضاة ، وزلة مريرة
وإنني أحذر البناتِ من خطي كسيرة
تقود للضياع في مسالك القوي المغيرة
وتجعل الفتاة من طليقة إلي أسيرة
ليضحك اليه وود من ساقوط خورة أميرة
وإنني هنا أقول في قصيدي الأخيرة
مناوئاً بكل شدةٍ بلهجةٍ الشهيرة
بلفظةٍ أبييةٍ بكل طاعةٍ جديدة
بأن دارنا نحن للفضائل النضيرة
وإنها بما يُضيرُ جُلَّ أهلها خبيرة
ولن تعيشَ عُمرها لكل من طغى أجيرة
وأسألُ المليك أن يُفيق سادة الجزيرة

الداعية الصغير

(الدعوة إلى الله ليست حِكراً على أحد بل هي مسؤولية الجميع. أما هذا الداعية الصغير فقد أورد قصته الخولي في قصصه الواقعية ص 688 حيث نفع الله به أحد مدربي السباحة (أرسيناس) الذي تأثر بسلوكيات ذلك الفتى وصلاته وصدقته ومعرفته كيف يدعو بحمل الكُتبيات لأنه ليس داعية يستطيع أن يُنظر ويجادل ويُقنع. فأسلم الكابتن الذي أسماه (الداعية الصغير). (أرسيناس) وتعلم في بيئته النصرانية في العاصمة مانيل ، وقدم إلى المملكة العربية السعودية للعمل كمدرّب سباحة ، وكان أول اتصال له بالمسلمين ، بدأ يتعرف عليهم ، ويقف على أحوالهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وكان من بين الذين يُدرّبهم على السباحة طفل لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره. يقول عن نفسه: (كنت أرى في تصرفات هذا المسلم الصغير التزاماً شديداً ، فهو هادئ الطبع ، منظم في حياته ، لم يعِدني مرّة بشيء ويخلف هذا الوعد ، وكان يحرص على أداء الصلوات في أوقاتها ، وكنت أراه يُكثّر من قراءة القرآن في أوقات الراحة ، لقد كان هذا المسلم الصغير يتمتع بذكاء وقاد وقوة ملاحظة عجيبة ، فبمجرد أن لاحظت أنني أراقب تصرفاته وأرتاح لصحبته أحضر لي عدداً من الكُتبيات المترجمة إلى اللغة الإنجليزية والتي تتحدث عن الأديان والمقارنة بينها ، كما أهدى لي نسخة من المصحف المترجم ، وقال لي المسلم الصغير: عندما تقرأ هذه الكتب ستعرف السر وراء تصرفاتي المنضبطة. وكانت هذه أول مرة أقرأ فيها عن الإسلام ، ومع كثرة قرأتي بدأت أقف على حقائق كانت غائبة عن كثيرين أمثالي ، لقد تأثرت كثيراً بما قرأته عن وجود إله واحد خالق يتفق مع ما أفكر فيه وأقتنع به. لقد انجذبت إلى الإسلام وأسلمت ، وسميت نفسي (عبد الكريم) وكان السبب في ذلك سلوك هذا المسلم الصغير الذي يرجع الفضل له بعد الله عز وجل - في تعريفني بالإسلام! لقد نجا عبد الكريم من إبليس وحزبه من الضالين الغاوين! وقد وصف الله أتباع إبليس بأنهم من الغاوين ، فقال: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ). ووصف الله الذي أوتي الآيات فردّها على الله بأنه من الغاوين ، فقال: (وَإِذْ عَلَّمْنَا نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). وفرق كبير جداً بين الغواية والضلالة. ولذا لما قال فرعون لموسى: (وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ). والكفر هنا هو كفر النعمة والإحسان! فردّ عليه موسى بقوله: (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ). والضلال هنا هو ضد العلم والمعرفة! أي قبل النبوة وقبل مجيء الرسالة. فنظمت هذه القصيدة أحكيها على لسان المسلم الجديد (عبد الكريم) وقد أحس بمدى النقلة البعيدة التي نقله إليها ذلك الداعية الصغير ، فقلت:

نصح الصغير ، وخصني بدعاءٍ ورجامليك الناس خير رجاءٍ
لم يدخر جهداً ، ولم ين عزيمة بل جدّ في فوريةٍ ومضاءٍ
وتحمّل النصب الكثير مُردداً الله حسبي في عظيم بلائي

ومضى وحيداً رغم كل شقاء
من نشوة الإصباح للإساء
بين الأنعام نقيّة الأصداء
والجد يشحذ همّة الضعفاء
أكرم بهم من معشر بُراء!
ويُحبُّ صحبتها على استحياء
ويلوذ أحياناً ببعض خُداء
في سلمه ، أو حربته الشعواء
في عالم ما فيه أيّ صفاء
وكأنه من صفة العلماء
فترنحوا في لجة الأهواء
أن يسـتجيب لوعظه الوضاء
إذ خطها الوُعـاظ للجهلاء
ويُضلّ من يأوي إلى الظلماء
والأمر يستهوي انتباه الرائي
والطبغ في السراء والضراء
وتواضع للناس في استعلاء
ولربه أزجى عظيم رداء
ويُعـدني من نعمة الأعداء

وتكبّد الآلام ، واختصر المدي
في سِنَّه الأطفال يلهو جمعهم
ولهم طرائق في التضاحك جمّة
لم يعرفوا جِداً يقوي عزمهم
كلّ يُعـايش في الطفولة طهرها
كلّ يُداعب لعبة طابت له
كلّ يُرَجِّع أغنيات صاغها
كلّ يُدنن - للحياة - تبخترأ
كلّ يؤلف - في الصفاء - قصيدة
لكنّ صاحبنا تفرّد بالمضا
يدعو إلى الله الألى لم يؤمنوا
فأتى إليه في اشتقاق بالغ
حمل الصائف واثقاً في هذيتها
والله يهدي - من يشاء - لنوره
إنني عجبث من الصبي وحاله
فلقد سباني سمته وسُلوكه
وصلاته والصدق في أقواله
أسلمت لما خصّني بكتيب
والله أسأل أن يبارك توبتي

المريضة الداعية

(لا ينكر أحد دور المرأة أبداً في بناء المجتمعات ، هذا إن كانت صالحة ، ولا دورها في هدم المجتمعات إن كانت فاسدة. أورد الخولي في قصصه الواقعية ص 403 قصة أم عبد الرحمن ، الداعية التي استغلت المستشفى التي تعالج فيها في الدعوة إلى الله وبذل كل ما تملك في سبيل إسداء النصح للآخرين. فهذه أم عبد الرحمن ، تأتي مع زوجها من أقصى جنوب الرياض إلى أقصى شرقه ، فيتركها زوجها في المستشفى للعلاج ويذهب هو لدوامه ، وتمر عليها فترات تحتاج إلى المستشفى كل يوم تقريباً ، فاستغلت هذه المرأة الداعية المريضة جلوسها الطويل في المستشفى وانتظارها لدورها في العلاج ، استغلت الوقت في الدعوة إلى الله عز وجل ، والتذكير به سبحانه وتعالى ، وزيارة المريضات ، وتقوم بتعليمهن الصفة الصحيحة للطهارة والصلاة وأحكام طهارة المريض. ولا تترك فرصة لدعوة ممرضة أو طبيبة إلا وتقوم بالدعوة ، وهكذا تنتقل بين الأقسام وقد نفع الله عز وجل بها نفعاً عظيماً. فإلهم اشفها وعافها ، فما أعظم الأجر ، إذ تحمل في جسمها المرض ، وفي قلبها النور والإيمان والدعوة إلى الله عز وجل ، وتقوم بتنفيذ الكريات عن المحزونين والمرضى ، وإسداء النصائح للغافلين ، وعند الله عز وجل الموعد. تقول الدكتورة هيفاء السنوسي الأستاذة بكلية الآداب جامعة الكويت ما نصه: (أود أن أؤكد على أهمية دور المرأة في الدعوة وأن هناك دوراً مطلوباً يتمثل في ضرورة أدائها لعملها بكفاءة لأنها بذلك ستعكس صورة مشرقة للمرأة المسلمة ، فالمرأة نصف المجتمع وهي دعامة أساسية في بنائه ولا غنى عنها ، والمرأة المسلمة بطبيعتها الحال تحرص على مرضاة الله بإخلاصها في العمل وعدم التقاعس في جميع الأحوال ، وهذا لا يعني أن تنصرف إلى عملها بشكل يدفعها إلى التقصير في أداء مهمتها الأساسية في بناء أسرة مثالية).هـ. وعن دور المرأة في الدعوة إلى الله تقول الداعية الدكتورة عزة الرباط ما نصه: (قال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}. فلقد اجتهد المسلمون في نشر دعوتهم عبر وسائل الإعلام في عهد الرسالة وعبر وسائل أخرى أضافوها وأبدعوا فيها، فكانت المكتبات الإسلامية مثلاً وسيلة إعلامية مبتكرة انطلقت من المساجد وكانت الأسواق بمثابة مؤتمرات وندوات فكر، وانتشر بناء المدارس ، وكان الجهاد والتسامح الديني والقُدوة الحسنة من أهم وسائل الإعلام الإسلامي ، كما وجدت مجالات خاصة بالدعوة النسائية تتعامل وفق هذه الوسائل كلها ، فالمرأة نصف المجتمع، تلد وتربي النصف الآخر والمربية هي التي تصوغ القيم والمفاهيم عامة ، والإعلامية منها خاصة ، وهذه وظيفة المرأة أساساً....إن المرأة فيها المروءة والعفة والإنسانية وهي التي سمع الله قولها وهي تجادل ، وهي التي رد عليها ابنها كي تفر عينها ولا تحزن ، ولتعلم أن وعد الله حق ، وهي التي أنزل الله فيها من الآيات ما ثبت به فؤادها قال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذُكِّرَ أَوْ أُنْثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ}. كما وردت كلمة المرأة في القرآن 24 مرة ، من امرأة آل عمران إلى امرأة العزيز التي أكرمت مثنى يوسف ، ومن المرأة العاقر إلى المرأة التي بشرناها بإسحاق نبياً ، ومن بلقيس التي ملكت وأوتيت من كل شيء إلى الفتاتين ابنتي شعيب ورأيهما السيد ، ومن امرأة فرعون التي طلبت الجار قبل الدار ، إلى تلك المؤمنة رضي الله عنها التي وهبت نفسها لخير خلق الله صلى الله عليه وسلم. ويقابلهن تلك التي

قدرناها فكانت من الغابرين ، وامرأة نوح وامرأة لوط وحمالة الحطب ، فالقرآن أعلم عن المرأة بكل أحوالها وأخبر عن كل أدوارها ، والأمر الخاص للنساء في القرآن الكريم انطلق من بيت النبوة فقال تعالى: {وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} (هـ).

كم انفتحت - لِمَا قَلَّتِ - القلوب
وكم جاهدت - في الله - احتساباً
وكم أعطيت حتى قيل: يكفي!
وكم نافحت عن دين وشرع
وكم جادلت قوماً باتتاد!
وكم أرشدت من ضلت وضاعت
وكم أفحمت مُسِنَّة تحاجي
وكم أخلصت في درب التسامي
وكم صابرت حتى قيل: ملت!
وكم أفصحت في خطب توالث
وكم كابدت من خطب وخطب
وأنت مريضة ، والكل يدري
وسعيك بالهedy سعي حثيث
وبذلك - يا أختة - لا يُبارى
تزورين المريضات اللواتي
وتنطلقين في المشفى ملاكاً
وتُسئدين النصائح غاليات
رعائك الله من فضلى استقامت

فأمسث - للنصائح - تستجيب!
ولم يمسسك ضيق أو لغوب!
وكفك - بالسخا أبداً - خصيب!
بأسلوب هو السيف القشيب!
وبالإقناع تنفتح القلوب
وأمسث - في الثوابت - تسريب!
ومنطقها تُسرِّبله العيوب!
ولم تصرف مقاصدك الدروب!
وكم بالصبر كم تُجنى الكُسوب!
ويعجز - عن فصاحتك - الخطيب!
وما هزتك هاتيك الخطوب!
وقلبك رغم علاته طروب
ويعجز عنه شُبان وشيب
وشمسك ليس يطويها الغروب
تُحطمهن في المشفى الذنوب
وإن السعي في الدنيا ضرروب
وقلبك مُخبث التقوى مُنيب
وخصك - بالشفاف - المولى القريب

وتنسون أنفسكم

(ما قيمة النصيحة إن كان المرء يبذلها للآخرين دون أن يعمل بها؟ أورد الخولي في قصصه الواقعية قصة فتاة أقامت الحجة على أمها بكلمات بسيطة ص 674 وفي النهاية التزمت الأم التي كانت تنصح أبناءها ولا تعمل بما تدعوهم إليه وتحثهم عليه. حدثتني عن نفسها قائلة: كنت متهاونة في أداء الصلاة رغم حرصي الشديد على أبنائي بالمحافظة عليها ، تنبهت لذلك إحدى البناتي الملتزمات والمحافظات على أداء الصلوات في أوقاتها ، وراقبتني دون علم مني ، فحدث بيني وبينها هذا الحوار الذي كان سبباً بعد الله في هدايتي. قالت: أمي ما جزاء تارك الصلاة؟ قلت: كافر ومصيره إلى النار. قالت: ولماذا يترك الإنسان العاقل الصلاة؟ قلت: ربما لأنه يعتقد أنه لا يوجد بعث ولا حساب ، وأنه سينتهي بمجرد الموت. قالت: وهل هذا الاعتقاد صحيح؟ قلت: كلا بل هو باطل ، والصحيح أن هناك بعث ونشور وحساب وجزاء ، وجنة ونار! قالت: يا أماه ، وما فائدة هذا الاعتقاد إذا لم يظهر أثره على سلوك الإنسان وتصرفاته ، وفي أدائه للصلاة ومحافظته عليها في أوقاتها؟! ألم يقل سبحانه وتعالى:(إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)؟! فتأملت كلامها فوجدته هو الحق ، وأثر ذلك عليّ ، فأصبحت والله الحمد بعد هذا الحوار من المحافظات على الصلاة والسنن الرواتب ، وأدعو الله أن يثبتني على ذلك. لقد أخذ الله بني إسرائيل فقال لهم: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟) قال ابن كثير ما نصه: (معناه: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر - وهو جماع الخير - أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله؟ {أفلا تعقلون} ما أنتم صانعون بأنفسكم ، فتنبهبوا من رقدتكم ، وتنبصروا من عمايتكم؟ وهذا كما قال قتادة في قوله تعالى: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} قال: كان بنوا إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه ، ويخالفون ، فعيرهم الله عزّ وجلّ. وقال ابن عباس: {وتنسون أنفسكم} أي تتركون أنفسكم {وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون} أي تهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم ، أي وأنتم تكفرون بما فيه من عهدي إليكم في تصديق رسولي ، وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي. وقال الضحّاك عن ابن عباس في هذه الآية: يقول أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة وتنسون أنفسكم. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشدّ مقتاً ، وقال عبد الرحمن بن أسلم في هذه الآية: هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل سألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة أمره بالحق ، فقال الله تعالى: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}؟ والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ، ونبّههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له ، بل على تركهم له ، فإن الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم ، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ، ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام: {وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت}. فكلّ من الأمر بالمعروف وفعله واجبٌ ، لا يسقط أحدهما بترك الآخر ، على أصح قولي العلماء من السلف والخلف. وذهب بعضهم

إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهي غيره عنها ، وهذا ضعيف. والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله ، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، قال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحدٌ بمعروف ولا نهى عن منكر. قلت لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية ، لعلمه بها مخالفته على بصيرة ، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم ، ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْعَالَمِ الَّذِي يَعْلَمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ كَمَثَلِ السَّرَاجِ يَضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرَقُ نَفْسَهُ). رواه الطبراني في الكبير ، وهو غريب من هذا الوجه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مررت ليلة أسري بي على قوم تُفَرِّضُ شَفَاهِمَهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ). رواه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك).هـ. فأنشدتُ ألوَمُ الأم على لسان الفتاة.)

بذلت نصحك بالترغيب واللين	لتحملينا على الأخلاق والدين
وكم وعظت قلوباً غاب واعظها	واسبدالته بالهدى شرع الفراعين!
وكم سالك بناس سبيل عزتنا	حتى هجرنا دروب الخزي والهون!
وكم تحملت - في الإرشاد - من مكن!	وكم تخولت بين الحين والحين!
وكم تتبع ما عاينت من شبهه!	تفندين بإيضاح وتبيين
وما مللت ، وإن ملت مسامعنا	من السماع لألوان البراهين
وما ينست من الهداية ، اختلطت	بما ترسخ من كيد الشياطين
حتى ظنناك أم المؤمنين ثقي	جاءت لتدعونا بالرفق واللين
كم اكتشفنا الذي تحيين من ضلل!	إذ الكلام بفعل غير مقرون
تخالفين الذي تلقين من مثل	وتدحضين مناقيل الموازين
أنسيت نفسك مما تأمرين به	هل دعوة الغير صارت محض تدشين؟
هذا هو الدين عند الله فانتبهي	ولا تردّي - على الصحيح - بالدون
فتابست الأم ، والرحمن باركها	وأجر رب البرايا غير ممنون

شرح تحفته وزوجه ابنته

(إنها قصة العالم علاء الدين الكاساني الذي برع في علمي الأصول والفروع ، تلميذ علاء الدين السمرقندي مؤلف تحفة الفقهاء. شرح التلميذ التحفة فكانت مهراً لابنته فزوجه له. فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي ، مؤلف تحفة الفقهاء ، والمتوفى سنة 539. فكانت ابنته فاطمة فقيهة عالمة ، تفقّهت على أبيها وحفظت تحفته. وقد زوجه والدها تلميذه علاء الدين الكاساني الذي برع في علم الأصول والفروع ، وصنف كتابه العظيم بدائع الصنائع) ، وهو شرح تحفة الفقهاء ، وعرضه على شيخه ، ففرح به كثيراً ، وجعله مهراً لابنته ، التي طلبها جماعة من ملوك بلاد الروم ، فامتنع والدها وأثر تلميذه هذا عليهم ، وقال الفقهاء في عصره (شرح تحفته وزوجه ابنته). وكانت قبل زواجها تشارك والدها الفتوى ، فتخرج وعليها خطها وخط أبيها. فلما تزوجت صاحب البدائع كانت الفتوى تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها ، وكان زوجها يخطئ ، فترده إلى الصواب! وشيئاً طيباً أن تتعلم المرأة على يد أبيها علوم الشريعة! وأطيب منه أن يكون العلم والنوع فيه صداقاً لها يوم تصبح عروساً! فهل فطن إلى هذه القصة وسبر أغوارها وخبر كنهها وحقيقتها آباء زماننا هذا الذي أصبح فيه سمّت عام وهو التغالي في المهور والعياذ بالله! الأمر الذي جعل مجتمعاتنا تعاني من مشكلة العنوسة بنسبة كبيرة وخطيرة! إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد! ورحم الله زماناً كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزوج الرجل بما معه من القرآن! ذلك الزمان الذي اعتبر مهر أم سليم أم أنس بن مالك أعلى مهر في الإسلام لماذا؟ لأنها كانت سبباً في إسلام أبي طلحة العريس المتقدم لها وكان يومها على شركه! فقالت: ما مثلك يرد ولكن ألا تستحيي تعبد شجرة؟ إن أسلمت فذلك مهري! فأسلم الرجل).

هذا الزواج - ببذل الخير - مبرور	والقلب - من ذكره - ساج ومقرور
لولا الثقات - على تدوينه - اتفقوا	ما صدق العقل ما قال المغاوير
حقيقة كُتِبُ التاريخ تنقلها	عسى يكون لها - في الناس - تأثير
إن الغلاءيين بالمناقب اتصفا	والخير - في سيرة الشهمين - موفور
لكنني حرت من في الجود خيرهما؟	وكم تحير أفكاري المعايير!
هل الذي جاد بالعلوم محتسباً	فسعيه - عند رب الناس - مشكور؟
أم الذي جاد بالبئيرة ارتبطت	بالزوج ، والبضع بالشروح مهور؟
يا ليت قومي بما فعلتما عملوا	كيلا يكون - بهذا الأمر - تقصير
سل العوانس في البيوت في غصص	تُدمي الفؤاد ، وهذا الظلم مشهور

تهفو إلى ظله ، والحال ميسور
إذ عاقه - عن حياة البنات - تعسير
ولم تعقهم - عن الجمع - المحاذير
فبالدنانير تُستعلى المقادير
وماله - بين أهل الأرض - توقير
كما تفرد - بالعلم - النحارير
وهو الذي - بجميل الوصف - مذكور
إذ جُرمه - عند أهل البيت - مغفور
فمثل هذا - له - ظهر وجمهور
إذ لا يخالطها زيف ولا زور
إذ لا تعز - على ذي الثروة - الخور
وماله - في نوادي القوم - تعبير
كأنه - عند كل الناس - شرير
لأن قول الفتى - في الناس - مَوتور
كأنما سرّدها - في الأصل - مبتور
ودونه تُغلق الأبواب والدور
والله يعلم ما تحوي الأسارير
والكل - عند مليك الناس - مأجور
وفي اتباع الهدى اليسار والنور
من علمهم - في صحيح الكتب - مذخور

ما بين راغبة في الزوج باكية
وبين يائسة من الزواج نأى
أباؤهن - بجمع المال - قد شغلوا
بالمال قد وزنوا الرجال قاطبة
من عنده مائة ، فسعره مائة!
مهما تفرد بالعلوم يدرسها
ومن يخز ألف ألف عز جانبه
ولا يهيم إذا ما كان ذا سفه
هو المُشفع إن شفاعته عرضت
وهو المصدق في الأقوال يُطلقها
وهو العريس لأحلى عادة عُرفت
وصاحب العلم - في الأمصار - مُجدل
وليس تُقبّل - عن عمد - شفاعته
ولا يُصدق في قول ولا كلام
وإن روى ليس تُرضيهم روايته
ولا يُخطب إن هاج الزواج به
أما العلاءان فالتقوى سمّت بهما
تجرّدا لرضا الرحمن في دأب
وللعروس ثواب لا حدود له
فبارك الله في أعلام شِرعنا

إن غاب سيده فأنا سيده

(إنها إرعادة أم الفضل بن العباس لأبي لهب! لقد كانت لها مكائنها في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيل عندها وذات مرة أخبرته بحلم رآته فقالت: يا رسول الله رأيت كأن عضواً من أعضائك في بيتي! فقال صلى الله عليه وسلم: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً وترضعه بلبان ابنك قثم. فولدت فاطمة رضي الله عنها الحسين رضي الله عنه وأرضعته أم الفضل مع أخيه قثم رضي الله عنه، والذي كان يُشبه النبي صلى الله عليه وسلم. وسبب قصيدتنا موقف عاشته أم الفضل، إنه موقفها مع أبي لهب لما ضرب أبا رافع الذي كان مولى العباس. فضربت أبا لهب وشجته في رأسه فمات بعد أسبوع قائلة: أنت استضعفته لما مات سيده. كانت زوجة العباس وأبناؤه يكتمون إسلامهم بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتخطيط حكيم مدروس، ليتعرفوا على أسرار المشركين، وجاءت الأخبار بهزيمة قرش، وأوصت أم الفضل بنيتها ومولاها أبا رافع أن يكتموا فرحتهم بتلك الهزيمة، اتقاءً لشر المشركين، وخصوصاً أبا لهب الذي كان يتنزى حقداً وكراهية وكيداً لمحمد (صلى الله عليه وسلم) وصحبه ودعوته. ولكن مولاها أبا رافع لم ينج من بطش أبي لهب، إذ أبدى فرحته بانتصار المسلمين، قيل أنها رضي الله عنها لم يسبقها إلى الإسلام من النساء سوى خديجة رضي الله عنها وفي البخاري ما يدل على أنها من المسلمات الأوائل إذ يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان". وقد قال عنها الإمام الذهبي رحمه الله: (كانت أم الفضل من عليّة القوم). ويروى أنها رضي الله عنها كانت حُبلى بابنها عبد الله عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم محاصراً في الشعب مع بني هاشم فجاءه العباس رضي الله عنه وقال: "يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل". فقال صلى الله عليه وسلم: "لعل الله أن يقر أعينكم". قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان أبو لهب - عدو الله - قد تخلف عن بدر فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته - أذله - الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً. وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاء من أنباء نصر الله للمسلمين فجاء أبو لهب ولم يصدق أنباء النصر وجاء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال أبو لهب: إليّ يا ابن أخي ما خبر الناس؟ فقال: ما هو إلا لقينا رجال حتى منحناهم أكتافنا ولقينا رجال على خيل بلق بين السماء والأرض. فقلت: تلك الملائكة! فلطمني أبو لهب لكمة شديدة وطفق يضربني فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فشجت رأسه شجة منكراً وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيده فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله. فلما أعجبني موقف أم الفضل أنشدت أقول:

إن هذا هو الدليل الوافي أن فضلي تُزري بالاستضعافِ
تنصر الحق في جحيم التجني ثم تستعلي بالجلال الضافي
إيه (يا أم الفضل) أحرزت مجداً رانعاً في عز وفي استشراف

في التعدي بالظلم والإجحاف
عن قريب من القريب الجافي
ويخصّ المظلوم بالإتصاف
مشرك القلب يحتفي بإساف
عندما غاب سيد الإشراف!
شاكياً لله العزيز الكافي
هل يُجازي الكفوف بالأسياف؟
مثل صيد الرجال والأسلاف؟
إن بأس الضرغام ليس بخاف!
مؤنة الرد بانتصار شاف
شجّت الرأس ، قصّدها أن توافي
في مكان المولى أعي ، وأكافي
وأصون عرضي ، وأحمي عفاي
وأصيّد الفرسان بالآلاف
ثم سائل عني القرى والفيافي
طيبات السيماء والأوصاف
رب حقق هذا الدعاء الصافي!

لم تبالي بالباطل الفظ غالي
لم تخافي عواقب الأمر تأتي
بل جهرتِ بالحق يردع ظملاً
غاب مولى المظلوم عن عين عاتٍ
فاعتدى ، لم يخط ، ولم يتردّد
واستكان المولى لكفّ جبان
هل يردّ صاع التجني بصاع؟
هل يصدّ العدوان دون أكتراثٍ
قادرٌ هذا أن يردّ ، وربّي
غير أن الجبار فوراً كفاه
وبكف الفضلى التي لم تجاملن
ثم قالت: مولاه غاب ، وإنّي
في مقام (العباس) أرعى ذمّاري
وأصدّ الطغيان عن كل مولى
واسأل الخيل والمعامع عني
أنتِ يا (أم الفضل) حُزتِ السجايا
فعليكِ رضوان رب البرايا

الشافعي مناظراً

(في كتاب قصص الصالحين للأستاذ الدكتور مراد ص 172 ، أن الشافعي ناظر بعض الحاقدين عليه بحضرة الرشيد فسألوه عشرة أسئلة فأجابها ثم سألهم سؤالاً واحداً فعجزوا: (يُحكى أن بعض العلماء في العراق كانوا يحقدون على الإمام الشافعي لأنه تربّع على قلوب طلاب العلم ، ولذلك اتفقوا على تحضير بعض الأسئلة الفذة المعقدة ليختبروا ذكائه ، امام الخليفة الرشيد ، وهذه الأسئلة هي: * السؤال الأول: ما قولك في رجل ذبح شاة في منزله ، ثم خرج لحاجة وعاد ، فقال لأهله: كلوا أنتم الشاة ، فقد حرمت عليّ؟ فقال أهله: ونحن حرمت علينا كذلك. إجابة السؤال: إن هذا الرجل كان مشركاً ، فذبح الشاة على اسم الأتصاب وخرج من منزله لبعض المهمات فهده الله تعالى إلى الإسلام وأسلم فحرمت عليه الشاة ، وعندما علم أهله بإسلامه أسلموا هم أيضاً فحرمت عليهم الشاة كما حرمت عليه. * السؤال الثاني: ما قولك في رجل له غلام ، فقال: هو حر إن أكلت الطعام حتى أجده فكيف المخرج له عما قال؟ إجابة السؤال الثاني: يهب الغلام لبعض أولاده ثم يأكل! ثم بعد ذلك يسترد ما وهب. * السؤال الثالث: شرب مسلمان عاقلان خُران الخمر يحد أحدهما ولا يحد الآخر. إجابة السؤال الثالث: إن أحدهما كان بالغاً والآخر صبيّاً. * السؤال الرابع: لقيت امرأتان غلامين فقالتا: مرحباً يا ابني وزوجينا ، وابني زوجينا. إجابة السؤال الرابع: إن الغلامين كانا ابني امرأتين فتزوجت كل واحدة منهن بابن صاحبتها ، فكانا الغلامين ابنيهما وزوجيهما وابني زوجيهما. * السؤال الخامس: أخذ رجل قرح ماء ليشرّب فشرب نصفه حلالاً ، وحرّم عليه بقية ما في القرح. إجابة السؤال الخامس: إن الرجل شرب نصف القرح ورعف (أي تساقط الدم الأسود من أنفه) في الماء الباقي من القرح فاختلط الدم بالماء فصار مُحَرَّمًا عليه. * السؤال السادس: زنى خمسة نفر بامرأة ، فوجب على أولهم القتل ، وثانيهم الرجم ، وثالثهم الجلد ، ورابعهم نصف الحد وخامسهم لا شيء عليه. إجابة السؤال السادس: استحل الأول الزنا فصار مرتداً فوجب عليه القتل! والثاني كان محصناً متزوجاً ، والثالث غير محصن ، والرابع كان عبداً ، والخامس كان مجنوناً. * السؤال السابع: رجل صلى ولما سلم عن يمينه طلقت زوجته ، ولما سلم عن يساره بطلت صلاته ولما نظر إلى السماء وجب عليه دفع ألف درهم. إجابة السؤال السابع: لما سلم الرجل عن يمينه رأى زوج امرأته التي تزوجها في غيابه ، فلما رآه حضر طلقت منه! ولما نظر عن شماله رأى نجاسة في ثوبه فبطلت صلاته ، ولما نظر إلى السماء رأى الهلال وقد ظهر في السماء وكان عليه دين ألف درهم يستحق سداده في أول الشهر من ظهور الهلال. * السؤال الثامن: ما تقول في إمام كان يصلي مع أربعة نفر في مسجد فدخل عليهم رجل ، ولما سلم الإمام وجب على الإمام القتل ، وعلى المصلين الأربعة الجلد ووجب هدم المسجد على أساسه؟ إجابة السؤال الثامن: إن الرجل كانت له زوجة وسافر وتركها في بيت أخيه فقتل الإمام هذا الرجل وادعى أن المرأة كانت زوجة المقتول ، فتزوج منها وشهد على ذلك الأربعة المصلون ، وأن المسجد كان بيتاً للمقتول ، فجعله الإمام مسجداً. * السؤال التاسع: أعطى رجل لامرته كيساً مملوءاً مختوماً وطلب إليها أن تفرغ ما فيه بشرط أن لا تفتحه ، أو تفتقه ، أو تكسر ختمه ، أو تحرقه ، وهي إن فعلت شيئاً من ذلك فهي طالق. إجابة السؤال التاسع: إن الكيس كان مملوءاً بالسكر أو الملح ، وما على المرأة إلا أن تضعه في الماء فيذوب ما فيه. * السؤال العاشر: رأى رجل امرأة غلامين في الطريق فقبلتهما ولما سنل

عن ذلك قال الرجل: أبي جدهما ، وأخي عمهما ، وزوجتي امرأة أبيها ، وقالت المرأة: أمي جدتهما وأختي خالتهما؟ إجابة السؤال العاشر: إن الرجل كان أبا الغلامين ، والمرأة أمهما. فأعجب الرشيد بالشافعي ، وقال: لله در بني عبد مناف ، فقد بيّنت فأحسنت ، وفسّرت فأبلغت ، وعبرت فأفصحت. فقال الشافعي: أطال الله عمر أمير المؤمنين ، إني سائل هؤلاء العلماء في مسألة واحدة ، فإن أجابوا عليها فالحمد لله ، وإلا فأرجو أمير المؤمنين أن يكفّ عني شرهم ، فقال الرشيد: لك ذلك وسلهم ما تريد يا شافعي! فقال لهم: مات رجل عن 600 درهم فلم تنل أخته من هذه التركة إلا درهماً واحداً فكيف كان النظر في توزيع التركة؟ فنظر بعضهم إلى بعض ، ولم يستطعوا الجواب ، فقال الرشيد: قل لهم الجواب يا شافعي. فقال الشافعي: مات هذا الرجل عن ابنتين ، وأم ، وزوجة ، واثنين عشر أماً وأختاً ، فأخذت البنات الثلثين أي 400 درهم وأخذت الزوجة الثمن ، وهو 75 درهماً ، وأخذت الأم السدس وهو 100 درهم ، وأخذ الأخوة الاثنا عشر 24 درهماً ، فبقي درهم واحد أخذته الأخت. فبتسم الرشيد ، وقال: أكثر الله في أهلي منك ، وأمر بألفي دينار فتسلمها الشافعي ووزعها على خدم القصر وحاشيته. وكانت للشافعي فراسة احتار فيها من شهوده! فهذا أبو نعيم في كتابه (حلية الأولياء) ينقل عن الشافعي أنه لما انتهى من تعلم الفراسة في اليمن مرّ على رجل في الطريق استضافه في بيته وأكرمه كرماً شديداً. لكن الشافعي رحمه الله تعالى كان قد تفرّس في طبائع الرجل وعلم منها أنه ذو طبع خبيث ولئيم. فجعل يتقلب رحمه الله في فراشه طوال الليل وهو يقول: ما أصنع بهذه الكتب لو خابت فراستي في الرجل؟ لكنه لما أصبح وعزم على الرحيل قال الشافعي للرجل من باب رد الجميل: إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فاسأل عن الشافعي ، فقال له الرجل وقد بانته حقيقته: وهل أنا مولى لأبيك؟ وقدم له فاتورة استضافته: الطعام بدرهمين ، وعطر بثلاثة دراهم ، وعلفاً لدابتك بدرهمين... وهكذا! وختم كلامه بثتم الشافعي رحمه الله تعالى. فقال الشافعي لغلامه أعطه ما يريد ، وفرح رحمه الله تعالى بكتب الفراسة التي جمعها وعرف أنه لم تخب فراسته. وكان من أقواله المأثورة رحمه الله تعالى في علم فراسة الأبدان: احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكوسج ، وكل من به عاهة (خاصة من ولد بها) في بدنه. وقد جاءه رجل مرة ليسأله عن مسألة شرعية ، فقال له الشافعي رحمه الله: هل أنت نساج؟ فأجابه الرجل قائلاً: نعم وعندي أجراء. وجاءه مرة رجل يسأله مسألة فقال له الشافعي: من أهل صنعاء أنت؟ فقال: نعم. قال الشافعي: فلعلك حداد؟ قال: نعم! والحقيقة أن المناظرة تعتمد على مؤهلات منها الفراسة! فلو لم تكن عنده فراسة وحس وتخمين لما كان يسيراً عليه أن يُناظر!

ليست الفتوى هوى أو عنجهية	أو مجارة كعُرف الجاهلية
إنما الفتوى انضباط والتزام	بالذي أوحاه ديّان البرية
واسألوا التاريخ عن أهل ارتزاق	تاجروا بالدين يا للفوضىّة!
واستابخوا الحق ظلماً والمعالي	واسـتـكانوا للعطـاءات الغويّة
واسـتـبدوا كي يـضـلوا الناس عمداً	إنهم صدقاً عديمو الأريحية

جَدَدُوا الدِينِ ، وما باعوا القضية
بنفسوس تعشقُ الحقَّ أبيبة
مَنْ سما في الناس مثل الشافعية؟
إذ لهُ علمٌ يُغذّي مذهبية
مُخلصاً ديناً وسَمْتاً بعد نيّة
إن نشر العلم نعم العبقريّة!
برضا نفس عن المولى رضية
ليس - في الإسلام - يرضى بالدينية
في يدٍ سهمٍ ، وفي الأخرى هدية
مُسْتَمِيتاً في القضايا الجوهرية
رغم أنف الكيد فوق العنجهية
عشرة الألفاظ كلّ كالمنيّة
تُعجز الأفتاذ أهل الألمعية
بإجاباتٍ حسانٍ منطقيّة
ليس يحتاج سوى بعض الرويّة
حيث إن العجز خذلّ وبليّة
مُنهيّاً بالرد أنكي مسرحية!

لكن الأفتاذ من أهل المعالي
بل أبانوا الحق في كل صعيدٍ
(وابن إدريس) على رأس النشامي
و(الإمام الشافعيّ) حاز مجداً
بين أهل العلم والفقهُ تسامى
ناشراً - في الناس - علماً لا يُبارى
بإذلاً - في دعوة الناس - الغوالي
مُفجماً خصماً يُنادي بالتدني
موقناً بالنصر في ساح التحدي
صامداً في وجه من يُغري بكيدٍ
واثقاً أن الهدى لا شك يعلو
فإذا بالخصم يُبدي ما يُواري
قد أعدت - كالأحاجي - باقتدارٍ
فإذا بالفنذ يبلو كل لغز
سائلاً من سَعَرُوا البلوى سؤالاً
فإذا بالقوم يُبدون التآبي
فإذا الفنذ بما ألقى عليهم

ضحايا الإتيكيت

(إنها قصة حقيقية نشرتها جريدة الخليج بتاريخ 26 / 2 / 1987م ، تبرهن على مدى ما وصل إليه بعض الناس من عبادة الإتيكيت من دون الله تعالى. دعيت سيدة تونسية في إحدى مدن الساحل الى حضور حفل عيد الميلاد ، فاصطحبت ابنها الصغير ، وفي خضم الحفل وعند عرض مائدة الحلويات والمرطبات تجمّع الكبار والصغار ، وسال لعاب الجميع! وببراءة الأطفال تقدّم الطفل قليلاً ومد إصبعه فلمس شيئاً من الحلوى إلا أن صاحبة الحفل احتجت على ذلك! ونعتت الطفل بانعدام التربية وقلة الأدب ، ولامت أمه على اصطحابه. وتفرّق الحفل في أمره. وبمجرد دخول الأم إلى المنزل انهالت على فلذة كبدها ضرباً ورفساً وركلاً حتى لم يعد المسكين قادراً على الحركة فألقت به في سريرته وغطته ، ورجع أبوه من عمله وسأل عنه ، واتجه إلى السرير لإيقاظه فإذا هو جثة هامدة ، وكان رد فعله عنيفاً فقد خطف طنجرة كانت تغلي فوق الموقد ، وصبها على الأم القاتلة فأصابتها حروق بالغة عجزت المجهودات الطبية عن إسعافها حيث كانت من الدرجة الأولى! فلحقت بابنها وتركت زوجها في السجن! فتعساً للإتيكيت الذي أودى بأسرة بأكملها! وكانت تكفي آية من كتاب الله: (كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم)! وكان يكفي الدفاع عن الطفل بعبارات رقيقة لطيفة ، حتى لو قوطع الحفل بما فيه وبمن فيه ، ولا أن يكون لدينا قاتلان وقتيل وسجين! ولكن ماذا نقول لأقوام جعلوا من الإتيكيت اليوم وثناً يعبد في الأرض من دون الله؟! فهالني ما قامت به الأم الفتيلة في معالجة الموقف تلك المعالجة السيئة فأشددت من شعري أقول:)

وَجِلّ مَا عَمَلْتَهُ بِاسْتِشْرَافِ	إِبْلِيسُ يُكَبِّرُ مَا أَتَتْ وَيُكَافِي
بِلِهَاءِ تَحِيّافِي دَجِي الإِجْحَافِ	وَيُبَارِكُ الأَفْكَارَ قَدْ أَوْصَى بِهَا
حَتَّى اسْتَجَابْتَ لِلدَّمَارِ الضَّافِي	مَا زَالَ يُوعِزُ بِالْوَسَاوِسِ صَدْرَهَا
(إِتْكِيت) أَهْلِ الحَفْلَةِ الأَشْرَافِ	قَتَلْتَ غَلَاماً يَافِعاً لَمْ يَمْتَثِلْ
تَخْتَالُ فِي مَرَحٍ وَفِي اسْتِظْرَافِ	قَتَلْتَهُ مَا رَحِمْتَ طِفْولْتَهُ التِي
بَلْ إِنَّهُ أَعْتَى مِنَ الأَوْصَافِ	رَكَاتِهِ رَكَالاً لَا سَبِيلَ لَوْصَفِهِ
لَكِمَاتُ ذَاتِ حِوَاظِرٍ وَخِفافِ	وَعَلْتَهُ بِالكِمَاتِ تَعَقَّبَهَا الدِّمَا!
وَالصِّدْرُ نُقَّ وَعَظْمَةُ الأَكْتِافِ	فَتَهَشَّمَتْ مِنْهُ العِظَامُ رَقِيقَةً
فَاجْتُثَّ مِنْهُ قِوَادِمٌ وَخِوَاظِ	وَكَأَنَّهُ العِصْفُورُ نُقَّ جَنَاحُهُ
وَمِنَ الدِّمَاغِ ارْفِضْ سَيْلُ رِعاظِ	وَدِمَاؤُهُ سَالَتْ تُبَالُ ثُوبِهِ

نَزَفَ عَلَيْهِ مَعَالِمُ اسْتِنَافٍ
فِي جَوْلَةٍ دَوْلِيَّةِ الْأَهْدَافِ!
وَتَخَصَّصَهُ بِالْوَدِّ وَالْإِيْلَافِ؟
مَمزُوجَةٌ بِجَمَالِ الْإِسْتِعْطَافِ
كَالرَّوْضَةِ الْمُزْدَانَةِ الْمِنْنِافِ
وَتَقَنَّنَتْ فِي الطَّبِّ وَالْإِسْعَافِ
وَفَعَالَهَا تَلِكِ الدَّلِيلِ الْوَوَافِي
رُوكْسَانِيَّةً ، وَتَفِيدَةً ، وَعَفَافِ
فَرَمَى بِطَسْتِ الْمَاءِ ، يَا لَلْجَافِي!
فَالْتَفَتِ النِّيْرَانُ بِالْأَعْطَافِ
وَاسْتَأَثَرَتْ بِالرِّيْشِ وَالْأَفْوَافِ
مَنْ أَيَّن تَأْتِي قَطْرَةَ اسْتِنَافِ؟
مِثْلَ الْعُرُوسِ شَدَّتْ بِيَوْمِ زَفَافِ
وَشَوَى الْمَفَاتِنِ بِالسَّعِيرِ الطَّافِي
رُوحاً لِبَارِيهَا الْإِلَهِ الْكَافِي
إِذْ لَيْسَ مِنْ نَقْضٍ وَلَا اسْتِنَافِ
إِذْ جَفَّ دَمْعُ الْمَدْمَعِ الْذَرَفِ
لِيَذُوقَ عَاقِبَةَ السَّلُوكِ الْجَافِي
وَمَنْ الذِّي نَدَعُوهُ غَيْرُ الشَّافِي!؟

وَكَأَنَّهُ فِي بَرَكَةٍ دَمُويَّةٍ!
وَإِذَا تَرَى الْكِدْمَاتِ قَلَّتْ: مُصَارِعُ
هَلْ هَذِهِ أُمَّ تَحِبُّ وَحِيدَهَا
وَتُحِيطُ بِهِ بِأَمُومَةٍ فَيَاضِيَّةٍ
وَتَرَاهُ فِي الْبَيْتِ الْحَيَاةِ ، وَأَنْسَاهَا
وَإِذَا أَصِيبَ أَتَتْهُ تَسْتَبِقُ الْخَطَا
أَمْ أَنْهَاهَا - صَدَقاً - عَدْوَةَ طِفْلَهَا
صَرَعَتْهُ إِذْ لَمْ يَحْتَرَمْ ذُوقَ النِّسَا:
وَأَبُوهُ جَاءَ ، فَلَمْ يُطِيقْ مَا قَدِ رَأَى
حَتَّى يُجَرِّعَ زَوْجَةَ كَأْسِ الرَّدَى
وَتَحْرَقَتْ - بِالنَّارِ - كُلَّ ثِيَابِهَا
وَطَغَتْ جِرَاحُ الْجِسْمِ دُونَ تَلَطُّفِ
وَطَفَتْ بُثُورٌ شَوْهَتْ حُسْنَ زَهَا
وَالطَّفْحُ أَوْدَى بِالْجَمَالِ ، وَغَالَهُ
ثُمَّ اسْتَكَانَتْ لِلْحِمَامِ ، وَأَسْلَمَتْ
وَاقْتِيدَ لِلْسَّجْنِ الْحَلِيلِ عَقُوبَةَ
يَبْكِي هُنَالِكَ - بِالْدمَاءِ - مُصَابِهِ
مَسْتَسْأَلِماً لِمَصْـيَرِهِ وَعِقَابِهِ
رَبِّ اشْفِنَا مِنْ شَرِّ أَوْجَاعِ الْوَرَى

الزواج الثاني هو الحل

(ص36 من حدث في المحكمة قصة القاضي الذي أدرك سر الخصام بين زوج أشيب وزوجته العجوز ، وكان الحل هو الزواج الثاني الذي أمر به أبناؤهما الثلاثة: (ثلاثة رجال يعلوهم الوقار يمشون خلف أبيهم وأهم بكل هيبة وكرامة وإجلال ، والأم تشتكي الأب! والأم ذات سبعين خريفاً والأب يزيد عليها شيئاً يسيراً يختصمان والقاضي والأولاد لا يعلمون سر الخصام ، ولكن القاضي حاول جاهداً أن يصلح بينهما إلى اتفاق الزوجين أن ترعاها زوجة ثانية تقوم بحقوق الزوج وتكون بنتاً للزوجة الأولى ، وتقدم الأولاد بعد ما أذن لهما القاضي بالدخول ، ورغب منهم أن يزوّج أباه ، وتقدموا لأهم وقالوا: تأذنين لنا أن نزوّج أبانا عليك وترضين بهذا ، قالت: نعم فقبلوا يدها ورأسها ثم قالوا لأبيهم: ألك قدرة على الزواج ، قال: يا أولادي الشيخ أبخص (أدرى) ، ثم نظروا إلى القاضي ، وقالوا نخشى من عاقبة الأمور ، فقال القاضي: التمسوا له زوجة تليق بمثله وتصلح له ، فاستجابوا للقاضي وتزوّج هذا الشيخ الكبير الذي جاء في الجلسة الأولى شاكياً مشتكياً يتوكأ على عصاه ويتميل ووجهه أسود ، بل ويزداد سواداً من القهر والغضب ، جاء إلى الجلسة الثانية تصحبه الزوجة الثانية ومعه أم الأولاد ، وقد تجمل بأزهى زينته وترك عصاه وراءه ظهرياً ، وقد نشطت الزوجة الأولى ، فكان أن ذكرت الزوجة الأولى للقاضي أنها تعيش في خير وسعادة ، وأن هذه الزوجة الثانية كابنتها تقوم بخدمتها والإحسان إليها وتكفيها مؤونة زوجها ، وكان الأمر أن حمد الزوج ربه ، وأثنى على الله بما هو أهله ، وخرجوا جميعاً يدعون للقاضي ، ويلهجون بالثناء والشكر ، والأولاد في نظراتهم العجب والاستغراب ، لأنهم لتوهم أدركوا سر الخصومة الأولى ، فله الحمد رب السماوات والأرض ، والله في خلقه شئون ، وللاذكاء في هذا التعبير عظة وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وكان من ذوي الأبواب ، نسأل الله أن يصلح الأحوال ، وأن يصلح المال! وأنا أقول بأنه في مثل هذه السن لا يكون الزواج الثاني هو الحل! ولربما كان أشيب قصيدتنا حالة خاصة فريدة من نوعها! ولكنه توفيق الله أولاً وآخرأ ، ثم نكاه القاضي اللماح الذي أدرك بما يوضع بين يديه من حقائق أن الحل يكمن في الزواج! ولئن كان الرأي قد بدأ به الأبناء وقد درسوه دراسة وافية مستفيضة! أنشدت من شعري في هذه المناسبة لسان القاضي وتخيلته يقول للأبناء بطريقة مباشرة زوّجوا أباكم!)

صَدَقُوا قَوْلِي دُونَ مَا اشْتَمَنَزَا
إِنِّي طَوْعاً قَلْتَهُ بِاعْتِزَا
زَوْجُوهُ تَنَأَى الْبَلِيَّاتِ عَنكُمْ
إِنْ هَذَا هُوَ الدَّوَاءُ الْعَازِي
لَيْسَ شَيْئٌ يُرَدِي الْهَنَابَ التَّلَاحِي
وَالْحَيَاةُ تَشْقَى بِالْأَسْرِ تَفْزَا
كُلُّ يَوْمٍ مَشَاكَلٌ وَاحْتِرَابٌ
وَأَنْتَهَاكَاتٌ مَا لَهَا مِنْ مَفَا
زَوْجُوهُ يَخْلُو لَكُمْ وَجْهٌ أَمْ
وَتَذُوقُوا بِحُبُوحَةِ الْإِعْزَا
أَقْنَعُ الْقَاضِي أَمَكُمْ ، فَاسْتَرِيحُوا
لَا تَصْدُوا الْإِقْنَاعَ بِأَشْمَنَزَا

ويذّر الأشعارَ في ذي المَجَازِ
ولثاني الزوجات بعضُ انحيازِ
ممسكٌ - فوق الدرب - بالغَازِ
ليس هذا - في حُبّه - بانتهازي!
إن قيساً يرعى الهوى ، ويُجازي
ليبيوء الزوج بالإنجازِ
ربما فاتت أمسيات التعازي
رب عُرس يأتيه بالإعزازِ
ثم بات لغزاً من الأغازِ!
كيف منها نحظى ببعض احتزازِ؟
لا يبالي بساخر أو هزازي
ثم جاؤوا بالبنت من (شيراز)
حُسنها الباهي فاق أسمى مجازِ
لعجوز شيخ بأرض الحجازِ
كالغزال سطا عليه البزازي
زوجته بها بغير جهازِ
كغيوثٍ تغشى رُبما الأجرازِ

شبيبة يحده التصابي ، فيهوى
يتمنى ، والأمنيات عذابِ
سائر (رومي) نحو (جوليت) يهذي
مسعداً لأجلها أن يُضحي
عازماً أن لا يستهين بـ (ليلى)
بإذلاً أغلى التضحيات احتفالاً
باركوا يا أبناء للصب طوعاً
أسعدوه بالعُرس يغدو شباباً
كم شباب والشيبُ اضناه عجزاً
ليس شيئاً من الهوم تدسى
أشيبٌ فيه صوبة تتهادى
فاستجاب الأبناء - للنصح - فوراً
عادة - في الجمال - ليست تُبارى
أرجعت أطياف السنين الخوالي
صاها من بين الصبايا عروساً
ثم عاشت لزوجه خير بنتٍ
والخيورُ فاضت عليه تباعاً

سارق الغنم

(ص 38 من (حدث في المحكمة) لسلمان العمري. تأتي قصة صاحب غنم ذهب ليبيعهها. وفي الطريق التقى برجل افترض فيه الخير ليساعده على البيع! وفي النهاية سرقت الغنم. خرج من بيته صباحاً على سيارته (الداتسون) ومعه غنم فلقي شخصاً من إحدى البلاد وأركبه معه ، ولأنه هو الذي طلب أن يركب معه فأذن له أن يركب بشرط أن يعينه على أن يمسك معه غنمه وينزلها في سوق الغنم في إحدى البلدان المحاذية لطريق الحجاز فاستجاب له ، فلما وصل إلى حراج الغنم وبدأ المحرّج أو الدلال ينادي على البيع ، وكان الدلال كلما وصل إلى رقم التفتت إلى صاحب الداتسون وقال: أتبيع بهذه القيمة؟ فيلتفت صاحب الداتسون إلى الذي كان معه راكباً ويقول: لا يا أخي يرفض صاحب الحلال يريد أكثر ، فيلتفت إلى دورة المياه! وبقي الرجل الذي ركب معه ، فيقول: تبيع ، فيقول: لا ، أريد أكثر! واستمر على هذا الحال حتى ذهب إلى دورة المياه وبقي الرجل الذي ركب معه ، وأخذ الدلال ينادي عليها فالتفت إليه أخيراً وقال: تبيع؟ قال: نعم فأخذ القيمة وأدخلها في جيبه وولى هارباً ولم يعقب! ثم جاء صاحب الداتسون ، وقال: أين الغنم؟! قال: بيعت. فقال صاحب الداتسون: والقيمة ، قال: سلّمت لصاحبها ، ألم تقل: لنا قبل قليل إن هذا هو صاحبها ، وكل من في السوق يشهد عليك ، قال: إي والله قلت ذلك وكذبت طمعاً في زيادة المال! فأستحق هذه العقوبة! فذهب خاسراً نادماً على كذبه وهو يحوقل ويولول أنه كذب فجوزي بهذا العقاب ، وذهب ذلك الذي أخذ المال وعرض زاعماً لنفسه أنه كسب الغنميتين وصولاً لمشواره مجاناً والنقود التي أخذها وأدخلها في جيبه ، ونسي المسكين أنه يدخل في جوفه ناراً وأنه يطعم أهله من هذا المال الذي يكون لهم حلالاً وعليه حراماً وينوء بوزره وإثمه ، نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية والسلامة ، ولهذا فإن الصدق منجاة ، وهو أعظم طريق يصل به المؤمن إلى الجنة! والصدق له قيمة عظيمة في ديننا! ولا يكون المؤمن كذاباً إذ الكذب يتنافى مع الإيمان! عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: (قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: "كل مخموم القلب ، صدوق اللسان" ، فقالوا: صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب؟ قال: "هو التقي النقي ، لا إثم فيه ، ولا بغي ، ولا غل ، ولا حسد) (قالوا: فمن يليه يا رسول الله؟ قال: "الذي يشنأ الدنيا ، ويحب الآخرة" ، قالوا: ما نعرف هذا فينا إلا أبا رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: فمن يليه؟ قال: "مؤمن في خلق حسن"). والحديث صحيح. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يدع الخنا والكذب ، فلا حاجة لله - عز وجل - في أن يدع طعامه وشرابه". والحديث صحيح. وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "ما كان خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ، ولقد كان الرجل يحدث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذبة ، فما يزال في نفسه [عليه] حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة". والحديث صحيح. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "التاجر الصدوق الأمين ، مع النبيين والصديقين والشهداء". والحديث صحيح. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى

الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً". والحديث صحيح. ونسأل الله أن نكون من الصادقين! ومن هنا أنشدت من شعري هذه الموعظة الشعرية لهذا الرجل الذي بكذبه أودى بماله وحلاله! فليعتبر بهذه الكذبية ولينتهج الصدق درباً وليحذر الكذب والكاذبين!

هداديك يا من رميت الغنم	وخلّ الجوى والأسى والألم
أفترضُ الخير في سارقٍ	بأعتى جرائمه مُتهم؟
أتجعل منه البرئ الذي	قلا الفحش - بين الورى - واللمم؟
أُعطيه سِرَّكَ مُسْتغنياً	عن النصح يدفع عنك النقم؟
أثلقي الأمان على ظالم	عديم الوفا خائن مجترم؟
أثُكِّبُ مسـتـئماً غـادراً	وبين يديه تسوق الغنم؟
ليس لب منك القطيع ضحى	وتأتي المحاكم كي تختصم؟
ألم تسأل النفس عن جهلها	بسَمت التعامل بين النسم؟
ولم يكن الأمر مستغلقاً	عليك ، ولم يكُ بالمنبهم!
لتسأل عنه وعن دينه	وتعلم ما عنده من قيم
لأن الخلائق ليست سوا	ولا يستوي النذل بالمحترم!
طبائع في الناس قد رُكِّبت	فسبحان خالقهم من عدم!
فأوصافُ أغلـبهم تُزدرى	ويلفظها كل فـنـهـم
وبعضُ المخاليق في عِزةٍ	لأنهم في ربيعِ القمم
وبعضُ المخاليق في ذلّةٍ	لنـامُ الطـبـاع ، لنـامُ السـبـيم
فكيف تساوت معايرهم	فلم تدر (كيف) ، ولم تدر (كم)؟
فألم نفسك الدهر مستعباً	لقد ينفخ اللوم قبل الندم!

على دين خليله

(ص21 من (حدث في المحكمة) للأستاذ / سلمان العمري قصة الرجل الذي أغراه صاحبه بمعاقرة الخمر وبالزنا حتى مات على ذلك! (لقد كان هذا الزوج يعيش مع زوجته في غاية السعادة مع أبنائه وبنياته ، يدخل بيته فيستقبلونه بالترحاب ، ويتربع على وظيفة مرموقة ، له جاة ومكانة في المجتمع ، وذات يوم أتى إليه لصّ من لصوص القلوب ، ودعاه إلى أن يسافر للنزهة في الخارج ليستمتع بالحياة كما يقول ، وبعد أن طنطن ودندن حوله كثيراً استجاب له ، فانطلق إلى حيث الانطلاق كما يزعم الفساق الفجرة ، وإلى حيث الاختزال بكل تعاليم الدين والبعد عنها والانطلاق في رحاب الحرية البهيمية التي توفرها الحضارة المتفلتة المنحطة السافلة ، فهو لا يرفض الحضارة على حد زعم صاحبه شيطان الإنس ، وشيطان الإنس أشدّ خطراً من شيطان الجن! لأن شيطان الجن تستعيز بالله منه فيولي ، وتقرأ آية الكرسي فيُدبر ، ويسمع النداء للصلاة (الأذان) فيفارق المكان وله ضراط ، أما شيطان الإنس فتقرأ له المصحف من الأول إلى الآخر ولا يُحرك ساكناً ولا يُحري جواباً! فمزال شيطان الإنس يرقبه ويرافقه ، حتى ذهباً بعيداً عن بلاد الإسلام ، بلاد النقاء ، بلاد العفاف ، بلاد الطهر ، وهناك انتحر العفاف وماتت الفضيلة وتهشمت الحياة عندهما ، فعاشا مع البغايا والموبيقات وبات ليلة فندقية حمراء يعيش في شيء يظنه سعادة! ويظنه مشعل نور وأنس ، ولكن نسي المسكين أنه وقع في مستنقع المخدرات ، ثم لما أوشك أن يدخل بلاده عاد إليها محملاً بالأمراض الفتاكة ، فلما جاء أهله شعروا بعظيم خطره ، وأنكروه ومقتوه وكرهوه ، لأنه يريد الحياة التي اعتاد عليها ، فهو يشرب الخمر كل يوم ثلاث مرات ، ولا يعرف طريقاً إلى بيت من بيوت الله عز وجل ، ويعيش مع البغايا والمومسات ، فلما رأت زوجته علامات الأمراض عليه لفظته لفظ النواة ، وأغلقت دارها دونه وولت مدبرة لأهلها ولم تعقب ، وتبعها أولادها ، فجمع ما عنده من مال وأهلكه في المخدرات ، وأصبح العوبة في يد صاحبه هذا يعبث به كل معبث حتى استسلم أخيراً ليكون عضواً في نادي الإيدز ، وليكون قرباناً لشياطين الإنس والجن ، وليهلكه الله تعالى على سوء خاتمة. وتحت عنوان: (الصاحب صاحب) يقول الأستاذ سلمان بن يحيى المالكي ما نصه: (إن أعظم ما يعين المسلم على تحقيق التقوى والاستقامة على نهج الحق والهدى ، مصاحبة الأخيار ، ومصافاة الأبرار ، والبعد عن قرناء السوء ومخالطة الأشرار ، لأن الإنسان بطبعه وحكم بشريته يتأثر بصفية وجليسه ، ويكتسب من أخلاق قرينه وخليله ، والمرء إنما توزن أخلاقه وتعرف شمانله بإخوانه وأصفيائه ، كما قال عليه الصلاة والسلام: "الرجل على دين خليله ، فليُنظر أحدكم من يخال". [رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح]. ورضي الله عن ابن مسعود يوم قال: "ما من شيء أدلّ على شيء ؛ من الصاحب على الصاحب". ومن كلام بعض أهل الحكمة (يُظنُّ بالمرء ما يظن بقرينه). فلا غرو حينئذٍ أن يُعنى الإسلام بشأن الصحبة والمجالسة أيما عناية ، ويوليها بالغ الرعاية ، حيث وجه رسول الهدى كل فرد من أفراد الأمة إلى العناية باختيار الجلساء الصالحين ، واصطفاء الرفقاء المتقين.....لذا فإن من الحزم والرشاد ، ورجاحة العقل وحصافة الرأي ، ألا يجالس المرء إلا من يرى في مجالسته ومواخاته النفع له في أمر دينه ودنياه ، وإن خير الأصحاب لصاحبه ، وأنفع الجلساء على جليسه من كان ذا برٍّ وثقى ، ومروءةٍ ونهى ، ومكارم أخلاق ، ومحاسن آداب ، وجميل عوائد

مع صفاء سريرة ، ونفسٍ أبية ، وهمّةٍ عالية ، وتكمل صفاته ويَجَل قدره حين يكونُ من أهل العلم والأدب ، والفقه والحكمة ، إذ هذه صفات الكُمل من الأنام الذين يأنس بهم الجليس ، ويسعد بهم الصديق ؛ لإخلاصهم في المودة ، وإعانتهم على النانبة ، وأمن جانبهم من كل غائلة ، فمن وُفق لصحبة من كانت هذه صفات وأخلاقه ، وتلك شمانله وآدابه ، فذلك عُنوان سعادته ، وأمانة توفيقه فليستمسك بغرزه ، وليعضّ عليه بالنواجذ ، وليزرع له حق الصحبة بالوفاء والصدق معه ، وتوقيره وإجلاله ، وموانسته حال سروره ، ومواساته حال مصيبتيه ، وإعانتته عند ضائقته ، والتغاضي عن هفواته ، والتغافل عن زلاته ، إذ السلامة من ذلك أمر متعذر في طبع البشر ، وإن شرّ الأوصحاب على صاحبه ، وأسوأهم أثراً على جليسه ، من ضُعفت ديانتته وساءت أخلاقه ، وخُبثت سريرته ، ولم تُحمد سيرته ، من لا همّ له إلا في تحقيق مآربه وأهوانه ، ونيل شهواته ورغباته ، وإن كان على حساب دينه ومروءته ، ولربما بلغ الحال في بعض هؤلاء ألا يقيم للدين وزناً ، ولا للمروءة اعتباراً ، ولا يرى للصداقة حقاً ، فمؤاخاة هذا وأمثاله ضرب من العناء ، وسبيل من سبل الشقاء ؛ لما قد يجلبه على صاحبه وجليسه من شرٍ وبلاء بصدده عن ذكر الله وطاعته ، وضياع الأوقات فيما يضر ولا ينفع من أنواع الملهيات والمغريات ، وتبذير الأموال في صنوف من المحرمات ، ولتتأمل حال من ابتلوا بإدمان المسكرات ، وتعاطي المخدرات ، واقتراف الفواحش والمنكرات ، واكتساب الأموال المحرمة من ربا ورشوة ، فمن شقاء المرء أن يجالس أمثال هؤلاء الذين ليس في صحبتهم سوى الحسرة والندامة ، حتى يخسر دنياه وآخرته ، { وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } .هـ.

للخير أهلّ - على أسبابه - اتحدوا	وللشرور عباييد - بها - انفردوا
والصاحب الفذ من يزيد صاحبه	رُشداً ليصبح في صف الالي رُشدوا
وكم بلوث صحاباً كنت أحسبهم	درعاً يقيني إذا الدروع تُفتقد!
حتى تبين لي فساد من هجم	إذ الصحاب - عن الشريعة - ابتعدوا
ما قيمة المرء لا تلقاه متبعاً	هُدي المليك؟ ألا إن الهُدى السدد
والآن أسرد بالأشعار واقعة	صحت روايتها والممتن والسند
عن صاحب فاسق أودى بصاحبه	علي أفيذ بها جموع من فسدوا
على المعاصي التقى الجبان دون حيا	وصاحب القوم - في الرذائل - اجتهدوا
والخمر غالت عقول العير قاطبة	وفي القلوب يفور السكر والزبد

وَمَنْ - على كأسها الملعونة - احتشدوا
فَمَدَّ كَفّاً لَهَا ، وطاوعته يد
فخالطت دمه ، وتشهد الوُرد
فبات - في نار ما يُبدين - يتقد
إلا الذي - عن نظى رؤياه - يبتعد
نحو الفجور ، ولم يمنعه معتقد
والدعرُ أقبح ما يلقي وما يجد
فُتِبَ ليقبل - منك - التوبة الأحد
حتى إذا رحلا ، شد الرحال غد
فخفف اللومَ يا من بتتقد
فما لقلبي - على ما قتته - جلد
يهفو الفؤادُ لها والقلبُ والكبدُ؟!
شأن الأماجد في عشق النساء زهدوا؟
إن غبت عنه غزا مشاعري الكمد؟
وكم يُفاجأ - بالبهتان - منتقد!
ولا احترامٌ ولا تقوى ولا رشد
ويدخل النارَ من يهذى - به - الصمم
بين الألى من رضارب الورى طردوا
خيرُ أصحاب التقاة السادة المُجد
وهم له الأهل والأعوان والسند

أم الخبائث واسأل مَنْ - بها - شغفوا
وعاقر الخيل مُختاراً سُلافتها
واستعذب السكرُ مُختالاً بنشوته
وغازل الغيد يُزكي نار شهوته
أبدين - للصب - حسناً لا يقاومه
وجره العشق ، إذ أغرت لذائذه
واستمرأ الدعر في سر وفي علن!
وقيل أقصر ، لقد يأتي الحمامُ غداً
والأمس ولى ، وهذا اليومُ لاحقه
فقال: تَوْبِي عسيرٌ لا سبيل له
واقنع بما يحمل التوبيخ من غصص
ما حيلة النفس في أشهى كؤوس طلاً
وكيف أصرف عن حُسن النساء بصري
وكيف أقنع عن زناً بليث به
ف قيل: أنت بهذا الزعم تطعننا!
أقوالك اليوم لا علم ولا أدب
يندى الجبين لها ، والذوق يلفظها
وجاءه الموت إذ حانت منيته
لينظر المرء من أصحاب رحلته!
هم غوث صاحبهم في كل نائبة

زواج بلا ضوابط

(ص 158 من (حدث في المحكمة) قصة امرأة تزوجت من رجل بدون أوراق ولا ضوابط فأنكر الرجل الزواج ونسب الأولاد. وتقدمت للقضاء الذي أثبت الزواج وأجرى تصحيح العقد وأثبت نسب الأولاد. يقول لنا الراوي: تقدمت الزوجة إلى القاضي في دولة شقيقة ، وقالت: إن زوجي الذي تزوجني وهو قبيلي وأنا خضيرية قد هرب إلى بلده ، وتركني ومعني أربعة من الأولاد وتركنا ضحية للتشرد والتسول ، ولازلت في حباله (أي في عصمته) فقد رفض أن يطلقني ورفض أيضاً أن يُثبت أولادي منه بإثبات شرعي ، وأنا أطلب إثبات ذلك شرعاً وإطلاقي وفكي من قيده وأسره ، فأذنت المحكمة في تلك الدولة الشقيقة التي يقطن فيها زوجها السعودي وامرته أن يجيب على دعوى المرأة فتملص مراراً ، ثم أثبتت المرأة بالبينة الشرعية أنه زوجها ، وقدمت ما يدل على ذلك من شهود ، حيث كانت هي وهو مفرطان في إثبات الزواج ، لأنه كان زواجاً بدون إثبات وبدون ضوابط نظامية ، فما كان منه إلا أن أنكرها وأولادها ، ثم تقدمت هي بالبينة والشهود العدول الذين أثبتوا نسبه بأبنائه الأربعة منها وأثبتوا أنها زوجته ، وأنه يتغيب عنها ، ولكنه عندما علم بذلك عن طريق محكمة بلاده جُن جنونه ، وجاء ليحاول أن ينفذ فلجأ القضاء في تلك الديار إلى الحمض النووي وإلى القرائن فثبت شرعاً أنهم أولاده ، وصدر بذلك صكٌ شرعي في تلك البلاد على أن هؤلاء الأربعة هم أولاده وعلى أن هذه المرأة هي زوجته ، وأمر أن يطلقها إن كانت زوجته ، فأنكر أن تكون زوجته ففسخت منه قضائياً ، وبقي الأولاد ينظرون إلى أبيهم نظرات الحسرة والألم ، وينظرون إلى مجتمعهم نظرات الأسى والحزن ، وينظرون إلى أهم نظرات العتاب واللوم ، كيف فرطت في العقد؟ كيف نسيت نسبهم؟ كيف لم تحتط لهم؟ ولسان حالهم يقول لها: ألم يكن لك يا أمنا علمٌ أن لنا مستقبلاً؟ كيف نصل أبانا؟ كيف نبرّه؟ كيف نزره؟ كيف يعترف إخوتنا بنا؟ كيف نكون مواطنين نحمل جنسية بلدنا مثل أبينا؟ لماذا لا ندخل بلادنا؟ أمور ومشاكل لا يعلم بها إلا الله ، وهذا نتاج الزواج بلا ضوابط شرعية ونظامية وثمره مخالفة أوامر الله ورسوله ، وأما هذه الزوجة المكشوفة والمظلومة والأبناء الأربعة فقد توجهوا إلى الله ضارعين أن ينصرهم ممن ظلمهم فاستجاب الله لهم! أما الرجل فابتلاه الله بأمراض أصابته في جسمه.)

أيها المُحتال الذي كم تعدى	من حدودٍ ثم اعتدى ، واستبدا!
تستحلّ الحرام دون اضطرارٍ	هل جعلت الأهواء - للشرع - نداً؟
إن عيشاً - بدون دين - ضياعٌ	والذي قد أجاز هذا تردى
هل زواجٌ حقٌّ بدون شروطٍ	إنما الشرعُ خط شرطاً وقيداً
فالوليّ يُعطى الوليةً إذناً	والوكيلُ الشرعيّ يحضُرُ عقداً
بعده دورُ الشاهدين تباعاً	والصداقُ يُسديهِ زيّدٌ لسُعدى

إن هذا أسمى سبيلاً وأهدى
من يري حِلَّ الأغنيات تعدى!
أم جحدت الأحكام والدين جحدا؟
ثقة بالزوج الذى ساق وعدا
وعلى فصل القول عاهد عهدا
أن يجد المقدام فى الأمر جدا
لعهود ، كلا ، وما ردا
وانزوى خلف الزيف والزور فردا
بل أزيد: سُحَقاً لهذى ، وبُعدا!
إنما الزيف - بالحقائق - أودى
تستحق هذى - على الكذب - جلدًا
قد رزقت منى بناتٍ وولدا
لا تكن فيما تدعى اليوم وغدا
واضحاً جداً ، إنني أتحدى
وادعاءً ، إن التبتت أجدى
وانجلى خطبٍ يضرم القلب وقد
واسئبحت لَمَّا الوطيسُ اشتدا
ثم صدّ زوج - عن الظلم - صدا
بل جبانٌ أعطى قليلاً وأكدى!

فى لفيفٍ من الضيوف بعُرس
دون رقص ، أو رنة ، أو غناء
هل تزوجت مُستدلاً بشرع؟
أسلمتك الحمقاء نفساً وعرضاً
ثم أعطى الأمان قطعاً وجزماً
أن يكون التوثيق - للأمر - فوراً
لكن الزوج لم يُقم أي وزن
ثم غالي فى رميها بالتجني
قال: لستُ زوجاً لهذى يقيناً
مالها عندي من حقوق بتاتاً
والأكاذيبُ لن تُبدد حقاً
ناشدته الرحمن فيها ، وقالت:
فاصدق المولى واحترم دمع فضلى
أو فدعني أعطي القضاء دليلاً
ثم دار التحقيقُ فى كل لفظٍ
فاستبان حقيقة لا توارى
واستعيدت كرامة كم أهينت!
واسـتردت أمّ زوجٍ حقوقاً
مثل هذا لم يُنصف الزوج يوماً

وكلكم مسؤل عن رعيته

(الأصل أن الراعي سيسأله الله يوماً عن رعيته. أقام فيها العدل أم لا. حقق لها الأمن والأمان والسلام أم لا. أنشأ مجتمع الكفاية والعدل وفق الشرع أم لا. أما حينما يسود منطق جمهورية الموز فالأمر يختلف! الكاتب الأمريكي أو. هنري الذي صاغ مصطلح جمهورية الموز للإشارة إلى هندوراس. جمهورية الموز هو مصطلح ساخر يطلق للانتقاص من أو ازدراء دولة غير مستقرة سياسياً ، وليس لها ثقل سياسي واقتصادي بين دول العالم ، يعتمد اقتصادها على عدد قليل من المنتجات كزراعة الموز مثلاً ، ومحكومة بمجموعة صغيرة ثرية وفسادة. لا يزال هذا المصطلح يستخدم غالباً بطريقة مهينة لوصف بعض حكومات بعض البلدان في أمريكا الوسطى ومنطقة بحر الكاريبي ، بل يتسع ليشير إلى دول أمريكا الجنوبية وآسيا وأفريقيا. صاغ المصطلح في بادئ الأمر الكاتب الأمريكي أو. هنري للإشارة إلى هندوراس في ملفوف والملوك 1904 ، مجموعة قصص قصيرة تجري أحداثها في أمريكا الوسطى! ليطلق على الحكومات الدكتاتورية التي تسمح ببناء مستعمرات زراعية شاسعة على أراضيها مقابل المردود المالي. أما الاستخدام الحديث للمصطلح فجرى ليوصف به أي نظام غير مستقر أو دكتاتوري).هـ. وهنا يكون الرعاة سبباً في الانتكاس! ومنطق الناس مع رعاة كهؤلاء ، لا يختلف كثيراً عن منطق النبي - موسى - عليه الصلاة والسلام مع بني إسرائيل والجبارين بالأمس! (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ، قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ، قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهما الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فأنكروا إن كنتم مؤمنين) ، قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهما الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فأنكروا إن كنتم مؤمنين). يقول ابن كثير: (قوله: (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) أي: فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى عليه السلام ، حرّضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة ، وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه. وقرأ بعضهم: (قال رجلان من الذين يخافون) أي: ممن لهم مهابة وموضع من الناس. ويقال: إنهما "يوشع بن نون" و "كالب بن يوفنا" ، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس وغير واحد من السلف ، والخلف ، رحمهم الله ، فقالوا: (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فأنكروا إن كنتم مؤمنين) أي: متى توكلتم على الله واتبعتم أمره ، ووافقتم رسوله ، نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم ، ودخلتم البلدة التي كتبها الله لكم. فلم ينفذ ذلك فيهم شيئاً).هـ. وقال الإمام القرطبي: (قوله تعالى : قال رجلان من الذين يخافون قال ابن عباس وغيره: هما يوشع وكالب بن يوقنا ويقال ابن قانيا ، وكانا من الاثني عشر نقيباً. ويخافون أي: من الجبارين. قتادة: يخافون الله تعالى ، وقال الضحاك: هما رجلان كانا في مدينة الجبارين على دين موسى ، فمعنى يخافون على هذا أي: من العمالقة من حيث الطبع لنلا يطلعوا على إيمانهم فيفتنهم ولكن وثقا بالله ، وقيل: يخافون ضعف بني إسرائيل وجبنهم ، وقرأ مجاهد وابن جبير "يخافون" بضم الياء ، وهذا يُقوي أنهما من غير قوم موسى. أنعم الله عليهما أي: بالإسلام أو باليقين والصلاح. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون قالوا لبني إسرائيل لا يهولنكم عظم أجسامهم فقلوبهم ملئت رعباً منكم ،

فأجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة ، وكانوا قد علموا أنهم إذا دخلوا من ذلك الباب كان لهم الغلب ،
ويحتمل أن يكونا قالا ذلك ثقة بوعده الله. ثم قالوا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين مصدقين به ،
فإنه ينصركم. ثم قيل على القول الأول: لما قالا هذا أراد بنو إسرائيل رجمهما بالحجارة ، وقالوا:
نصدقكما وندع قول عشرة! هـ. وهذه هي الحقيقة أن الكثرة تغلب الشجاعة والعتاد والذخائر
والسلاح! وكان على بني إسرائيل على زمان موسى أن يستجيبوا ويصنعوا مجدهم بدلاً من
التقاعس المقيت والخذلان المخزي! وفرق كبير جداً بين أمة قالت لنبيها: (فاذهب أنت وربك فقاتلا
إنا ها هنا قاعدون) وأمة قالت لنبيها: (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون)! والنصر لا يأتي
بالتقاعس والخذلان والانتكاس أبداً! أكتب في هذا وعلى البحر البسيط وعلى قافية الرءاء أقول:

سِجَالُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْكَرِّ وَالْفِرِّ	فَالْحَرْبُ كَالْبَحْرِ بَيْنَ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ
وَالشَّرَّ لَا بَدَّ مَدْحُورٌ وَمُنْهَزَمٌ	وَتُوقِدُ الْحَرْبُ بَيْنَ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ
وَنَحْنُ أَوْلُ مَنْ يَحْمِي ضَرَاوَتَهَا	حَتَّى يَكُونَ الَّذِي نَرْجُوهُ بِالْجَبْرِ
وَيَأْمَنُ النَّاسُ فِي وَادٍ وَفِي حَضْرٍ	وَيَذْهَبُ الظُّلْمُ وَالسُّوْأَى عَلَى الْفُورِ
وَيُصْبِحُ الْقَوْمُ أَحْرَاراً جَاحِجَةً!	عَظِيمِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْحَرِّ!
وَيُكْرَمُونَ ، فَلَا نَلَّ يُحَقِّرُهُمْ	وَلَا يُعَانُونَ وَخِذِ الظُّلْمَ وَالْقَهْرَ
وَلَا يُهَانُونَ ، كَمْ يُزْرِي الْهَوَانَ بِهِمْ!	وَلَا يَفِرُّونَ مِنْ قَطْرِ إِلَى قَطْرِ!
وَلَا يُرَدُّونَ عَنِ جُلَى وَمَكْرَمَةٍ	وَلَا يَمَسُّهُمْ شَيْءٌ مِنَ الضَّرِّ
وَالْيَوْمَ نَسْأَلُ: مَا ذَنْبُ الْأَلَى خَرَجُوا	إِلَى الْحَوَاضِرِ رَهْنِ الْكَرِّ وَالْفِرِّ
يُكْتَبُونَ سِوَادَ الثَّائِرِينَ ضَحَى	وَيَرْقُبُونَ قَدُومَ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ
وَيَبْذُلُونَ لِنَيْلِ الْخُلْدِ مَا مَلَكُوا	مِنَ النَّفْسِ ابْتِغَاءَ الْفَوْزِ بِالْأَجْرِ
وَيُرْخِصُونَ دِمَاءَ مَا كَانَ أَمْنَهُ؟!	وَالْجُودُ بِالدَّمِ يُزَكِّي صِحْوَةَ الْبِرِّ!
مَا ذَنْبُهُمْ فِي الَّذِي ذَاقُوهُ مِنْ مِحْنٍ؟	يَا مَنْ ظَفَرَتْ بِهِمْ أَفْصَحُ عَنِ الْعُذْرِ!
مَا عَذْرٌ مِثْلِكَ فِي الْأَلْفِ قَتَلَهُمْ	وَاعْتَالَ جَحْفَلَهُمْ بِالْمَكْرِ وَالْغَدْرِ؟
مَا عَذْرٌ مِثْلِكَ فِي الْأَعْرَاضِ هَتَكَهَا	مَنْ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتِ الْأَنْسَامُ كَالْهَرْرِ؟

بَغَى عَلَيْهِمْ؟ فَيَا لِلْخِزْيِ وَالْخُسْرِ!
بدون حق جرث في الأرض كالنهر؟
فخمشت عيشتهم مَخَالِبُ الْفَقْرِ؟
فوق الأهالي ولم يَسْتَبِقْ من قصر؟
ضد الرعيّة في سِرِّ وفي جهر؟
نحو الرعيّة في رأس وفي صدر؟
فقلت: هم خرجوا على أولى الأمر؟
إذ حطمته ضحى قوارغ الدهر!
بطش التجبر والإفساد والكبر
في فترة لم تزد حاشا عن الشهر!
والخيرُ فاض بلا عدٍ ولا حصر
على التطاول والتضليل والفجر
حتى يُغَيِّرَ مِنْ طُورِ إِلَى طُورِ
وباء ما شيد الطاغوت بالدحر
وبات رهنَ اعتقال الشعب والأسر
وكل طاغ له رُجعى الى القبر
الخيرُ بالخير ، ثم الشرُّ بالشر

ما عذرُ مثلك في الراجين رحمته
ما عذرُ مثلك في الدماء أزهقتها
ما عذرُ مثلك في الأطفال يَتَمِّمهم
ما عذرُ مثلك في البيوت هدمها
ما عذرُ مثلك في الحروب أشعلها
ما عذرُ مثلك في السلاح صوّبه
ما عذرُ مثلك في اتهام ثورتهم
كرسيّ عرشك أمسى لا اعتداد به
وزالت العِزّة القعساء حاملة
وحاكم الشعب فرعوناً وجوقته
وعاد ما ابتز من مال ومن عَرْض
وحوكمت بعده عصاة مَرَدَّتْ
وجاهد الشعب في سبيل عزته
ورفرفت راية التحرير شامخة
وذاق من كأس ما سقى رعيته
كما تدين تدان ، فلا مغالطة
حتى يُجَازَى بما جَنّت جوارحُه!

ليس بأمانيتكم

(ص162 من (حدث في المحكمة) للعمري قصة المرأة التي عاقبها أبناؤها وضربوها وأهانوها ، لأنها تريد أن تتزوج من رجل محترم بعد موت أبيهم ، لأنه لا أحد يهتم بها منهم. فلجأت إلى القضاء الذي أسقط ولايتهم ، وزوج المرأة ممن تحب. حيث تقدمت إلى القاضي ويدها متورمتان بسبب جراح إصابتها ودموعها تسبق كلماتها وهي تنن ، وتقدمت بين يدي القاضي بورقة تشكو حال أبنائها ، الذين منعوها من زوج خاطب ، وأصرت على أن تتزوج به لعدم اهتمامهم بها ، وحاجتها لمن يهتم بها ، فما كان منهم إلا أن هجموا عليها وضربوها وأدموها وحجروها في البيت ، ثم تمكنت من الفرار منهم ولجأت إلى القضاء طالبة النصر من الله عز وجل ثم من القضاء الشرعي ، الذي هو نعمة كبرى من نعم الله وسبب من أسباب تحقق الأمن ونصرة المظلوم لقوله عليه الصلاة والسلام: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً). ثم إنه حماية للظالم من نفسه أن يصل إلى جهنم ، أو أن يصل إلى مراحل تؤدي به والعياذ بالله إلى العقوق ، فهؤلاء الأولاد منعوها أن تتزوج برجل ، وذلك لاعتبارات يرونها وهم فيها ظالمون ، لأنه لا يحق لهم منع أمهم من الزواج المكافئ لها ديناً ونسباً ، فالزواج حق مشروع كفله الله سبحانه وتعالى للمرأة سواء كانت مطلقة ذات بنات وبنين أم كانت غير مطلقة أو ليس لها بنات ولا بنين ، ولكن يجب أيضاً أن يؤخذ في الاعتبار أن للأولاد غيرة من زوج الأم ولا شك ، وهذه الغيرة ربما كان بها مسلك الحيلة! تحدثني والدتي - رحمها الله تعالى - عن طرفة وتسمي أصحابها فتقول: تزوج رجل بامرأة لها أولاد كبار ، وكانوا في المزارع يغتسلون في الشواطئ المستورة بجريد النخل ، فلما خرج يغتسل جلس اثنان من أولاد امرأته أحدهما في مكان آخر فأطلق أحدهما النار وصوت للآخر: أصبته! فقال الآخر: لا ، اتجه شمالاً لم تصبه ، فهم لا يريدون قتله ، وإنما يريدون ترويعه ، فانطلق يعدو من تلك القرية إلى قرية أخرى عارياً لم يستطيع أن يأخذ ملابسه ، ثم ولى مدبراً ولم يعقب ، ولم يرجع لأبيه ، وكانوا من قبل يأتون ويجدون أذ الطعام قد وضع في مطبقة فيفتحونها ويأكلون الطعام ويضعون بدلاً منه (خثي البقر) ولا تشعر أمهم بذلك فإذا قدمت الطعام للزوج تظنه طعاماً عرفت حيلتهم ، فعلموا ذلك أكثر من أولاد الزوج الأول أمهم من حق مشروع وهي تلح وترغب به ولا تستطيع الفكاك منه فهذا ظلم عظيم جداً وفيه من العقوق. إن ما يخجل منه كل أحد ، وهؤلاء الذين ضربوا أمهم عندما أذوها ومنعوها من أن تتزوج وعضلوا تقدمت إلى القاضي الشرعي ، فما كان من القاضي الشرعي إلا أن أسقط ولايتهم ، وزوج المرأة بالرجل الذي تريد ، والرجل الذي تزوجها حصيف قوي منيع ، استطاع أن يدافع عنها واستطاع أيضاً بحسن خلقه أن يضعهم أمام الأمر الواقع وأن يكرمهم وأن يتلطف معهم لأن لهم حقاً في هذا أيضاً ، وإذن فالمعارضة على زواج الأم ممن تريد معارضة بمجرد الغيرة أو التحدي ضرب من العقوق ، أما إذا كانت الأم سفيهة تريد أن تتزوج بمن لا يماثلها ديناً ولا خلقاً ، أو أن تريد أن تنتقم من أبيهم لكرهها له أو نحو ذلك ، أو تريد أن تلحق بهم ضرراً بأي وجه من الوجوه ، فإن لهم حق منعها وحق رفع الضرر عنهم ، ولكن بطرق شرعية مع المحافظة على احترام أمهم وتوقيرها وبرها). هـ. والأستاذ ممدوح إبراهيم الطنطاوي كتب تحت عنوان: (بر الوالدين كنز الدنيا وسعادة الآخرة) فقال ما نصه: (لقد بلغ من عظمة الدين الإسلامي الحنيف أن يقدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله تأكيداً

على حقوقهما ، وإمعاناً في التوصية بهما خيراً. فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستأذنه في الجهاد فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - أحي والداك؟ قال نعم ، قال: ففيهما فجاهد ، وكأما رعايتهما وبرهما جهاد في سبيل الله ، وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: أتى رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله ، إني جئت أريد الجهاد معك أبتغي وجه الله والدار الآخرة ، ولقد أتيت وإن والديّ ليبيكان. قال: فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما. يقول الأستاذ عبد الرؤوف الحناوي: (إن بر الوالدين فرض عين فإن قصرت في برهما فمن ذا الذي يبرهما؟ أما الجهاد فهو فرض كفاية - إلا في حال غزو العدو بلاد المسلمين وإعلان النفي العام - فإذا صحبت والديك ، ولزمت أقدامهما قام بالجهاد غيرك. أما خدمتهما فلا يتولاها أحد سواك. ولقد اعتبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - قيام الولد في خدمة أبويه والسعي عليهما جهاداً في سبيل الله. وقال - تعالى - : (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون). فإذا كان هذا هو الحال مع الوالدين المشركين فما بالك بحقوق آبائنا وأمهاتنا المسلمين الموحدين؟! ويكفي أن تعلم أن بر الوالدين قد كتبه الله - سبحانه وتعالى - على الأمم السابقة فليس الأمر مقصوراً - كما تقدم - على المسلمين أو من خصوصياتهم وحدهم دون غيرهم. لقد امتدح الله بعض أنبيائه ، وأثنى عليهم لبرهم والديهم ، وخص منهم يحيى وعيسى ويوسف وإسماعيل. قال - تعالى - : وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً يعني يحيى بن زكريا - عليهما السلام - ، وعن عيسى - عليه السلام - يقول الله - عز وجل - : وبراً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً ، وعن يوسف - عليه السلام - وبره بوالديه ، قال - تعالى - : ورفع أبويه على العرش ، وعن إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - ، قال الله - تبارك وتعالى - واصفاً أده وبره بأبيه: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. تلك أخلاق الأنبياء التي يجب أن يتأسى بها كل مسلم على وجه هذه البسيطة المعمورة ، والتطبيق العملي لتعاليم الإسلام في حياتنا يكون سبباً في إسعاد البشرية واستقرارها وإزالة التردّي الحادث في العالم).هـ.

إني لأسأل حائراً ماذا جرى؟	وبأي حق خالف الشرع الوري؟
وهل الحنيفة تستباح أصولها	جهرراً ، ويحتقر الرشاد ويؤزدي؟
أيجوز لابن أن يعاقب أمه	في قصة جابت بيوتات القرى؟
لو لم يسق (عمرينا) أحداثها	لجهرت: هذا القول إفاك مفترى!
لو لم يفتدّها القضاء مبينا	تصديقها كيما يزيل المنكرا
لرأيتها هزلاً وقولاً ساقطاً	وعزيفاً جن قد توشح بالهراً
أم يجرعها الشقا أبناؤها	فتبيث لا تدري مذاقاً للكري

وتظلل تجأر للمليك ، وتشـتـكي
من بعد أن عـدـمت حـليلاً مُشـفقاً
تحيا ، وتخـنـقها عـذابـات الجوى
والوَحشة الكأداء تفتـرسُ الصـبـا
والغادة الحوراء يـذهبُ حُسنها
أرأيت أرملة تحب أيـومـة
قالت: أريد الزوج يُبهـجُ عـيشـتي
إذ إن بُعد الأهل أورثني الأسى
قالوا: معاذ الله لن تتزوجي
ففتى يقول: أرى الزواج تهوراً
وفتى يقول: زواجها أضحوكة
وفتى بكف البغي يصفع أمه
وفتى يُهينُ الأمّ دون تريثٍ
مسكينة ضربت ، ونيـلُ إباؤها
فتجشمت درب القضاء عـزـيـزة
ليقول أهل الذكر قولاً فاصلاً
وفق الشريعة والكتاب مُفصلاً
وهناك انتفض القضاة ، وصـرّحوا
حتى الأمانى التي هم أمـلوا
وتزوجت من تشتهي في دارها

وتسيل أدمعها السواجم أنهرها
في القبر ضمته الجنادل والثرى
فتئن وجداً ، ثم تنكر ما ترى
والعمر يمضي ، لا يعود القهقري
والشيب يزدرد الجمال بلا مرا
حتى وإن سكنت ربوع انجلترا؟
وأراه خيراً منهجاً وتصورا
حتى انقهرت توجعاً وتحسّرا
والكل قدّم في النقاش ، وأخرا
فكفاك يا أم الرجال تهوراً!
تُشـجـي الفؤاد تفكهاً وتندرا
مُسـتـهـجـناً ما تدعيه ومُنذرا
من بعد أن حمل اللوا ، وتصدرا
وهي التي ولدت ، وشبت مُعصرا
لتقيم حقاً - في المسير - تعثرا
مُتـجـرداً متقبلاً مُستبصرا
ومُبيناً حتى يُعالج ما جرى
أن لا ولاية مطلقاً لمن افتري
سقطت ، وتلك الأم أمست في الذرى
وعيالها أمسوا ضيوفاً خُصرا

كالراعي يرفع حول الحمى

(ص 19 من (حدث في المحكمة) للأستاذ سلمان العمري ، قصة إمام وخطيب لعب به الشيطان فعمد إلى الرقية وتعامل مع النساء فخاب وخسر! (فهو رجل كان يملأ المسجد نشاطاً وحيوية ، فما هو إلا أن زين له الشيطان أن يكون راقياً لينفع المرضى ، وهو لا يملك من خبرة الرقية شيئاً ، فبدأ بالرقية وانهالت عليه الفتن والأموال ، ثم مكث على ذلك زمناً ، وقع من خلاله في فتنة النساء فهذه امرأة تكشف ثديها وصدرها ونهداها ونحرها ، وتلك أخرى تكشف وجهها ورابعة تحسر عن فخذها ، وأخرى تبين له ظهرها ، وتلك تتكلم كلاماً ناعماً أملس ، فما هي إلا أسابيع وأشهر حتى وقع في حبال وبراثن الشيطان ، ثم استدرجه الشيطان أيضاً ليمنعه من الصلاة ويصده عن ذكر الله عز وجل ، ورأى أن ينتقل من موقعه لموقع أكثر سعة وقبولاً ، ثم تمكن الشيطان منه بعد حين ليتعاون مع السحرة على طاعة الشيطان وعصيان الرحمن والبعد عن خيره وسعادته فكان الوزر والإثم والضلال المبين ، وكانت من أعظم المخاطر التي ترعاها الأشباح الشيطانية ، وتحاول أن تزرعها بين الناس ، تحوّل من إمام مخلص لدينه ثم أمته ووطنه وبلاده إلى راق غشيم غشوم ، ظلوم لا يحسن التصرف ، ثم إلى مشعوذ متعطرس ، ثم إذا به يتعاون مع السحرة فيتحوّل إلى ساحر ، وأخيراً يقع في قبضة العدالة ، ولكن بعد أن فاتته دينه ، وبعد أن ضاعت عليه دنياه ، وبعد أن ضاعت عليه سعادته ليجد جزاءه ومصيره المحتوم بسبب بُعده عن الله تعالى ، وعن رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فهل يعقل أصحاب الخير؟ ولقد جاء شخص فاضل يسألني ذات يوم قال: إنني أرقى الناس ، ولقد جاني من الجن من جاني على صورة البشر فرغبوا أن يتعاونوا معي وأنا أحب ذلك إن كان حلالاً! فقلت يا أخي لا أملك جواباً ، ولكن سأزور الشيخ عبد العزيز بن باز لأخذ منه جواباً لك ، فلما سألت الشيخ أنكر ذلك جداً ، وقال: حذره وبيّن له مخاطر هذا الأمر فإنه سينزلق انزلاقاً شديداً ، وحذرتيه وبينت له جواب الشيخ ، ثم لم يقتنع فاستعان بالجن فوق في المحاذير ، لولا أن الله تعالى أدركه بعد أن سار في طريق الرقية الشرعية المزعومة سنين عدداً ثم تاب توبة نصوحاً ، فلولا أن عناية الله أدركته لما كان من الناجين ، ولكن فضل الله واسع ، والحمد لله رب العالمين).هـ. وكان المشعوذون والسحرة والكهنة والدجالون في بيوتهم وحوانيتهم قديماً ، ولكنهم اليوم غزوا بيوت الناس فيمن غزوا! وصارت لهم قنوات فضائية يشعوذون ويسحرون وينجمون ويدجلون من خلالها! فإذا كان سحرة فرعون من الراقصين والرقصات والطباليين والطبالات يصرفون الناس عن الدين بما ينتجونه من أعمال إباحية رقيقة خبيثة ، فإن الدجاجلة والمنجمين والسحرة والعرافين هؤلاء يصنعون الشيء ذاته ألا وهو صرف الناس عن ربهم وعن دينهم وعن عبادتهم! ذلك أن كل أهل الضلال يعرفون خاتمتهم ومصيرهم وعاقبتهم إن لم يكن في الدنيا فعند الله يوم القيامة! ومن هنا فهم يُصرون على أن لا يكونوا وحدهم في هذا المصير ولا في تلك العُقبي! وصدق الله تعالى: (ودّوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواءً)! فبعد أن كان الناس يذهبون إليهم بالأمس ، صاروا هم الذين يأتون للناس في عُقر دارهم من خلال القنوات الملعونة التي هي وقنوات الدعارة صنوان لعملة واحدة ، وأصحاب كل منها يسعون في الأرض فساداً! وفي خطبة (قنوات السحر) أفاض الأستاذ سامي بن خالد الحمود حيث تناول فيما تناول ، مسألة الرقى السحرية وأعمال السحرة والمشعوذين والدجالين والمنجمين والعرافين الذين

يدعون لأنفسهم كذباً على الله والإسلام أنهم يعالجون بالرقية الشرعية والرقية الشرعية منهم براء! يقول: (قال الله تعالى: (واتبعوا ما تتلو الشيطان على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر). لقد أخبرنا الله تعالى في هذه الآية ، أن الذي يُعلم الساحرَ السحرَ ، إنما هم الشياطين. ولا يتمكن الساحر من ذلك حتى يكفرَ بالله العظيم ويستعينَ بالشياطين من دون الله. وقد تواتر النقل بالاستقراء ، والتجربة والمشاهدة ، في إثبات العلاقة والعبودية بين السحرة والشياطين. فالسحرة يتقربون للشياطين بما تحبه من أعمالٍ شركية وكفرية وأكلٍ للخبائث والمحرمات ، وتقربٍ بالنجاسات ، ووقوعٍ في الموبقات. فإذا اجتاز الساحر هذا الامتحان أعانته الشياطين على أعماله الفاجرة. وإذن فالساحر كافر ، محارب لله ورسوله ، ولهذا كان حده ضرباً بالسيف. وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في الآية أن السحر قد يؤثر ويضر ، ولكن إذا شاء الله ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله. وإذا كان خطر السحر كذلك ، فإن الأمر يزداد خطورة في هذه الآونة ، مع ظهور ثلاث قنوات عربية كفرية ، تقدم برامج السحر والشعوذة عن طريق بعض الدجالين ، وتستقطب المتصلين عبر خطوط ورسائل الهاتف. وحتى لا أتحدث عن فراغ ، فقد شاهدت بنفسي عدداً من برامج هذه القنوات الثلاث ، ووقفتُ على الكثير من الحقائق المؤسفة ، التي تنذر بالخطر العظيم على التوحيد. والله يعلم كم ترددت في طرح هذا الموضوع خشية أن أفتح على الناس باباً هم عنه غافلون ، لكني لما رأيتُ الأمر قد انتشر ، لم يكن بدّ من التحذير منه ، لا سيما أنه تحدث عنه قبلي عدد من المشايخ الفضلاء. ومما يزيد البلاء أن هذه القنوات موجودة وللأسف على القمرين نايل سات وعرب سات ، مما يعني وجودها في كل بيت فيه طبق استقبال فضائي. وبعض الناس ممن لديهم قنوات فضائية ، يقولون: إننا نرى مثل هذه البرامج التي فيها تعليم الحُجُب والأحرار ، ولا نعلم أن ذلك مُحَرَّمًا. لأن مقدم البرنامج يدعو الضيف بالمعالج. والمتصلون يقول له: يا شيخ فلان ، ولا يقولون يا ساحر ولا يا كاهن. إن الذي يحصل في أكثر هذه البرامج أن المشاهد يتصل ، فيطلب منه المقدم اسمه واسم أمه ، فيقال له: عن ماذا تسأل؟ ، فيقول: عن الصحة ، عن الرزق ، عن كذا ، فيجيبه الساحر: أنت عندك مشكلة كذا ، وتعاني من كذا ، وفي بيتك كذا ، أنت حصل لك في الماضي كذا ، صحيح أم لا؟ ولا يخفى أن هذا الدجال قد يتلقى هذا الكلام من الشيطان الذي ينقله من قرين السائل. وقد يقرأ بعض هؤلاء الدجالين آيات من القرآن ، وقد استمعتُ إلى كثير منهم ، فإذا هو يحرف الآيات تحريفاً فاحشاً ، ولا يجيد نطقها بشكل صحيح. ثم إن بعضهم يصف عدة آيات من القرآن كعلاج ، حتى يطمئن الناس إليه ، فيقول: اقرأ لي سورة ياسين آية كذا ، وسورة كذا آية كذا مرة ، بأعداد ما أنزل الله بها من سلطان. وقد يكتفي بعضهم بالآيات في بعض الاتصالات ، وقد يدخلون بينها كلمات الشرك كعادة السحرة ، وهذا كله من التمويه ولبس الحق بالباطل على الناس. وآخر يستهزئ بالقرآن فيقول للمتصلة: اكتبي الآيات معكوسة. وآخر يقول لمتصلة: تعرفين فضلات الطيور؟ اجمعيها واطحنها واكتبي بها سورة الواقعة. ومن تناقضهم ومكرهم أن بعضهم يقول: أنا أتكلم بسم الله الأعظم ، وأنا أحب القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت ، وأنا إنسان أحتك على الصلاة والعبادة ، لكن مع هذا أنا أقول لك ماذا سيحدث لك في المستقبل. بل شاهدتُ أحدهم يجلس بجوار المذبة السافرة ثم يقول: أنا لا أنظر إلى النساء ، فترد المذبة بكل وقاحة: أنا استغربتُ يا شيخ أني عندما سلمت

عليك لم تصافحني ، فيقول الخبيث: نعم نحن لا نصافح النساء. والله لقد هزلت ، ضال مضل يكفر بالله العظيم ، وينازع الله في علم الغيب ، ثم يتظاهر بالتقى والورع ، تلبساً على الناس. وآخر يقول: بإذن الله ، توكل على الله. حياتك ستتغير خلال 45 يوم. ثم يقول: الخزعات والضحك على الناس حرام ، والإنسان يتذكر يوم الحساب يوم القيامة. والكثير منهم يقول: نحن لا نعلم الغيب ، الله يعلم الغيب ، إنما نحن نساعد الناس ، ثم يدخل مباشرة إلى علم الغيب. ومن المعلوم أن علم الغيب من خصائص الله تعالى ، ومن ادعى علم الغيب فقد كفر بالله العظيم ، وكذب القرآن الكريم. قال تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً). وقال سبحانه: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ). ويقول سبحانه في حق محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو أفضل خلق الله: (وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ). وتتصل امرأة بأحد هؤلاء الدجالين وتشكو من عدم الإنجاب ، فيقول لها: العيب ليس فيك وإنما في زوجك ، وإنك لن تنجبي إلا إذا تطلقت من هذا الزوج. ويقول أحدهم لإحدى المتصلات: لماذا تزوجتي فلاناً ، المفروض أنك من أول يوم تتطلقين. ويقول لأخرى: لازم تتطلقين من زوجك. وصدق الله: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}. وتتصل امرأة بأحدهم ، وتقول أن زوجها كثير الانشغال بأمه ، فيقول: اكتبي هذا الحجاب وضعيه تحت فراش زوجك ، وإن عاد إلى أمه عودي إلي. ويقول أحدهم لمتصلة أخرى: اكتبي هذا الطلسم وادفنيه في مقبرة مهجورة. ويقول أحدهم وهو رافضي خبيث: الوسيلة هي محمد وآل محمد صلى الله عليه وسلم. ومتصلة تقول له: (عندي ابن عمره 4 سنوات واسمه محمد ، وهو مثل الكلب ينبج) فقال لها: (عرفت كل شي عن حياته ، هل ذهبت به للكعبة ومن بعدها بدأ بالنباح؟). قالت: (نعم) فقال: (من الخطأ أن تذهبي به للكعبة من الخطأ أن تقرني عليه القرآن) فتقول له: (أرجوك صد الأعداء عني أنا رحمت لسوريا ورحمت لليمن) فيقول: (والله لو تفرين العالم بأسره تروحين للمغرب تروحين لسوريا لن تجدي مثلي). ويسأله أحد الطلاب: أنا رسبت أربع مرات ، فيقول له: أنت في حياتك أربع رسوبات ، وبعدها لن ترسب أبداً ، ستنجح ، وستسافر خارج بلدك ، وستفعل كذا وكذا. ويقول لأخرى: أنت تسألين عن امرأة ، هذي تعبانة بشكل غير طبيعي ومريضة وحظها في الدنيا صفر ، وتتعب بعد أزيد. وقبل أسبوع ، تخرج لنا عجوز شمطاء ، تضع أمامها البلورة الزجاجية ، تنظر فيها وتخبر بالغيب. ومما يزيد خطورة هذه القنوت ، أنها لم تقف عند إعطاء طلسم أو حجاب وتنتهي المسألة ، بل إنها تعلم الناس السحر وكتابة الطلاسم على الهواء. يعرض الساحر ما يزعم أنه حجاب ، مكتوباً على صحيفة كبيرة على الشاشة ويقول للمتصل: اكتب اسمك في هذا المربع بين الطلاسم واسم أمك في المربع الآخر ولن يضرك شيء بعده. حجابك يبدأ بالرقم كذا وينتهي بكذا. وقد يقوم هو ومقدمة البرنامج بكتابة الطلاسم خطوة خطوة على الهواء. ومن خبت هؤلاء الدجالين ، أنهم قد يقولون للمرأة علاجك صعب ولا بد من حضورك إلينا ، لنعمل لك جلسات روحانية ونفسية. والله يعلم ما الذي ينتظر المرأة إذا سلمت نفسها لهؤلاء المجرمين. واتصلت عليهم امرأة وقالت: إنني لا أستطيع السفر ، فضاقت الساحر والمذيع ، وتركوا المتصلة تتكلم لوحدها ، وأخذوا يكتبون في حجبهم وأوراقهم. ومما يدخل في هذا الباب: علم التنجيم والأبراج المحرم ، وهو اعتقاد أن للنجوم تأثيراً في الحوادث الأرضية ، وقد خرج لنا اليوم في بعض القنوت الفضائية عدد من العرافين والكهنة والمنجمين ، الذين يخبرون عن المستقبل بناء على البرج وتاريخ الميلاد ، ويدخل في هذا الموضوع قراءة

الكف وقراءة الفنجان والنظر في كرة الكريستال وغيرها من الوسائل. وقد ذكر أهل العلم أن من اعتقد أن النجوم مؤثرة بذاتها ، وأنها تخلق شراً وخيراً ، فقد أشرك شركاً أكبر مخرجاً عن الملة. وكذا من استدل بها على علم الغيب في المستقبل فقد أشرك أيضاً شركاً أكبر ، لأن دعوى علم الغيب كفر ، كما قال تعالى: (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله). ومن هذا الباب ، ما يقع في بعض الجرائد والمجلات تحت ما يسمى بالأبراج ، فلا تجوز قراءته والنظر فيه ولو بقصد التسلي. وإذن فالقضية خطيرة جداً. القضية ليست شهوات وفواحش ، القضية إدعاء علم الغيب ، القضية كفر أكبر يدخل في بيوتنا من خلال هذه القنوات الفاجرة الكافرة).هـ. وطبعاً هؤلاي لا يخفى أنهم يختلفون عن الصالحين المؤمنين الذين يعالجون بالرقيا المنطبطة والموافقة للكتاب والسنة بدون أدنى تحريف أو مخالفة شرعية أو خلوة بالنساء أو لمسهن! بل تعالج المرأة المرأة!)

يا صاح أنت بدين الله ترتزق	إلى حضيض الهوى والزور تنزلق
تمد كفاً إلى الحرام مُغتبطاً	وللكبائر والفحشاء تسبتق
وصرت فعلاً أسير الحُسن تعشقه	وعشت تأتي الذي يأتيه من عشقوا
فقلت: هذا الذي أردته شهوته	وبات يُحسب في صف الألى سبقوا
وسربلت قسَمات الغيد همته	فبات - في نار ما أبدين - يحترق
لم يأخذ الحذر من غيدٍ مكرن به	وكم يُعذب قلب العاشق الشبق!
أسرته بشعور أسدلت طعماً	في سلب من بسلام الله يرتزق
وبالعيون سببت فؤاد ناظرها	حتى قلاه الحيا ، واغتاله النزق
وبالخدود بدت في أوج زينتها	أما الضحية فالألباب والحِدَق
وبالخشوع بأقوال مرنمة	يسوقها منطق مس تعذب لبق
وبالطور إذا فاحت مرشحة	من كل نوع به للمشتهي عبق
وبالرضاب حلا طعماً لذائقه	وبالشفاه عليها (الروج) منطبق
وبالأساور في الأيدي لها لمع	كالشمس إذ يحتفي - بنورها - الأفق
وبالخضاب على الكفوف نقشتها	من الزخارف والتزيين تأتلق
وبالفساتين حلاها مُصممها	لأنه فطن - في رسمها - حذق

وبات يكويه مما ناله الأرق
وغالط الحق لما شفه الخرق
ولم يعد أدبٌ يجدي ولا خلق
وكل حمقى بموعودٍ لها تثق
والرأسُ يشهدُ ، والأطرافُ والعنق
حتى تكاد - من الأصفاد - تختنق
بالبحر يسكنُ في قيعانه الغرق
وداءُ خامسةٍ قلبٌ به حنق
كأنه السيفُ - في الهيجاء - يمتشق
وكم يضرّ لسانٌ حاقداً ذليق!
من الصحاب عن الإسلام قد فسقوا
بين المناكر تغشاها وتعتنق
هدى النبي ، فهم خثالة عُقق!
لعله - لانفراج الكرب - ينطلق
واطولك الحال لما انسدت الطرق
راحت ضحيّتها الموائسُ الحمق
بما جناه ، ولم يُصبح له رمق
فواقع الغيد لما أزه الشمق
شأن العصاة الألى للباطل انطلقوا

وفتنة بلظى الإغراء حين غوى
وظل يرقى ، وللرقيا مآربها
وضاق ذرعاً بمن أضحى يُناصحه
وللمواعيد فحواها ورونقها
فداءً هذي صداعٌ لا يفارقها
وداءٌ تلك كوابيسٌ تُصفدها
وداءٌ هاتيك أحلامٌ تُهددها
وداءٌ رابعةٍ نفسٌ مُفتنة
وداءٌ سادسةٍ عقلٌ يفيضُ أدى
وداءٌ سابعةٍ لسانٌ حاسدة
وداءٌ ثامنةٍ زوجٌ له زمرّ
وداءٌ تاسعةٍ روحٌ مُشتتة
وداءٌ عاشرةٍ أبناء ما تبعوا
لذا عمدن إلى الراقي على عجل
فبتن عبناً - على الراقي - ورقيته
وحاك إبليس محتالاً مؤامرة
وللإمام الخطيب اليوم غرغرة
إذ حام حول الحمى مستبشراً فرحاً
نعوذ بالله من خسران آخرةٍ

المسألة مسألة كرامة – معارضة حامد زيد

(الحب عاطفة سامية أقرتها الشريعة كتاباً وسنة. وناقشنا هذا من قبل في عدة قصائد. ولكن عندما تستباح الكرامة في سبيل الحب يصبح الحب وثناً يعبد ، وهذه قصيدة نبطية مطولة جداً ألفها شاعر الكويت النبطي حامد زيد ، ولفرط إعجابي بها رأيت أن أعارضها ولكن باللغة العربية. وسوف أورد نص حامد زيد على طوله ونبطيته احتراماً وحباً له وللجمهور ، وليدرك القراء مدى نجاحي في التحويل أو إخفاقي فيه! ويحسن أن أضع نص حامد (تبيني صدق ولا ما تبيني) أولاً:-

(تبيني صدق وإلا ما تبيني .. قبل لا أبهذلك وتبهذليني .. وقبل لا أفقد شموخي واحترامي .. وقبل لا أشمت العذال فيني .. أنا داخل عليك من الفضايح .. تبيني صدق والا ما تبيني .. أنا ماني بلعبه في يديك متى ما تعشقيني تعشقيني .. أبيك ان كان جيتيني حبيبه .. تجيني بصدق ولا لا تجيني .. أنا ما أرح مشاعر من عشقتي .. ولا أرضى لي عشقتك تجرحيني .. ما دام أني عطيت بكل قلبي .. مثل ما عطيك من قلبي عطيتي .. وإذا بعث العذارى واشتريتك .. تبيعين الرجال وتشتريني .. عشان أكون صادق لي عشقتك .. وعشان أريحك واتريحيني .. دخيل الله وقولي وبصراحه .. تبيني صدق والا ما تبيني .. أنا ما جيت ابي ألعب وتسلا .. أنا جيت أحتويك وتحتويني .. تبيني مثل كل الناس والا .. تبيني أقدرك واتقدريني .. مثل ما استحملك لامن زعلتي .. إلى مني زعلت استحمليني .. عرفتيني وأنا رجال وافي .. وأنا وافي قبل لا تعرفيني .. أحب الصدق لو هو من عدوي .. وأعاف الكذب لو من والديني .. مثل ما أقبل بليني وبشموخي .. لو أكره رحت بشموخي وليني .. إذا عن عادلي ديني ودينه .. وإذا عن غيرتي دينه وديني .. أنا لي ثارت الغيره بقلبي .. تقول الجن الأزرق معتريني .. أبي وأنتي معي منتي لغيري .. وإذا كنتي لغيري جنبيني .. أغيب وتذكريني بالحشيمه .. ولا أرح في ذراك وتلعغيني .. طويلين الشوارب ما احقروني .. تبيني أنتي تجين وتحقريني .. إذا نفسي رضت لي بالمذله .. أبذبحني قبل لا تذبحيني .. مادام أني وفي كوني وفيه .. لاني ما أذعك ولا تخدعيني .. أنا لي أخذت قدرتي واحترامي .. خذيني مثل ما تب تاخذيني .. تبين بخوتي سيف(ن) مجرب .. وإذا بمروتني ليث بعريني .. فأن ألفيتني شهما شجاعا فليس البر أن تستضعفيني .. فأتى ذقت بالآلام ذرعا وما في الغدر قمح يتقيني .. أكف الدم لحزنا بعد حزن عشقت القمعا حيناً بعد حين .. لعمرى كم حيوت الناس قلبا وما في الناس قلب يحتويني .. أنا الحزن الذي لا حزن بعدي ولا يعني حنين عن حيني .. فلا من كان قبلي كان قبلي ولا من قد يليني .. قد يليني أنا المملوء حزنا وانكسارا وما فرطت في عرضي وديني .. أنا المختال من فخري بفقرتي وتبت كل عين تزدريني .. أنا من ذاق ملئ الأرض هونا وما أخضعت للعنقا جيبيني! فإن جاءت بي الأقدار يوما أجوب الأرض خوفا من أنيني .. فروفني واحفظي لي ماء وجهي ولا تخشيني واخشي الله فيني .. فلو أني رجوت الله شيئا فأرجوا الله أن لا تظلميني .. عشان ان عشقت اعشقتك كلي .. أبيك كلك تجين وتعشقيني .. فلا تقفي عيونك عن عيوني .. ولا تدفي يديك ألا يديني .. أكون أقرب لقلبك من عروقتك .. وأحسك بين شرياني وبينني .. اسامح لك خطاك اليا خطيتي .. وأنا لا من خطيت تسامحيني .. ولك مني عهد ما أصد عنك .. وأبي منك عهد ما تخذليني .. عشان أبقى معاك العمر كله .. وأشيل محبتك برموش عيني أنا بحلف يمين أني لصونك فلا أخونك ولا أرد بيمينتي.. وعساني للهلاك أن خنت .. وأنتي عسى الله يلعنك لو تتركيني!)

وطبعاً عانيت الأمرين واستعنت بإخوة كويتيين لمعرفة بعض المعاني ولما أدركت المعاني كتبت!
والنص الذي استمعت إليه من حامد زيد كان أسبق بسنين من النص الذي قرأته كاملاً ، ولذا فإنني
أفضل هنا أن أعرض النص الذس سمعته منه أول مرة كذلك ، وفيه بعض الاختلاف:-

والله وصرتي تستهينين فيني

الشاعر : حامد زيد

والله وسـرتي تستهينين فيني	وانا الذي سويت قدرك بأيدي
تدرين ويش كنت قبل تعرفيني	أن قلتك كنتي ولا حاجة شوي
أنا الذي فرشت لك رمش عيني	وعملت منك شيء وانت ولا شيء!
جيت أعشقتك ما جيت لك تجرحيني	جيت أسكنك بسما ما هو بسكنك غي
لاصرت عاملك قدر قدريني	تري الكرامة صفحة ما لها طي
مادام ما اجتي غللا لا تجيني	نار الجفا عندي ولا الذل بالفني
والله لهجرك قبل لا تهجريني	أجل تبيعيني واجي لك برجلي
يا تتركين الكبر يا تتركيني	لان المحبة شيء والمهزلة شيء
أن كانت الدعوة غلاي وحنيني	بكرة يزول الحقد ويشعشع الظي
أما حكاية ينحني لك جيبيني	في نمتي ما ينحني لك وأنا حي

وهذا تعريف بحامد زيد لمن لا يعرفه! وكنت قد حصلت على هذه الترجمة جاهزة من موقعه:
(هو حامد زيد سعدون فارس العازمي ، ولد في محافظة الأحمدية بدولة الكويت في 4 فبراير عام
1977م - متزوج وله 6 أبناء ويكنى بـ أبو عبد العزيز ، وهو عضو في ديوانية شعراء النبط
بدرجة شاعر (أ) ممتاز ، وله ألقاب عديدة أطلقتها عليه الصحف منذ بداية ظهوره الإعلامي عام
1995م ومنها (أسطورة الشعر - شاعر الجيل - شاعر المطولات) ، هواياته (الشعر - ركوب
الخيال - الرماية - الغوص). كانت بداية ظهور الشاعر حامد زيد إعلامياً في سبتمبر 1995م
وكان في الثامنة عشرة من عمره! وذلك من خلال برنامج ديوانية شعراء النبط مع الشاعر القدير
حمد العزب الذي توسم فيه علامات الإبداع والتميز رغم صغر سنه ، ثم انتسب لعضوية الديوانية
بعد اجتياز اختبار القبول بدرجة شاعر (ب) وسرعان ما انتقل إلى درجة (أ) ثم إلى (أ - ممتاز) له
حرفية يعرفها الناس عند قراءة أي قصيدة يكتبها حامد زيد قبل أن يعرفوا شاعرها ، واتبع أسلوبه
الكثير من الشعراء الشباب اللذين انضموا إلى مدرسته الشعرية وتأثروا به ، وله الفضل في إعادة
مجد القصائد المطولة لمجدها بعد أن سادت القصائد القصيرة لفترة طويلة).هـ. ويبدو أن حامد زيد

اعتنى كثيراً بالأمسيات فمثلاً أمسياته داخل الكويت فمنها: (أمسية هلا فبراير بتاريخ 5 فبراير 2001م بمشاركة كل من الشعارين: ضيدان بن قضعان و عياد الشمري. - أمسية هلا فبراير بتاريخ 9 فبراير 2002م بمشاركة كل من الشاعر ه بشاير الشيباني والشاعر حمد السعيد. - أمسية هلا فبراير بتاريخ 16 فبراير 2004م بمشاركة الشاعر خالد المريخي. - أمسية الهيئة العامة للشباب والرياضة بالتعاون مع جريدة السياسة في 12 يونيو 2000م وكان عريف الأمسية علي المسعودي. - أمسية معرض الكتاب وكانت بمشاركة الشاعر رجا القحطاني في عام 2000م - الملحمه الوطنيه وكانت بمناسبة مرور عشر سنوات على تحرير الكويت وأربعون سنة على الاستقلال). وأما الأمسيات خارج دولة الكويت فكان منها: (أمسية مهرجان عبادة واستفادة في المدينة المنوره في 25 يونيو 2001م - أمسية مهرجان صيف الطائف بتاريخ 5 يوليو 2001م - أمسية اتحاد طلبة الكويت بالقاهرة في أكتوبر 2000م - أمسية عنيزة في ختام مهرجان القصيم السياحي والتي وصل جمهورها إلى 8000 شخص في تاريخ 31 يوليو 2003م - أمسية أبوظبي في 15 أكتوبر 2003م - أمسية صيف أبها في 7 أغسطس 2004م - أمسية واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية. وكانت من تنظيم اتحاد طلبة الكويت فرع الولايات المتحدة - أمسية مانشستر سيتي بالمملكة المتحدة البريطانية. وكانت من تنظيم اتحاد طلبة الكويت فرع المملكة المتحدة. - أمسية رأس الخيمة بالإمارات العربية المتحدة. أسأل الله أن يأجره على أشعاره وأمسياته!)

لقد استبحت كرامتي وكياني
 وطغنت سُمعة من أحبّك مُخلصاً
 ثم استتهنت بُخبه وبقلبه
 وسخرت منه ، وكنت في صف العدا
 ونسجت من كذب الوُشاة عباءة
 وانصعت - للمس تهزين - تكلفاً
 وعليك هُنت وما لديك مُبرر
 وأعانك الحُساد حتى بعثني
 والعيبر حولك يضحكون سفاهة
 وظللت وحدك تحت مطرقة الهوى
 خصمان في الهيجاء نرتقب الردى
 وأزلت بالبطر المقيت صياني
 وهتكت عرض العاشق الولهان
 ورميته بالزور والبُهتان
 وأدرت طوعاً دُفوة العودان
 مؤشية بالحقد والشنان
 وغرقت في منظومة الهديان
 وهزلت في سر وفي إعلان
 بيع الرقيق بأبخس الأثمان
 في موقف يدعو للاستهجان
 وأنا كذلك في الوغى وحداني
 فإلى متى يتقاتل الخصمان

لَمَّا غَزَتِكَ وَسَاوَسُ الشَّيْطَانِ
مَنْ ذَكَرْتُكَ كَلَّلْتُ بِهِ وَا
وَعَمَّرْتُهُ بِأَطْيَابِ الأَلْحَانِ
أَوَّلَمْ يَكُنْ يُخْزِيكَ أَرْدَلُ شَانِ؟
مَا حُزْتُ مِنْ عِزِّ وَمِنْ سُلْطَانِ
وَمَحَبَّتِي لَكَ أَنْصَعُ الْبَرْهَانِ
يَدْعُوكَ لِلخَيْرَاتِ وَالإِحْسَانِ
كَيْ تَمَكِّنِي فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ
يَطْغَى عَلَيَّ شَخْصِيَّتِي وَكِيَانِي
وَمَنْحَتُهُمْ بِتَقَرُّبِ وَتَفَانِ
سَأَقُولُ قَوْلًا لَيْسَ فِي الخُسْبَانِ
تَلْقَى - مِنْ الأَهْلِينَ - كُلَّ طَعَانِ؟
أَوْ - فِي المَذَلَّةِ وَالشَّقَا - كَعَوَانِي؟
مُتَبَذَّلٍ - بَيْنَ الأَنْبَامِ - مُهَانِ؟
مُنْتَبِذٍ بِأَقْبَحِ كُنْيَةٍ وَمَعَانِ؟
وَأَجَبْتُ مَا طَلَبُوهُ دُونَ تَوَانِ؟
دِينِ الهُدَى أَوْ حُرْمَةِ الإِنْسَانِ؟
مَا العَيْشُ دُونَ مَحَبَّةِ وَحْنَانِ؟
وَالأَمْرُ مَشْتَهَرٌ لَدَى الجِيرَانِ؟
فِي سَوْقٍ مِنْ وَضْعِكَ فِي المِيزَانِ

وَأَرَاكَ صَدَقْتَ الوَقِيعَةَ بَيْنَنَا
وَذَكَرْتُ مِنْ مَاضِيكَ مَا قَدِ رَاعَنِي
وَأَنَا الَّذِي طَرَزْتُ عَيْشَكَ بِالهِنَا
وَأَنَا الَّذِي أَعْلَيْتُ شَأْنَكَ فِي الوَرَى
وَأَنَا الَّذِي أَثْقَلْتُ وَزْنَكَ بِالأَذَلَا
وَأَنَا الَّذِي ثَمَّنْتُ وَزْنَكَ بِالدِّمَا
وَأَنَا الَّذِي أَهْدَيْتُكَ النُّورَ الَّذِي
وَأَنَا الَّذِي بِيَدِي أَعْرَتُكَ مُهْجَتِي
وَأَنَا الَّذِي أَحْبَبْتُ حَبَابَ طَاهِرًا
وَأَنَا الَّذِي أَكْرَمْتُ قَوْمَكَ مُكْرَهًا
وَأَقُولُ: مَاذَا كُنْتَ قَبْلَ لِقَانِنَا
أَوَّلَمْ تَكُونِي - فِي الخِلَاقِ - طِفْلَةً
أَوَّلَمْ تَكُونِي كَالإِمَاءِ رَخِيصَةً
أَوَّلَمْ تَكُونِي مِثْلَ كَمِّ مُهْمَلٍ
أَوَّلَمْ يُذَقَّكَ الأَهْلُ كَأَسِّ تَهَكِّمٍ
أَوْ مَا خُدِمْتَ الكُلَّ دُونَ تَلْكَوَةٍ
أَوْ مَا أَطْعَمْتَ أَوْ أَمْرًا لَمْ تَحْتَرَمِ
أَوْ مَا افْتَقَدْتَ - مِنْ الجَمِيعِ - حَنَانِهِمْ
أَوْ مَا ابْتَدَلْتَ بِدُونَ حَقِّ بَيْنِهِمْ
إِنْ قُلْتُ: أَنْكَ كُنْتَ أَرْخَصَ سَاعَةٍ

عابنتها في زمرة النسوان
في عُمر من أتت الحياة تعاني
تحيا كمثل فلانة وفلان
وتنازلت حتى عن الرُجحان
وتمرغت في حَماة الأشجان
فأذاقها التعييرَ كل جبان
واستسلمت للظالم والطغيان
والحق ما أعلنته بلساني
وأعيرها لونهاً من التبيان
ما الشعرُ دون ترنم الأوزان؟
أندى من النعناع والريحان!
بالشعر إذ هو حَجَّتِي وبَيَانِي
هو بعض وصفك ، إنني حقاني
لم يختلف في سردِ ذلك اثنان
وسلي صريح الأهل والخِلان
والشاهدات إذا أردت دواني
عشاقاً يُوافقُ سورة الرحمن
حاشاي أن أنقادَ للعصيان
في غادةٍ عربيةٍ وحَصان
وعلى هدى من قدوتي (العدنان)

أو قلتُ: أنك كنتِ أشقى مرأةٍ
أو قلتُ: إنك عشتِ أبأسَ فترةٍ
أو قلتُ: لم تكِ هذه إنسانة
أو قلتُ: عن كل الحقوق تنازلتِ!
أو قلتُ: قد سحقتِ المَرار حياتها
أو قلتُ: ما ارتضتِ الإباءَ طريقة
أو قلتُ: هذي غامرتِ بحياتها
أنا ما كذبتُ ، وفي الحياة شواهدِي
وسَطرتِه شعراً لأصقلُ فكرتي
وعمدتُ للوزن الذي أحببته
وأتيثُ بالألفاظ عاطرة الشذي
حتى أبينَ عنك كل حقيقةٍ
هذا الذي أنا قلتُه ، وتفطني
أنا لم أبالغ فيه ، بل أنا صادقٌ
هذا قليلٌ من كثيرِ صدقي
واستشهدي ، إن الشهودَ تجهزوا
أنا كل جُرْمِي أن عشقتكِ زوجة
أنا لستُ أرضى بالتحلل منهجاً
أحببتُ أفترضُ الخيَورَ جميعها
وفق الكتاب ، ووفق سنة (أحمد)

مُتَغزلاً فِي حُسْنِهَا الْفَتَان
يُزَكِّي لظَاهِهَا مَنْظَرَ الْفَسْتَان
أَوِّلْتُ لَتَجْوَل فِي الدُّنَا لثَوَان
مَغْلُوطَةً الْقَسَمَاتِ وَالْأَلْوَان
فَلَمَّ التَّمَادِي فِي دُجَى الرُّوْغَان؟
فِي الْحُبِّ وَالْإِحْسَاسِ وَالْوَجْدَان؟
وَلتُنْتَرِكِي فِي عَالَمِ النِّسْيَان!
وَجَمِيعَ مَا دُونَ الْكِرَامَةِ فَنَان
مَا أَشْتَهِي مِنْ عَيْشَةٍ وَأَمَان
مَنْ نَارِ ذَلِّ فِي الْمَحَبَّةِ شَانِي
يُفْضِي إِلَيَّ التَّعْذِيبَ وَالْحَرْمَان
كَلَّ الْعِدَا حَتَّى صَرَخْتُ: كَفَانِي؟!
مَنْ عَالَمِ الْأَحْقَادِ وَالْأَضْغَان
تَا اللَّهُ إِنْ الْخَيْرُ فِي الْهَجْرَان
وَاسْتَفْرَغِي مَا فِيَّ مِنْ سَلُون
إِذْ يَذْبُحُ الْحَمَقَاءَ كَالْقَرِيبَان
لَا تَرْجِعِي - بَعْدَ الْجَفَا - لِمَكَانِي
أَمْسَى يُرَاوِحُ فِي الْحَمِيمِ الْآن
يَا ذِي الْحَبِيبَةِ مَزَقِي عُنْوَانِي
سَاجِدَةٌ لِرَبِّي الْوَاحِدِ الْبَدِيان

أَنَا مَا عَشَقْتِكِ غَاةَ الْهُوْبَهَا
أَنَا مَا عَشَقْتِكِ شَهْوَةَ مَسْعُورَةَ
أَنَا مَا عَشَقْتِكِ لِلتَّسْلِي لِحِظَّةِ
أَنَا مَا عَشَقْتِكِ كِي أَكْلَمَ صُورَةَ
مَا دَمَتِ غَلَبَتِ الْكِرَامَةَ مَوْنَلًا
وَلَمَّ اعْتَبَارِي عَاشِقًا مَتَكَلْفًا
فَلتَقْدُرِي قَدْرِي ، وَإِلَّا فَارْحَلِي
إِنَّ الْكِرَامَةَ فَوْقَ مَاتِنِ وَدَانَا
وَكَرَامَتِي دَوْمًا أَقْدَمَهَا عَلَيَّ
نَارُ الْجَفَا عِنْدِي أَقْلُ ضِرَاوَةَ
وَالهَجْرُ أَفْضَلُ مِنْ وَصَالِ شَانِنِ
فِيمِ التَّلَاقِ بِأَلْتِي بِي أَشْمَتَتْ
آثَرْتُ هَجْرِكِ ، إِنَّ هَجْرَكَ مُنْقَذِي
إِنَّ بَعْتَنِي يَوْمًا فَمَا أَنَا مُشْتَرِي!
وَتَكْبَرِي مَا شِئْتِ أَنْ تَتَكْبَرِي
تَجْدِيهِ يَهْلِكُ كُلُّ مَنْ وُصِفَتْ بِهِ!
إِمَّا تَرَكْتِ الْكِبْرَ ، أَوْ عَنَى إِذْهَبِي
وَتَعَمَّدِي نَسْيَانِ حَبِّ بَيْنِنَا
إِنِّي كَرِهْتُكَ وَالِدْرُوبُ شَوَاهِدِي
أَنَا لَنْ أَطَاعْتُ لِلْحَبِيبَةِ هَامَةَ

سلوى

(أوردت قصة سلوى مجلة الأسرة (السعودية) في عددها 152 بتاريخ ذي الحجة 1426هـ. وخلصتها أن فتاة رزقها أبوها وكانت ثامنة البنات وكان مستاءً إذ عاش يلتمس الولد. وعاش ذلك الوالد ساخطاً على سلوى كل السخط. وذات يوم يُصاب ذلك الأب القاسي بمرض يستدعي نقل مادة من النخاع الشوكي، وتكون المادة عند سلوى، فيؤخذ منها السائل وتموت. ويزرع السائل للأب فيشفيه الله! كان هذا هو الموجز واليكمُ الأنباء بالتفصيل، ترويها الأم فتقول عن نفسها وعن بناتها وعن أسرتها: لم أدرك حين أدرُسُ في مدارس التعليم العام أن الواقع الذي نعيشه غير المنهج الذي ندرسه، فقد درستُ وتعلّمتُ، بل كنتُ متفوقة في دراستي، تعلّمت وأدركت عظمة الخالق عز وجل وكيفية إخلاص العبادة لله وحده! وتعلّمتُ الإيمان بالقضاء والقدر بل والرضا بما قرّره الله تعالى. مرّت السنون وتزوجتُ رجلاً عشتُ معه سنين جميلة، أنجبتُ فيها ابنتي الأولى ثم الثانية والثالثة تباعاً، ففي كل عام تستقبل الأسرة مولودة، وكنتُ خلالها أرقب في عيني زوجي رغبته المُلحّة في إنجاب ذكر يحمل اسمه، وكان الاسم لا بد أن يحمله آخر غيره! في العام الرابع عشر لزواجنا حملتُ للمرة الثامنة وابنتي السابعة لم تبلغ شهرها الثالث بعد! وعصفت بي أمراضٌ كثيرة كان الضغط والسكر أبرزها عدا هشاشة العظام التي زارتني باكراً وعمري لم يتجاوز أربعاً وثلاثين سنة، وعدا عن كون رحلة الحمل هذه وهناً على وهن، فقد تحولت لرحلة عذاب نفسي وتهديد دائم من زوجي الذي ازداد جبروتاً وغلظة في التعامل معي ومع بناتي السبع، على الرغم من أن الله قد أنعم عليه بنعمة الصحة والمال إلا أنه يضيق الخناق علينا! وبرغم كوني امرأة عاملة وأصرف مرتبي كاملاً على بناتي وبيتي، إلا أننا نوشك أن نُعدّ من الفقراء! ثقل الحمل في الأشهر الأخيرة وصاحبته الأمراض، فسقطت بعض أسناني وأصابها التسوس من جرّاء نقص الكالسيوم الذي استهلكته خلال الحمل المتواصل لعدة سنوات، كما ضعف نظري كثيراً، وتحول لون شعري إلى اللون الرمادي كحياتي! بل هو أفتح منها قليلاً! لم أعترض قط على ما وهبني الله من البنات، فقد كنتُ أمارس حياتي كأم وصديقة لبناتي! بل إنني كثيراً ما أحمد الله على ما وهبني من نعمة الإنجاب أولاً، ثم ممارسة الأمومة ثانياً! وتبقى ثالثاً المتعة التي أجدها في الحديث معهن، حين ينقلن لي أخبار المدرسة وأحاديث صديقاتهن ومداعباتهن لمعلماتهن، فقد وهبهن الله خفة في الدم وجمالاً في الروح! وتزيد لدينا حين نتحلق ونضع القهوة والحلوى مساءً، ونجتمع سوياً لا يقطع حديثنا إلا صراخ إحدى الصغيرات وقد أغلقت أختها دونها باباً أو تشاجرت معها بسبب لعبة! وإن كان الناس يؤلفون ويروون الطرف والنكت فنحن نعايشها يومياً! تستطيع حينما ترى حياتنا أن تنعتها بالانبساط ولكنك أبدأً لن تصفنا بالسعداء! فنحن وإن كنا (أنا والبنات) في حالة سرور إلا أنه ما أن يحضر (السيد) إلا وتجد البنات يتقافزن متفرقاتٍ هلعاتٍ، فهو على الدوام عابس مكفهر متبرم ناقم. عجباً كيف ينقم على نعمة؟! واقترب موعد الولادة، وبدأ التوتر يظهر في أجواء الأسرة. شعرت البنات بناقوس الخطر يدق في أركان بيتنا من جرّاء تهديد والدهن لي بالطلاق تارة وبالزواج من ثانية تارة أخرى، بل وتعدى الأمر إلى التهديد بالطرد من المنزل إن أنجبت بنتاً! وعاشت البنات في قلق ونقلن معاناتهن لصديقاتهن في المدرسة، وامتد ذلك القلق لأسرهن إشفافاً على وضعنا! وحين حلت الامتحانات كنت في الأيام الأخيرة من الحمل! وأخيراً وضعت. وضعتها

أنثى. الثامنة ، جميلة ، بل فاتنة. سليمة من العاهات. وحين علم زوجي بذلك لم يتمالك نفسه ، فخرج من المستشفى غاضباً ساخطاً وترك بناته في مدارسهن ينتظرنه ، للعودة للمنزل بعد انتهاء الامتحان ، وتركني أعانى آلام الوضع والحيرة. وأخيراً عادت البنات بصحبة إحدى المعلمات ، بينما أنا في المستشفى أرقب عودته لتسجيل الصغيرة وإثبات ولادتها ، حيث لا توجد معي أوراق رسمية! ورجع زوجي بعد يومين وأعادني إلى منزلي بعد إنهاء الإجراءات ، وكان يشتم ويسب ، وكنت أصبر وأحتسب! وعدت إلى منزلي فأورقت أغصان البنات ، واستأنفن المذاكرة ، فكلهن متفوقات دراسياً ، ولكن القلق أخذ يساورني على مستقبلهن ، إلا أنني عُدت إلى المنهج الرباني مؤمنة بالقضاء والقدر ، والرضا به. ولم يكن وجود طفل صغير في المنزل شيئاً مستغرباً ، فحن ما نكاد نودع السنة الأولى من حياته إلا ونستقبل طفلاً آخر! لم نصل بالطبع إلى تكوين فريق كفريق كرة القدم ، فلا زلنا بحاجة لمُدافع أو أكثر. أما المهاجم فمتواجد طوال الوقت يسجل أهدافاً موجهة على فريقه! ومرّت السنون ، وكبرت (سلوى) المسخوط عليها! فصارت تستقبل والدها. ترفع شماغه عن رأسه. تداعبه. تقبلّ يده ، ولكنه يقابل ذلك اللطف بجفاء وغِلظة ، وكثيراً ما يعنفها ، ويتمتع بكلماتٍ ساخطة ومكررة: (الله لا يكثركن عند الصديق)! وإن كان من المعتاد أن يكون الأب الذي لديه بنات أكثر لطفاً وحناناً ممن لديه ذكور ، إلا أن هذا الأب لم يستشعر الأجر لمن يُعيل ابنتين فكيف بثمان؟! ولم يستمتع قط بهذا الجو الأسري الأسر وبلطف بناته وحنانهن! ولم يُقدّر كونه أباً ومسؤولاً عن أسرته ، حين أحال حياة الأسرة إلى قلقٍ وتوتر ، عدا اضطهاد زوجته بالتهكم بلفظ (أم البنات) وكأنها وصمة عار! ومع ذلك كنا نقنع أنفسنا بأن حياتنا ممتعة جميلة! ووجود (سلوى) في منزلنا أضفى على حياتنا الهدوء النسبي والدعة ، فقد كبرت البنات واستكملن دراستهن في تخصصات مختلفة. أما (سلوى) ففي الصف الثالث الثانوي ، وهي الصغرى حيث لم أنجب بعدها لأن زوجي كف عن المطالبة! وقلّت حدّته وأصبح هادناً بعد أن تكالبت عليه الأسقام ، وأصيب بمرض يستدعي نقل مادة من النخاع الشوكي حيث توقف عن الحركة تماماً. واستدعى الأمر التبرّع له من أحد أقاربه فذهبنا جميعاً للمستشفى لعمل اختبار لمعرفة مدى ملائمة السائل لجسمه ، وكانت (سلوى) هي التي أثبتت الاختبارات والتحليل مطابقتها تماماً للمطلوب! وخضعت لعملية نقل جزء من النخاع لإنقاذ والدها! لقد كان لها موعد مع الفراق الأبدي! والموعد الموت إذن والرحيل: (باقٍ من الحزن أضعافُ الذي ذهباً *** لا الجوع دهرٌ ، ولا كلّ الفصول صبا!) وحيث لم تكن (سلوى) من أهل الدنيا. فقد فارقت الحياة بعد إجراء العملية! غادرت الدنيا ، بصراعاتها ، وآلامها ، وقلقها. تركتها لنا ورحلت. بعد أن أودعت في كبدي وسمّاً من الألم لا ينمحي. وفي قلبي جرحاً لا يندمل. وفي عيني دمعة متجمدة! حين كنت أراها بين أخواتها تتفجر نشاطاً وحركة ، وتضج حيوية وإقبالاً على الدنيا بجمالها الأخاذ وذكائها الوقاد عدا عن تفوقها الدراسي وقدرتها على التعامل الرانع مع والدها ومع الناس. حين كنت أرقبها وهي كذلك ينقبض قلبي. ويرادني إحساس قديم لا يكذب! بل يتجدد! كنت أدرك أنها ليست الثامنة بل الزائرة! جاءت لتوقف تيار الألم ، وتزرع الأمل ، وتلون حياتي بالتفاؤل. وكأن قدومها هبة من الله لوالدها لتستمر به الحياة. وهو (الساخط) على مجيئها. فكتبت في ذلك على البحر المتقارب أقول:

حنانيكِ يا ذرّة العائلة ورفقاً بأهلكِ يا راحلة

بكأس - من المنتهى - قاتلة
سبا الغادة البرة الفاضلة؟
ألا بورك البذل والبذلة!
وحارت مبادرتي الثائلة
بميتها المجذ في الآجلة
يرجع أمجادها الحافلة
تعزي - بتغريدها - العائلة
وتلتاع خارجة داخلة
تهون بالمدحة النازلة
ثوث تنشد العيشة الكاملة
إلى القبر في حفرة قاحلة
وتجعل إطرائها نافلة
دموعاً - على فقدها - هائلة
تصبر بالطرفة القافلة
وتنذر غافية غافلة
من الفضة الحرة العاقلة
وترجولها الرحمة العاجلة
مكرمة - في الورى - باجلة
وسامح موقرة عاملة

هي التضحيات سقتك الردى
ومن لي بوصف العطاء الذي
وللبذل - في جودها - شيمة
وكم حرت في وصف معروفها
لكيما أوبن من سطرث
وللذكريات صدى لاعج
فذكرى تغرد في دارها
وذكرى تردد أنشودة
وذكرى تبالغ في مدحها
وذكرى توبن (سلوى) التي
وذكرى تشيع جثمانها
وذكرى تسلي رفيقاتها
وذكرى تسامر أمماً بكت
وذكرى تُداعب من شيعوا
وذكرى تناصح جارتها
وذكرى تناعي حبيباتها
وذكرى تنوخ على قبرها
فرحمة ربي على غادة
ويا ربنا اغفر لها ذنبها

مرحى بغانبتين

(بناء على طلب ابني يوسف في وصف حاله وحال إخوته في قدوم أمهم وأختهم. حيث أخذوا يعدون أنفسهم لاستقبال أمهم وأختهم فاطمة! فأراد يوسف أن أصف حالنا جميعاً بدونهما! فاعتذرت قائلاً: إن الشعر شعور يا بني! وما لم تأتي عاطفة وشعور يقودان إلى مطلع ثم قصيدة ، فلا أظنني سأكتب شيئاً! فقال يوسف: إذن صف بالشعر حالنا جميعاً بمل فينا أنت! عرّف الأستاذ تركي بني خالد الشعر بسؤال وجواب فقال ما نصه: (ما هو الشعر؟ هذا السؤال البسيط والمعقد في الوقت ذاته؟! ما هو الشعر إن لم يكن ضرباً من الجمال؟ ما هو الشعر إن لم يكن رسم بالألفاظ التي يتم اختيارها بعناية لتعبر عن سيل من العواطف الإنسانية؟ ما هو الشعر إن لم يكن كما هو اسمه شعوراً إنسانياً صادقاً؟ ما هو الشعر إن لم يكن محاولة لفهم العالم بوسائل بشرية بالاستعانة باللغة بكامل عناصرها التي تتوفر لذلك الإنسان المحظوظ الذي يمتلك تلك القدرة على حياكة الكلمات لتصنع نسيجاً جميلاً كما الجمال نفسه؟ ما هو الشعر إن لم يكن لإثارة الأحاسيس الناعمة لدى كاتبه أو سامعه أو قارنه على حد سواء؟ ما هو الشعر إن لم يكن ذاك الشعور الفياض الذي يداعب عيون وأذان وعقول ووجدان البشر الذين يملكون حظاً من الحس الموسيقي والحس اللغوي والقلوب التي تتوق لتذوق الجمال في مخلوقات الله؟ ما هو الشعر إن لم يكن مصدره ذلك اللغز العذب الذي يسمونه إلهاماً؟ وما أدراك ما الإلهام؟ وما هو الشعر إن لم يكن فناً كسائر الفنون؟ لا يكون فناً بغير الجمال الذي يجذب حواس الإنسان إن تبقى شيء منها). هـ. واتفقت مع يوسف على مقطوعة!

مرحى بغانبتين في غيابهما	ذقنا الأسى والضنا والبؤس والألما
حبيبتيان ، فذني أم تشرفنا	وتلك أخت هواها يبعث النغما
لم نبتسم قط مذ هاتين سافرتا	والآن كل فتى يختال مبتسما
وما استكانت - لطعم النوم - أعينا	وهل ينام الذي بحزنه اصطدما؟
ولم نذق قط من سعدٍ ولا مَرَح	وكيف يسعد من في شوقه انهزما؟
واليوم حُق لنا أن نستطيل على	مُر العذاب ، ونطوى الكرب والسقما
ونتحف الدار زيناتٍ وزخرفة	ونرفع الهام والأشواق والهمما
ونبذل الشعر - في الأركان - مؤتلقاً	ونسكن الحس والإحساس جو سما
ونسعد اليوم باللقيا خواطرنا	عادت إلينا التي تهدي لنا القيمما
وشرفتنا بهذي الدار (فاطمة)	طابت لنا بين من نشقى بهم رجما

(رسالة إلى عاق) بر الوالدين

(كم كتبنا عن عقوق الوالدين! ولا نزال نزيد الكتابة عن الترغيب في بر الوالدين والترهيب من عقوقهما! والأب ولو كان كافراً مشركاً فهو نعمة من الله لك أيها العاق ، لأنه كفاك إجابة سؤال الناس لك: من أبوك؟ والله لو حيزت لك الأرض كل الأرض وصرت مالكاً لها ، وكان الناس كل الناس عبيداً لك ، وملكت أضعاف الأموال التي كانت عند قارون ، وكنت ابن سفاح لا نكاح ، وسألك الناس من أبوك؟ لتمنيت أن تشتري لك نسباً بكل ما تملك! عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوته يوماً فأسمعتني في رسول الله ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أبكي. قلت: يا رسول الله إنني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ ، فدعوته اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد أم أبي هريرة». فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جنث فصرت إلى الباب ، فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي ، فقالت: مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء. قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً. قال: قلت يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم حبب عبديك هذا- يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين». فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني. رواه مسلم. وعن أبي هريرة- رضي الله عنه - أن أمه كانت في بيت وهو في آخر ، فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها فقال: السلام عليك يا أمه ورحمة الله وبركاته. فتقول: وعليك يا بني ورحمة الله وبركاته ، فيقول: رحمك الله كما رببتني صغيراً. فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً. الأدب المفرد للبخاري. وعن أبي أمامة: «أن أبا هريرة كان يلي حمل أمه إلى المرفق وينزلها عنه ، وكانت مكفوفة كبيرة». البر والصلة لابن الجوزي. وعن عائشة أنها قالت: "كان رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبر من كان في هذه الأمة بأمرها: عثمان بن عفان ، وحارثة بن النعمان ، فأما عثمان ، فإنه قال: ما قدرت أن أتأمل أمي منذ أسلمت. إنني أوجه أبياتي هذي لكل عاق لوالديه ليتوب إلى الله!

أحسن إلى أبويك صاح كليهما	حتى تؤدي طائعاً حقيهما
وابذل عطائك كاملاً ومكماً	واشكرهما - أبداً - على فعليهما
واحرص على استرضاء كل منهما	واخفض جناح الذل بين يديهما
وأطل دعائك: يا إلهي ارحمهما	إذ ربياني ، واغفرن لكليهما
هذي وصية ربنا وحدوده	والفوز كل الفوز في بريهما

وتحمّلا كُرباً مَحَثٌ صَفويهما
وتخضبتُ - بالمعضلاتِ - يديهما
وأراك تجحد - في الورى - فضليهما
نِدانٌ قد بلغ السُوا رأسيهما
والنوم يُغري - في الدجى - جفنيهما؟
كم كابداه بما يشق عليهما؟!
أنكرت دون مبرر جهديهما
ذرفت دموع المعصيات ليديهما
وجنانٌ ربك في ثرى قدميهما
واحذر سقوطك صاح من نظريهما
فإذا ابتغيت الخير سُقه إليهما
وتذكر الأبناء في إثريهما
حتى توفي قانعاً حقيهما
كيما تعطّر بالصفا سَمعيهما
وأطل حديثك عن شذى بذليهما
واستنطق التاريخ عن جوديهما
كانت تضم على الهدى نفسيهما
كيلا تعذب بالجفا رُوحيهما
واغفر لمن أبواه سيئ إليهما

فهما اللذان تجرّعا مُرّ الشقا
وتكلفا ما لا سبيل لوصفه
واليوم لقتك العقوقُ دروسه
ناديت كلاً باسمه ، وكأتما
أنسيت كم سهرًا عليك تولها!
أغفلت عما في الطفولة من ضنا
حتى يفعت ، وصرت ترفل في الهنا
تعس العقوقُ! فكم أذل ضحية!
والبرُّ أفضلُ ما اكتسبت سجية
فاربأ بنفسك أن تعقّ لحيطرة
وكما تدينُ تدانُ ، فاسمغ واعتبر!
والكأسُ دائرة ، وهذي سُنة
أوصيك بالأبوين خيرَ وصيةٍ
أسمغها طيبَ الكلام تعبداً
وأدم نوالك حِسبة وتجملاً
واستروح النسماتِ من ذكرى الصبا
واستجوب الأهلين والدار التي
يا صاح فاعلم ، والحقيقة مُرة
يا رب سامخ من تجاوز واعتدى!

في ذمة الله يا أبوي

(قصيدة نبطية للشاعر الإماراتي خالد المهيري في رثاء أبيه غالب المهيري. وكان قد طلب مني أمام المنشد إبراهيم الهاجري أن أحولها إلى شعر عربي موزون مقفى على البحر الطويل! فقلت له: على أنني لستُ صناعاً ولكنني سوف أحاول ، وذلك بشرط أن تسمعي النص النبطي! فما أن سمعت وقرأت النص النبطي من شاعره ، حتى قررت تحويله لنص عربي فصيح على البحر الطويل كما اتفقنا! وأعطيتُ النص الشعري العربي الفصيح ذات العنوان الذي أعطاه صاحبه! وكنتُ قد عمدتُ إلى تحويل النص دون التصرف في معانيه! وتم ذلك بنجاح والله الحمد وبه التوفيق ومنه العون والسداد! ولما التقينا ثانية برفقة الهاجري هنا في (عجمان) وتحديدًا في مطعم البر والبحر للمندي اليمني! وكان أول عهدنا ولقائنا الطعام! وكان معي ولدي عبد الله ، وكانت مفاجأة جميلة من الهاجري! وتجادبنا أطراف الحديث عن النص النبطي وأخيه غير الشقيق النص العربي الفصيح ، وتدوّقنا الفوارق الجوهرية بين النصين من ناحية الصياغة والمعاني والتراكيب والإيحاءات! وفي الختام تم الاقتناع بأن النص العربي الفصيح له من العالمية والانتشار أضعاف أضعاف ما للنبطي الذي لا يكاد يتعدى حدود الإمارات!)

خبثٌ عن - شهود العين - ريحانتا الحب	وخلفتاني في لظى حسرة القلب
ولستُ أدري للوالد الفذ مطلقاً	شبيهاً ولو في الأهل أو أقرب الصحب
أبي (غالب) الأهوال في عُقر دارها	وبالأمس صدّ البأس عن خيرة الركب
وأمي لها من حُب مولاي (حصّة)	عسى أن تنال القرب من رحمة الرب
ألا إن جرح القلب أدمى مشاعري	إذ الشمس غابت عن عيوني بلا ريب
وليل المنايا حالكاات نجومه	يمرّ شديد الوقع من وطاة الكرب
فقد زرت قبري والدي مخطماً	أصارغ دمعني ذاهل الروح واللب
وأيقنت أن الليل يخفي شقاءه	وأدركتُ عسر الحال في الظرف والدرب
وقلبي لفقد الوالد الفذ لم يزل	يرجّع أطياف الأبوة والخب
أبي سُودد سامٍ وذكرى مُعطرة	تذكرنا بالشّم من صفوة العُرب
وصاحب قرآنٍ وذكرٍ وتوبةٍ	وعِزة نفسٍ في الشبيبة والشيب
وذو حكمةٍ تجتث كل عويصةٍ	فتطرحها بالرغم في حمّاة الجذب

وواصل أرحاماً بأية بقعة
وما عاب قوماً جاهروا بنقيصة
أبي الرأس في أهل ودار وضعية
وذموا الفتى دوماً يقول: أبي أبي
فبعداً لهم ، إنني مباحٍ بوالدي
وفي كل عرقٍ من عُروقي نجابة
لذا اختار أمّاً - في النساء - كريمة
تفوق نساء الدار في كل مدحة
على راحة الأطفال كم كابدت جوى!
وقامت بحق الضيف مدفوعة الخطا
ولم تزجر الأبناء تشفي غليلها
وإما استشيرت فالأمانة مبدأ
وإن رتلت آيات ربي وحبّرت
وإن بسمت فالشمس بالنور أشرفت
وإنني لأستجدي السماح من التي
وأرجو التماس العذر من حرة قضت
وإستودع المولى اللذين تغيبا
عليّ بأشواق ، وأشكو تعلقتي
فيا ربنا ارحم من ثوى ، ثم من بكى
وشفع مليك الناس فينا محمداً

وإن لاح صدع خصّه الشهم بالرأب
وإن قارفوا شيئاً من الإثم والذنب
بهي المَحَيّا طاهر القلب والثوب
ففي سلمه يُطري ، وفي الحرب
وحسبُ أبي ربّ الورى عالم الغيب!
أبي صبّها بالطوع مني وبالغصب
مُبرأة حقاً من النقص والعيب
ولم تنجرف يوماً إلى هوة الغيب
وعانت لأجل الزوج في الموقف الصعب
بطعمته والشرب من مَوردٍ عذب
ولم تعمد العصماء يوماً إلى الضرب
وللقول تَأثيرٌ بمنطقة الرطب
فقيثارة تستأسرُ السمعَ بالجنب
لتذهب ما في النفس من لاعج الخطب
توارث عن الأظفار والخلق في الترب
وعن كل تقصير أروغ إلى التوب
وقلبي لكل يحنّ كما الصب
وعلة قلبي كم تتوق إلى طب!
فليس كفقْد الدين والخيل والحب
وأحسن ختامي بالمتوبة والأوب

الوحدة بر الأمان - مسرحية من فصل واحد

(تجاذبت مجموعة من الفتيات العربيات أطراف الحديث حول البادية والحاضرة. وأخذ كل فريق يُدلي بدلوه ، ويقرع الحجة بالحجة ، ويضرب الرأي بالرأي ، ويحاول إفحام الخصم بكل وسيلة ممكنة. فحاول فريق البادية الانتصار لما في البادية من قيم ومبادئ وعادات وتقاليد وأعراف عربية أصيلة. ولكن كان ذلك على حساب رفض الحضارة والرقي والعمران والتقدم بصورة مطلقة. بينما حاول فريق المدينة الانتصار للعمران والرقي والتقنية. ولكن غلب ذلك الفريق القبول بما جاءت به الحضارة من الانحطاط والسفول والسقوط ، باعتبار ذلك انعكاساً وإفرازاً لتلك الحضارة وجزءاً لا يتجزأ منها. ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين بين مدٍ وجزر حتى جاءت فتاة موفقة للتوسط بين الفريقين بمبادرة مبدعة وحل وسط يتمحور حول قبول كل خير في البادية وكل خير في الحضارة ، شريطة أن تقرّ الشريعة الربانية ذلك الخير. وذلك في محاولة لإعمار الأرض وفق المنهج الرباني كتاباً وسنةً فيكون الدين منهج حياة وتكون الحضارة خادماً له. وجاءت فكرة الفتاة حلقة وصل بين الفريقين فهتف الجميع مثنين عليه ومؤيدين لها وأنشدن ذلك إقراراً باعجابهن بتلك الفكرة العظيمة. فخرجت هذه المسرحية الشعرية ذات الفصل الواحد لتعبّر عن كل الذي دار بين الفريقين ، وصغته شعراً لسمو غايته وجمال هدفه وعذوبة محوره. سائلاً المولى العلي القدير أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، لا مجاملة فيه لأحدٍ ولا مفاخرة ولا سُمعة ولا تدشين. وأن يجعله في ميزان كاتبه يوم يلقاه سبحانه. إنه ولي ذلك والقادر عليه.)

التحية

أحيي من القلب أهل الصفا	وَمَنْ جَاءَ حَفَلْتَنَا ، واحْتَفَى
وَأَلْقَى السَّلَامَ عَطِيرَ الشَّدَى	يُعْطِرُ بِالْخَيْرِ أَهْلَ الْوَفَا
وَأَذْكَرُ رَبَّ السَّمَاءِ دَائِمًا	وَبَعْدُ أَصْلِي عَلَى الْمُصْطَفَى
وَأَمَلُّ أَنْ تَسْمَعُوا قِصَّتِي	سَمَاعًا إِلَى مَا سَأَحْكِي هَفَا
وَأَنْصَحُ ، وَالنَّصِيحُ أَغْلَى الْعَطَا	وَأَوْثَرُ أَنْ لَا تَقُولُوا: كَفَى
فَرِيقَانِ: كُلٌّ يَعِي رَأْيَهُ	وَيَعْرِضُ مَا فِي الْقُلُوبِ اخْتَفَى
فَرَأَيْ مِنَ الْعَصْرِ مَسْتَحْدَثٌ	وَرَأَيْ عَلَيْهِ زَمَانِي عَفَا
فَهَيَا اسْمَعُوا وَاذْرَسُوا وَاثَقَدُوا	لَقَدْ يَفْلِحُ الْيَوْمَ مَنْ أَنْصَفَا

الفتاة الأولى من فريق البادية

والقلوب الواعية	نحن أهل البادية
والنفوس الزاكية	والعقول الصافية
والسجايا الغالية	والخيال الغاية
منذ العصور الماضية	في (البر) نرعى الماشية
نحياباً بروح عالية	نهجو والأمور البالية
لتزيل عنا العافية	مهما دهتنا داهية
نهدي العدو القاضية	نحن الأسود الضارية
بل نستطيب الباقية	لا نسكتن لفانية

الفتاة الثانية من فريق البادية

وأصحاب المناقب والطموح	تقاة البدو أهل للمديح
ولا يسلمون عنها بالنزوح	يرون العيش أفضل في البراري
ولو سيارة تزري بريح	وبالبعران لم يرضوا بديلاً
على الأصقاع كالروض الفسيح	وما قبلوا القصور لهم بيوتاً
أحيطت بالجراند والصفوح	فتلك خيامهم في كل وادٍ
وليس ندا الحضارة بالصحيح	هم ارتأوا الحضارة كالضواري
بل التطوير يُفضي للفضوح	فلم يتطوروا في أي شيء
وأهل الغرب جاؤوا بالقبيح	لأن الغرب مصدر كل شر

الفتاة الثالثة من فريق البادية

نحن العقائل أهل الجود والكرم
نمسي ونصبح في عز وفي شرف
هو الحجاب من العيون يسترنا
والزينة الكحل والعطور فأنحة
ولا تسير إلى المشفى إذا مرضت
لكن تعالج بالأعشاب إن رغبت
وما المدارس إن رُمتا تعلمنا؟
إن (المطوعة) العصماء تجعلنا
ومورد الطهر والخيرات والنعيم
ولا نفارق يوماً موئل الخيم
من شامخ الرأس حتى أخصص القدم
وفي الكفوف رؤومات من الكتم
إحدى النساء ، وإن عانت من السقم
بالزعفرانة ، أو بالسدر والعنم
وما الكتاب الذي قد خط بالقلم؟
في ذروة العلم والتعليم والفهم

الفتاة الأولى من فريق المدينة

إنما (الشرقي) أمسى إمعة
يُعظم الأخلاق ، يُعلي شأنها
رفع الغرب الدنيا برقعاً
بينما الشرق تباهى بالهدى
فغدا في ذيل أنام الدنيا
أيها القوم اتركوا أعرافكم
صاغها الأسلاف من عهد مضى
كيف يا شرقي تستهدي بها
ليس يدرى أين يلقى المنفعة؟
ومبادي الذكر أمست مرجعه
فغزا العالم هذا أجمعه
وسنا التنزيل أضحى برقعته
وجنان الشرق باتت بلقعة
والتقاليد ، فليست مبدعة
وبها رجعية مستبشعة
كي تُرى بين البرايا إمعة

الفتاة الثانية من فريق المدينة

يا جيل (الماكدونالد) اهدأ
واسمع للروك ، وعش حراً
(هوليود) تناديك تقدم
فامهذ للعيش لتدركه
والبس للحاضر موضته
واعشق عطباة ساحرة
ففساء الدنيا لك ملك
عربذ في الأرض ، فلن تحيا

وبعادات الماضين اهزأ
وبجلك وحرامك فاربأ
والباطل حولك يستمراً
عيشاً بالمتعة يتلأ
وانهض فوراً لا تتاكأ
وعلى حرمتها فتجراً
والسكز المينا والمرفأ
عمرأ آخر ، فافرخ واهنأ

الفتاة الثالثة من فريق المدينة

أرى الغرب أطول منا يدا
تحرر من دينه مؤثراً
وعاش يؤله أهواءه
غزا الأرض من بعد غزو الفضاء
ولم ينتبه للألى أنكروا
هو النور ، والحاقدون الدجى
فيا ليتنا نقتفي دربه
ألا فاطرحوا اليوم أغلاكم

وألقى ازدهاراً ، وأزكى صدى
عليه الحضارة مسـتفردا
فقال المعانيه: قد أحدا
وللعلم بين الورى غردا
فقد أصـبحوا طغمة حسدا
هو العيش ، والمنكرون الردى
لكيلا تضيع الجهود سدى
فما أجمل العيش دون هدى!

فتاة الخاتمة

وَحَدُوا الآراء ، واستبقوا الإخا
الاتحادُ الحق يعلي شأننا
واذكروا الأجداد إذ عاشوا له
وحدة عزت بها أرواحنا
إنما أعرافنا تيجاننا
والحضارات توشّي دارنا
لست أعني رجسها أو هزلها
إنما أعني رُقياً سامياً
إنما الوحدة تهدينا الرخا
حُوق للدار به أن تشمخا
إنهم أهل المعالي والسخا
إنها العقدُ الذي لن يفسخا
والتقاليدُ يُحليها الإخا
وهي أحرى في الدنا أن ترسخا
أو هوىً بالفسق أمسى أوسخا
بُعرى الأخلاق أضحي أشمخا

الجميع

قال الله تعالى: اعتصموا
ومِن الفرقة كم حذرنا!
والمؤمنُ للمؤمن عونٌ
وَحَدْنَا الإسلامَ جميعاً
وسَمتْ أمتنا شامخة
والله المولى أيدها
ربّ الناس أدم عزتها
وإذا الأعداءُ بها مكرروا
والعقلاءُ بِذالك التزموا
كم بالفرقة ضاعت أُمم!
كالبنين إذا يلتمحم
فالعُربُ اتحدوا والعجم
وعُراها ليست تنقصم
بالنصر ، فليست تنهزم
بعطايك ، فلا تنقصم
أنت الناصرُ والمنتمقم

الشريفة

(كانت سلمى وادعة حاملة في قومها وشعبيتها ، يغبطها القاصي والداني على حكمتها
وخصافتها. ومن الله عليها وتزوجت ، ورزقها ببنية جميلة. ثم ابتليت بذهاب العقل ، فراحت تخرج
من بيتها مبتذلة ذاهلة. فأسفت لحالها ورثيت لما أصابها ، فأنشدت لها من شعري أقول:)

أعزيك في حال يجرعني الغم
وتجرخني الأطياف مرت كنيبة!
على عادة كنا نباهي برشدها
وفاقت بنات الحي ديناً وحكمة
وأخلاقها طابت سمات ومنهلاً
وحدثت عن اللطف الذي عرفت به
ولا يسمع الأضياف همس حديثها
ولا يبصر الأغراب وجهاً ولا يذاً!
سائلة أحساب ورببة محتد
وذاً سجايا في النسا عرفت بها!
فماذا جرى يا أخت؟ إني لحائر
مضى العقل عن فضلي فسربل عيشها
وعاشت بلا وعي تصارع قومها
سلام على عقل لكم فخرت به!
ليلطف بها الرحمن فيما أصابها
ويورث قلبي شدة الحزن يا (سلمى)!
على خاطري ، والنفس تزدرد الهما
وكم حازت الألقاب والآي والأسما!
وعشنا نراها - في مرابعنا - نجما
وزيدت على الأخلاق بين الورى علما
ومحظوظة من ثرزق العفو والحلما!
كأن أصبحت - من خفض أصواتها - بكما
فليست - على التحقيق - سيدة هرمى!
وذاً طموحات لها هدف أسمى
وتعطي بلا من ، فتربو بها النعمى
لمأذا أراك اليوم ذاهلة صما!
وخلفها - مما تعالج به - كلمى
لتمتن الدنيا ، وتوسعها رجما!
وسقيا لأفكار تغنت بها عظمى!
وإن له التصريف والأمر والحكما

لقیطة ذات نسب!

(أما الكتابة عن الظلم والظالمين والمظلومين شعراً! فمهمة ورسالة الشاعر النبيل الذي يسخر قلمه وشعره في غاية نبيلة كريمة ولا شك! ومن العنوان يمكن أن نتبين مقصود الفكرة العامة في النص. ولقيطة قصيدتنا التي فرضت عليها اللقطة فرضاً ، ولا ذنب لها فيها ابتداءً! وكم هو عسير على النفس أن يذنب آخرون ويجرموا ، ويدفع الثمن أبرياء لا ذنب لهم ولا جريرة! ولسوف نشير هنا إلى فحوى القصة والدروس المستفادة منها بقطع النظر عن شخصياتها وتفاصيل أحداثها الدقيقة. أما الراوي فلا أعرفه شخصياً ، وكل الذي علمته عنه أنه محام شرعي مخلص فيما يبدو لنا! ورجل ذو توجه وغيره على الدين. كما أن الله آتاه فإساسة واجتهاد في الإسلام ولغة سامية يعبر بها! ولا نزكي على الله أحداً ، والله تعالى حسيبه ووكيله! ودوري في سرد القصة هو تحويلها من العامية إلى العربية ، وزخرفتها بالمحسنات البديعية والبلاغية التي تتطلبها ضرورة التأليف والكتابة! يقول الراوي الثقة الثبت العدل إنه في عام 1980م تزوج رجل خليجي (ولم يسمه) من امرأة سعودية (ولم يسمها) من أهل الرياض. واتخذ لها بيتاً في الرياض ، وعندما حملت وتحديداً في بداية شهرها التاسع والذي هو على الراجح شهر ولادتها ، قرر الرجل أن يسافر إلى أهله في بلده الخليجية. وكان قد وصى إحدى الجارات في الحي ، وكانت امرأة عجوز تعيش وحدها في بداية عقدها الخامس تقريباً! وصاها الرجل أن تتابع زوجته وتذهب بها إلى المستشفى لمتابعة الحمل ومراجعة الطبيبة هناك إلى أن يعود من رحلته تلك. وأعطاه مبلغاً من المال كبيراً لكي لا تتكلف! وتابعت العجوز ووفت بالوصية ، وجاء يوم الولادة! وهناك في المشفى ولدت الأم بنتاً. وكان بالبنت مرض استدعى مكثها في الحضنة. واستمرت المولودة على ذلك شهراً كاملاً! واستمرت العجوز في الإخبار والمتابعة. وذات يوم جاءت العجوز تولول وتقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد توفيت ابنتك يا فلانة. وأنا فوضت المشفى في كل الإجراءات والأوراق ، وانتهى الموضوع ، وأسألي الله العوض! وصدقت الأم العجوز وصدقت روايتها وفوضت أمرها لله تعالى! وبعد شهر عاد الزوج ليسأل زوجته عن حالها وعن مولودها أو مولودتها! فأجابته الدموع نيابة عن الكلمات! فأدرك الأب الزوج أن وراء الدموع ما وراءها! فقالت المرأة: لقد رزقنا الله بنتاً وتوفاها ، فاحتسبها عند الله تعالى! فحمد الله واسترجع وصدق الرواية ولم يسأل عن شيء! وبعدها قرر أن يخرج بزوجه من هذه الدار ومن هذا الحي ، ويذهب بها إلى بلده لتعيش هناك في دارها ، التي بناها لها على أروع طراز هناك! وهناك وبعد كر السنين ومر الأعوام نسيت ابنتها ، ورزقها الله البنين والبنات من فضله وإحسانه! ودارت بالأسرة رحي الحياة بين الأحياء! وذات يوم وبعد عقدين من الزمان ، تأتي دعوة حضور عرس لابن أخي المرأة ، وكان لزاماً عليها وهي عمة العريس أن تسافر لتحضر عرسه وزفافه! وهناك في الحفل ركزت المرأة على العروس فقط. وراحت تسأل: من هذي العروس؟ ومن أبوها؟ ومن أمها؟ وما قبيلتها؟ ومن أهلها؟ فعلمت أجوبة هذه الأسئلة كلها من كلمة واحدة! حيث قالت النسوة لها في همس عجيب: (إنها لقيطة)! فراحت المرأة تسأل نفسها: ما هذا الشعور الغريب الذي يجذبني إليها ، ولماذا لا أحول عيني عنها منذ رأيتها؟ أهو الإعجاب بعروس في أبهى زينتها يوم عرسها؟ فكل النساء تفعل ذلك. وأخيراً استيقنت أن شعورها هذا فوق العادة ، وأن انجذابها هذا عات وشديد ولا تكاد تتحملة بالكاد!

فطرحت على النساء سؤالاً آخر فقالت: هذه اللقيطة من رباها وأحسن إليها ومن علمها ومن أنفق عليها؟ فقالوا: عجوز وصفها كذا وكذا. فقالت: وأين تسكن هذي العجوز؟ فإذا بها تسكن في ذات المكان وذات الحي الذي كانت المرأة تسكن فيه مع زوجها في الرياض منذ عشرين سنة هي عمر العروس! وهنا ازدادت الشكوك أكثر وارتفع مستوى الهواجس أكثر وأكثر. وبدأت هذه الشكوك وتلك الهواجس تأخذ طريقها إلى اليقين الجازم بأن هذه البنت يمكن بكل صدق أن تكون ابنتها. فذهبت المرأة للعجوز ، وعرفتها بنفسها فلقد كانت طاعنة في السن! نعم وهن العظم منها واشتعل الرأس شيباً ، غير أنها كانت تميز وتتكلم وتتعرف على من يأتيها! فقالت العجوز: مرحباً بفلانة! عسى الله رزقك بالأبناء والبنات وعوضك خيراً! فقالت المرأة: الحمد لله. والآن أخبريني لماذا لم تأت عرس ابنتك التي ربيتها وعلمتها؟ أما كان أحرى وأولى بك أن تكوني أول المعازيم رجالاً ونساءً؟ لقد أخبرني النسوة أنك ربيتها وعلمتها وأنفقت عليها ابتغاء وجه الله تعالى. فارتبكت العجوز وبدأت عليها أمارات الشك والريبة! وأجابت إجابة المتهرب من الموقف! حيث قالت: الكبر والهرم يا بُنيتي يحول بيني وبين ما تطلبين! فقاطعتها المرأة وقالت: عجباً لأمرك أيتها العجوز الماكرة تأخذين ابنتي وتقطعين صلتها بي تماماً ، وتعيش ابنتي لقيطة ذليلة وهي ذات نسب وحسب؟ لماذا فعلت هذا بنفسك وبي وبابنتي وبزوجي؟ ألا تخافين الله؟ هل هذه أخلاق الإسلام؟ هل هذا هو حق الجوار؟ فقالت العجوز مستنكرة في لهجة المتحدية الواثقة من جوابها - كأنه الحقيقة التي لا سبيل إلى الطعن فيها - : إنني أخذتها من دار الرعاية الاجتماعية بطريقة نظامية وشرعية وقانونية لأنها بنت لقيطة ليس لها أهل ولا قرابة. وأني فعلت ذلك ابتغاء وجه الله ، وطلباً للأجر منه سبحانه وتعالى. وعندي الأوراق الثبوتية والوثائق التي تثبت ذلك الكلام مائة بالمائة. وهنا توجهت المرأة الأم إلى المحكمة الشرعية لتقيم دعوى ضد هذه الأم المحتاة النصابة. وأرادت بالدعوى إثبات نسب الفتاة. فسألها القاضي قائلاً: ما دعواك يا هذه الأم الموفقة المحترمة؟ فقالت: هذه البنت بنتي ، وليست ابنة هذه العجوز ، وليست لقيطة كما تدعي. والحقيقة أن هذه العجوز سرقتها مني صغيرة في مهدها ، وأوهمتني أنها ماتت بعد ولادتها بشهر في المشفى. فقال القاضي: وما دليلك على هذا الادعاء؟ فقالت: قلبي وإحساسي وعاطفتي وشعوري وهواجسي. إنني منذ رأيتها وأنا يأخذني انجذاب عجيب نحوها! وأكاد لا أرفع عيني عنها لأنظر إلى سواها! أرجوك أيها القاضي ، ارحمني من هذا الشعور وألحق نسبها بي وبأبيها ، عسى الله أن يثيبك على هذا الصنيع ، وانهمرت الدموع من عينيها ، فلم تتمالك نفسها من البكاء الذي فرض نفسه على الموقف. فاحترم القاضي شعورها وهذا من روعها ، وأراد أن يطمئننها ويقطع لها بأن الحقيقة لا تموت. وقال مغلباً جانب الفقه والشرع: هذه محكمة لا تثبت فيها الدعاوى بالقلوب ولا بالأحاسيس ولا بالعواطف ولا بالمشاعر ولا بالخواطر. وأنه لا بد للمحكمة من أدلة ووثائق وأوراق ثبوتية. وكان القاضي رحيماً حكيماً عندما وجد المرأة تتكلم بعاطفة وجدية وحزم وصدق. فقال: نستدعي المرأة التي أقمت ضدها الدعوى ونستفسر منها. فجيئ بالعجوز وسألها القاضي: أنت رببت وعلمت فجزاك الله خيراً ، ولكن من أين أتيت بهذه البنت اللقيطة كما تقولين؟ فقالت العجوز: لقد أتيت بها من دار الرعاية الاجتماعية ، ودفعت بالوثائق والأوراق الثبوتية إلى القاضي ، وراح يستعرضها ورقة ورقة! وارتأى في الختام أن يتصل بدار الرعاية. فإذا بدار الرعاية تقر بصحة الأوراق الثبوتية. وأنهم وجدوها بجوار حائط دار الرعاية وأخذوها عندهم ، وجاءت العجوز

وتطوعت أن تربيتها ابتغاء وجه الله تعالى. فأعطيناها البنت بأوراق ثبوتية على هذا الأساس. فتوجه القاضي إلى المشفى ليستوثق أكثر. فإذا بجواب المشفى الصادم من أنه عام 1980 انفجرت أنبوب غاز بجوار الأرشيف الذي يحوي مواليد العام ذاته وعمين قبله ، واحتترقت كل أوراق وملفات المواليد. ولا توجد أي بيانات لهذه البنت ولا غيرها ممن ولدن في العام ذاته! فتعقدت القضية أكثر. وصار من المستحيل أن يصدر القاضي حكماً واضحاً قاطعاً. فأراد رئيس المحكمة أن يقطع الشك باليقين في هذه القضية فعمد إلى تحليل الحمض النووي (دي إن آي)! وتم له ذلك ، وأتت النتيجة سلبية ، بمعنى أنه لا علاقة للبنت بالأم صاحبة الدعوى. فتوجهت الأم بعد أن سدت جميع السبل في وجهها إلى أحد المحامين الشرعيين الكبار المشهورين (والذي هو راوي القصة)! فقبل المحامي الشرعي القضية رغم صعوبتها وخفاء الدليل فيها! فهي بذلك تعتبر من القضايا الغامضة التي يشبه ملفها ملف الجرائم الغامضة التي يتعمد المجرم محو أي أثر للدليل! ودخل المحامي على المحكمة من باب تحليل الحمض النووي ، والذي قد يخطيء هو الآخر ولو بنسبة ضئيلة. فقبل القاضي فتح ملف القضية بعد أن أصدر حكماً من قبل بصرف النظر عن الدعوى. وكان حكمه ابتدائياً يجوز الطعن عليه والاعتراض ، وهو ما يعني التوجه إلى خاصرة الحكم وهي الحثيات التي بنى عليها القاضي حكمه. ولما كان قد بنى حكمه على الحمض النووي تم إبطال هذا الحكم بالقول بأن تحليل الحمض النووي قد يخطيء كما أسلفنا! ودخل المحامي من باب أن الدعوى إثبات نسب وليس التنازع في نسب ، وأنه كان على القاضي الابتدائي أن يأخذ القرائن والأدلة الأخرى بعين الاعتبار ، ومنها القافية الذين يتحرون الأثر ، وهو ما يعرف بعلم القيافة والفراسة. فعمد المحامي إليهم. حيث إنهم قصاصو آثار ، وتنتهي على أيديهم قضايا كثيرة. والمهم أن ملف القضية رجع من التمييز بملاحظات. وبناء على هذي الملاحظات فتح القاضي الجلسة للنظر في القضية. وأحضر القاضي الأم والعجوز ورجال القيافة والأثر. وذكرت الأم أنها أغنى من هذه البنت. وأنها هي التي سوف تورث البنت المال الكثير ، وأنها أي الأم لن ترث من هذه البنت شيئاً. وذكرت أن عندها الأبناء والبنات ، فليس هناك مصلحة ظاهرة في إثبات النسب سوى إظهار الحقيقة. وأنها لا يرضيها أن تعيش ابنتها بين الأحياء مجهولة النسب وهي ذات نسب وحسب. وأجمع أهل القيافة والأثر أن هذه البنت أمها هي صاحبة الدعوى. قالوا ذلك بما لديهم من خبرة وفراسة. وفي هذه اللحظة سقطت العجوز مغشياً عليها! فلما أفاقت قالت لهم: سوف أترف لكم بالحقيقة. لقد أخذت البنت من المشفى ، وذهبت بها إلى دار الرعاية ، ووضعتها بجوار الحائط وتأكدت أن أحداً لم يرني ، إلى أن أخذوها داخل الدار! ودخلت بعد قليل لأخذها ولأربيتها ، واستخرجت لها وثائق وأوراقاً ثبوتية. وقمت بتربيتها وتحفيظها القرآن ، وأحسنيت تربيتها وعلمتها في المدارس مبتغية الأجر من الله. فقال القاضي: وما حملك على ذلك؟ فأجابت الهوس بالأطفال وحبهم الشديد! والله حرمني الأطفال! وكنت أعتقد أن الأم أمامها مشوار الزمن وسوف يرزقها الله البنين والبنات وقد كان. وهنا حكم القاضي بإثبات نسب هذه البنت للأم والأب. وعجوز قصيدتنا وقعت في جرائم ثلاث: الأولى الكذب والثانية الطعن في الأنساب والثالثة تزوير الحقيقة وتزييف الثوابت! قال الله تعالى: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً}. إنه لا شبهة في أن الطعن في النسب من يعتبر من أعظم أنواع الأذى ، فالآية تشمل شمولاً مبيناً واضحاً! وهناك باب يتكرر وردوه في كتب الفقه الإسلامي القديم والحديث ، وهو

باب تحريم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب ، والنياحة على الميت». رواه مسلم. وفي هذا الحديث: وعيد شديد. وفيه: تغليظ تحريم النياحة ، وتحريم الطعن في النسب. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا". متفق عليه. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر". (متفق عليه). وقد سبق بيانه مع حديث أبي هريرة بنحوه في باب الوفاء بالعهد. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: "من تحلم بحلم لم يره ، كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون ، صب في أذنيه الأثك يوم القيامة ، ومن صور صورة ، غُذِب وكُلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ". وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : "أفرى أفرى أن يري الرجل عينيه ما لم تريا". (رواه البخاري). وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه: (هل رأى أحد منكم رؤيا؟) فيقص عليه من شاء الله أن يقص ، وإنه قال لنا ذات غداة: (إنه أتاني الليلة آتيان ، وإنهما قالا لي: انطلق ، وإني انطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه ، فيتلغ رأسه ، فيتدهده الحجر ها هنا ، فيتبع الحجر فليأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه ، فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى!" قال: "قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟ قال لي: انطلق انطلق ، فانطلقنا ، فأتينا على رجل مستلق لقفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد ، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر ، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه ، فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى" قال: قلت: سبحان الله؟ ما هذان؟ قال: قال لي: انطلق انطلق ، فانطلقنا ، فأتينا على مثل التنور" ، فأحسب أنه قال: "فإذا فيه: لغط وأصوات ، فاطلنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضؤوا. قلت: ما هؤلاء؟ قال لي: انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على نهر" ، حسبت أنه كان يقول: "أحمر مثل الدم ، وإذا في النهر رجل سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة! وإذا ذلك السابح يسب ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة ، فيفغر له فاه ، فيلقمه حجرًا ، فينطلق فيسبح ، ثم يرجع إليه ، كلما رجع إليه ، فغر له فاه ، فألقمه حجرًا ، قلت لهما: ما هذان؟ قال لي: انطلق انطلق ، فانطلقنا ، فأتينا على رجل كرية المرأة ، أو كأكره ما أنت راء رجلًا مرأى ، فإذا هو عنده نارٌ يحشها ويسعى حولها. قلت لهما: ما هذا؟ قال لي: انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع ، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط ، قلت: ما هذا! وما هؤلاء؟ قال لي: انطلق انطلق ، فانطلقنا ، فأتينا إلى دوحة عظيمة لم

أر دوحة قط أعظم منها ، ولا أحسن! قالالي: ارق لي: ارق فيها ، فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ، ففتح لنا ، فدخلناها ، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء! وشطر منهم كأقبح ما أنت راء! قالاهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر ، وإذا هو نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه. ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة. قال: قالالي: هذه جنة عدن ، وهناك منزل! فسمما بصري صعداً ، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء. قالالي: هناك منزل! قلت لهما: بارك الله فيكما ، فذرائي فأدخله. قالالي: أما الآن فلا ، وأنت داخله. قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجباً! فما هذا الذي رأيت؟ قالالي: أما إنا سنخبرك: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق. وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور ، فإنهم الزناة والزواني ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ، ويلقم الحجارة ، فإنه أكل الربا ، وأما الرجل الكرية المرأة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها ، فإنه مالك خازن جهنم ، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة ، فإنه إبراهيم ، وأما الولدان الذين حوله ، فكل مولود مات على الفطرة" ، وفي رواية البرقاني: "ولد على الفطرة". فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأولاد المشركين ، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن ، وشطر منهم قبيح ، فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، تجاوز الله عنهم". (رواه البخاري). وفي رواية له: "رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة" ثم ذكره وقال: "فانطلقنا إلى نقب مثل التنور ، أعلاه ضيق وأسفله واسع ؛ يتوقد تحته ناراً ، فإذا ارتفعت ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا ، وإذا خمدت ، رجعوا فيها ، وفيها رجال ونساء عراة". وفيها: "حتى أتينا على نهر من دم "ولم يشك" فيه رجل قائم على وسط النهر ، وعلى شط النهر رجل ، وبين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر ، فإذا أراد أن يخرج ، رمى الرجل بحجر في فيه ، فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج جعل يرمي في فيه بحجر ، فيرجع كما كان". وفيها: "فصعدا بي الشجرة ، فأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب". وفيها: "الذي رأيت يشق شدقه فكذاب، يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة" وفيها: "الذي رأيت يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، فيفعل به إلى يوم القيامة، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار فدار الشهداء ، وأنا جبريل ، وهذا ميكائيل ، فارفع رأسك ، فرفعت رأسي ، فإذا فوقي مثل السحاب ، قالالي: ذلك منزلك ، قلت: دعاني أدخل منزلي ، قالالي: إنه بقي لك عمر لم تستكمله ، فلو استكملته ، أتيت منزلك". (رواه البخاري). هذا ، ويقول الكاتب المصري المبدع الأستاذ مصطفى عبيد ، وتحت عنوان: (قضايا إثبات النسب تقوض بنیان الأسرة) ما نصه: (إن قضايا إنكار النسب تعتبر حكم إعدام على براءة الأطفال ، والأبناء يدفعون ثمن خطايا الكبار تنمراً في مجتمعات تميل إلى القسوة. ويؤكد علماء النفس أن إثارة قضايا النسب تتسبب في هزات نفسية للأطفال ، وتمس من حقهم في الحفاظ على هوياتهم وأسمائهم وصلاتهم العائلية ، بشكل يهدد استقرارهم الاجتماعي. كما يؤكد علماء الاجتماع أن السنوات الأخيرة شهدت نمواً واضحاً لقضايا النسب ، من خلال إقامة

أزواج لدعوى إنكار نسب ضد زوجاتهم ، بسبب التشكيك في سلوكهن. وتثير قضايا النسب أزمات اجتماعية عميقة في بعض الدول العربية ، وتتجاوز الزوج والزوجة ، لتمتد إلى الأطفال أنفسهم ، ما يمثل حكماً بالإعدام على براءتهم ، وتهديداً مباشراً لاستقرارهم النفسي والاجتماعي. وإذا كان من المعتاد في ظل انتشار ظاهرة الزواج العرفي في بعض المجتمعات قيام سيدات يتعرضن للخداع من أزواجهن بإقامة دعوى إثبات نسب لأبنائهن مع ضياع المستندات الدالة على الزواج ، فإن السنوات الأخيرة شهدت نمواً واضحاً للجانب العكسي من قضايا النسب ، من خلال قيام أزواج بإقامة دعوى إنكار نسب ضد زوجاتهم ، بسبب التشكيك في سلوكهن. وشهدت الظاهرة نمواً واضحاً للدعوى القضائية الخاصة بإنكار النسب ، ففي مصر وطبقاً للإحصائيات الرسمية في عام 2019م ، فإن عدد قضايا النسب تجاوز 15 ألف قضية ، ثلثها تقريباً مقامة من الأزواج لإنكار نسب الأبناء. وفي المغرب تشير أرقام وزارة العدل إلى ارتفاع حالات الطلاق إلى أكثر من مئة ألف حالة سنوياً ، وطبقاً لمصادر قانونية ، فإن 10 في المئة من تلك الحالات تشهد دعوات إنكار نسب بعد الطلاق. أما في الجزائر فقد رصدت مواقع حقوقية اتساع قضايا إنكار النسب والملاعنة خلال السنوات الأخيرة ، ما يمثل مشكلة مؤرقة للمجتمع ومثيرة للجدل بين الحقوقيين والباحثين الاجتماعيين. وتضمن اتفاقية حقوق الطفل التي أقرتها الأمم المتحدة في عام 1989م حصول الطفل على اسم وجنسية فور ولادته ، وتنص المادة الثامنة من الاتفاقية على احترام حق الطفل في الحفاظ على هويته واسمه وصلاته العائلية ، وفي حال حرمانه من تلك الحقوق فإن واجب الدولة مساندته ودعمه. وتتباين قوانين الأحوال الشخصية في العالم العربي للتعامل مع دعوى النسب من خلال الحمض النووي ، إذ ترفض معظم الدول الأخذ بنتائج التحليل في الدعوى الخاصة بإنكار النسب. ويرجع السبب في ذلك إلى وجود قناعة لدى المشرع بأن نتائج فحوصات الحمض النووي ، مع ارتفاع نسب دقتها ، غير يقينية ، وهناك احتمالات ضئيلة جداً لوجود الخطأ! لكن تلك الأخطاء تتسبب في كوارث اجتماعية. حكى شاب مصري في الثلاثينات من عمره ، يقيم في محافظة الجيزة ، بجنوب القاهرة ، لـ”العرب” ، أنه تزوج قبل سنوات من فتاة تعرف عليها عن طريق أحد الأقارب ، وعاشا معاً لمدة ثلاث سنوات أنجب خلالها طفلة وحيدة ، ثم نشب خلاف بينهما نتيجة عمله في قرية سياحية نائية مطلة على البحر الأحمر ، ووصل الأمر بينهما إلى الطلاق. وأضاف أنه تزوج مرة ثانية ، لكنه لم يُنجب لثلاث سنوات ، ما دفعه إلى إجراء فحوصات طبية شاملة ، انتهت إلى إثبات إصابته بعقم ثانوي منذ صغره ، ما أكد أنه غير قادر على الإنجاب. وأضاف أنه لجأ إلى القضاء وأقام دعوى إنكار نسب الطفلة التي تحمل اسمه ، لكن لم يتم الفصل فيها حتى الآن ، ولا يزال يبحث عن الحقيقة. وتمتد دعوات إنكار النسب في المحاكم المصرية وفقاً لحقوقيين إلى ثلاث وأربع سنوات ، ويُحكم في غالبية القضايا برفض إنكار النسب ، مادام الزواج قائماً على عقد رسمي صحيح. ويرى حقوقيون وخبراء تنشئة أن الأطفال هم الأكثر تضرراً من قضايا إنكار النسب لأنهم يواجهون نظرات تنمر مجتمعية قاسية. ويقول أحمد عفت المحامي المتخصص في قضايا الأسرة بالقاهرة ، لـ”العرب” ، إن مجرد إقامة دعوى إنكار النسب يمثل جرحاً لمشاعر الصغار ، ما يُلزم إحاطته بسياج من السرية والخصوصية. ويظل الأبناء المختلف على نسبهم قضائياً محل تهكم وسخرية من فئات في المجتمع المحيط بهم ليشبوا غير أسوياء ، ويتملكهم الحقد تجاه الآخرين. وفي بعض الحالات فإنهم يعانون من عزلة مجتمعية بسبب توجيه الأسر لأبنائهم بعدم

الارتباط بصدقاتهم في ظل سيادة تصورات مغلوطة عن الأبناء المشكوك في نسبهم. وتشير نهي محمد الخبيرة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية ، لـ"العرب" ، إلى أنها تابعت حالات عديدة لأطفال عانوا من عقد نفسية حادة ، نتيجة إقامة آبائهم دعاوى إنكار نسب لم تكن في الغالب صحيحة. ويرى البعض ضرورة تقييد دعاوى إنكار النسب للمتزوجين رسمياً ، وإحاطتها بنوع من السرية حفاظاً على مشاعر الأبناء ، خاصة أن هناك محامين كثيراً يقتعون موكلهم بإقامة تلك القضايا للتهرب من نفقات أبنائهم ، أو لإرهاب مطلقاتهم والكيد لهن).هـ. وعجوز قصيدتنا قد أهدرت حقوق الجيرة التي أمرت بها شريعتنا الغراء! وليكن معلوماً أن إيمان المسلم لا يكتمل إلا بحسن معاملة الجار! قال الله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا). وعن أبي هريرة أن النبي عليه السلام قال: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ»! قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ». رواه البخاري ومسلم. ومعنى (بوائقه): أي الشيء المهلك ، وهو الشر الذي يأتي بغتة. وهنا يوضح لنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مدى أهمية علاقة المسلم بجاره على الإطلاق ، سواء كان الجار على دين غير الإسلام أم من المسلمين ، كما أن الإيمان لا يتم ولا يكتمل إلا بمعاملة الجار معاملة حسنة وكف الأذى عنه مهما كانت ديانتها وصلة قرابته. قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما لأهله وقد ذبحوا شاة: أهديتم لجاننا اليهودي؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَّثُهُ». متفق عليه. ومن صفات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يزور جيرانه من اليهود والمشركين والكفار ، ويسأل عنهم ويجيب دعوتهم إذا دعوه ، ويحسن جوارهم ويتصدق عليهم تطوعاً ، ويهدي لهم ، ويقابلهم بوجه طلق بشوش ، ويحسن في الحديث معهم ، ويعود مريضهم ، ويسأل عن غائبهم ، قال النبي عليه السلام لصاحبه أبي ذر رضي الله تعالى عنه: (يا أبا ذر ، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، وتعهد جيرانك). كما أنه لا يجوز لمؤمن بالله عز وجل واليوم الآخر أن يؤدي جاره بأية طريقة ، أو يناله بأي لون من ألوان الإساءة له أو لأولاده ، سواء برمي القمامة عند بابه ، أو نثر الماء أمام بيته أو رفع جدار ليحجب عنه النور والهواء ، أو فتح النوافذ إلى بيته والتلصص منها ليكشف عورته ويهتك حرمة ، أو يؤذيه برفع الصوت وبالكلام الفاحش والخروج أمامه بثياب تكشف بعضاً من العورات. وعلى حد تعبير الأستاذ أشرف محمد شبل أن من يفعل مثل هذه الأمور فإن ذلك يعدّ من سوء الخلق وعدم اتباع سنة سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم واكتمال الإيمان ، كما أنه يحبط ثواب الأعمال الصالحة ، ويكون مذموماً مكروهاً في مجتمعه ، ينتظره في الآخرة عذاب عظيم. وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جار السوء ، فعن أبي هريرة أن النبي عليه السلام كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة ، فإن جار البادية يتحول». رواه ابن حبان في صحيحه. ونجد أن الرسول عليه السلام قد حذر من أذى الجار بأي شكل من الأشكال ، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». رواه البخاري ومسلم. وقد حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً شكاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمره بالصبر على أذاه

مراراً ، إلى أن أمره بأن يطرح متاعه في الطريق. فعن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله يشكو جاره ، فقال له: «أذهب فاصبر» ، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ، فقال: «أذهب فاطرح متاعك في الطريق» ففعل ، فجعل الناس يمرّون ويسألونه فيخبرهم خبر جاره ، فجعلوا يلعنونه. فعل الله به وفعل ، وبعضهم يدعو عليه ، فجاء إليه جاره فقال: ارجع فإنك لن ترى منى شيئاً تكرهه». رواه أبو داود. ويوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم حق الجار على جاره في حديث عظيم يؤكد مدى أهمية العلاقة الخاصة بين الجيران ، التي من شأنها أن تحقق الألفة والمودة والمحبة بين أفراد المجتمع على اختلاف طوائفهم ومشاربهم. فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أغلق بابيه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بمؤمن ، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه ، أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعتته ، وإذا استقرضك أقرضته ، وإذا افتقر تصدقت عليه ، وإذا مرض عُدته ، وإذا أصابه خير هنأته ، وإذا أصابته مصيبة عزيته ، وإذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذّه بقتار ريح قدرك إلا أن تعرف له منها ، وإن اشتريت فاكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده). وحول آداب الجوار يقول الأستاذ محمد بن صالح المنجد ما نصه: (وقال الشافعي - رحمه الله -: "كل من قارب بدنه بدن صاحبه قيل له: جار". وبناءً على ذلك ؛ فإن المجاور على مقاعد الدراسة في فصل المدرسة ، وصفوف الجامعة ، يعتبر جاراً ، ويدخل فيه حقوق الجوار. وقال الراغب - رحمه الله -: الجار من يقرب مسكنه منك ، وهو من الأسماء المتضايقة ، فإن الجار لا يكون جاراً لغيره إلا وذلك الغير جار له ، كالأخ والصديق! (المفردات في غريب القرآن). والمعنى الاصطلاحي للجوار ، هو: الملاصقة في السكن ، أو نحوه. وعندما نقول: "ونحوه" يدخل فيها الأشياء المتقدمة - كما ذكرنا - ، ويدخل فيه الدكاكين والمحلات ، هذا جار هذا ، والمكاتب - مثلاً - والشركات والمؤسسات ، هذا المكتب جار هذا المكتب ، الذي له هذا المكتب جار المكتب الذي بجانبه ، وهكذا. ويقال حتى للساكن معك في المدينة: جاوره فيها ؛ كما قال الله - تعالى -: تَمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا. ولما استعظم حق الجار عقلاً وشرعاً ، عُبر عن كل من يعظم حقه بالجار ؛ كما قال تعالى: وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى. وقد تُصور من الجار معنى القرب ، فقليل لمن يقرب من غيره: جاره ، وجاوره ، وتجاور معه. ثم إن جمع جار جيران ، والاسم هو الجوار ، ويقال للمشارك في العقار والمقاسم: جار أيضاً. وأما بالنسبة لحقه ، فإن حقه عظيم جداً ، وقد قال الله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا). وإذا أردنا أن نضبط الجار بالعدد ؛ فإن أقرب التعريفات التي يسندها الدليل: أربعين جاراً من كل جانب من الجوانب المحيطة. والجيران عموماً ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق ، وجار له حقان ، وجار له حق واحد. فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق ، فهو: الجار المسلم صاحب القربى ، فله: حق القرابة ، وحق الجوار ، وحق الإسلام. وأما الجار الذي له حقان ، فجارك المسلم غير القريب ، فله حقان: حق الإسلام ، وحق الجوار. وإذا كان لك جار كافر فله حق واحد ، وهو: حق الجوار. وبعض من فسر الآية أدخل في قوله تعالى: (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) كل من جاورك في صناعة ، أو دراسة ، أو سفر ، فالذي يجلس بجانبك في مقعد الطائرة - مثلاً - ، أو السيارة ، فإن ذلك يعتبر جاراً ، والمرأة جار للرجل الزوج ، والزوج جار لها ؛ لأجل

الاشتراك الحاصل ، والقرب الشديد الذي يكون بينهما. وقال النبي - ﷺ - : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه متفق عليه). رواه البخاري ومسلم. ومعنى: يوصيني به ، يعني بالاعتناء به ، والاحتراف بشأنه ، وأن تكون دائماً مهتماً بشأنه. وقوله: حتى ظننت يعني من شدة الإيحاء أنه سيورثه فيكون من أسباب الإرث الجوار. فكاد أن يكون أسباب الميراث الأربعة: نكاح ، وولاء ، ونسب ، وجوار. وقد كان في بداية الإسلام من أسباب الميراث: التعاهد والتناصر ، يعني الأخوة في الدين ، فلها دخل بالميراث ، ثم نسخت بآية المواريث: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ). وأيضاً وصية الرسول لأبي ذر! قال ﷺ موصياً أبا ذر: يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، وتعاهد جيرانك. رواه مسلم. وفي مسألة طبخ المرقة ، يعني طبخ اللحم ، ما فيه لحم ، ونحوه ، والمرق قد يحوي لحماً ، وقد يحوي أشياء أخرى ، فالنبي ﷺ أوصى أبا ذر أن يكثر المرق إذا طبخ شيئاً بإدام ، أو بشيء بمرقة ، أن يكثر ، ويرسل إلى جاره. وقوله: فأكثر ماءها ليكثر الإدام ، وهو ما يؤتم به حتى يلين الخبز ويسیغه. وتعاهد جيرانك وهذا الأمر للندب ، وأكد عليه ، أي: بالإحسان إليهم ، وفعل البر معهم ، بإشراكهم في الطعام الذي طبخته. وقد جاء عند ابن أبي شيبة هذا الحديث بلفظ: إذا طبخت لحماً؛ فأكثر المرق؛ فإنه أوسع وأبلغ للجيران. رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع. فهذا حث على مكارم الأخلاق ، وإرشاد إلى محاسنها. وقد يتأذى الجار بقتار قدر جاره. وقتار القدر ، ریح الطبخ ، فقد يتأذى الجيران منه ، فلا أقل من أن يعطوا مما شموا رائحته ، أو تأدوا منه ، أو وصل إليهم دخانه -مثلاً! وقد تتهيج عند صغارهم الشهوة إلى الطعام مما شموا من الجار ، وتشتد الحسرة والألم عند الفقير الذي لا يجد مثلاً عند جاره عندما يشتم رائحة طعامه ، وربما يكون المجاور يتيماً ، أو أرملة ، فتكون المشقة أعظم ، وتشتد الحسرة عند الصغير. ولذلك جعل تشريكه في شيء من الطبخ نوعاً من المواساة ، لما اشتموا من هذه الرائحة ؛ فلا أقبح من منع الشيء اليسير للمحتاج ، أما إذا كان إرسال مرقة دون شيء يفهمه الجار على أنه استهانة به - مثلاً - ، فلا يفعل الإنسان ما يؤدي إلى استياء جاره منه. قال أبو ذر: إن خليلي ﷺ أوصاني ، وقال: إذا طبخت مرقة ؛ فأكثر ماءها ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف. رواه مسلم. وبمعروف هذه اللفظة ، إيماء إلى أن المرسل إلى الجيران ينبغي أن يكون شيئاً نافعاً ، ولو كان قليلاً ، والنبي ﷺ قال: لا تحقرن من المعروف شيئاً. رواه مسلم. ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة. رواه البخاري ومسلم. والنبي ﷺ قد قال أيضاً: والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن! قيل: من يا رسول الله؟! قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه. رواه البخاري ومسلم. لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه هذه رواية. فأما بالنسبة للبوائق فهي الغوائل والشُرور. ومعنى: لا يدخل الجنة يعني لا يدخل الجنة ناجياً ، يعني إلا يصيبه شيء من العذاب ، أو لا يكون أول الداخلين ، فهذا المسيء إلى جاره. لا تتوقع أن يكون أول الداخلين ، أو من أوائل الداخلين ، أو أنه يدخل دون حساب ولا عذاب ، فلا بد أن يصيبه شيء من جراء ما آذى جيرانه. ونظراً ؛ لأن النساء كثيرات المكث في المنزل أكثر من الرجال ، واحتكاك الجارة بجارتها أكثر من احتكاك الجار بجاره ، حيث أن الرجال خروجهم من البيت أكثر من النساء كان لا بد من وصية خاصة إلى الجارات ببعضهن البعض ، وهذا حديث النبي ﷺ: لا تحقرن جارة

لجارتها ولو فرسن شاة. متفق عليه. ولما قال: يا نساء المسلمات يعني يا نساء الجماعة المسلمات: لا تحقرن جارة لجارتها يعني شيئاً من المعروف ولو فرسن شاة وهو الشيء اليسير جداً. وكذلك ، فإن بين الجيران مرافق مشتركة ؛ كالجدران ، والأسوار ، ونحوها ، وربما احتاج الجار أن يضع خشبة على الجدار المشترك ، أو على جدار الجار ، ليستفيد منه ، فقد يمنعه ، ويقول: هذا حائطي - مثلاً - ، ونحو ذلك ، فقال ﷺ: لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره ، ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين؟! والله لأرmin بها بين أكتافكم". متفق عليه. فقوله: لا يمنعن نهي أن يمنع من ذلك أن يُغرز في ملكه ، ولو كان في ملكه. وقوله: أن يغرز خشبة في جداره الضمير في جداره يعود على جدار المانع الذي يمنع ، فإذا كان المقصود جداره هو ، فهذا لا يحتاج إلى وصية ، لكن قال: لا يمنعن جار جاره أن يغرز خشبة في جداره جدار الجار الآخر ؛ لا يمنعه من غزره في جدار نفسه ؛ لأن ذلك شيء يسير ، وينبغي أن يتسامح به ، ويتساهل فيه. ثم قال أبو هريرة راوي الحديث: "ما لي أراكم عنها!" يعني عن هذه الخصلة: السماح للجار أن يغرز خشبة عنده "ما لي أراكم عنها معرضين؟! هل استغربتم الكلام ، أو أعرضتم عنه بقلوبكم ، أو نفرتم منه ، أو لا تفعولونه في الواقع؟" والله لأرmin بها" يعني بهذه السنة التي جاءت في الحديث "بين أكتافكم" أي سأبلغكم إياها ، وألقيها على مسامعكم ، وأودعكم تقريراً مما فيها ، كما يضرب الإنسان الآخر ، ويرميه بالشيء بين كتفيه. وكذلك فإنه ﷺ لما أوصى بهذه الوصية أراد أن يكون هناك اشتراك في المرافق ، أو الشيء الذي بينك وبينه ، لا تمنعه الاستفادة منه ، إذا أراد أن يضرب مسماراً ، أو يشد حبلأ - مثلاً - ، أو يضع سوراً أو جزءاً من خشب أو ساتر ، ونحو ذلك ، يعني من هذه الأشياء المفيدة التي تفيده ولا تضرك ، فلا تمنعه من الارتفاق بها ، والاستفادة منها. وهذا الحديث يمكن أن يفهم منه الوجوب ، ولذلك اختلف العلماء في هذا حكم تمكين الجار من وضع الخشب على جدار جاره ، هل يجب أن يمكنه ويأثم لو منعه؟ قال بذلك بعض العلماء ، وهما قولان للشافعي ، والإيجاب قال به أحمد رحمه الله وأبو ثور ، وأصحاب الحديث ، وهو ظاهر الحديث ، والمعظم للسنة يقتضي أن يأخذ بهذا. وكلام أبي هريرة: "ما لي أراكم عنها معرضين؟! يدل على شيء من هذا. وكان أبا هريرة لاحظ أنهم استغربوا الكلام ، أو أنهم توقفوا عن العمل - مثلاً - ، فقال: "ما لي أراكم عنها معرضين؟! لا تريدون هذا. وقال ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. رواه البخاري ، والإيذاء أنواعه كثيرة ، وإيذاء الجار حرام ، وسنأتي على بعض أنواع الإيذاء. وكذلك فإنه ﷺ قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره. رواه مسلم. فذكر الإحسان ، وذكر أيضاً عدم الإيذاء ، حتى تكتمل القضية من طرفين: إحسان ، وعدم إيذاء ؛ لأن عدم الإيذاء لا يتضمن الإحسان ، يعني أنت ممكن لا تؤذيه ، لكن لا تحسن إليه ، فليس هذا هو المطلوب ، ما هو فقط أنك لا تؤذيه ، بل تحسن أيضاً. أما الإحسان ينافي الإيذاء ، يعني إذا قال: أحسن ، فواضح أنه لا تؤذيه ، لكن لما قال: لا تؤذي ، أكد على هذا الجانب ؛ لأنه يحصل أذية من الجيران لبعضهم ، أكد عليه ، لكن عدم الإيذاء لا يعني وجوب الإحسان ، ولذلك أكد عليه من جهتين: الإحسان ، وعدم الإيذاء. وكذلك فإنه ﷺ لما سألته عائشة رضي الله عنها وقالت له: يا رسول الله! إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما

منك باباً. رواه البخاري. ولما أمر بإكرام الجار عملت عائشة رضي الله عنها ، وقد كان الزاد عندهم قليلاً ، وكانوا في ضيق ، ليسوا على سعة من العيش ، وكان أيام كثيرة لا يوقد في بيت النبي ﷺ نار ، ولا يطبخ شيء ، وأرسل مرة ضيفه فلم يجد إلا الماء ، وأحياناً يأتي لبن من هنا ، أو شيء من هنا، مما يهدى إلى النبي ﷺ ، وإلا فكانوا من جهة العيش ليسوا في سعة ، فلما كان هذا ، وربما يحضر عند عائشة القليل ، والجيران كثر ، قلنا: أربعين من كل جانب ، فما الذي يسع هؤلاء الجيران الكثر؟ فلذلك سألته قالت: "إن لي جارين فالى أيهما أهدي؟ حيث إن الشيء ما يتسع للجميع ، ما يتسع حتى للاثنتين ، فقال ﷺ: إلى أقربهما منك باباً. رواه البخاري. وهذا أحد الأقوال في تفسير: وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ، على أحد الأقوال، ولكن القول الأشهر: القربى ، صاحب القرابة النسبية. وقال ﷺ: خير الجيران عند الله خيرهم لجاره. رواه الترمذي ، وقال: "حديث حسن غريب" ، وأحمد ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب. وخيرهم لجاره يعني في النفع والدفع ، فهو ينفعه ، ويدفع عنه ما يؤذيه ، فهذا خير الناس ، وأكثرهم ثواباً ، وأكرمهم منزلة عند الله. هذا ، ولقد تعوذ النبي ﷺ من جار السوء. وقد ذكر ﷺ أحاديث متعددة في مسألة الجار، ومن ذلك: أنه ﷺ كان يستعيذ من عظم أثر الجار، يقول: اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول. رواه ابن حبان ، وأبو يعلى ، والحاكم ، والأدب المفرد ، وصححه الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، وفي صحيح المفرد. فجار البادية - مثلاً - أنت ذاهب إلى البحر ، فجاء جنبك جار سوء ، فهذا مهما طول ، مهما مكث ، لا يطيل ، لكن في البلد ، وبالذات إذا كان بيتك بيت ملك ، وليس مستأجراً ، حتى تغير ، أصلاً حتى لو كان مستأجراً ، فالنقل من البيت عذاب: وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمُ الْجَلَاءُ عَنِ الْبَيْتِ ، وعن الديار عذاب ، ولولا أن كتب الله عليهم هذا النوع من العذاب لعذبهم بعذاب آخر ، هذا معنى الآية. فجار السوء في دار المقامة ؛ هذا مصيبة ؛ خصوصاً إذا كان بيتاً لا تجد له بديلاً ، فهذا من أكبر المصائب ، ولذلك فإنه ﷺ استعاذ منه ، قال: اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة ، فإن جار البادية يتحول. رواه ابن حبان ، وأبو يعلى ، والحاكم ، وصححه الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، وفي صحيح الأدب المفرد. ولا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً إذا بات شعبان وجاره جانع ؛ كما جاء ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات: ما آمن بي من بات شعبان وجاره جانع إلى جنبه ، وهو يعلم به! رواه الطبراني ، وإسناده حسن وصححه الألباني في صحيح الجامع ، وصحيح الترغيب والترهيب. وهو يعلم به ؛ لأن بعض الجيران قد لا يعلم بحقيقة جاره ، ولذلك إذا وصل إليك علم عن جارك ، فقد قامت عليك الحجة في مساعدته. ومن سعادة الإنسان في المقابل الجار الصالح ؛ كما جاء ذلك عن النبي ﷺ في قوله: من سعادة المرء: الجار الصالح ، والمركب الهنيء ، والمسكن الواسع. رواه أحمد ، والبخاري في الأدب المفرد ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد. وقال: أربيع من السعادة وذكر: الجار الصالح وأربيع من الشقاء: الجار السوء فإذا للإنسان ملك جار صالح هذا من أسباب سعادته في الدنيا ، وهناك عيشه ، أن يكون عنده جار صالح. وكذلك فإنه ﷺ قد أخبر عن

امرأة: أنها من أهل النار ، مع صلاتها وصدقها وصيامها ، لماذا؟ لأنها كانت تؤذي جيرانها ، والحديث رواه أحمد والبخاري وابن حبان والحاكم ، وقال: "صحيح الإسناد" ، ورواه ابن أبي شيبة. قال رجل: "يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها" باللسان قال: هي في النار قال: يا رسول الله ، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط" الأثوار هي قطع ، والأقط هو اللبن المجفف ، وهو من الشيء الزهيد". ولا تؤذي جيرانها؟ قال: هي في الجنة. رواه أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب. فما نفع تلك كثرة صلاتها وصيامها وصدقها ؛ لأنها تؤذي جيرانها ، وهذه نفعها الإحسان ، وعدم إيذاء الجار ، فأخبر ﷺ أنها في الجنة فهذه من الأدلة على خطورة هذا الموضوع ، وأنه لا بد من الاهتمام به! وقد كان النبي ﷺ وأصحابه يطبقون ذلك عملياً فكان جيرانه عليه الصلاة والسلام يهدون إليه ، ولذلك مرة لما جاع أبو هريرة وأرسل للنبي ﷺ قدحاً من لبن ؛ فأشرك أهل الصفة فيه. رواه البخاري. ولما كانت أسماء امرأة الزبير رضي الله تعالى عنهما جاؤوا من مكة إلى المدينة ؛ في الهجرة ، وحالتهم صعبة ، وإنشاء بيت جديد وأسرة في مكان غريب ، ليس الأمر سهلاً ، مع قلة ذات يدهم ، فقد خرجوا بلا مال مهاجرين إلى الله ورسوله ، فتقول أسماء مما سهل عليها المعيشة: أنه كان لها جارات صدق يخزن لها ، يساعدها في الخبز والعجن ، فقالت: "جيران من الأنصار نسوة صدق". رواه البخاري ومسلم. كن يساعدها. والإنسان لا يزال محتاجاً إلى جاره ؛ لأن هناك طوارئ كثيرة يمكن ما ينقذها إلا الجار ، ولده عبد الرحمن وهو يناصي جاراً له ، فقال: "لا تناص جارك ، فإن هذا يبقى حلالات من أمور والناس يذهبون". إحياء علوم الدين. ناصى جاره ، يعني أخذ بناصيته ، وصار بينهما أمر فيه شدة. وكذلك فإن رجلاً جاء إلى ابن مسعود فقال: "إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق علي؟ قال: اذهب فإن هو عصى الله فيك ، فأطع الله فيه". إحياء علوم الدين. وكذلك فإن الحسن البصري رحمه الله من شدة حق الجار كان لا يرى بأساً أن يطعم الإنسان جاره اليهودي ، أو النصراني من أضحيته. وجاء الحسن بن عيسى النيسابوري إلى عبد الله بن المبارك ، فقال: الرجل الجار المجاور يأتيني ، فيشكو غلامي أنه أتى إليه أمراً ، والغلام ينكره ، فأكره أن أضربه ، ولعله بريء؟ أضرب غلامي يمكن الغلام بريء؟ أسكت يمكن الجار صادق وغلامي غلطان؟ فكيف أصنع؟ قال: إن غلامك لعله أن يحدث حدثاً يستوجب فيه الأدب ، فاحفظ عليه. الآن هذا يحتاج إلى مراقبة ، وأن تحسب عليه تصرفاته. فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث ، فتكون قد أرضيت جارك ، وأدبته على ذلك الحدث. يعني يقول: هذا الغلام الذي عندك لا يخلو أن يخطئ ، ما هو ضروري حق الجار ما راح يخطئ خطأ آخر ، يهمل ، فيكسر شيئاً - مثلاً - ؛ فأنت الآن جارك يشتكي على الغلام ، والغلام ينكر ، وأنت لا تعلم أهذا الغلام صادق أم الجار؟ فماذا تعمل؟ قال: عدّ على هذا الغلام موافقه ، فإذا جاء خطأ أخطأ فيه ؛ فعاقبه بعلم جارك فيظن الجار أنك عاقبته من أجله ، والغلام يعلم أن العقوبة من أجل خطئه ، فما ظلمت ، وأرضيت الجار ، وهذا تल्प في الجمع بين الحقيين. وكذلك فإن حقوق الجار متعددة - إذا أردنا أن نتحدث عن حقوق الجار - ، فإنها كثيرة ، ومما ذكره العلماء في حقوق الجار: إذا استعانك فأعنه ، وإذا استقرضك فأقرضه ، وإذا افتقر عد إليه ، وإذا مرض فعده ، وإذا أصابه خير فهنئه ، وإذا أصابته مصيبة فعزه ، وإذا مات فاتبع جنازته ، ولا

تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذنه بفتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، وإن اشتريت فاكهة فأهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ؛ لأن من الإيذاء الإيذاء النفسي ، فهذا يرى جاره يدخل الكراتين ، وهو ليس عنده شيء ، ما عنده كيلو ، ولا حبة من الفواكه ، فإذا لم ترد أن تعطيه منها فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، فهذا ولده يخرج وفي يده الحبة الكبيرة ، وولد ذاك مسكين ليس عنده شيء ، فلا تجعل ولدك يغيظ ولد جارك ، بأن يخرج إليه بشيء لا يملك مثله ، فيتألم الغلام الآخر. وكذلك من الحقوق: إيصال الخير إليه بكل الطرق ، مثل كف الضرر عنه بكل طريقة ، ثم البداءة بالسلام ؛ لأنك لا يخلو أن تلقاه على باب البيت كثيراً ، هو يدخل ويخرج ، وأنت تدخل وتخرج ، فابدأ بالسلام ، ولا تطل معه الكلام بحيث تضايقه ، ولا تجمع له الزلات ، ثم تحاسبه عليها كما تحاسب موظفاً عندك ، أو سائقاً ، أو خادماً ، وأظهر السرور بما أسره ، واصفح عن زلاته ، ولا تطلع على السطح على عوراته ، ولا تضايقه بوضع الجذع على جداره ولا تطرح القمامة أمام بابه ، ولا تضيق عليه الطريق ، ولا تقف أمام باب "الكراج" في هذه الأيام ، أو تأخذ مكان سيارته المظلل الذي أمام بيته ؛ لأنه الآن هناك مواقف قد تكون مخصصة يعين كل عمارة - مثلاً - لك شقة تخصص موقفاً للسيارة ، أو يأخذ المكان الذي أمام البيت بالضبط ، أو يسد عليه مكان الخروج ، واستر ما انكشف من عوراته. ولا تغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، فقد يسافر ويرجع ، ويجد البيت كله مسروقاً ، كيف؟ قال: والله رأينا سيارة شركة جاءت وحملت ، فقلنا: يمكن أنك نقلت! والمشكلة الآن أنهم لا يدرون عن أحوال بعضهم فهذا ينقل من المنطقة ولا تدري عنه أنه سينقل من البيت ، هذا تقصير ، ثم بعد ذلك يقول: فكرنا أنك نقلت من البيت ، وهذا ما هو إلا حرامي محترف ، أتى بسيارة شركة ، وقال: عندي بيت ، ومن الشركة التي تتأكد أن هذا بيت ملك فلان؟ خلاص عرف أن هذا البيت قد غاب صاحبه ، فجاب شركة ، حرامي ، فتح الباب وجاء بشركة ، وقال: انقلوا الأثاث ، وهو من بعيد لو وقع شيء لهرب وإذا لم يقع شيء أخذ الأثاث ، وهذا جاره ، يقول: لا أدري ، ظننتك نقلت ، الجار نقل ، خبر كبير ، كيف لا يدري عنه؟! فلذلك إذا سافر الجار ؛ من حق الجار عليه: أن يلاحظ داره في غيبته ، ولو رأى شيئاً أمام بيت الجار ، وأناس غرباء واقفين ، ماذا عندكم؟ ماذا تريدون؟ لا بد أن تعتبر بيته مثل بيتك. وعض بصرک عن نساته ؛ لأن الجار لا يخلو أن تخرج نساء بيته ، أو بناته نساء بيته من الدار ، إذا خرجن فربما تكون المرأة لتوها لم تعدل ملابسها بعد ، فبعض النساء تخرج وتعدل على الطريق ، من قلة الدين ، تجد بعض النساء ، وهي طالعة تكمل لبس العباءة ، وهي قد صارت في الشارع ، ومن المفترض أنها قبل أن تخرج من بيتها أن يكتمل الحجاب كله ، لكن مع الأسف بعض النساء لا تكمل لبس حجابها إلا في الشارع ، وهي خارجة إلى الشارع ، وتكمل اللبس ، فهنا ماذا يفعل الجار؟ الشكوى لله ، والنصيحة ، وأن يغض بصره. وكذلك تقف السيارة - مثلاً - أمام باب الجار ، فينزل منها نساؤه ، والمرأة إذا نزلت لا تخلو إذا دلت ساقها من السيارة لتنزل أن تنكشف ساقها - مثلاً - ، فغض البصر عن نساء الجيران ، وهن يدخلن ويخرجن ، وهن ينزلن من المركبة ، وهن يصعدن إليها ، لا بد من غض النظر. وكذلك بعض الخادمت - الآن - تخرج لرمي القمامة مشمرة عن العمل ، فلا بد من نصح الجار أن الخادمة التي عنده لا بد أن تحتشم ، وخروجها لإلقاء القمامة في البرميل ، لا بد أن يكون بحشمة وحجاب ، وإذا لم تحتشم ، فإنه يمنعها من الخروج ، ويجعل السائق ، أو هو بنفسه يخرج القمامة ، فإذا خرجت الخادمة غض

بصره لحق الجار ؛ لأن هذه خادمة الجار ، وبعض الناس يقول لك: خادمة الجار ليس لها قيمة ، لو أننا عبثنا معها ، يعني أصلاً سيرلانكية! وإذا كانت سيرلانكية! هل يعني سقط حقها؟ هذا فمن حقوق الجار أن تحترم حتى حرمة خادمته ، أن تحترم الحقوق ، وتقوم بالنصيحة. وأن تتلطف مع أولاده ؛ لأن بعض الناس من المشكلات الكبيرة أنه يعتبر أن له الأحقية في معاقبة أولاد الجيران ، فتجده يأخذ راحته في ضرب ولد الجار ، الولد يلعب رمي بالكرة ، وهو ولد من طبيعته اللعب ، فالأشياء العادية تحتمل ، وإذا كان قد زودها تحتمل أنت ، وإذا أصبح الأمر لا يطاق كلم أباه ، لكن أن تعطي لنفسك الأحقية بضرب ولد الجار فوراً بدون إعلام ، ولا إخبار أبيه ، فهذا غير صحيح ، والإنسان المطلوب منه أن يتحمل).هـ. وعجوز قصيدتنا للأسف أسقطت كل هذه الحقوق! فلم تتق الله في الأمانة التي استرعاها الرجل قبل رحيله! ولم تقم بحق الجيرة عندما ضيعت الأسباب وسرقت بنت جارتها! ولا يشفع لها أنها ربتها وأدبتها وعلمتها القرآن وزوجتها من رجل صالح! إن تجاوزاتها في إيذاء جارتها الأم لا تكاد توصف! والحقيقة أن هذه القضية استمرت في أروقة المحاكم أربع سنوات. وتبين منها أن إحساس الأم الذي لا يكذب ينتصر في النهاية. وتنازلت الأم عن حقها الخاص تجاه هذه الجريمة ، لما وجدت أن العجوز قامت حيال البنت بذات الدور الذي كانت ستقوم به من تربية وتعليم وتهذيب وتحفيظ قرآن. وزادت على ذلك أنها زوجتها من شاب خلوق دين ذي حسب ونسب! والحمد لله رب العالمين. فيا لله كم كان تصميم الأم وجريها وراء إحساسها الذي لا يكذبها طريقاً إلى إثبات الحقيقة! والله تعالى الفضل والمنة أن أبقى الله تعالى هذه العجوز لليوم الذي تعترف بالحقيقة كاملة وهي في كامل رشدها وعقلها وحكمتها ، فلم تكن قد خرفت ولا اختلط عليها حابل الكلام بنابله! كم هي واسعة رحمة الله بخلقه! وكم هي بالغة حكمة الله تعالى! وكم هو عظيم أن ينتصر الحق على الباطل! ومن ذلك كله كانت هذه القصيدة تعبيراً عن فحوى الموضوع التي ملخصها انتصار الحق لا محالة! فليت أهل الحق يوقنوا بانتصاره الأكيد!

الحق فوق الإفك والبهتان	لا يختفي بالسدس والكتمان
مهما اعترثته مغالطات جملة	وطغيت عليه فظاعة الشنان
ورمته بالتوهين السنة الورى	وغدا ملوكاً فوق كل لسان
وتعقبته قوى الطواغي غيلة	وأنت له بقرانن ومعاني
وعلاه مرتزق ليصرف نصه	عما حوى من معلّم وبيان
وقلاه طبالاً ليضرب طباله	مستغنياً بعذوبة الألمان
وطغى عليه محرف متلق	ليزيل عنه نصاعة البرهان
وبغى عليه مغالط ركب الهوى	وكأنه من زمرة (القباني)!

بالتزوير والتزييف والبهتان
بالتعنت والتجريح والنكران
وهو ت عليه بمعول النقصان
هو ليس رهناً فلانة وفلان!
فالقوم - بالمرصاد - للطغيان
مس تكبر متجبر رخوان
يتصددرون لصولة العددوان
متزلفاً - بالإفك - للسطان
من آي مولانا عظيم الشان
ومفيدة في عالم الإنسان
ليعالج التشكيك بالرجحان
سلوى القلوب ونزهة الأذهان
وكأنها مزجت مع الأشجان
بين الحقائق في بهي مغاني
ما ضمهم بيت ولو لثوان
كأس الضياع ، فمن يكون الجاني؟
ما كان ما جاءته في الحسبان
أوهكذا الإحسان للجيران؟
لدياره للأهل والخلان!
عجباً لما اتصفت به الأختان!

وتزيدت فنة عليه بجهالها
وتناولت فنة وضوح سطوره
وتجرات أمة عليه بهزلها
فالحق رغم أن وفهم مترفع!
هو لا يموت ، وليس يُخدع أهله
لا يرعوون لباطل مس تنكف
للحق أهلاً لا تالين قناتهم
ينفون عنه تجاوزات من افتري
واعجب لقصتنا التي هي آية
والآي تتري ، والدروس جلياة
تحوي المواعظ للذي تغولاه
في ربع قرن قصة وحكاية
وبرغم شجوى ضمخت أحداثها
هي في (الرياض) تتابع أحداثها
أبطالها ياسامعين ثلاثية
زوج وزوجته وبنات أشربت
الجاني جارتهم ، وشر ما أتت
أوهكذا حق الجوار عجوزنا؟
أين الوصية؟ والذي أوصى مضى
والوعد أين بأن تكوني أختها؟

عجباً يسافر قـيـم عن أهله
عجباً شهـور الحمل طال مرورها
عجباً تُلف رضىعة في خرقـة
ويقول كل الناس: تلك لقيطة
أبوان معلومان في هذي الدنيا!
وتغض بيـنهم الجبين تـذلاً
في محنة لم تدر ما أسبابها
والأم صدقت العـجـوز ، وسلمت
لما تساورها أثاره ريبـة
والزوج جاء ، فأخبرته بما جرى
مسـتـرجعاً ومحوقلاً ومحوقلاً
وكانما هذي العـجـوز حقيقة
وهي الكذوبة ليس قط كذبها
كذبت على رب الأنـام وخلقـه
والله أخلف مـن أضـير بجـوده
عقدان قد مضيا ، وماتت سيرة
أمست من الماضي الذي هو بئد
والأم أعطاهـا المهيمـن ما ارتجت
أما التي ماتت ولم تر أهلها
ما حـدّها قبرٌ ، ولم تزر البلى

عاماً ، ويتركها البلاء تعاني!
تسعاً كمثل تعاقب الأزمان!
لتذوق كل مذلة وهوان!
وهي التي قطعاً لها أبوان!
عبدان للمتكبر المنان
كيلا تصلى في لظى النيران
ولحها - للبنات - ليس يدان
أمر البنية تلك للرحمن
كي تستبين الأمر باستيقان
فاجتر ما يلقي من الأحزان
إخلافها يرجو من الـديان
صدقت ، وكانت أصدق النسوان
لما احتفت بوساوس الشيطان
كذباً أضاع معالم العرفان
وهم الألى عمدوا إلى الشكران
والبنات أمست في طوى النسيان
والذكريات مضت بكل تـوان
بدعائها من طيب الولدان
فأدمع جف ، وذابت العينان
والدود لم يستشر في الجثمان!

والعين ما كفت عن الهيمان
لتخصها بمحبةٍ وحنان
ويخصها بالفضل والإحسان
بمعاشهم في الأهل والبلدان
دفع القرابة في مناخ هاني
دعيا إليه هما هما الإثنان!
والعقل أعمل فكره بتفان
والذكريات جلائلٌ وحواني
قالوا: فتاة السلم والإيمان
لم خصها في الحفل بالخذلان؟
لم شخ بالإطراء والتحنان؟
ليجود بالقبلات والأحضان؟
في القول في سر وفي إعلان!
فالسُّرُّ أمرُ الرب ذي السبحان
والبعد عنها ليس بالإمكان
هي بضعة مني وبعض كياني
برعايةٍ وتكليفٍ وأمان
رفقاً بقلبي الحائر الولهان
فسألت: ذلوني على الغوان!
قلت: افتقدتك في لقا العرسان

لكنها تحيا بدون شرافةٍ
لم تعرف الأم التي قد أنجبت
وكذاك لم تعرف أباً يسمو بها
والوالدان بغيرها انشغلوا ، وطا
عشرون عاماً والحياة تُذيقهم
حتى إذا كان الزواج وحفله
وهناك قلبُ الأم هاج حنينه
وتساؤلٌ صدحت طيوفُ حروفه
يا قومي من هذي العروس تكلموا!
يا ناسُ قولوا: من أبوها بينكم؟
لم لم يُبارك عرسها وزفافها؟
لم لم يشارك في احتفال بنائها؟
قالوا: العروسُ لقيطة ، فتحفظي
لا تجرحيها ، واسـتري لا تفضحي
قالـت: ولكني انجذبت لقربها
قلبي يحدثني ، يقول: هي ابنتي
يا قوم دلوني على من حاطها
وهناك أعرف منه صدق مشاعري
قالوا العجوزة في (الرياض) بها اعتنت
فإذا بها ياليت شعري جارتني

والعظمُ قاسى شدة الإيهان!
وتذكرى ما كان من أزمان!
ربيتها ، واستشهدي جيرانى
هو كالخرافة ، أو عريف الجان!
قالت: دليلك يا أخية وانى
إما اشتكيت بقاطع البرهان
ودليل غيرى ثابت البطلان
فسئلت: أين أدلتى وبياتى؟
نحو الفتاة بغبطة وحنان
ثبتت بلا شك ولا روغان!
إنى أحس بـوازع اطمئنان
لا تثبت الأتسبب بالأيمان
لتزورنا فى الاجتماع الثانى
ثم التقى - فى الجلسة - الخصمان
من كف قاضينا اللبيب دوانى
فهى الوثائق عمرها عقدان
غضبى أصارع غصة الخسران
حتى يحقق مبدأ الرجحان
ليزول شكك عالق بجنان
فاحتاج دمعى فى لظى أحزاني

قالت: كبرت ، وأعجزتني حياتى
قلت: البنية من تكون؟ فصارحى!
قالت: لقيطة لست أعرف أهلها
قلت: ابنتى هذى ، وقولك كاذب
قالت: دليلك. قلت: قلبى والحجا.
قلت: المحاكم بيننا ، فتجهزى
قالت: دليالى لا سبيل لنقضه
فذهبت للقاضى لأرفع دعوتى
فأجبت: قلبى وانجذاب عواطفى
فأجاب: محمتهى تريد أدلة
فحلفت أن هذى العروس بئيتى
فأجاب لا يكفى اليمين ، ألا اعقلى
ولسوف أرسل للعجوز رسالة
وأراه جء بها ، وكانت جلسة
وعجوزنا جاءت لنا بأدلة
كالشمس فى وضح النهار وضوحها
وأنا خرجت من اللقاء بخيبة
واختار قاضينا النهاية واثقاً
الحامض النووى حلّ ناجع
فإذا به ضدى فلم يك موجباً

وإذا بأهل القص في الديوان
والقطع زين بصيغة الحفان
والجزم قوى الميّل للإذعان
هي إبنة لفلانة وفلان
وأصابها طيف من الغشيان
حببت الرجوح لكفة الميزان
أحداثها عارّ على الإنسان
ما حظ قمرّي على الأفنان!

فرفعت دعوى كي أحقق رغبتني
قطعوا بأن البنيت حقاً إبتني
أما القضاة فأذعنوا لقرارهم
وبنيتني عادت إليّ نسيبة
أما العجوز فلم تطق حكم القضا
حتى أفاقت صرحت بحقيقة
وهناك اعترفت بسرّ جريمة
غفر المليك لها ، وأصلح شأنها

الخاتمة

الحمد لله عز وجل ، ما بزغت شمسُ وأضاء بدرٌ وأطل ، وأشهد أن لا إله إلا الله جليل القدر والفضل ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ذو البيان الأكمل ، أضاء للمؤمنين طريقهم. أحبهم وحبَّب إليهم ربهم. فتنوع العطاء والحب السبب. إمام الغر المحجلين. وخاتم الأنبياء والمرسلين. وجهك بدر وصوتك طرب. سيد كل قبيلة وفريق. بالمؤمنين رحيم وشفيق. نببي ورسولي ، وقدوتي وأسوتي ، سيدي وحببي. ومولاي وشفيعي. الشوق مشتعل والدمع للحدِّ خضب. فهل تنعم برؤية وجهك عيناى؟ وتهنأ بلثم قدميك شفتاي؟ فالعمر ولى والزمان قد اغترب. فيا رب يا أكرم مسؤول. ويا خير مُرتجى ومأمول. كسرت ظُهور الأكاسرة ، قصرت آمال القياصرة ، هدمت معقل الجبابرة ، وأرديتهم في الحافرة. من أطاعك أكرمته ، ومن خالفك أدبته ، ومن عاداك سحقته ، ومن نادك محقته ، ومن صدَّ عنك الناس مرَّقتَه. تصمد إليك الكائنات ، وتعنو إليك المخلوقات ، وتُجيب الدعوات ، بشتى اللغات ، وبمختلف اللهجات ، على تعدد الحاجات ، تُفرج الكُرَبات ، وتُظهر الآيات وتعلم النيات ، وتُظهر الحَفِيَّات ، وتُحيي الأموات. دعاك الخليل وقد وُضع في المنجنيق ، وأوشك على الحريق ، ولم يجد لسواك الطريق ، فلما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل صارت النار عليه برداً وسلاماً في ظلِّ ظليل ، بقدرتك يا جليل. وفَلَقْتَ البحر للكليم ، وقد فرَّ من فرعون الأثيم ، فمهدت له في الماء الطريق المستقيم. ودَعَاكَ المختار ، في الغار ، لما أحاط به الكفَّار ، فحميته من الأشرار ، وحفظته من الفُجَّار. قريب تُجيب كل حبيب. صلِّ على سيد الأعاجم والأعارب. على الصحب ومن تبع وكل من إليه انتسب. ما لاح في الأفق نجم أو غرب. أو ظهر في السماء هلال أو احتجب. وكلما انحنى لك في الصلاة ظهر أو انتصب. اللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء همنا وغمنا وحزننا. اللهم علمنا منه ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، اللهم ارزقنا حفظ القرآن ، وارزقنا علم القرآن ، وارزقنا هداية القرآن ، وارزقنا نور القرآن ، وارزقنا حلاوة القرآن ، وارزقنا متعة القرآن ، وارزقنا العمل بالقرآن ، وارزقنا قيام الليل بالقرآن ، واجعلنا من أهل القرآن ، الذين هم أهلك وخاصتك يا أرحم الراحمين ، اللهم عافنا من سوء الحساب ، اللهم لا تعرض عنا يوم نلقاك ، وارزقنا نفع عملنا يوم لا ينفعنا عمل غيرنا ، اللهم كما مننت علينا بالإسلام فامنن علينا بطاعتك وبترك معصيتك أبداً ما أبقيتنا اللهم لا تفضحنا في سرائرنا ولا تخذلنا بكثرة فضائحنا ، سبحانك أنت ربنا ، تائبون فاقبل توبتنا واستجب دعاءنا ، وارحم شبابنا ، وأقل عثرتنا ، وارحم طول عذرتنا ، ولا تفضحنا بالذي كان منا ، سبحانك ربنا أنت غياث المستغيثين ، وقرّة أعين العابدين ، وحبیب قلوب المستغيثين إليك مستغاثنا ومنقطعنا ، فارحم ربنا ضعفنا ، واقبل توبتنا ، واستجب دعوتنا ، ولا تخذلنا بالمعاصي التي كانت منا ، ولا تجعلنا لنار جهنم وقوداً بعد توحيدنا والإيمان بك ، إلهنا عبادك نحن نحب اجتناب سخطك فأعنا على ذلك ، يا أيها المنان يا الله ، عبادك نحن عظيمو الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءك يوم يفرح الفائزون ، اللهم اقدف في قلوبنا رجاءك ، وانزع من قلوبنا رجاء من سواك ، ما أشوقنا للقاءك وما أعظم رجاءنا لجزائك ، فلا تخذلنا يوم العرض عليك يا أرحم الراحمين ، اللهم إنا

أطعناك في أحب الأشياء إليك ، أن تطاع فيه وهو الإيمان والتوحيد ، ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الشرك والكفر ، اللهم إنك قلت سبحانه: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت" ، ونحن نقسم جهد أيماننا أن الله يبعث من يموت! فاللهم أمتنا على الحق والإيمان والهداية والإسلام! إلهنا تعاليت عن النديد والمثيل والشبيه! يا من تستجيب دعاء المظلوم ولو بعد حين ، ظلمنا يا ربنا فانتصر لنا ممن ظلمونا! وفرطنا في جنبك يا مولانا كثيراً فاعفر لنا واعف عنا!

سبحان ذاتك يا من لا شبيهة له وما رأيناك لكنا عرفناك
يا سامعاً دعوة المظلوم صاعداً وظالم النفس يخشاها ويخشاك
رحمك فالطف بنا فيما قضيت به واغفر لنا ، واهدنا دوماً لنعمك
ولا تخب ربنا لي ، وخذيدي مالي سواك ، ومالي عنك إلاك!

إلهنا لم نياس من الوقوف على بابك طمعاً لما في يديك الكريمتين من العطاء والغفران والقبول!
فاللهم لا تحرمانا غفران الذنوب وستر العيوب!

وقفنا ببابك يا خالقي أقبل الذنوب على عاتقي
أجر الخطايا ، وأشقى بها لهيباً من الحزن في خاقي
يسوق العباد إليك الهدي وذنبي إلي بابكم سائقي
أتيت ، ومالي سوى بابكم طريحاً أناجيك يا خالقي

اللهم اجعل شعري طريقاً إلى هدايتك ، ولا تجعله سبيلاً إلى الغواية شأن كثير من أشعار بني آدم! اللهم اهد به عقول الحائرين ، وانفع به الناس كل الناس في الأرض كل الأرض. واغفر ما فيه من الزلل والعيب والنقص! فهذا الجهد وعليك يا ربنا التكلان! وهذا السعي وعليك يا ربنا القبول! والحقيقة أنني اجتهدت قدر المستطاع وبذلت كل طاقتي في إخراج هذا الشعر إلى النور ، لينتفع به الناس كل الناس في الأرض كل الأرض! وأنوي في المستقبل ترجمته للغة الإنجليزية فعسى الله أن يوفقني إلى ذلك! وكان الهدف من إخراج هذه الطبعة أن لا يقول قائل عن شعري يوماً: لقد مات أحمد سليمان أخذاً شعره معه ليُدفن في قبره! وذلك ككثير من الشعراء في القديم والحديث ، يموت الشاعر وقد وكل شعره إلى من لا يسعى في نشره ومنفعة الناس به! ويعلم الله كم بذلت من الوقت والجهد والمال في سبيل إخراج وتحقيق وتنقيح وترتيب وصف هذه الأشعار! كما أنني حرصت أن لا أدع القارئ في حيرة من أمره عن أي نص كتبت! وما أردت لقارئ أن يسأل: لماذا كتب الشاعر هذا النص؟ وماذا يقصد بهذه الفكرة؟ بل زودت جل القصائد بمقدمات ما بين الطويلة والقصيرة لتكون بمثابة المدخل للقارئ ليدرك هذا كله ولا يتحير! فإذا كان بعض القراء يستطيعون المقدمات ويصفونها بالمملة أحياناً فأنا أقترح عليهم أن يتجاوزوها ويطلعوا القصائد مباشرة! وإذا فعلوا

فأنا على مثل اليقين من أنهم سوف يرجعون للمقدمات ليدركوا بعض الأسرار! وإنني حاولت أن أجعل من شعبي شاهداً على العصر الذي أعيش! فلقد طرقتُ جُل القضايا إن لم يكن كلها في أشعاري! كما أنني حرصتُ على الكتابة على كل بحور الشعر العربي الستة عشر! الأمر الذي ليس عليه أغلب الدواوين الشعرية من عصر الجاهلية وامرؤ القيس مروراً بصدر الإسلام ووصولاً إلى عصرنا الحديث هذا. وأنا على يقين من أن عمر هذا الشعر سيكون أطول من عمري ، وسيعيش بعدي ليعلم الأجيال والأبناء والأصدقاء والناس أجمعين ماذا كنْتُ وعلى أي منهج حياة عشت وبأي دين دنت! إن شعراء كثيرين يرحلون عن حياتنا ولا ندري عنهم الكثير كما لا نعرف عن ميولهم ولا اتجاهاتهم ولا آرائهم ولا عن عقائدهم! أما شعري فهو يقدم لمن يقرأ فيه ويطلع بحيدة وموضوعية كل هذه الأشياء عني بكل صدق وشفافية! ولقد قلت بالشعر كل الذي أدين به الله - عز وجل - وأتبع به النبي - صلى الله عليه وسلم - . وكنْتُ صريحاً كل الصراحة فيما أوردت وتناولت! إذ الشعر عندي له رسالة وحقيقة ، والشاعر عندي له رسالة وحقيقة! ما الشعر إن لم يقدم الحلول لمشكلات الواقع المعاش؟ وما الشاعر إن لم يذد عن القيم والفضائل في شعره؟! وأنا مع الأستاذ رياض عبدالله الزهراني الذي يحدد حقيقة الشعر والشاعر فيقول ما نصه: (للشاعر وظيفة ورسالة! فهو لسان القبيلة وأداتها الفاعلة! فكم من قبيلة حملت العار دهرًا بسبب قصيدة! وكم قبيلة نالت الفخر زماناً بسبب قصيدة! كل ذلك كان في الجاهلية فخرٌ وحماسة وعنصرية وغزل وحب وأشياء كثيرة يذكرها التاريخ وتذكرها كتب الأدب العربي الجاهلي. ففي الجاهلية كانت القبيلة تفتخر بولادة شاعر وتفتخر بنبوغ أحد أبناءها في الشعر ، فالثقافة والبيئة الصحراوية جعلت الشعر يحتل مكانة عالية لدى المجتمعات ، واليوم وتجاوزاً لما بعد العصر الجاهلي من عصور وقرون وأم يبقى الشعر يحتل مكانة لدى المجتمعات خصوصاً بمنطقة الخليج ، حيث الثقافة المجتمعية والعادات والتقاليد والسلوم والأعراف والتاريخ وحوادثه القديمة جعلت من الشعر خصوصاً النبطي منه "العامي" يتصدر المشهد الثقافي الخليجي ، ولا تستطيع مجتمعات الخليج التخلص منه لارتباطه بالمناسبات الاجتماعية ، كالأفراح والحفلات الرسمية فضلاً عن جذوره التاريخية العميقة ، الشاعر والشعراء خصوصاً العاميون بعيدون عن نظر الناقد والراصد وبعيدون عن منصة النقاش الأدبي العلمي المنهجي ، وقد تكون هناك محاولات لكنها لا ترقى لمستوى يمكنها في كشف الركافة في بعض النصوص وكشف الإجابة في بعضها ، الشعر العامي بمختلف أنواعه الأدائية والحركية نابغ من البيئة وليس طارئاً وهذا حافز يجب أن تستغله مؤسسات الثقافة والفنون والمهتمين بالأنواع الأدبية والأدائية لدراسة الشعر العامي ووظيفته على مدى قرون مضت من عمر الثقافة الشعبية القروية والصحراوية. والشعر الحقيقي أياً كان عامياً أو فصيحاً فإنه يحمل رسالة بأمانة وصدق ، فهو يهتم بالتفاصيل ويصور المشاعر بشكلٍ حقيقي ، فالشعر فلسفة قبل أن يكون موهبة ، والشاعر الحقيقي يهتم بالتفاصيل ويصورها بشكلٍ يجعل منها أيقونة تحفز الآخرين على الإبداع ، الشاعر الحقيقي يختلف عن المصور والرسام ، فالمصور والرسام يُخرج الصورة كما هي مع إضافات بسيطة في بعض الأحيان. أما الشاعر فإنه يُخرج الصورة بشكلٍ مختلف ، وهذه ميزة الشاعر الحقيقي الذي يختلف عن الشاعر الركيك راكب موجة الشعر والموهبة والحضور ، الشعر رسالة ومشاعر! وشعراء اليوم بينهم وبين الشعر والمشاعر بون شاسع. وتلك مشكلة لها تداعياتها الثقافية والاجتماعية في المستقبل القريب وهذه بحاجة لمن

يَفكك رموزها وتعقيداتها اللفظية والسببية ، المشاعر في شعر شعراء اليوم خصوصاً النبطي منه لا تتجاوز وصف الأجساد الأنثوية والأرداف الشاكية والعيون الحزينة والصدور الملتهبة والنهود الشامخة". كما يقول أحدهم " وقل أن نجد نصوصاً تتحدث بصدق عن المشاعر الصادقة والشوق الطاهر والحب الحقيقي).هـ. وإن كنت أقررتُ الباحث في التعريف بحقيقة الشعر والشاعر ولكنني لست معه في الترويج للشعر النبطي ، بل بالعكس فأنا أراه يزاحم العربية الفصحى مزاحمة شديدة! كما أنني أراه إقليمياً لا يفهمه إلا أهل محلته! وإنك لواجد في المدن أناساً لا يفهمون شيئاً من شعر أو عريف شعراء البادية ، وإن كان الكل ينتمي لدولة واحدة ويحمل جنسيتها! وإن كنتُ أرى أن الروايات والقصص والدراما طغت على الشعر في زماننا ، إلا أنني متفائل للشعر العربي الأصيل بمستقبل مشرق في قابلات الأيام! ذلك أن الروايات والقصص لم تعد تهتم كثيراً بالواقع على حين يهتم الشعر بالواقع! وهناك قضية أخرى على الساحة وهي قضية شعر التفعيلة أو تفعيل الشعر أو الشعر الحديث المتحرر من الوزن والقافية والمتفلت من قواعد الشعر العربي! وتلك قتلناها بحثاً في أكثر من قصيدة ومقدمة ولا أريد أن أكرر شيئاً قلته من قبل! وهذه المحاولات تجاوزت إلى اليوم نصف قرن ، فهل كتب لها البقاء والاستمرار؟ بالطبع لا! ذلك أنها تقوم على أيدي أناس مفلسين لا لغة ولا علم عند أغلبهم! والشعر العربي الأصيل جزء من لغتنا العربية ، ولغتنا العربية جزء من قرأنا وسنتنا ، وعلى هذا فاللغة العربية بشعرها ونثرها جزء لا يتجزأ من ديننا الإسلامي! يقول الأستاذ إبراهيم أحمد الوافي عن هذا الصدد بالنص: (إن المدّ الروائي لدى كثير من شعراء العصر هو ثمرة كثيرة لا تليق بقصيدة النثر. وتحول (عصري) من موسيقى الصوت الى فضاء الرؤية متماهياً مع المدعو (فيديو كليب!) ربما وهذا في نظري مردّه لأزمة حقيقية يمر بها الشعر في العصر الراهن لعل أهمها غياب (المجد) الذي التصق بالشعر على مدى تاريخه ، ناهيك عن الأزمة الحقيقية التي يمر بها الشاعر في العصر الراهن ، وللحديث عن الشعر المعاصر وزاوية الرؤيا له لا بد من الحديث عن الشاعر ، فالشاعر الذي كان قديماً وزارة إعلام القبيلة ، وجد بوناً شاسعاً في العصر الحديث بين تصوراته المسبقة وبين واقع الحال ، فالشاعر الذي مازال يحلم دائماً بدور المرشد والمخلص ، تفاجأ بعصر لا يرحب بالمرشدين او المخلصين ، والشاعر الذي مازال يتوهم أنه سيغير العالم بالكلمات سيفجع بحقيقة أن العالم اليوم لا يتغير بالكلمات وحدها ، وكذلك الشاعر الذي يتخيل نفسه خطيباً على منبر تحتشد حوله الجماهير المتعطشة لتتلقف كل كلمة يتفوه بها ، سيشعر أن هناك أزمة ما. وفي الحقيقة فإن الشاعر في العالم لم يعد مرشداً ولا زعيماً ولا خطيباً (كما يرى الشاعر السوري نزار بريك في كتابه صوت الجوهر) وإنما هو فرد من أفراد المجتمع ، يتميز عن غيره بطريقته الخاصة في رؤية الأشياء والتعامل معها وصياغتها فنياً وجمالياً ، وفي قدراته على التعبير عن أحاسيسه وانفعالاته واكتشاف المسارات العامة للوجود الإنساني واستشراف الآفاق المستقبلية ، وممارسة تأثيره على وجدان الناس من خلال العلاقة الحميمة والهادئة معهم ، والتي ربما صار مسرحها الحقيقي اليوم هو القراءة الفردية لا المهرجانات الحاشدة ، وهذا المأل ليس أزمة في الشعر نفسه وإنما هو محصلة طبيعية لمجموعة واسعة من العوامل والشروط التي أملاها العالم المعاصر ، وبالتالي وجد كثير من الشعراء أن الأسلوب السردي أجدى نفعاً في ظل هذه التداخيات وربما كنت واحداً منهم).هـ. وإن اختلفت مع هذا الباحث فيبقى شكره على ما قدّم من رأي! والله ولي التوفيق ومنه العون والسداد!

فهرس المحتويات – عتاب وشكوى

الصفحة	البحر	القافية	عدد أبيات	اسم القصيدة	مسلسل
7	داء				الإهم
11	ة		دم	ة	الم
15	ة	ي	اح	ت	الإف
19	لاف			ورة الغ	ص
23	وان			ذا الـدي	هـ
27	البسيط	أحجارا	32	لقد أيقظت ضميري	1
30	الخفيف	الأخيارا	23	إنما المكان بغماره	2
32	البسيط	والرُحْم	26	إن في ذلك لآية	3
35	الوافر	تستريب	36	الطبع يغلب التطبع	4
38	الخفيف	حليلة	29	خليلة لا حليلة!	5
41	الكامل	وأكافي	25	المعجم الصافي	6
43	الوافر	الثوابا	66	عتاب وشكوى	7
58	الكامل	ومقنطرا	53	هكذا فلتكن المسلمة	8
62	الوافر	السلامة	13	جزاء المتحابين	9
64	الطويل	الجرائح	14	المال أعلى من ابنته	10
66	الرملي	الدفين	14	بين متعلم ومتعلم	11
68	البسيط	ويطلب	34	أردتُ زيدا ، وأراد الله عمراً	12
71	الخفيف	عصيان	28	جزاء وفاقاً	13
73	البسيط	الخودا	37	تزوِّج ليتوب الله عليك	14
76	البسيط	قمر	57	القصر المهجور	15
80	الوافر	النبالا	28	لقد حجّلت واسعاً يا حدثي!	16
87	الكامل	المحبوك	25	الغلبة للدليل	17
94	البسيط	الجماهيرا	85	لماذا سقط آل عباد؟!	18
101	المتقارب	في العلن	19	خير لك مما طلعت عليه الشمس	19

103	الرمل	الظنون	43	خرقة بألف دينار	20
106	الخفيف	الأحجارا	69	المدرسة الثكلى	21
111	البسيط	البال	23	غيرة عليك ، ليس إلا	22
113	الكامل	المملوكا	18	إنها التريبة بالقدوة	23
116	البسيط	أوزارا	54	أحسنّت ، وبارك الله فيك	24
120	الكامل	الباطلة	22	ماء زمزم لما شُرب له	25
124	الوافر	المستقيم	18	ببركة الدعاء	26
127	الكامل	أزلقُ	26	الفتيا أمانة ومسئولية	27
130	الرمل	مستبين	25	وإن تصبك مصيبة يفرحوا بها	28
134	البسيط	سلطانا	40	سلطان العلماء ، لا عالم السلاطين	29
138	الكامل	وصحيح	21	أمة (اقرأ) أولى بهذا	30
140	الرمل	المقتدر	18	بين عالم شجاع وأمير رجاع	31
142	الكامل	النفحات	22	هلا قرأتم أقوال منظرىكم؟	32
147	المتقارب	الحانية	35	أمومة لها رصيد	33
150	البسيط	تشقيها	50	المرثية السليمانية	34
153	الكامل	تحذرا	50	المرثية السماحية	35
156	البسيط	والنون	50	قرتا العين	36
159	البسيط	والوقد	42	إن كيدكن عظيم	37
162	الكامل	صراعا	36	ليتني ارتضيت زواجه	38
166	البسيط	معتبر	24	ادرسوا قبل إصدار الأحكام	39
179	الكامل	ومقامي	41	أخجلت تواضعي يا دكتور!	40
182	المنسرح	والخبز	22	مجرم مع سبق الإصرار والترصد	41
188	الكامل	تجبرا	26	وكذلك أخذ ربك	42
190	المتدارك	المُبْحَرُ	24	ليس للتوبة ميعاد	43
193	المنسرح	ثقوا	22	إن جازت لأبي الطيب فأنا بها أولى	44
196	الرمل	وكيفا	19	وخلق الإنسان ضعيفا	45

198	السريع	البررة	20	أقطاب القرآن العشرة	46
200	الكامل	عدوان	37	أين المودة والرحمة؟	47
203	الوافر	استجابا	35	جواب لا تعقيب بعده	48
209	الكامل	واحده	41	ولكن الله سلم	49
209	الوافر	المشربية	50	جئت راغبة أم غاضبة؟	50
212	البيسط	الفقر	36	وهكذا عدت بلا سحور!	51
215	الرجز	بصيرة	24	حكاية بلا نهاية	52
217	الكامل	رجاء	22	الداعية الصغير	53
219	الوافر	تستجيب	18	المريضة الداعية	54
221	البيسط	والدين	13	وتنسون أنفسكم	55
231	البيسط	ومقرور	29	شرح تحفته ، وزوجه ابنته	56
225	الخفيف	استضعاف	20	إن غاب سيده ، فأنا سيده	57
227	الرمل	الجاهلية	22	الشافعي مناظراً	58
230	الكامل	استشراق	29	ضحايا الإتيكيت	59
232	الخفيف	باعتراز	23	الزواج الثاني هو الحل	60
234	المتقارب	والألم	17	سارق الغنم	61
236	البيسط	انفردوا	29	على دين خليله	62
239	الخفيف	واستبدا	25	زواج بلا ضوابط	63
241	البيسط	والجزر	32	وكلكم مسنول عن رعيته	64
244	الكامل	الورى	27	ليس بأمانكم	65
247	البيسط	تنزلق	34	كالراعي يرعى حول الحمى	66
252	الكامل	صيانى	72	المسألة مسألة كرامة (معارضة حامد زيد)	67
258	المتقارب	يا راحلة	20	سلوى	68
261	البيسط	والألما	10	مرحى بغائبتين	69
262	الكامل	حقيهما	24	رسالة إلى عاق لوالديه	70
264	الطويل	القلب	80	في ذمة الله يا أبوي	71

266	عدة بحور	عدة قواف	24	الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)	72
271	الطويل	يا سلمى	16	الشريدة	73
272	الكامل	والكتمان	136	لقبطة ذات نسب	74
291	ة	_____	_____	خاتمة	ال
295	ات	_____	وي	رسات المحنة	فـه

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه ، والله الحمد والفضل والشكر والمنة والثناء الجميل الحسن!

تنوية هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر

باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية

(إدارة الإيداع القانوني)

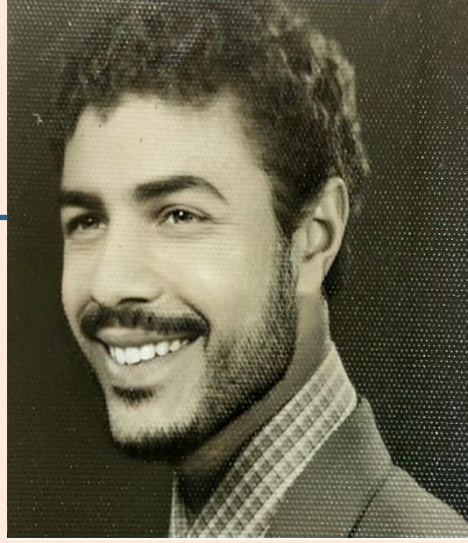
16004 / 2006 في يوم 6 - 8 - 2006م

بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

811 - 800

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - عادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبٌ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالعابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خالك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 - الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 - القاتل البطيء (التدخين)
- 3 - بين شوقي وحافظ!
- 4 - ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 - عمير بن وهب الجمحي - رضي الله عنه -.
- 6 - لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 - من أجل زوجي!
- 8 - هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 - فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 - يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 - رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 - ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 - إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 - أبو غياث المكي - رحمه الله -
- 16 - أتيناكم! أتيناكم!
- 17 - أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 - أستاذي قال لي! (عريف الكتاب - رحمه الله -)
- 19 - قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 - أسماء الله الحسنى
- 21 - الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 - التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 - موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 - (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 - أبجديات شعرية
- 26 - الشعر رحم بين أهله
- 27 - الله يرحم مزنه
- 28 - رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 - امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 - تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 - لا فض فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 - بردة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
- 33 - بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -
- 34 - بردة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
- 35 - بردة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
- 36 - بردة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
- 37 - بردة فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها -
- 38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيه التربية والتعليم)
- 39 - نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيه الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقبلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى داننة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيده بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وبيكاء الحُداء (1 & 2)
 14 – رجالاً لعب بهم الشيطان
 15 – رسائل سليمانة شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثل الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانة عشمأوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خير من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية ذربة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 - اللغة العربية وصراع اللغات
37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
38 - المال والجمال والمآل
39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 - المعلم صانع الأجيال
41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 - اليثم غنم لا غرم
43 - أمومة وأمومة
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 - بين الفتنة والفتنة!
48 - بين هندٍ وزيد!
49 - جيران وجيران!
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 - عزة الخير (أم عبد الله)
52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 - مدائح إلهية شعرية
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 - البردات الشعرية السليمانية
57 - عيون الدواوين السليمانية
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 - من أزاهير الكتب
62 - من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 - من أناشيد الأفراح
64 - نحويات شعرية
65 - نساء صقلتهن العقيدة
66 - نساء لعب بهن الشيطان
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري
87 - حضارة البطنة لا الفطنة
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أحرث عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعقوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعريّة سليمانيّة (3&2&1)

121 – القصيدة الزينية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانيّة في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!